

أَبَاطِيلُ التَّوْرَةِ وَالْعَهْدِ الْقَدِيمِ
(٢)

الَّذِي جَلَّ جَلَالُهُ وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

فِي التَّوْرَةِ وَالْعَهْدِ الْقَدِيمِ

(دَرَاةٌ مُقَارِنَةٌ)

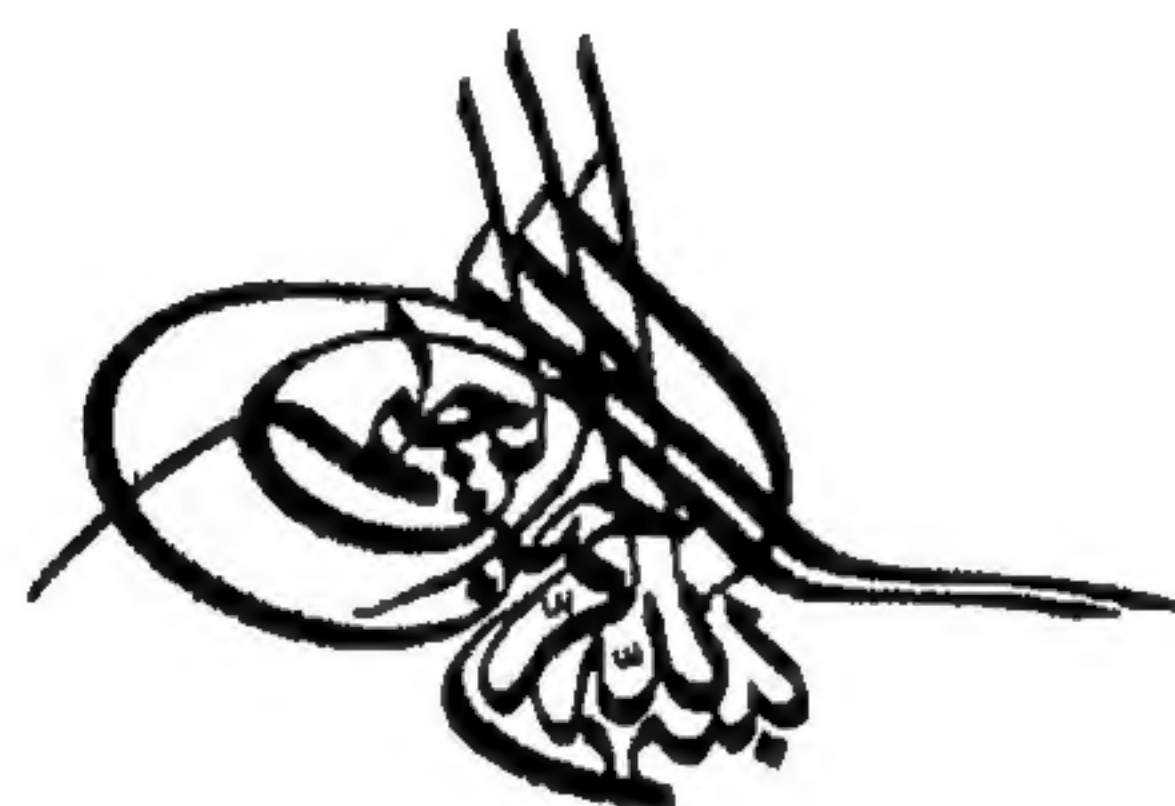
تَأْلِيفُ
د. مُحَمَّدٍ عَلِيِّ الْبَارِ

الدار السامية
بيروت

0136144

Universita Alexandrina

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فِي التَّوْحِيدِ وَالْعَهْدِ الْقَدِيمِ



أبّا طيل الثوراة والعهد القديم
(٢)

الله جل جلاله
والله نبيهم
عليهم السلام

في الثوراة والعهد القديم
(دراسة مقارنة)

تأليف
د. محمد علي البسار

الدار السامية
بيروت

دار الفقه
دمشق

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

حقوق الطبع محفوظة

دار القلم

للطباعة والنشر والتوزيع - مس - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

الدار الساعية

للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على حبيبه المجتبي وعباده الذين اصطفى، الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سُجَّداً وَبُكْيًا﴾. فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا﴾ [مريم ٥٨، ٥٩]. أولئك القوم الذين أمر الله سبحانه وتعالى نبيه وحبيبه وخيرته من خلقه أن يقتدي بهم: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام ٩٠].

وفي هذا الكتاب تعرضنا أولاً لصفات المولى سبحانه وتعالى كما وردت في التوراة والعهد القديم والتلمود، وما فيها من البهتان العظيم، إذ جعل أحبار اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، جعلوا المولى سبحانه وتعالى في صورة بشر حقوق سريع الغضب كثير الندم. شديد الحرص على أبنائه اليهود الذين زاغوا وعبدوا العجل والبعليم وعشتاروت وغيرها من الأرجاس. . «وقال الرب لهوشع: اذهب أيضاً احب امرأة، حبيبة صاحب وزانية، كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب» (سفر هوشع، الإصحاح الثالث).

وقال أيضاً أول ما كلم الرب هوشع، قال لهوشع: «اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب». (سفر هوشع ١: ٢).

ويزعمون أن هوشع ذهب فتزوج الزانية جومر وولدت له . . ثم يزعمون أن الرب (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)، قال: «حاكموا أمكم (أي إسرائيل) لأنها ليست امرأتي وأنا لست رجلها، لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها. ليلاً أجردها عارية وأوقفها كيوم ولدتها وأجعلها كقفر . . ولا أرحم أولادها لأنهم أولاد زنى، لأن أمهم زنت، التي حبلت بهم صنعت خزيًا، لأنها قالت: أذهب وراء محبي الذين يعطون خبزي ومائي وصوفي وكتاني وزيتي وأشربتي . . لكن هائذا أتملقها وأذهب إلى البرية وألاطفها وأعطيها كرومها من هناك . . وهي تغني هناك كأيام صباها وكيوم صعودها، ويكون في ذلك اليوم يقول الرب: إنك تدعينني رجلي ولا تدعينني بعلي (لأن الرب ينفر من كلمة البعل، وهو صنم كان يعبد في منطقة لبنان وفلسطين وعبدته إسرائيل فترة طويلة) . . وأقطع لهم عهداً في ذلك اليوم وأخطبك لنفسى».

(سفر هوشع ٢: ١٢).

وتصف التوراة المحرفة المولى سبحانه وتعالى بكل صفات اليهود الحقيرة المردولة . . من الحقد واللؤم والخسة، وأنه يسير وراء حبيته إسرائيل في البرية ويسكن معهم في خيمة الاجتماع ويجلس في التابوت الذي يسمّى «تابوت رب الجنود الجالس على الكروبيم». ويقا تل معهم الفلسطينيين ويحقق لهم الانتصارات . . ورغم ذلك استطاع الفلسطينيون أن يأسروا الرب!! وأخذوه معهم أسيراً في تابوته، ولكنه ضربهم بالفئران والبواسير، فاضطر الفلسطينيون أن يعيدوه إلى بني إسرائيل مع فدية خمسة فئران من ذهب وخمسة بواسير من ذهب!!

وقد أفضنا في هذه العقائد المردولة في الفصل الأول من هذا الكتاب تحت عنوان «الله جل جلاله كما تصوره التوراة والتلمود» . .

وتأتي أهمية دراسة هذه العقيدة اليهودية في الله سبحانه وتعالى من أنها توضح عقائد اليهود وسياسة بني إسرائيل الذين يعتقدون اعتقاداً جازماً أنهم أبناء الله وأحباءه على الحقيقة والمجاز . . وأنه لم يخلق البشر إلا لخدمتهم ولعق أحذيتهم . . وأنه يجوز، بل يجب عليهم أن يبتزوا البشر على مختلف صنوفهم وأنهم هم وحدهم شعب الرب المقدس . . وإليه ينتسبون انتساب الدم وانتساب المودة والمحبة .

ثم استعرضنا بعد ذلك سير الأنبياء عليهم السلام كما وردت في أسفار التوراة والعهد القديم من آدم عليه السلام إلى حجي وصفنيا وزكريا وملاخي . وإذا كان اليهود قد صوروا المولى سبحانه وتعالى بصورة بشرية مقززة، فكيف يمكن أن نتخيل وقاحتهم وتصويرهم للأنبياء عليهم السلام؟ وقد لوثوا سيرة هؤلاء الأنبياء بصورة لا يكاد يصدقها عقل . . . ووصفهم بأقذع الصفات ونعتوهم بأشنع الأخلاق . . . فهم كذبة فجرة قتلة زناة جبناء لصوص ديوثون . . . إلخ .

ولم يسلم من هذه الصفات المرذولة أنبيأؤهم الذين يزعمون أنهم إليهم ينتسبون، ابتداء من إبراهيم وإسحاق عليهما السلام مروراً بيعقوب وبنيه (يوسف والأسباط) وموسى وهارون ويوشع بن نون وداود وسليمان، وانتهاء بالأنبياء المتأخرين من أمثال هوشع وأشعيا وأرميا وحزقيال وعوبديا ودانيال وميخا وناحوم وحجي وملاخي وزكريا وصفنيا . .

وقد ذكرنا سيرة هؤلاء الأنبياء في التوراة والعهد القديم وقارنا تلك الصورة القاتمة بالصورة المشرقة الوضيئة التي جاءت عنهم في القرآن الكريم وبعض ما ورد في السنة النبوية المطهرة . . «وبضدّها تتبين الأشياء» .

وقد استعرضنا في الجزء الأول من هذا الكتاب «المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم» أسفار العهد القديم وتقسيماتها المختلفة عند اليهود والنصارى بفرقهم المختلفة .

ولم نتحدث عن أسفار الشعر والحكمة إلا باقتضاب، وذلك لأننا اضطررنا لاستعراضها في هذا الجزء . حيث ألحقنا مزامير داود عليه السلام بفصل يأتي مباشرة بعد الفصل الذي تحدثنا فيه عن داود . وكتبنا فصلاً عن أسفار الشعر والحكمة المنسوبة إلى سليمان عليه السلام، وهي : سفر حكمة سليمان وسفر الجامعة ونشيد الإنشاد . . وقد جعلنا هذا الفصل بعد الفصل الذي كتبناه عن سليمان عليه السلام . .

وأوضحنا ما في هذه الأسفار من الحكمة وما فيها من الغثاء والكفر والزندقة والشعر الجنسي الفاضح .

ثم تحدثنا عن أيوب عليه السلام في القرآن الكريم، وعن أيوب كما جاء في

سفر أيوب، وهو من أسفار الشعر والأدب والحكمة. . وقد أوضحنا ما جاء في هذا السفر من كفر بالله وتحذُّ له وصل إلى حد إنكار وجوده على لسان أيوب عليه السلام - حسب زعمهم - حيث يقول: «هأنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً فلا أشعر به، وشمالاً حيث عمله فلا أنظره، يتعطف الجنوب فلا أراه»:

لقد بحث أيوب - حسب زعمهم - عن الرب في الجهات الأربع فلم يجده. . ثم تحدثنا عن يونس عليه السلام (سفر يونان) كما ورد في القرآن الكريم وقارناه بالغناء الموجود في العهد القديم.

وتحدثنا في الفصل الأخير عن الأنبياء المتأخرين ابتداء من إيليا (إلياس)، الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وانتهاء بملاخي وحبقوق وعوبديا وصفنيا وميخا وحجي، الذين لم يرد لهم ذكر لا في القرآن الكريم ولا في السُّنة المطهرة.

ويوضح هذا الكتاب عقائد اليهود الملتوية المعوجة وأنفسهم المريضة المليئة بالحق على البشرية وغرورهم وعتوهم وتجبرهم وجبنهم وخستهم كما يوضح سياسة إسرائيل التي عليها قامت والتي عليها تسير.

ولا شك أننا إذا أردنا أن نواجه هؤلاء اليهود المتجمعين اليوم في دولة إسرائيل يجب أن نفهم عقائدهم وأساليبهم وطرقهم الملتوية. . كما أنه من المؤلم جداً أن نجد هؤلاء اليهود يسيطرون على الغرب سيطرة كاملة وخاصة الولايات المتحدة. . ويستخدمون في ذلك وسائل متعددة ليس أقلها أهمية أساطير التوراة والعهد القديم.

ففي الولايات المتحدة اليوم أكثر من أربعين مليون شخص يؤمنون إيماناً كاملاً بمجيء المسيح الرب (يسمونه الرب) حسبما بشرت به أسفار العهد القديم وأنه لن يأتي إلا بعد هدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان على أنقاضه. ومن هؤلاء الرئيس السابق كارتر والرئيس ريچان اللذان يؤمنان إيماناً جازماً بأن الرب سيأتي إلى أورشليم وينزل إلى مسكن قدسه في جبل صهيون ويسكن في بيت الرب (الهيكل)، وتتمجد به كل الشعوب عبر تمجدها بلعق حذاء إسرائيل!! لأن إسرائيل هي شعب الله المختار. . الشعب المقدس الذي اختاره الله من بين البشر وأعطاه عهده الأبدي الدائم بأن يفترس جميع الشعوب وأن يأكل جميع الأمم وأن يبني أول ما يبني الفلسطينيين الذين أمر الرب

بقتلهم وطردهم من الأرض التي أنت ذاهب إليها يا إسرائيل . . والتي وعدها الرب إبراهيم وإسحاق ويعقوب . . وكرر ذلك العهد والأيمان المغلظة مئات المرات وأكدها بغرلة الختان والدم !!

ونحن نؤمن بأن اليهود سيتجمعون في آخر الزمان، ﴿وإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً﴾ . . وأن هؤلاء اليهود ستقوم لهم دولة . . وسيظهر فيهم المسيح الدجال الأعور الذي يدعي الربوبية . . وأن معظم شعوب الأرض ستخضع له لفترة وجيزة، ثم ينزل عيسى عليه السلام من المنارة الشرقية للجامع الأموي بدمشق والمسلمون يصفون صفوفهم وإمامهم منهم . . وأن عيسى عليه السلام يصلي خلفه . . ثم يقوم بقتل المسيح الدجال عند باب لُدّ (مطار تل أبيب حالياً) ويقتل المسلمون اليهود حتى يقول الحجر والشجر: تعال يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله، إلا الغرقد فإنه شجر يهود . .

وتكون المعركة العظمى عند نهر الأردن (نهر الشريعة) الذي يفصل ما بين الضفة الغربية التي ستمتأ باليهود والضفة الشرقية التي عليها المسلمون . . وتطهر الأرض يومئذ من يهود ورجس يهود ودنس يهود ومسيح اليهود الدجال الأعور الكذاب . . ويعمم الأرض السلام وتظهر الأرض بركتها وخيرها.

وقد أخبرنا بذلك كله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى — عليه أفضل الصلاة والسلام — وبوادر ما ذكره في الأفق . . وهامم اليهود يأتون من كل حدب وصوب ليحتلوا أرض فلسطين ويطردوا منها أهلها . . وهامم يهود الاتحاد السوفييتي يقدمون بمئات الآلاف ليسكنوا الضفة الغربية من نهر الأردن ويطردوا منها ما بقي من أهلها وسكانها حتى تتم النبوة وتبدأ تباشير الفجر الذي طال ظلامه واسودّ حاله وكثرت رزاياه.

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ .

د. محمد علي البكار

الله جل جلاله كما تصوّره التوراة التلمود

يصدم المرء حينما يقرأ التوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم، كما يصاب بالهلع والروع عندما يفاجأ بصفات الله سبحانه وتعالى في التلمود. . ولا شك أن أحبار اليهود عليهم لعائن الله قد حرّفوا التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وجعلها هدى ونور. . . ﴿ويحرفون الكلم عن مواضعه﴾، ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾.

ولا شك لدينا أن يعقوب - إسرائيل - عليه السلام وبينه كانوا موحدين كما كان آباؤه من قبل. قال تعالى في القرآن الكريم على لسان يوسف عليه السلام:

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (يوسف: ٣٧، ٣٨).

وقال تعالى:

﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (البقرة: ١٣٢، ١٣٣).

ولكن بني إسرائيل حرّفوا دينهم واتبعوا أهواءهم، وساروا وراء الضلالات،

وقلدوا الأمم السابقة، فعبدوا الأصنام والأوثان، فعاقبهم الله على ذلك عقوبات شديدة. . ونرى بني إسرائيل وقد أنقذهم الله من فرعون، يمرون على قوم يعبدون الأصنام، فيطلبون من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة كما لهؤلاء القوم.

قال تعالى :

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ (الأعراف : ١٣٨).

وما كاد موسى عليه السلام يذهب للقاء ربه حتى عبد بنو إسرائيل العجل.

قال تعالى :

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْتَمَرُوا أَنَّهُمْ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ (الأعراف : ١٤٨).

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴿١٥٠﴾﴾ (الأعراف : ١٥٠).

وقال تعالى في سورة طه :

﴿وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَا مَوْسَى ﴿٨٢﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾﴾ (طه : ٨٥ - ٩١).

ولقد برأ الله هارون عليه السلام مما ألصقته به التوراة المحرفة من أنه هو الذي دعاهم لعبادة العجل وهو الذي صنعه لهم بيديه كما سنستعرضه في حينه .

وخلاصة القول أن إبراهيم عليه السلام وبنيه كانوا موحدين على أنقى صور التوحيد . . وأن بني إسرائيل كانوا في الأصل موحدين، ولكنهم تأثروا بالأمم من حولهم، فعبدوا الأوثان وصوروا الله سبحانه وتعالى بصورة بشر، سريع الغضب، كثير النسيان، يستيقظ وينام، ويحزن ويبكي، ويندم على أفعاله، ويخادع ويخاتل، وينشر الشر، ويحب الدماء جداً . . ولا يتنسم نسيم الرضا إلا عندما يشم اللحم المشوي الذي يغرم به كثيراً. فإذا قدم له أحد المحرقات واللحم المشوي أعطاه ما يريد من أموال وجعل الشعوب له عبيداً . . وهو ليس رب العالمين، بل رب شعب إسرائيل ابنه البكر . . وذلك لأنه قد أعطى العهد لإبراهيم وإسحاق ويعقوب مرات عديدة، لأنهم قدموا له لحماً مشوياً كثيراً من أحسن أنواع اللحم الذي يحبه . كما أن يعقوب صارعه طوال الليل حتى أخذ منه العهد له ولبنيه بالقوة، ولم يطلقه حتى أخذ منه العهد كما سنستعرضه بعد قليل .

لهذا السبب نجد أن كثيراً من الباحثين من اليهود والنصارى والملحدين ومن تابعهم من كتاب المسلمين يقولون: إن اليهود لم يكونوا موحدين أصلاً . . وإن إبراهيم عليه السلام أسطورة لا وجود لها . . وإن قصة العهد مختلقة من أساسها . . ولم يكن هناك قوم معينون عبروا مصر فسموا العبريين . . وإنما هم قبائل شتى من جزيرة العرب وسوريا الكبرى، أصابها الجوع فعبرت النهر إلى مصر. وسميت تلك القبائل المختلفة العبرانيين لأنهم عبروا النهر.

ووصل الأمر ببعض هؤلاء الكتاب ومنهم فرويد اليهودي أن يذكر أن موسى لم يكن أصلاً من بني إسرائيل، وإنما هو من الفراعنة، وكان قائداً لجيش فرعون . . وأن كل ما تعلق بقصة موسى مختلق من أساسه .

وزعم بعض هؤلاء الكتاب أن عقيدة الله تطورت عند البشر من عبادة الأرواح والأشباح، إلى عبادة الطوطم، إلى عبادة الظواهر الكونية، مثل النجوم والشمس والقمر، إلى عبادة الأوثان، والآلهة الكثيرة المختلفة، مع الاعتراف بأن هناك رب

الأرباب - زيوس عند الاغريق ، جوبتير عند الرومان - إلى عبادة إله واحد للقبيلة والشعب . . .

وهذا ما وصل إليه بنو إسرائيل الذين عبدوا الله - ألوهيم أو يهوا - وجعلوه إلهاً خاصاً لشعب بني إسرائيل . . . وهورب الأرباب الأخرى التي يدخل معها في صراع ويدمرها . . . وهو لا يهتم بأن تعبد الشعوب الأخرى آلهة أخرى، ولكنه يهتم اهتماماً شديداً بأن يعبد أبناءه وشعبه، شعب إسرائيل، ويغار غيرة شديدة عندما يتجهون إلى غيره . . . لأنه اصطفاهم وجعلهم أبناءه وأحبائه ولا يريد أحداً غيرهم أن يعبد . . . وهو لذا لا يريد أن يعبدوا غيره .

وهذه الصور المختلفة التي يزعمها هؤلاء الكتاب نابعة من اعتمادهم على ما هو موجود اليوم من صحائف التوراة المحرفة، وتعاليم التلمود المغرضة . ولهذا وقع هؤلاء الكتاب في هذا الخطأ . . . وإذا كنا نجد بعض العذر للكتاب الغربيين الذين لم يقرأوا القرآن ولم يؤمنوا به، فإننا لا نجد أي عذر للكتاب المسلمين الذين يفترض أنهم قرأوا القرآن الكريم وآمنوا به . . . والذي فيه الأدلة القاطعة على وجود الأنبياء الكرام، ابتداءً من أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم . . . وأن أنبياء بني إسرائيل دعوا قومهم إلى عبادة الله وحده . . . وأن بني إسرائيل موحدون في الأصل وأنهم انحرفوا على فترات من الزمن . . . وأن منهم أقواماً صالحين عبدوا الله فأحسنوا العبادة وجاهدوا في الله حق جهاده . . . وأن ما بين أيدينا من تعاليم التوراة والتلمود هي من تخرصات أحبار يهود وتحريفاتهم التي أضافوها إلى التوراة الحقيقية، وأنهم طمسوا كثيراً من تعاليم الله، وأبدلوها بتعاليمهم، وجعلوا أنفسهم آلهة من دون الله ﴿واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ وشرّعوا لأقوامهم وقالوا لهم هذا حلال وهذا حرام ليأكلوا أموال الناس بالباطل .

نماذج مما ذكرته التوراة والتلمود من صفة الله سبحانه وتعالى :

قصة خلق آدم على صورة الله وشبهه، وأن آدم من ذات الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - واليهود هم أبناء الله وجزء منه كما أن الابن جزء من والده .

جاء في سفر التكوين : الإصحاح الأول : «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا

كشبهنا . . . فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه» .

وجعل الله آدم في الجنة وأمره أن لا يأكل من شجرة المعرفة . وعندما أكل آدم من هذه الشجرة بإغراء زوجته حواء التي أغرتها الحية ، لم يعرف الرب أن آدم أكل من شجرة المعرفة إلا عندما اختبأ منه آدم . وكان الرب حسب زعمهم يتمشى في الجنة . «وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختماً آدم وامرأته من وجه الرب الإله وسط شجر الجنة . فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختمت . فقال : من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي أعطتني من الشجرة فأكلت» (سفر التكوين ، الإصحاح ٣) .

وغضب الرب لذلك ولعن حواء والحية وآدم والأرض «ملعونة الأرض بسببك» . وخاف الرب جداً حسب زعمهم من معرفة آدم للخير والشر لذا قال : «وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفٍ الخير والشر» - كأن هناك آلهة كثيرة - . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد . فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها . فطرد الإنسان وأقام - الرب - شرقي جنة عدن الكروبيين - الملائكة الكروبيين - ، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» . (سفر التكوين ، الإصحاح ٣) .

ويعتقد اليهود أن آدم ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لأن الله خلقه من روحه . ويظنون أن ذلك معناه أن فيه جزءاً من ذات الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - كما يعتقدون أن الله خلق آدم على صورة الله ذاته كما سيأتي في قصة آدم . ويذكر التلمود أن آدم اتخذ خليفة من الشياطين اسمها ليليت وعاشها لمدة ١٣٠ سنة فولدت له أبناء وبنات كثيرين كما أن حواء اتخذت لها مجموعة من الشياطين عشاقاً وولدت منهم أبناء وبنات . . ومع ذلك أنجبت حواء من آدم مجموعة من الأبناء والبنات . ولذا فإن أبناء آدم وحواء هم أبناء الله . أما أبناء الزنى من الشياطين فهم أبناء الناس . وقد جاء في الإصحاح السادس من سفر التكوين ما يلي :

و «حدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات . أن أبناء الله رأوا

أن بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روعي في الإنسان إلى الأبد. لزيغانه هو بشر. وتكون أيامه مئة وعشرين سنة، كان في الأرض طغاة في تلك الأيام. وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم»^(١).

وهكذا تزعم التوراة المحرفة (سفر التكوين، الإصحاح ٦): أن أبناء الله - تعالى الله عن ذلك - تزوجوا من بنات الناس فأنجبوا الطغاة والجبابرة. . وهي هي عقائد الطغاة في كل زمان ومكان بأنهم من نسل الإله. . هكذا زعم الفراعنة في مصر ونمرود في العراق. . وملوك الهند. . وأباطرة الصين واليابان. .

وقد غضب الرب غضباً شديداً لاختلاط نسب أولاده بأنساب أبناء الناس وبناتهم فقرر أن يغرق الأرض ويحدث الطوفان ويهلك جميع من في الأرض من إنسان وطيور وحيوان ما عدا نوح، لأنه وجد نعمة في عيني الرب. . وكان نوح من نسل آدم وحواء ولم يكن قد دخل نسبه شيء من بنات الناس - أي بنات حواء وآدم من زناهما مع الشياطين - لهذا كله نجى الله نوحاً وزوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم لأنهم من نسل الله. . . وتسير خرافات التوراة بعد ذلك لتطرد كنعان بن حام بن نوح وتجعل سلسلة نسب الإله في سام جد اليهود. . ولهذا فاليهود هم أبناء الله وأحباؤه. ولهذا جاء في

(١) من الطريف أن نقراً تعليق الترجمة الفرنسية المسكونية وترجمة أورشليم الفرنسية للكتاب المقدس كما تنقلها الرهبانية اليسوعية. الكتاب المقدس - كتب الشريعة الخمسة، دار المشرق ١٩٨٥ م.

يقول التعليق: «يعود المؤلف - أي مؤلف سفر التكوين - إلى أسطورة شعبية عن الجبابرة، يقال إنهم ولدوا من زواج بين كائنات بشرية وكائنات سماوية. وهو لا يبدي رأيه في قيمة هذا الاعتقاد، ويخفي وجهه الأسطوري!! فيقتصر على التذكير بهذا الجنس الوقح من الجبابرة، كمثال للفساد المتزايد الذي سوف يسبب الطوفان. أما اليهودية اللاحقة وجميع المؤلفين المسيحيين الأولين تقريباً رأوا في «بني الله» هؤلاء ملائكة مذنبين. لكن آباء الكنيسة، منذ القرن الرابع الميلادي، فسروا جميعهم «بني الله» ببني شيث. وبنات الناس بذريرة قاين - قابيل - . اهـ.

وأما ما ذكره التلمود فيدل على أن بنات الناس هن نسل حواء من الشياطين ونسل آدم من زناه بالشيطانة ليليت. . ويعتبر التلمود أولاد شيث أبناء الله، كما ذكرناه.

التلمود: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده. . . وأن أرواح اليهود عزيزة عند الله لأن أرواح غير اليهود هي أرواح شيطانية. . . والإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة. . . وجاء في التوراة المحرفة: «هكذا يقول الرب. . . إسرائيل ابني البكر». ويقول عن إسرائيل: «أنا اليوم خلقتك لتكون لي حبيباً محبباً مثل الابن لأبيه». . . وجاء في التلمود الذي كتبه أحبار يهود: «إذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب. ولو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس». . .

لهذا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه. . . وهم لا يقصدون فقط المحبة المعنوية والبنوة المعنوية كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ولكنهم يقصدون أن أرواحهم جزء من ذات الله تعالى، لأنهم هم الممثلون لنسل آدم وحواء في نقائه. وبما أن آدم مخلوق على صورة الله وشبهه تماماً، وروحه جزء من روح الله وذاته، - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - فإن اليهود هم أبناء الله الحقيقيون حساً ومعنى.

وجاء في سفر التثنية من التوراة المحرفة (الإصحاح السابع):

«سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعتهم الرب أمامك فإنك تحرّمهم - أي تبيدهم وتقتل النساء والأطفال مع الكبار - لا تقطع معهم عهداً ولا تشفق عليهم، لأنك شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب لتكون له شعباً، أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. مباركاً تكون فوق جميع الشعوب. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عيناك عليهم». . .

وجاء في سفر التثنية (الإصحاح ١٤):

«أنتم أولاد الرب إلهكم» وفي سفر صمويل الثاني (الإصحاح ١٣) «أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً». ويقول داود كما يزعمون: إن الرب قال له: «أنت ابني. أنا اليوم ولدتك أسألني فأعطيك الأمم ميراثاً، وأقاصي الأرض ملكاً» (المزمور الثاني).

وقال عن سليمان بعد أن عبد الأوثان حسب زعمهم «هو يبني بيتاً لاسمي وهو

يكون لي ابناً وأنا له أباً وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد» (أخبار الأيام الأول ٢٢ : ١٠).

مما تقدم يتضح الآتي :

- (١) أن الله قد خلق آدم على صورة الله وشبهه تماماً حسب زعمهم.
- (٢) أن الله عندما نفخ في آدم من روحه، جعل فيه جزءاً من ذاته. تعالى الله عن ذلك.
- (٣) أن آدم ابن الله على الحقيقة لا على المجاز.
- (٤) أن هذه البنية بقيت في أولاد آدم من حواء. أما أولاد آدم من زناه مع الشيطانة ليليت وأولاد حواء من زناها مع الشياطين فتسميهم التوراة بنات الناس وأبناء الناس. وأن زواج أبناء آدم وحواء - الذين تسميهم التوراة أبناء الله - من بنات الناس نتج عنه الجبابرة الذين هم منذ الدهر لهم اسم.
- (٥) أن البنية تسلسلت في نوح. وبما أن العالم كله قد غرق ولم يبق على الأرض إلا نوح وأولاده فإن البنية بقيت في نوح وابنه سام. لأن حام نظر عورة أبيه فصار هو ونسله ملاعين وخرجت منهم روح الله. وسكن الله في خيام سام.
- (٦) تسلسل البنية من سام إلى إبراهيم ومن إبراهيم إلى إسحاق إلى يعقوب - إسرائيل - وبنيه.
- (٧) أن الله حسب زعمهم لا يريد للإنسان أن يعرف الخير والشر، ويريده أن يبقى جاهلاً حتى لا ينافسه. ويخاف الله حسب زعمهم أن يأكل الإنسان من شجرة الخلد - شجرة الحياة - فيحيا الإنسان إلى الأبد. ولذا يطرد الله الإنسان من الجنة، ويضع عليها حراسة مشددة حتى لا يدخل ويأكل من شجرة الحياة.
- (٨) أن الله يجهل ما يحدث، ولم يعرف أن آدم أكل من شجرة المعرفة إلا بعد أن اختبأ آدم وأخبره بذلك.
- (٩) أن الرب يمشي ويقوم وينام ويصحو ويعمل ويتعب ويحتاج للراحة، حسب زعمهم.

(١٠) أن الرب حسب زعمهم لا يهتم إلا بإسرائيل ابنه البكر. . ولذا فقد وضع عهده معهم ليكون لهم رباً وليكونوا هم له أبناء. . وأن لا يعبدوا معه آلهة أخرى. وهو لا يهتم بالشعوب الأخرى التي تعبد آلهة أخرى بل يهتم ويحزن لأن شعبه وابنه البكر ذهب ليقدم القرابين لآلهة أخرى غريبة. ويستخدم كاتب العهد القديم أسلوباً بذيئاً حيث يصور الرب وكأنه قد تزوج إسرائيل التي ذهبت تزني وراء البعلليم وعشتروت وملكوم - أوثنان - وهو يغار عليها ويرجوها أن ترجع إليه كعهدها السابق.

جاء في سفر هوشع (الإصحاح ١ : ٢ - ٩) :

«أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى». هذا أمر غريب وعجيب حقاً أن يأمر الرب نبيه هوشع بأن يأخذ لنفسه زانية وأولاد زنى. وبالفعل يزعم كتاب العهد القديم أن هوشع تزوج من زانية. ويستمر كلام الرب في هذا السفر معللاً هذا الأمر الغريب بأن الأرض قد زنت تاركة الرب. . والمقصود أن بني إسرائيل عبدوا آلهة أخرى وانتشر الزنى بينهم انتشاراً ذريعاً.

يقول كاتب سفر هوشع : «فذهب - أي هوشع - وأخذ جומר بنت دبلائم فحبلت وولدت له ابناً. فقال له الرب : ادع اسمه يزرعيل، لأنني بعد قليل أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل، وأبيد مملكة بيت إسرائيل. ويكون في ذلك اليوم أني أكسر قوس إسرائيل في وادي يزرعيل. . . لأنكم لستم شعبي وأنا لا أكون لكم». وسرعان ما يعود الرب ويناقض كلامه حسب زعمهم : «لكن يكون عدد بني إسرائيل كرمل البحر الذي لا يكاد ولا يعدّ عوضاً عن أن يقال لهم لستم شعبي يقال لهم أبناء الله الحي. ويجمع بنو يهوذا وبنو إسرائيل معاً ويجعلون لأنفسهم رأساً واحداً ويصعدون من الأرض، لأن يوم يزرعيل عظيم!!»-

وفي سفر هوشع (الإصحاح ٢ : ٢ - ٢١) :

يقول الرب لهم : «حاكموا أمكم - أي إسرائيل - لأنها ليست امرأتي وأنا لست رجلها، لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها. ليلاً أجردها عريانة وأوقفها كيوم ولادتها وأجعلها كقفر. . ولا أرحم أولادها لأنهم أولاد زنى. لأن أمهم زنت.

التي حبلت بهم صنعت خزيًا . لأنها قالت : أذهب وراء محبي الذين يعطون خبزي ومائي وصوفي وكتّاني وزيتي وأشربتي . . لكن هائذا أتملقها وأذهب إلى البرية وألطفها وأعطيها كرومها من هناك . . وهي تغني هناك كأيام صباها وكيوم صعودها من أرض مصر . . ويكون في ذلك اليوم يقول الرب : إنك تدعينني رجلي ولا تدعينني بعد بعلي» ينفر الرب حسب زعمهم من كلمة بعل لأن إسرائيل عبدت البعل - أحد الآلهة الموجودة في فلسطين آنذاك وفي منطقة لبنان - ولهذا فهو يكره كلمة البعل . ويريد من إسرائيل أن تكون زوجته وتقول له أنت رجلي . . ولا تزني من ورائه مع عشاق كثيرين وآلهة كثيرين ولهذا فهو يغار منها ومن زناها . . ورغم زناها مع من هبّ ودبّ إلا أنه لا يزال يحمل في قلبه لها الحب والود ويريدها أن ترجع له ، وينزع أسماء البعليم - هو نفسه البعل - من فمها فلا تذكرها . . «وأقطع لهم عهداً في ذلك اليوم . . وأخطبك لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم . . وأخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب» .

«وقال الرب لهوشع : اذهب أيضاً أحب امرأة حبيبة صاحب وزانية ، كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب» (سفر هوشع : ٣) .

وهكذا يصورون الرب - تعالى الله عن ذلك - أنه مغرم بفتاته إسرائيل ولهذا فهو يحبها رغم زناها ويدعوها إليه . . ويأمر هوشع نبيه أن يتزوج زانية وأن يخالل امرأة رجل آخر لأن هكذا فعل الرب !! - أعوذ بالله - فقد أحب الرب إسرائيل وهي تحب رجلاً آخر وتزني معه وتترك الرب إلهها .

شعب إسرائيل هم أبناء الله وأحباؤه على الحقيقة وعلى المجاز . . ومحبه لإسرائيل أشد من محبة الرجل لزوجته وحبيته . . وهو مغرم بها جداً رغم خيانتها وزناها وفجورها . . ويريدها أن ترجع إليه بأي ثمن ، ومستعد أن يعطيها كل ما تريد . . فقط ترجع إلى أحضانه !! .

ورغم ما في ذلك الكلام من أسلوب بذيء ووقح ، إلا أنه يعبر عما يعتبره كاتب العهد القديم الحقيقة الأزلية ، وهي أن ألوهيم أو يهوا - الله - هو رب إسرائيل فقط

وحبيبها هي . ومهما فعلت إسرائيل من جرائم ومن عبادة الأوثان فهو لا يزال يجري ويلهث وراءها . . ويريدها أن تعود إليه كما كانت أيام خروجها من مصر، مع أن خروجها من مصر عبت فيه الأوثان أيضاً .

الله يتعب ويرتاح - حسب زعمهم - :

جاء في سفر التكوين، الإصحاح الثاني : «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقُدَّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً . ولهذا فيوم السبت مقدس تجب فيه الراحة . .

وهكذا تصور التوراة المحرفة أن الله - سبحانه وتعالى - يصاب بالتعب والنصب ويحتاج إلى الراحة . وقد نفى القرآن الكريم هذه الفرية .

قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾
(ق : ٣٨) .

الرب يستيقظ وينام ويلعب كما تزعم التوراة والتلمود :

جاء في سفر زكريا من التوراة المحرفة (الإصحاح ٢ : ١٠ - ١٣) :
«ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأنني هائئذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب .
فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم . ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك .
فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك . والرب يرثُ يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة ، ويختار أورشليم بعد . اسكتوا يأكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه» .

رؤية الرب :

الرب في التوراة متجسد على هيئة بشر، ولذا يمكن رؤيته في الدنيا .

ويصف أشعيا الرب (سفر أشعيا ٦ : ١ - ١١) بعد أن رآه قائلاً :

«في سنة وفاة عزيا الملك رأيتُ السيد الرب جالساً على كرسي عال مرتفع،

وأذياً تملأ الهيكل . السرافيم واقفون فوقه ، لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطي وجهه ، وباثنين يغطي رجله ، وباثنين يطير . وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس . رب الجنود مجده ملاً الأرض ، فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ ، وامتلاً البيت دخاناً . فقلت ويل لي !! إني هلكت لأنني إنسان نجس الشفتين ، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين ، لأن عيني قد رأنا الملك رب الجنود . فطار إليّ واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط ، ومَسَّ بها فمي . وقال إن هذه قد مست شفئك فانتزع إثمك وكفّر عن خطيئتك» .

وليس أشعيا وحده هو الذي رأى الرب . فآدم وابنه القاتل قايين ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب - صارعه أيضاً - وكل الأنبياء ، وموسى والسبعين من مشايخ إسرائيل ، وأخت موسى مريم .

وجاء في سفر الخروج (٢٤ : ٩ - ١١) :

«ثم صعد هارون وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل ، وتحت رجله منصة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة . ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا» .
رؤية إيليا - النبي الياس :

لقد رأى «إيليا التشي» - إيليا هو النبي - الله حسب زعم سفر الملوك الأول بعد أن كلمه مراراً «وعندما هرب إيليا من الملك الفاسق أخاب بن عمري ملك يهوذا ، ذهب إيليا إلى المغارة فجاءه الرب وقال له : ما بالك هاهنا يا إيليا؟ فقال - إيليا - : إني ثرت ثورة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد نبذوا عهدك ، وقوضوا ميثاقك ، وقتلوا أنبياءك بالسيف ، وبقيت أنا وحدي ، وقد طلبوا روحي ليأخذوها . فقال - الرب - : اخرج وقف على الجبل أمام الرب ، فإذا الرب عابر ، وريح عظيمة عاتية تصدّع الجبال وتحطّم الصخور أمام الرب ، ولم يكن الرب في الريح . وبعد الريح زلزلة ، ولم يكن الرب في الزلزلة ، وبعد الزلزلة نار ، ولم يكن الرب في النار ، وبعد النار حفيف نسيم لطيف ، فلما سمع إيليا ستر وجهه بردائه وخرج ووقف بمدخل المغارة ، فإذا بصوت يقول له : ما بالك يا إيليا؟ فقال : إني ثرت ثورة للرب إله الجنود وكرر عبارته السابقة . فقال له الرب : امض . فارجع في طريقك نحو بركة دمشق فإذا وصلت فامسح حزائيل ملكاً على

أرام، وامسح ياهو بن نمش ملكاً على إسرائيل، وامسح اليشع بن شافاط من آبل محولة نبياً، خليفة لك» (سفر الملوك الأول ١٩ : ٩ - ١٥).

الله يسير أمام بني إسرائيل ليلاً ونهاراً حتى يهديهم إلى الطريق في برية صين :

تزعّم التوراة أن الله عندما غضب على بني إسرائيل لرفضهم دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، أتاهاهم في صحراء سينا (برية صين). ولكنه مع ذلك لم يتركهم لأنهم شعبه وابنه البكر الأثير لديه جداً مهما فعلوا. لذلك كان يسير أمامهم في الطريق ليلاً ونهاراً حتى لا يضلوا. ورغم هذا الجهد الجبار لم يستطع حسب زعمهم أن يدلهم على الطريق لمدة أربعين عاماً.

جاء في سفر الخروج (الإصحاح ١٣ : ٢٠ - ٢٠) :
«وارتحلوا من سكوت ونزلوا في أيثام في طرف البرية. وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهاراً وليلاً. لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب».

موسى إله فرعون، وهارون نبي موسى :

جاء في سفر الخروج (٧ : ١ - ٣) :
«فقال الرب لموسى انظر: أنا جعلتك إلهاً لفرعون!! وهارون أخوك يكون نبيك أنت تتكلم بكل ما أمرك. وهارون أخوك يكلم فرعون ليطلق بني إسرائيل من أرضه، ولكنني أقسى قلب فرعون. وأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر».

ولا بد أن كاتب التوراة كان يهذي فكيف يكون موسى إلهاً لفرعون! وهو الذي جاء لدعوة الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد!؟ أفيكون مثل فرعون مدعي الألوهية!؟ ويكون الذي يأمره بهذا الكفر الله ذاته!؟ إن هذا شيء عجاب!! ثم كيف يكون هارون نبياً لموسى؟ وإنما يمكن أن يكون هارون من أنبياء الله وقد كان كذلك بالفعل.

ولماذا يقسى الرب قلب فرعون!؟ فقط ليستعرض قوته وعجائبه وحاشا لله أن يفعل ذلك، إنما يأمر بالخير والبر.

وجاء أيضاً في سفر الخروج في أكثر من موضع، أن فرعون قال لموسى وهارون: «صلياً لأجلي» (سفر الخروج ٨: ٢٥ - ٢٩، والخروج ٩: ٢٧) .. وهكذا تزعم التوراة أن فرعون كان يريد الخير، ويريد من موسى وهارون أن يدعوا له .. وكان حريصاً على الخير. . لكن الرب هو الذي قسى قلبه!!

الرب يكتب اللوحين بأصبعه حسب زعمهم:

جاء في سفر الخروج (٣١: ١٨):

«ثم أعطى (الله) موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سينا لוחي الشهادة. . لוחي حجر مكتوبين بأصبع الله».

ومع هذا فقد كسّرهما موسى عندما غضب ورأى بني إسرائيل يعبدون العجل الذي صنعه لهم حسب زعمهم هارون عليه السلام: «وكان عندما اقترب - أي موسى - إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص. . فغضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسّرهما أسفل الجبل». (سفر الخروج ٣٢: ١٦).

ولكن الرب صنع له لوحين آخرين كتبهما مرة أخرى بأصبعه:

«وفي ذلك الوقت قال لي الرب: أنحت لك لوحين من حجر مثل الأولين، وأصعد إلى الجبل فأكتب على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين اللذين كسرتهما». (سفر التثنية ١٠: ١، ٢).

نزول الرب وكلامه:

يتكرر نزول الرب إله إسرائيل إلى الأرض مرات ومرات. ويمشي أحياناً أمام إسرائيل على هيئة عمود سحاب نهاراً وعمود نار ليلاً، ليدلهم على الطريق. . ويتكلم الرب مع أي إنسان يريد أن يؤذي إسرائيل ويهدده. . تكلم الرب مع لابان خال يعقوب، عندما هرب يعقوب سارقاً الأغنام وبنات لابان حسب زعمهم وهدده. وتكلم مع أبيمالك ومع فرعون، عندما أعطى إبراهيم زوجته سارة لهما لكي يكسب مالا. وتكلم مع بلعام بن باعور الذي طلب منه ملك موآب أن يلعن بني إسرائيل: «فأتى الله إلى بلعام، وقال: من هم الرجال الذين عندكم؟ فقال بلعام: بالاق بن صفور ملك موآب قد أرسل إليّ يقول: هوذا الشعب الخارج من مصر قد غشى وجه الأرض.

الآن العن لي إياه، لعلّي أقدر أن أحاربه وأطرده. فقال الله لبلعام: لا تذهب معهم ولا تلعن هذا الشعب لأنه مبارك».

وتكلم الله أيضاً مع شيوخ بني إسرائيل بل وسمع كل بني إسرائيل كلامه ورأوه بأعينهم: «وأما السبعون فقد رأوه وهو واقف وتحت رجله صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة». (سفر الخروج ٢٤ : ٩ - ١١).

ونزل الرب مئات المرات إلى خيمة الاجتماع. . وغضب الرب حسب زعمهم على هارون ومريم، شقيقا موسى، لأنهما تكلما على موسى بسبب زواجه من الكوشية: «ونزل الرب في عمود سحب، ووقف الرب في باب الخيمة ودعا هارون ومريم كلاهما وقال: اسمعا كلامي فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى، فحمي غضب الرب ومضى. فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم برصاء مثل الثلج». (سفر العدد ١٢ : ٤ - ١٠).

النبي أرميا يصف الله بالخداع - تعالى الله عن ذلك - :
يقول أرميا النبي للرب: «فقلت آه يا سيدي الرب. حقاً إنك خدّاع خدعت هذا الشعب - يقصد شعب إسرائيل وأورشليم - قائلاً: يكون لكم سلام. . وقد بلغ السيف النفس» (سفر أرميا ٤ : ١٠).

الرب يأمر أشعيا بأن يتعرى ويدعو بني إسرائيل وهو عاري لمدة ثلاث سنوات :
وأما أشعيا فقد أمره الله بأن يتعرى تماماً، ويمشي عارياً وحافياً ثلاث سنوات ليكون أعجوبة لله!! «تكلم الرب عن يد أشعيا بن آموض قائلاً: اذهب وحل المسح عن حقوك، واخلع حذاءك عن رجلك. ففعل هكذا ومشى معرّى وحافياً.
فقال الرب: كما مشى عبدي أشعيا معرّى وحافياً ثلاث سنوات آية وأعجوبة». (سفر أشعيا ٢٠ : ٢ ، ٣).

قصة جدعون مع الرب وامتحانه له :
أراد الرب أن يخلص بني إسرائيل فأرسل ملاكه إلى جدعون بن يواش ليقول

له: «الرب معك يا جبار البأس». ولكن جدعون لا يقتنع بكلام الملاك ويعتذر عن المهمة ويقول بكل وقاحة: «إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه؟» يقصد الهزائم.

ونزل الرب بنفسه وكلم جدعون قائلاً: «اذهب بقوتك هذه. خلّص إسرائيل». ولكن جدعون أراد أن يتملص من هذه المهمة، وادعى أنه لا بد أن يتأكد أن يخاطب الرب، فقال جدعون: «إنك أنت تكلمني لا تبرح من هنا حتى آتي إليك. وأخرج تقدمتي وأضعها أمامك. ووافق الرب قائلاً: إني أبقي حتى ترجع».

وذهب جدعون وأتى بجدي معزى ودقيق حتى يتأكد أن الرب يتقبلهما. لحم مشوي فأكل الرب وتنسم نسيم الرضا عند رائحة المشوي!! وقال جدعون بعد ذلك كله ليمتحن الرب: «إن كنت تخلص بيدي إسرائيل كما تكلمت فها إني واضع جزة الصوف في البيدر فإن كان طلٌّ على الجزة وحدها، وجفافٌ على الأرض كلها، علمت أنك تخلص بين يدي إسرائيل». ووافق الرب على ذلك وفي الصباح كان الطل على الجزة وعصر منها ملء قصعة من الماء وكانت الأرض جافة. ولم يكتف جدعون بذلك وقال للرب: «لا يحم غضبك عليّ، فأتكلم هذه المرة فقط، أمتحن هذه المرة فقط بالجزة. فليكم جفاف في الجزة وحدها، وعلى الأرض فليكن الطل».

وكأنما الرب خادم عند جدعون يفعل له ما يريد. وبالفعل تزعم التوراة. (سفر القضاة ٦: ٣٦ - ٤٠). أن الرب فعل حسبما أمر جدعون..

وهكذا يرفض جدعون أوامر ملاك الرب فيأتي الرب إليه بنفسه ويقف أمامه ويكلّمه. ولا يقتنع جدعون حتى يرى الرب وهو يتناول التقدمة.. واقتنع جدعون أن الرب فعلاً يكلّمه ولكنه لا بد أن يقتنع أن الرب سيحارب معه ويخلص إسرائيل على يديه فيمتحن الرب امتحاناً وراء امتحان!! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وجاء في سفر صموئيل الثاني الإصحاح السادس: ١٢ - ١٦ من التوراة المحرفة أن داوود وجميع الشعب أخذوا تابوت الله الذي يسمى رب الجنود الجالس على الكروبيم. وجروا التابوت على عجلة والرب جالس في التابوت وهو يتفرج عليهم.

وداود وكل شعب إسرائيل يرقص ويغني ويلعب بالرباب ويضرب بالدفوف والجنوك وينفخ في المزمار ابتهاجاً بالنصر على الأعداء.

وجاء في التلمود أن الله ينام في الليل ويعمل في النهار ويتدارس التوراة ويلعب مع الحوت ملك الأسماك. . . وعندهم أن الله يقسم اليوم إلى اثنتي عشرة ساعة ليلاً ينام فيها ويرتاح، واثنتي عشرة ساعة نهاراً، ويقسمها كالتالي: في الثلاث ساعات الأولى يدرس التوراة مع أحبار اليهود، وفي الثلاث الثانية، يحكم العالم ويدبر شؤونه، وفي الثلاث الثالثة، يطعم العالم، وفي الرابعة، يلعب مع الحوت ملك الأسماك.

الرب يبكي ويلطم وجهه كما يزعمون:

ولكنه يغير البرنامج بعد أن شرّد أبناؤه اليهود من فلسطين وخرب الهيكل. فيجعل الثلاثة ساعات الأخيرة من النهار ليكي على تشريد أبنائه اليهود، فيصرخ ويزار قائلاً: تَبَّأ لي لأنني صرّحتُ بخراب بيتي وإحراق هيكلي ونهب أولادي. وتسقط كل يوم منه دمعتان في البحر، فيُسمع دويهما من بدء العالم إلى انتهاءه، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل.

وحينما يسمع الربّ أبناءه اليهود يمجدونه رغم كل ما فعله بهم، يبكي ويقول بعد أن يلطم وجهه: «طوبى لمن يمجدّه الناس وهو مستحق لذلك. وويل للأب الذي يمجدّه أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك، لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء».

قصة الملك آخاب مع الرب:

(سفر الملوك الأول ٢١ : ١ - ٢٩ و ٢٢ : ١ - ٤١):

كان آخاب ملكاً على إسرائيل. وكان أحد رعيته - ويدعى نابوت - يملك مزرعة كروم قريبة من القصر. فمر آخاب ذات يوم وهي محملة بالعناقيد، فأعجبته جداً. واستدعى نابوت اليزرعيلي - نسبة إلى قرية يزرعيل - وطلب أن يشتري منه المزرعة فرفض نابوت. واغتمّ الملك آخاب. ورأته زوجته إيزابل وهو مكتئب وعرفت منه سبب اكتئابها، فقالت لزوجها: «أنت الآن تحكم إسرائيل. قم كل خبزاً وطب نفساً. أنا أعطيك كرم نابوت». ثم كتبت رسائل باسم آخاب وختمتها بختمه وأرسلت الرسائل

إلى شيوخ بني إسرائيل وأشرفهم تتهم فيها نابوت بأنه جَدَف على الله وعلى الملك، وأنت بشاهدي زور. فأخرجوا نابوت من المدينة ورجموه حتى الموت. وقالت إيزابل لزوجها آخاب: «قم رث كرم نابوت اليزرعيلي الذي أبى أن يعطيك إياه بفضة، لأن نابوت ليس حياً، بل هو ميت». وقام آخاب وأخذ المزرعة واستولى عليها حسب قانون إسرائيل.

فغضب الرب لذلك وتكلم مع النبي إيليا التَّشِّي، وأخبره بأن يكلم آخاب، ويقول له: «هل قتلت وورثت أيضاً؟ في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت، تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً». ولما سمع آخاب هذا التهديد الرعيب، قام وجعل مسحاً على جسده، وصام ومشى بسكوت، فظهر الربُّ للنبي إيليا وقال له: «هل رأيت كيف اتضع آخاب أمامي؟ فمن أجل أنه اتضع أمامي لا أجلب الشرَّ في أيامه، بل في أيام ابنه أجلب الشر على بيته» (أمر في منتهى الغرابة.. ولنفرض أن الرب تراجع عن قراره بالانتقام لنابوت فما ذنب ابن آخاب؟! ولا تزر وازرة وزر أخرى. هذا مع العلم أن آخاب عبد الأوثان المختلفة وترك عبادة الرب).

وبقي آخاب في الحكم فترة أخرى، وفجأة تذكر الرب أن آخاب كان يعبد الأصنام وأنه قتل نابوت اليزراعيلي، فقرر أن ينتقم منه، رغم أنه كان قد أجل موضوع الانتقام. واجتمع ملك يهوذا - واسمه يهوشافاط - بملك إسرائيل آخاب، وتبادلا الرأي في الهجوم على ملك آرام، واستنقاذ أرض راموت جلعاد. وكالمعتاد استشار الملكان المنجمين ويسمونهم أنبياء.. استشاروا أربعمئة نبي، وكلهم قالوا لهما: اصعدا إلى راموت جلعاد، وسيكون النصر لكما. ولكن الملك يهوشافاط لم يطمئن لنبوء هؤلاء الأربعمئة، وقال: «أما يوجد هنا بعد نبي للرب فنسأل منه؟» فقال آخاب ملك إسرائيل: «نعم هناك نبي ولكني أبغضه لأنه دائماً يتنبأ بالشر» وهو ميخا بن يمله.

ودعوا ميخا فلما حضر إلى الملك، سأله الملك: أنصعد يا ميخا إلى راموت جلعاد أم نمتنع؟ فقال ميخا: «اصعد وافلح فيدفعها الرب ليد الملك». فقال له الملك: «كم مرة استحلقتك أن لا تقول لي إلا الحق باسم الرب». فقال ميخا: «رأيتُ كل إسرائيل مشتتين على الجبال كخراف لا راعي لها. فقال الرب: ليس لهؤلاء

أصحاب فليرجعوا كل واحد إلى بيته بسلام». فقال آخاب - ملك إسرائيل - لملك يهوذا - يهوذاشافاط - : «أما قلت لك : إنه لا يتنبأ عليّ بخير؟».

فقال النبي ميخا : «اسمع إذا كلام الرب . قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره . فقال الرب من يغوي آخاب فيصعد ويسقط من راموت جلعاد؟ فقال هذا هكذا ، وقال ذاك هكذا . ثم خرج الروح ووقف أمام الرب . وقال أنا أغويه!! وقال له الرب : بماذا؟ فقال : أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه . فقال الرب : إنك تغويه وتقتدر . فأخرج وافعل هكذا» «وغضب الأنبياء الموجودون ، وقام أحدهم وضرب ميخا على فكه ، وقال من أين عبر روح الرب في ليكلمك؟! - أي كيف دخل في فمي وتكلم باسمي - فقال ميخا : إنك ستري في ذلك اليوم الذي تدخل فيه من مخدع إلى مخدع لتختبئ . فغضب الملك آخاب وأمر بسجن النبي ميخا ، وقال ضعوه في السجن حتى آتي بسلام . فقال ميخا : إن رجعت بسلام فلم يتكلم الرب بي .

وصعد الملك آخاب ومعه الملك يهوذاشافاط إلى راموت جلعاد . وتنگر آخاب حتى لا يعرفه ملك آرام . . . وأمر ملك آرام جيشه بأن لا يقاتل إلا ملك إسرائيل آخاب . . فلما هجموا صاح يهوذاشافاط بأنه ليس ملك إسرائيل فتركه الجنود . وجرح آخاب بسهم وانتصر جيش ملك آرام . . وعندما رجع آخاب إلى عاصمته السامرة مات الملك آخاب . وغسلت المركبة التي أصابها دم آخاب في بركة السامرة فلحست الكلاب دمه كما تكلم الرب» .

هذه هي قصة آخاب كما رواها كاتب سفر الملوك الأول (الإصحاح ٢١ و ٢٢) ، وهي مليئة بالتناقضات . . ووصف المولى سبحانه وتعالى بما لا يليق . فهو أولاً يغضب على آخاب ، لأنه قتل المزارع نابوت ، وعبد الأصنام ، ويقرر أن يميته . . ويرسل له النبي إيليا ليخبره بذلك ، فيتواضع آخاب ويجعل مسحاً على جسده ويمشي بسكون . . فيرجع الرب عن قراره ويقول لإيليا «فمن أجل أنه اتضع أمامي لا أجلب الشر في أيامه . بل في أيام ابنه أجلب الشر على بيته» . ثم يقوم الرب حسب زعمهم في اجتماع مع الملائكة ويسأل من يغوي آخاب؟ ويتقدم روح القدس ويقول : إنه هو الذي

سيغوي آخاب ويكون روح كذب في فم أنبياء آخاب. والغريب أن النبي ميخا يفضح خطة الرب، ويشرح لآخاب الخطة ومع هذا يذهب آخاب للحرب، ويصاب بسهم وتلحس الكلاب من دمه ويموت!!

الرب يصارع يعقوب حسب زعمهم :

جاء في التوراة المحرفة في سفر التكوين (الإصحاح ٣٢ : ٢٣ - ٣٢) :
«فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه - أي لا يقدر على يعقوب - ضرب حُقَّ فخذ - أي فخذ يعقوب - فانخلع حُقَّ فخذ يعقوب في مصارعة معه. وقال الرب: أطلقني، لأنه قد طلع الفجر، فقال يعقوب: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له - الرب - : ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال - الرب - : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت - أي صارعت - مع الله والناس فقدرت. . وقال يعقوب: أخبرني باسمك؟ فقال الرب: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فينثيل قائلاً: لأنني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي» ومعنى فينثيل: مكان الله - أثيل الله وفيني مكان -.

الرب يعترف بخطئه أمام كبير الأخبار كما يفترون :

جاء في التلمود أن خلافاً نشأ بين الله وبعض الأخبار حول بعض المسائل التي يتدارسها الله مع الأخبار في التوراة، ضمن برنامج اليومي، وطال الجدل بين الله والأخبار، وأخيراً تقرر إحالة الخلاف إلى محكمة الأخبار العليا (السנהدرين) حيث حكم كبار الحاخامات بخطأ الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وصواب موقف الأخبار. مما اضطر الرب إلى الاعتراف بخطئه أمام السنهدرين، وسحب جميع أقواله في هذه القضية والاعتذار عما بدر منه.
ألا لعنة الله على اليهود أبد الأبد.

مسكن الرب :

يعتقد اليهود أن الرب أمر موسى وهارون ببناء خيمة الاجتماع، ليسكن فيها، ثم بعد ذلك أمر ببناء التابوت، ليكون مقره، وليكون على مقربة من أبنائه اليهود، يرعاهم ويدبر أمورهم، وينصرهم على أعدائهم، ويسمونه رب الجنود الجالس في التابوت.

ثم إن الفلسطينيين أخذوا التابوت وبقي معهم سبع سنين والرب مسجون عندهم ولكن الرب ضربهم بالبواسير، لهذا أعاد الفلسطينيون الرب وتابوته إلى بني إسرائيل مع بواشير من ذهب وثيران وعجول. . . وعاد الرب في تابوته إلى بني إسرائيل. وكل من نظر إلى التابوت يموت. ثم قرر الرب أن يسكن في جبل صهيون في أورشليم. وأخيراً بنى له سليمان الهيكل العظيم، ليستقر فيه ويرتاح من التجوال في التابوت الذي كثيراً ما يأخذه الأعداء. . . ولكن الهيكل نفسه تهدم وتحطم، وانتقل منه الرب إلى السماء، ولكنه يعاود زيارته لجبل صهيون. وسيعود مرة أخرى للسكن في الهيكل عندما يأتي المسيح - الدجال - ويسكن فيه إلى الأبد مع شعبه وحبيبه وابنه البكر إسرائيل، بعد أن يبيد كل الأمم التي تحارب ابنه وتعاديه.

الرب يندم ويحزن وينسى حسب زعمهم:

تصور التوراة المحرفة الرب سبحانه وتعالى بأنه شخص كثير الندم. «فعندما ابتداءً أبناء الله - أي أبناء آدم وحواء - يتزوجون بنات الناس - أي بنات آدم من زناه بالشیطانة ليليت وبنات حواء من زناها مع جمهرة من الشياطين كما يزعمون - غضب الرب جداً، لاختلاط الأنساب، وقرر أن روحه لا تبقى في الإنسان. كما قرر أن يبيد الأرض بمن عليها، وندم أنه عمل الإنسان خالقاً!!!!.

جاء في سفر التكوين (الإصحاح ٦):

«وحدث لما ابتداءً الناس يكثرون في الأرض وولد لهم ولد، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه هو بشر. . . ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة».

وبعد أن محا الحياة من على وجه الأرض. بالطوفان ما عدا نوح الذي كان من نسل أبناء الله وبنات الله!!! ولم يكن من نسل بنات الناس ندم الرب أيضاً: «وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت». (سفر التكوين، الإصحاح ٨: ٢٠ - ٢٢).

وحتى لا ينسى الله عهده مع نوح بالآل يغرق الأرض مرة أخرى، تزعم التوراة المحرفة: أنه وضع قوسه في السحاب. فعندما يرى المطر هاطلاً، يضع قوس قزح، فيذكر أنه قد عقد عقداً مع نوح ألا يغرق الأرض فيكف المطر. «وقال الله: هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر. وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض، وتظهر القوس في السحاب، أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم. . فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً. . فمتى كان القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض» (سفر التكوين الإصحاح ٩: ١٢ - ١٦).

وجاء في سفر الخروج (الإصحاح ٣٢): «أن الرب غضب غضباً شديداً على بني إسرائيل عندما عبدوا العجل. وقال لموسى: «فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم، فأصيرك شعباً عظيماً. فتضرع موسى أمام الرب إلهه. وقال له: ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك. اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد. فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه». وفي سفر يونا - يونس - ٣: ٥ - ١٠ أن أهل نينوى نادوا بصوم لعل الله يندم عن حمو غضبه فلما رأى الله أعمالهم «ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم».

وفي سفر العدد (الإصحاح ١٤): «قال الرب لموسى: حتى متى يهينني هذا الشعب! . . حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتدمرة عليّ!؟. ولكن ما أن قدم له بنو إسرائيل اللحم المشوي الذي يحبه جداً حتى انبسطت أساريه، وعفا عن بني إسرائيل وأعطاهم كل طلباتهم، وندم على ما نوى أن يفعله بهم. . وكتب ميثاقاً جديداً ليعطيهم أرض كنعان».

ورغم أنهم يقررون أن الله قد ندم في مواضع كثيرة من التوراة المحرفة، يأتي كلام مهم في سفر العدد (الإصحاح ٢٣: ١٩) «ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم. هل يقول ولا يفعل أو يتكلم ولا يفني». وهو كلام يدل على أنه من بقايا التوراة

الحقيقية وسط هذا الركام الفظيع الذي وضعه أحبار بني إسرائيل حتى غطوا على هذه الجواهر المضيئة.

وعندما جعل الرب طالوت - شاول - ملكاً على بني إسرائيل، فعل شاول جميع الموبقات، وندم الرب أنه جعل شاول ملكاً.

جاء في سفر صموئيل الأول (الإصحاح ١٥ : ١٠ - ١١) :
«وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: ندمت على أنني قد جعلت شاول ملكاً، لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي. فاغتاظ صموئيل وصرخ إلى الرب الليل كله...»
«ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته لأن صموئيل ناح على شاول. والرب ندم لأنه ملَّك شاول على إسرائيل».

وفي سفر صموئيل الثاني (الإصحاح ٢٤) : أن الرب غضب على بني إسرائيل وجعل فيهم وباء فقتل سبعين ألف رجل. «وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها فندم الرب عن الشر. وقال للملاك المهلك الشعب: كفى، الآن رويدك».
(رقم ١٦) . . . «وتقدم داوود وقال للرب: ها أنا أخطأت وأنا أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا. فلتكن يدك عليّ وعلى بيت أبي» «وقام داوود وصنع اللحم المشوي الذي يحبه الرب جداً وحسّن في عيني الرب ما فعل داوود وتنسّم نسيم الرضا عن الشعب».
(سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ٢٤ : ١٧ - ٢٤).

وندم الرب مرة أخرى عندما جعل سليمان ملكاً، لأن سليمان حسب زعمهم عبد آلهة كثيرة وصنع لها المعابد وقرب لها القرابين ولم يكن مخلصاً لله.

ويغيّر الرب كلامه كل خمس دقائق في سفر الملوك الأول (الإصحاح ٢١ و ٢٢) : «وقد غضب الرب على آخاب وأرسل الروح القدس ليضله، ولكن آخاب تواضع للرب فندم الرب على إغوائه آخاب. ثم عاد آخاب وغضب الرب على ابن آخاب بدلاً منه، وجعل الشر عليه بدلاً من أبيه...» «وندم الرب على أنه فعل الشر بابن آخاب أيضاً» . . .

وفي سفر عاموس (٧ : ١ - ٣) : «نشر الله الجراد في أرض إسرائيل عقوبة لها فكلّمه عاموس قائلاً: أيها السيد الرب أفصح كيف يقوم يعقوب - إسرائيل - فإنه صغير،

فندم الرب على هذا، وعندما غضب الرب على الملك حزقيا وقرر أن يميته، بكى حزقيا وقام وصلى، فندم الرب ورجع عن قراره وزاده خمس عشرة سنة من العمر. (سفر الملوك الثاني ٢٠ : ١ - ٦).

الرب يجلس في التابوت ويسكن وسط بني إسرائيل :

جاء في سفر الخروج (الإصحاح ٢٥) : «وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي مقدمة.. ذهب وفضة ونحاس واسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود بخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة، فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم... فيصنعون تابوتاً من خشب» ثم تفصيل طويل ممل لطول التابوت وعرضه وارتفاعه وسبكه بالذهب وكيفية صنع القوائم وكيفية فرشته حتى يكون لاثقاً بمسكن الله رب الجنود... ويستمر وصف التابوت والمذبح والمسكن والخيمة على مدار الإصحاح ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ بطريقة مملة ومزعجة جداً.. ويكون الكهنة من بيت هارون أبد الدهر.. ولكن هارون عليه السلام يكذبون عليه كما سيأتي ويقولون: إنه هو الذي صنع لهم العجل ليعبدوه.. وإنه سخر من موسى، وأنه عرى موسى ليهزأ الشعب بموسى.. وغضب الرب على هارون فعزله من وظيفة الكهانة الكبرى وعيّن بدلاً منه ابنه أليعازر.. ومات هارون في البرية مغضوباً عليه من الرب. كما مات بعد ذلك موسى مغضوباً عليه من الرب كما يدعون.

وفي سفر صموئيل الثاني (الإصحاح ٦ : ١٢ - ١٦) : جاء أن داود وجميع الشعب أخذوا تابوت الله الذي يسمى رب الجنود الجالس على الكروبيم، وجروا التابوت على عجلة والرب جالس في التابوت يتفرج عليهم، وهم يرقصون فرحاً بعودته من الأسر - لعنة الله على اليهود - من عند الفلسطينيين بعد أن ضربهم الرب بالبواسير. وكان الرب جالساً في التابوت طوال الوقت. وداود وكل الشعب يرقص ويغني ويلعب بالرباب، وينفخ بالمزمار، ويضرب بالدفوف والجنوك، ابتهاجاً بالنصر وبعودة رب الجنود الجالس على الكروبيم داخل التابوت من الأسر.

اختلاط مفهوم ملاك الرب والرب :

كثيراً ما يختلط على كاتب الأسفار في العهد القديم موضوع ملاك الرب بالرب ذاته . فتراه تارة يتحدث عن الملاك ، ثم فجأة يصبح الملاك هو الرب ذاته . فقد جاء في سفر التكوين الإصحاح ١٨ ما يلي حكاية عن إبراهيم عليه السلام :

«وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وطلب منهم أن يدخلوا عنده ويسندون قلوبهم بوجبة سميكة ، فدخلوا وأكلوا من العجل والسمن والخبز . . «ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم . وكان إبراهيم ماشياً معهم ، فقال الرب : هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله» ثم كلم إبراهيم بما نوى أن يفعله بأهل سدوم وعموره وقال الرب إن صراخ سدوم وعموره قد كثر ، وخطيئتهم قد عظمت جداً . أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إليّ وإلا فأعلم . وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم . وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب» . . ويتكرر ذلك الخلط بين الرب وملاك الرب في قصة هاجر فتارة تسميه ملاك الرب وتارة الرب . وفي قصة شمسون تكلم ملاك الرب مع أم شمسون ، ثم ذكر أن الذي تكلم هو الرب ذاته . . . ويتكرر هذا الخلط في مواضع كثيرة جداً من التوراة .

الرب يطلب من بني إسرائيل أن يضعوا علامة الدم على بيوتهم حتى يعرفهم :

جاء في سفر الخروج (الإصحاح ١١) :

«وقال موسى هكذا يقول الرب : إني نحو نصف الليل أخرج في وسط مصر ، فيموت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه ، إلى بكر الجارية التي خلف الرحا وبكر كل بهيمة . ويكون صراخ عظيم في أرض مصر لم يكن مثله ولا يكون مثله . ولكن جميع بني إسرائيل لا يسنن كلب لسانه إليهم لا إلى الناس ولا إلى البهائم» . . وطلب منهم أن يضعوا علامة على بيوتهم دماً حتى عندما يمر الرب وسط بيوتهم فيعرفها بعلامة الدم فلا يهلكها . . وإلا فإنه سيقع في الخطأ حسب زعمهم ولن يعرفها . (أيضاً سفر الخروج : ١٢) .

الرب يطلب من بني إسرائيل سرقة المصريين حسب زعمهم :

قال الرب لموسى : تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة وأمتعة ذهب . وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين . وأيضاً الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب (سفر الخروج ، الإصحاح ١١) .

وتمكن بنو إسرائيل بهذا أن يسرقوا أموال المصريين . وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى . « طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً . وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين » . (سفر الخروج ، الإصحاح ١٢ : ٢٥ - ٢٦) .

وتزعم التوراة والتلمود أن الله أمرهم بسرقة الأجانب ، لأن روح الأجنبي ملك لليهودي ، فكيف بماله . (سفر التثنية ٢٣ : ١٩ ، ٢٠) .

كما جاء في التوراة المحرفة (سفر التثنية ٢٣ : ١٩ ، ٢٠) أن الرب أمرهم بأن يقرضوا الأجنبي بالربا . . وفي التلمود أوامر مشددة بأن يضعفوا الربا على الأجانب حتى يستلبوا أموالهم . . وعليهم أن يغشوا وأن يسرقوا الأجانب ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . وقد أوردنا جانباً وافراً من تلك التعاليم الشوهاء في كتابنا «المسيح المنتظر وتعاليم التلمود» فليرجع إليها القارئ الكريم ، وإلى غيرها من الكتب التي تعرضت للتلمود وتعاليمه مثل : الكنز المرصود في تعاليم التلمود للدكتور يوسف نصر الله . وكتاب : التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ، وكتاب إسرائيل والتلمود لإبراهيم خليل أحمد .

زوجة موسى تخدع الرب كما يزعم سفر الخروج :

تصور التوراة المحرفة بأن صفورة امرأة موسى استطاعت أن تخدع الرب ، وتزعم التوراة المحرفة أن الرب قد غضب على موسى غضباً شديداً ، لأن موسى مثل بقية بني إسرائيل كان جبناً ورفض أمر الرب بالذهاب إلى فرعون خوفاً وفرقاً منه . . وأعلن الرب أنه سينزل ليقتل ابن موسى البكر لأن موسى رفض أن ينقذ ابن الله البكر من يد فرعون - لعنة الله أبد الدهر على هؤلاء اليهود - . ونزل الرب حسب زعمهم إلى الطريق وأخذ

يبحث عن ابن موسى البكر ليقتله . وكان ابن موسى طفلاً صغيراً يلعب في حواري مصر وأزقتها . . وهجم الرب الإله على الطفل الصغير ليقتله ولكن صفورة زوجة موسى كانت أسرع منه وأخذت الولد بسرعة . وبما أنها تعرف أن الرب يريد قتل ابنها فإنها احتالت عليه ، وقطعت غُرْلَةَ الصبي بسكين كانت معها ، وأخذت الدم ومست رجلي الرب بهذا الدم ، وصاحت صفورة : «إنك عريس دم لي . فانفك الرب عن الصبي . حينئذ قالت صفورة : «عريس دم من أجل الختان» . (انظر القصة كاملة في سفر الخروج ، الإصحاح ٤ : ٢٢ - ٢٦) .

موسى يخاصم الرب حسب زعمهم :

جاء في سفر الخروج أن موسى قال لربه : «يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب - أي بني إسرائيل - لماذا أرسلتني ؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء - فرعون - إلى هذا الشعب . وأنت لم تخلص شعبك» (سفر الخروج ، الإصحاح ٥ : ٢٢ - ٢٣) .

الرب يخشى من تجمع البشر ووحدتهم حسب افتراءهم :

وقد جاء في سفر التكوين إن الرب الإله خشي على مملكته من الزوال وحكمه من الانهيار ، عندما رأى البشر متحدين متحابين ، يبنون مدينة كبيرة وبرجها في السماء . فدعا ملائكته ونزل وحطّم مدينتهم ، وبلبل ألسنتهم وفرقهم في الأرض ، حتى لا ينافسوه في ملكه وملكوته . - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -

وإليك نص ما جاء في سفر التكوين (الإصحاح ١١ : ١ - ٩) :

«وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغةً واحدةً . وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك . وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبناً ونشويه شيئاً فكان لهم اللبن مكان الحجر ، وكان لهم الحُمُرُ مكان الطين . وقالوا هلمّ نبني لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء . ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض . فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب : هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم . وهذا ابتداءؤهم بالعمل ، والآن لا يمتنع

عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلمّ نزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم بعضاً. فبدّدهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان المدينة. لذلك دُعي اسمها بابل لأن الربّ هناك بلبل لسان كل الأرض. ومن هناك بدّدهم الربّ على وجه كل الأرض».

وهكذا تصور التوراة المحرفة المولى سبحانه وتعالى وهو يخشى من معرفة الإنسان فيطرد آدم من الجنة لأنه أكل من شجرة المعرفة. . . ويطرد البشر من مدينتهم التي اجتمعوا فيها متحابين متآخين لهم لسان واحد. . . لأن الرب حسب زعمهم لا يستطيع أن ينتظر حتى يبنوا مدينتهم وينافسوه في ملكوته. . . وكأنما هو مستعمر أوربي يسير على سياسة فرق تسد. ففرق البشر حتى يحكم قبضته عليهم. . . وهو تصور مسفّ بل موغل في الإسفاف والحقارة. . . وهو يوضح تماماً سياسة يهود وسياسة الأوربيين نحو غيرهم من الشعوب التي اقتبسوها من تعاليم العهد القديم. . .

الرب يعشق المحارق واللحم المشوي حسب زعمهم:

ترسم التوراة المحرفة للرب الإله صورة كريهة جداً. فهو رب يحب اللحم المشوي جداً. ومستعد أن يتنازل عن كل شيء في سبيل وجبة دسمة من اللحم المشوي تقدم له كقربان. . . والتوراة من أولها لآخرها تذكر القرابين المشوية. ولا يكاد إصحاح واحد يخلو من ذكر هذه القرابين، ومن اللحم المشوي. وفي الإصحاح الواحد عشرات المرات، في بعض الأحيان لدرجة تسبب الغثيان وضيق النفس والربو من كثرة دخان اللحم المشوي.

ولا نرى الأنبياء من لدن آدم إلى آخر أنبياء بني إسرائيل يعبدون الله أو يدعون الناس إلى عبادة الإله الواحد الأحد. . . ولا نراهم يأمرّون بمعروف أو ينهون عن منكر. . . بل نجدهم هم والكهنة مشغولون جداً بقضية اللحم المشوي، والذين يحصلون بموجبه على جميع طلباتهم، بمجرد أن يتنسم الرب رائحة المشوي، تنبسط أساريه، ويفعل لهم ما يشاءون: تعذيب الأمم الأخرى. قتلها. . . حرقها، يدخل المعارك معهم في وسطهم داخل التابوت، ويقا تل معهم، يعطيهم أراضي الغير. . . يجعل الكل عبيداً لهم. ولا يهم بعد ذلك إن عبدوا الأوثان أو سرقوا الأموال،

كما لا يهم أن يكون اللحم المشوي من عجول وأغنام مسروقة، كما يزعمون أن يعقوب سرق أغنام خاله وقدم اللحم المشوي للرب فتنسم الرب نسيم الرضا بعد أن امتلأت خياشيمه بدخان المشوي. . . وأعطى يعقوب العهد له ولأولاده، وأعطاهم أرض فلسطين. . . وأعطاهم الأرض حولها من النيل إلى الفرات. . . إلخ.

ويبدأ مسلسل اللحم المشوي بأن هايل قرب لحماً سمياً، بينما قدم أخوه قابيل شيئاً قليلاً من ثمار الأرض «فنظر الرب إلى هايل وقربانه، ولكن إلى قابيل وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قابيل جداً» (سفر التكوين الإصحاح ٤: ٣ - ٦). . . وأدى ذلك إلى أن يقوم قابيل بقتل أخيه وارتكاب أول جريمة على الأرض. . .

والمنظر الثاني يأتي بعد أن أغرق الله الأرض بالطوفان. . . وما تكاد السفينة تستقر على جبل أراراط حتى يخرج نوح ويقدم قرباناً للرب: «وبنى نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان» (سفر التكوين، الإصحاح ٨: ٢٠ - ٢٢).

ويظهر إبراهيم عليه السلام فلا نراه يدعو إلى الله، وإلى توحيد، ولا ينكر على قومه ما هم فيه من عبادة الأوثان، ولا ترد قصته مع النمرود ولا مجادلته له، ولا قصته مع أبيه. بل كل ما يرد أن إبراهيم يقدم محرقات للرب فيتنسم الرب رائحة اللحم المشوي «فيقول الرب لإبرام: اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك» (سفر التكوين، الإصحاح ١٢). . . وبعد رحلات طويلة يعود إبراهيم من مصر وقد ملك أموالاً ضخمة من الذهب والفضة والأغنام التي أعطاها له فرعون مصر عندما قدم إبراهيم زوجته سارة ليتزوجها فرعون حسب زعمهم.

وقدم إبراهيم اللحم المشوي مرة أخرى. «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والجرجاشيين واليبوسيين». (سفر التكوين، الإصحاح ١٥: ١٨ - ٢٠).

دم الختان :

«وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم . هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر . فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم» (سفر التكوين، الإصحاح ١٧ : ٩ - ١٢) «وأما الذكر الأغلف الذي لا يُختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها أنه قد نكث عهدي» .

المهم رائحة المشوي ودم الغرلة . . ولا يهم بعد ذلك أن يقتل أو يسرق أو يزني أو أن يعبد الأوثان . . علامة العهد دم الغرلة . . وعلامة الرضا اللحم المشوي . .

ويتكرر منظر اللحم المشوي ويقدم إبراهيم حسب زعمهم قرباناً وراء قربان للحصول على مزيد من المنافع الدنيوية، حتى إنه قرر أن يقدم ابنه إسحاق قرباناً . وسُرَّ الرب جداً بهذا القربان، وأنزل كبشاً بدلاً منه ليذبح ويشوى . . وقطع الرب مزيداً من العهود لإبراهيم، بأنه سيعطيه أرض الكنعانيين وجميع الأراضي حولها من النيل إلى الفرات . . ستكون جميع هذه الأراضي لنسله أبد الأبدين !!

وقام إسحاق بالدور ذاته، وقدم المحرقات وحصل على مزيد من العهود والمواثيق . وأما يعقوب فقد قدم اللحم المشوي عدة مرات، من الغنم الكثيرة التي سرقها من خاله لابان . جاء في سفر التكوين الإصحاح ٢١ : «وأما لابان فكان قد مضى ليجزَّ غنمه . فسرت راحيل أصنام أبيها . وخدع يعقوب قلبَ لابان الأرامي . إذ لم يخبره أنه هارب، فهرب هو وكل ما كان له . وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جلعاد» . . وما أن علم لابان بهروب يعقوب مع ابنتيه والغنم الذي سرقه يعقوب وتمثيل الذهب، فلحق به لابان ولكن الرب إله يعقوب وإسحاق وإبراهيم كلُّهم لابان في الليل قائلاً : «احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر . . ولكن لماذا سرت آلهتي؟» وحلف يعقوب أنه لم يسرق هذه الآلهة لأن زوجته راحيل هي التي سرت الآلهة المصنوعة من الذهب» . . وقال يعقوب : «إله إبراهيم وآلهة ناحور آلهة أبيهما يقضون بيننا . وحلف يعقوب بهيبة أبيه إسحاق . وذبح يعقوب ذبيحة من الجبل» وهكذا يبدو يعقوب وهو يقسم بمجموعة من الآلهة مع إله أبيه .

ومن الواضح جداً أن الله حسب زعم التوراة يحب بشيئين اثنين حباً جماً... .
وهما اللحم المشوي والدم... . ويجعل عهده مع إبراهيم دم الختان... . وتنقذ صفورة
زوجة موسى ابنها من يدي الرب بأن تقطع غرلة الصبي وتمسح رجلي الإله بدم
الختان، وتقول له: عريس دم من أجل الختان، فينفك عن الصبي قائلاً: عريس
دم... . ويطلب الرب من بني إسرائيل أن يضعوا الدم علامة على بيوتهم حتى يعرفها
عندما يمر في الليل ويهلك كل بكر من المصريين ودوابهم، من بكر فرعون إلى بكر
الجارية التي خلف الرحا... . وتتطور عقيدة الدم هذه في تعاليم التلمود، حتى تصبح
عقيدة راسخة يقتلون فيها في كل سنة إنساناً غير يهودي، ويستحسن أن يكون نصرانياً.
ويستخدمون دمه لصناعة الفطير المقدس الذي يحبه الرب جداً والذي يأكل منه كبار
الأحبار والكهنة.

وتقول دائرة المعارف اليهودية: «إن كان هناك من أساس أقر من قبل الحكماء
اليهود، فهو حقيقة القرايين البشرية التي تقدم للإله يهوه ملك اليهود، والتي بوشر في
تقديمها في أواخر عهد الملكية اليهودية» أي بعد عصر سليمان عليه السلام.

ومما تقدم نخلص إلى أن صفات الله سبحانه وتعالى في التوراة والتلمود،
لا يمكن أن تكون صفات لله خالق الأكوان ومدبرها... . بل لا يمكن أن تكون إلا من
صفات أراذل البشر.

هذا قليل من كثير من هذه الافتراءات والغثاء والكذب والتجديف في وصف
المولى سبحانه وتعالى... . والتوراة والعهد القديم والتلمود كلها مليئة بهذه الأوصاف
المنكرة والسجايا الخبيثة التي لا يمكن أن يوصف بها إلا أخط البشر وأراذلهم فكيف
يمكن أن يوصف بها المولى سبحانه وتعالى.



آدم (عليه السلام)

يقصُّ سفر التكوين من التوراة (المحرّفة) التي بأيدينا علينا بداية الخلق من أولها. وقد تنبّه الدكتور موريس بوكاي في كتابه القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث، إلى التناقضات الكثيرة، التي وقع فيها كاتبو التوراة (المحرّفة)، وإلى الخرافات والأساطير التي ابتدعوها، والتي تشابه من وجوه ما هو موجود في خرافات وأساطير كثير من الأمم السابقة، مثل الآشوريين والمصريين القدماء، كما إن فيها ما هو من كلمات الحق سبحانه وتعالى التي جاء بها موسى عليه السلام.

ويبدأ سفر التكوين الإصحاح الأول بقوله: «في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه القمر ظلمة. وروح الله يرفُّ على وجه المياه. وقال الله: ليكن نور، فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهراً والظلمة دعاها ليلاً. وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً.

وفي اليوم التالي عمل الله جلدًا فاصلاً بين مياه ومياه. . . ودعا الله الجلد سماء. . . وفي اليوم الثالث اجتمعت المياه تحت السماء في مكان واحد وظهرت اليابسة منفصلة عن البحر. وأنبت الأرض عشباً وبقلاً وشجراً.

وفي اليوم الرابع قال الله: لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، فصنع النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار، - المقصود الشمس - والنور الأصغر لحكم الليل - المقصود القمر -.

وفي اليوم الخامس خلق الله الطيور والتنانين - جميع تنين - العظام ، وكل ذوات الأنفس الحية التي فاضت بها المياه . وفي اليوم السادس صنع الله البهائم والوحوش ثم قال الله : نعمل الإنسان على صورتنا . . كسبهناء (سفر التكوين ١ : ٢٥) - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - .

وأما ما يروى في الحديث أن الله خلق آدم على صورته ، فمعناه أن الله خلق آدم على صورته التي خلقه عليها . . وليس معناه أن آدم على صورة الله سبحانه وتعالى . . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وفي الحديث أن رجلاً كان يضرب عبده فقال له الرسول : «إن الله قد خلق آدم على صورته - أي على صورة ذلك العبد - فلا تضربه» (١) .

وتزعم التوراة المحرفة أن الله تعب من خلق السموات والأرض والبهائم والوحوش وخلق الإنسان ، فاستراح في اليوم السابع وقدهس .
جاء في الإصحاح الثاني من سفر التكوين :

«وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدهس لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً» - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - . قال تعالى في القرآن الكريم نافعاً ذلك الزعم الخبيث .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٣٨)
(سورة ق: آية ٣٨)

أي من تعب أو نصب .

قصة خلق آدم في التوراة (المحرّفة) :
(سفر التكوين ، الإصحاح ٢) .

«وجبل الربُّ الإله آدمَ تراباً من الأرض . ونفخ في أنفه نسمة حياة ، فصار آدم

(١) ذكره الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم عن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رواه عن آبائه .

نفساً حيةً. وغرس الرب الإله جنة عَدْن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله. وأنبت الربُّ الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر».

«وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها تموت موتاً».

الصراع بين الله والإنسان من أجل العلم :

وهذه النظرة الغريبة التي تصور أن الله يخاف من أن يعرف آدم الأمور، ويعرف الخير والشر، هي أساس الصدام بين العلم والكنيسة. والعهد القديم يصور الصراع بين الإنسان الذي يريد أن يعرف، والله الذي يزعمون كذباً وبهتاناً أنه لا يريد للإنسان أن يعرف.

وهذه النظرة موجودة لدى الإغريق القدماء، حيث يزعمون أن زيوس كبير الآلهة وضع حراسة على نار المعرفة، فجاء إنسان يدعى بروميثيوس وتسلسل حتى وصل إلى نار المعرفة، وأخذها وفرَّ بها. ولكن زيوس رب الأرباب عندهم (ويسميه الرومان جوبيتير) عاقبه إلى الأبد، بأن يرفع صخرة إلى قمة جبل الأولمب، وما يكاد يصل إلى قمة الجبل بعد جهد جهيد حتى تتدحرج الصخرة وتصل إلى أسفل الوادي، فيذهب بروميثيوس مرة أخرى ليزحزحها ويدفعها دفعاً مرة أخرى حتى يصل بها إلى قمة الجبل، وهناك تندفع الصخرة منه وتنفلت لتصل إلى الوادي السحيق، وهكذا يظل بروميثيوس في هذا العذاب لأنه تجرأ وسرق نار المعرفة.

فالله أو رب الأرباب في الأسطورة الإغريقية، وفي أسطورة التوراة المحرفة، يرتعب من الإنسان الذي يعرف..

وعندما أكل آدم من شجرة المعرفة، كما تزعم التوراة المحرفة، بغواية حواء التي أغرتها بها الحية، «قال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارف الخير والشر» - كأن هناك آلهة كثيرة - «والآن لعله يمدُّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد - ويا لها من جريمة شنعاء يرتكبها الإنسان لأنه يريد أن يعرف

وأن يخلد في الأرض - فأخرجه الربُّ الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم - أي الملائكة الكروبيين لحراستها، حتى لا يأتي آدم ويأكل من شجرة الحياة أيضاً - ولهيب سيفي متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» (سفر التكوين، الإصحاح الثالث: ٢٣، ٢٤).

وتصور التوراة المحرفة الله سبحانه وتعالى وكأنه بشر يمشي ويتحرك، وينام ويصحو، ويبكي ويفرح، ويندم على أفعاله، كما قد مر معنا. وها هنا تزعم التوراة أن الله لم يعلم بأن آدم أكل من شجرة المعرفة إلا بالصدفة، عندما كان الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - يتمشى في الجنة، واختبأ آدم من وجه الرب هو وزوجته حواء. «فنادى الربُّ الإله آدم وقال له: أين أنت؟ - يا لهذه الصورة المزرية لإله لا يعرف أين يختبئ منه عبده - فقال - آدم -: سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأنني عريان، فاخبتأت. فقال - الرب -: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الربُّ الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرّتني فأكلت. فقال الربُّ الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك»^(١) (سفر التكوين، الإصحاح ٣).

وتصور التوراة المحرفة أن آدم عندما نزل إلى الأرض وكثرت ذريته كان من ذريته أبناء الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. جاء في سفر التكوين، الإصحاح ٦: «وحدث

(١) هكذا تزعم التوراة المحرفة. وإذا كانت الأرض ملعونة بسبب آدم، فهو بالأولى ملعون حسبما يزعمون، وهو صاحب الخطيئة الأولى التي يحملها بنو آدم جميعاً دون ذنب اقترفوه، ولا جريرة أقدموا عليها، سوى أن أباهم آدم أكل من شجرة المعرفة. وبما أن الله، كما تصوّره التوراة المحرفة، عدوٌ للعلم والمعرفة، فقد غضب من ذلك غضباً شديداً. ولعن آدم وزوجته والحية والأرض من أجل ذلك.

لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب: لا يدين روعي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه هو بشر» - وهكذا تحول الإنسان من إله إلى بشر كما تزعم التوراة - . . . «وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذووا اسم» .

وهكذا تزعم التوراة المحرفة أن الجبابرة والفراعنة هم من نسل الله - تعالى الله عن ذلك - وهي نفس مقولة الفراعنة والجبابرة ونمرود. وتوجد هذه النظرة لدى الأمم القديمة ابتداء من الصين واليابان شرقاً، مروراً بالهند وفارس والعراق (الآشوريين) وسوريا الكبرى واليونان ومصر.

وتستمر التوراة في الهراء والسخف فتقول: «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته» سفر التكوين . . الإصحاح السادس .

وقد تقدم ذكر قصة مدينة بابل (سفر التكوين، الإصحاح ١١)، وأن الرب بلبلها وحطمها خوفاً من اتحاد بني البشر.

وهي صورة وقحة وغبية جداً حيث تصور الله سبحانه وتعالى في صورة إنسان حقود، وكأنه أحد جبابرة الأرض لا يرضى حين يرى الناس متآلفين متحابين متحدين، لأنه يخشى على ملكه من اتحادهم ووحدتهم. وكأنما هو الاستعمار يحكم بمبدأ «فرق تسد». ولعل هذا المبدأ الخبيث الذي استخدمه الأوربيون على نطاق واسع جداً أثناء إنشاء مستعمراتهم المختلفة، إنما يستمد أركانه من سفر التكوين الإصحاح ١١ الذي نقلناه آنفاً. ويا لها من صورة مزرية لله سبحانه وتعالى ترسمها التوراة المحرفة، حيث تصور المولى - تعالى الله عما يقول الظالمون - بأنه حقود ويخشى على نفسه من معرفة الإنسان، كما يخشى على سلطانه وملكه من اتحاد بني البشر ووحدتهم وإخائهم. وهو يعمل دائماً مثل يهود - لعنات الله عليهم - ليفرق كلمة البشرية، ويثير فيها الأحقاد،

وينزع الضغائن، ويبلبل الألسنة، وينشر الحروب ﴿كَلِمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ . . . ويسعون في الأرض فساداً﴾ .

لهذا كله فإن التوراة تعبر عن أحقاد يهود، وتصورات يهود، وآمال يهود. وليس فيها من التوراة الحقيقية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام إلا النزر اليسير، والمدفون وسط ركام الأكاذيب والافتراءات على الله وعلى أنبيائه وملائكته كما سنوضحه .

الصورة المغايرة التي يعرضها القرآن الكريم :

يعرض القرآن الكريم صورة مغايرة كل المغايرة لهذه الصورة الخبيثة المنكرة والمليئة بالحق الذي تصور بها التوراة رب العالمين، وهو يخلق آدم ويرتعب منه عندما يبحث عن المعرفة . . ويكره أبناء آدم عندما يكونون متوحدين لهم لسان واحد وقلب واحد . . ولا يعيش إلا بالمكر والخداع وبسياسة فرق تسد .

وقد جاءت قصة خلق آدم في القرآن الكريم في عدة سور، منها سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة الحجرات، وسورة الأعراف، وسورة الحجر، وسورة الإسراء، وسورة الكهف، وسورة طه، وسورة ص، وغيرها من السور .

ولم ترد قصة الخلق كاملة في سورة واحدة وإنما أتت منها مقاطع هنا وهناك، ولفترات سريعة في بعض السور، وبتفصيل في سور أخرى . . وفي كل مرة تأتي إضافة جديدة لمعنى جديد، أو لمحة هنا لإشارة لمغزى من مغازي القصص القرآني الذي هو في قمة الإعجاز من حيث الصياغة والحبكة الفنية، مع أدائه الغرض الأساسي منه، وهو الموعظة والعبرة .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم ليكون خليفة في الأرض . قال تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ .
(البقرة: ٣٠) .

واختلف أهل العلم في معنى خلافة آدم عليه السلام . فمنهم من قال : إنه كان خليفة لجنس سابق كان مسلطاً على الأرض، فأفسد فيها وسفك الدماء . وأغلب المفسرين القدامى على أن هذا الجنس كان من الجن . ونحن نعلم يقيناً أن الأرض قد امتلأت بالمخلوقات قبل آدم عليه السلام بمئات الملايين من السنين . ومنها

الديناصورات الهائلة الأحجام، المخيفة الأشكال التي كان الواحد منها في ضخامة العمارة الكبيرة أو التل. وعظام هذه الديناصورات موجودة في المتاحف العالمية - لندن، نيويورك، باريس، برلين - . . وقد حكمت الأرض لبضع مئات الملايين من السنين. ثم أبادها الله سبحانه وتعالى واختفت من مسرح الحياة على الأرض. واختلفت النظريات العلمية في كيفية إبادةها، فمن قائل إنها أرسلت عليها نيازك كبيرة من السماء فأحرقتها وأهلكتها جميعاً - وهذه هي آخر النظريات في هذا الباب - ومن قائل إن عصراً جليدياً زحف على الأرض ولم تستطع هذه المخلوقات الهائلة أن تقاوم البرد الشديد القارس، والمجاعة المخيفة المرعبة، فماتت جميعها. وأياً كان سبب هلاكها فإن المحقق أن هذه المخلوقات الضخمة الهائلة التي حكمت الأرض ملايين السنين قد اندثرت تماماً ولم يبق منها شيء سوى بعض الهياكل العظيمة المتحجرة والمبعثرة هنا وهناك.

والقول الثاني في معنى الخلافة: هو أن آدم خليفة الله تعالى في إمضاء أحكامه وأوامره، لأنه أول نبي ورسول إلى الأرض. وقد ورد أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن آدم: أنبيأ كان مرسلاً. فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: نعم. فقل: لمن كان رسولاً ولم يكن في الأرض أحد؟ قال كان رسولاً إلى أبنائه^(١).

واستدل أصحاب القول الأول بقول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، وقال: إن الملائكة علمت ذلك بما شاهدته من المخلوقات التي كانت مسلطة على الأرض فأفسدت فيها، وسفكت الدماء، وأهلكت الحرث والنسل.

وأياً ما كان القول الفصل في هذه النقطة، فإن ذلك لا يغير من حقيقة خلافة آدم عليه السلام وتكريم الله له. كما أن أهل التفسير قد اتفقوا على أن آدم كان آخر المخلوقات خلقاً على الأرض. وقد روي ذلك عن الحسن البصري والإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين وغيرهما من أهل العلم.

وقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وكرّمه بالعلم. قال تعالى:

(١) ذكره ابن كثير في كتابه «قصص الأنبياء» (ص ٥٤)، وذكره في التفسير، كما رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر، رضي الله عنه.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (البقرة: ٣١ - ٣٤).

وقال تعالى :

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرٌ مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُخَوِّنُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَا مَلَأَنَّا جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (سورة ص: ٧١ - ٨٥).

وقال تعالى في سورة الأعراف :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّن السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ (الأعراف: ١١ - ١٣).

فآدم عليه السلام في القرآن الكريم مخلوق مكرم معزز. خلقه الله من طين، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وكرمه بالعلم. وهي صورة مغايرة تماماً لما ورد في التوراة المحرفة التي بين أيدي الناس اليوم.

ونحب أن ننبه هنا إلى نقطتين هامتين يغلط فيهما بعض الناس :

● أولهما: أن الله قد خلق آدم على صورته. وليس المقصود قطعاً أن خلق آدم على صورة الله سبحانه وتعالى، - تعالى الله عما يقول الظالمون - بل هو على صورة آدم إذ أن الله ليس كمثله شيء، ولا يقول ذلك إلا اليهود والنصارى بناء على ما هو موجود لديهم في التوراة المحرفة^(١).

● وثانيهما: أن الله خلق آدم ونفخ فيه من روحه. وليس المقصود قطعاً «من ذات الله» - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - . والروح يطلق على معانٍ عدة: منها جبريل عليه السلام، ومنها الوحي، ومنها الروح التي بها حياة البدن في الإنسان، ومنها حياة القلوب، ومنها أمر الله. فهو مخلوق بأمر الله سبحانه وتعالى. والإضافة إلى المولى سبحانه وتعالى إضافة تشريف فقط كما وصف سبحانه وتعالى البيت بأنه بيت الله، والناقة بأنها ناقة الله، والعبد بأنه عبد الله، وعيسى عليه السلام بأنه روح الله، وهكذا... والروح مخلوقة مربية. وهي من أمر الله ﴿ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي. وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾.

النقاط التي تختلف فيها قصة خلق آدم عليه السلام في القرآن عما هو في التوراة المحرفة:

(١) جاء في التوراة المحرفة: «ثم قال الله نعمل الإنسان على صورتنا، كشبهنا». وهو تصريح بأن آدم يشبه الله في خلقته وصورته - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - . ولهذا نجد مايكل أنجلو يرسم الله في صورة بشر في كنيسة سانت بيتر في روما. وهي أكبر كنائس النصارى الكاثوليك. واليهود والنصارى يجسمونه ويظنون أن الإنسان يشبه في صورته صورة الله.

(٢) لا يرد ذكر عن قول الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾.

(٣) لا يرد شيء عن تعليم الله لآدم الأسماء كلها، وتفضيله على الملائكة بالعلم

(١) وقد ورد عن الإمام علي الرضا أن رسول الله رأى رجلاً يضرب عبداً، فقال له موبخاً: «أتضربه والله قد خلق آدم على صورته؟»، أي على صورة ذلك العبد. . والناس جميعاً لآدم.

والقدرة على التعلم وفتح باب المعرفة له، وأن هذا الباب هو أقرب الأبواب للوصول إلى الله سبحانه وتعالى. بل على العكس من ذلك يرد في التوراة أن الله يرتعب خوفاً وفاقاً عندما يعلم بطريق الصدفة أن آدم قد أكل من شجرة المعرفة. كما يرد في التوراة المحرفة أن الله ارتعب خوفاً وفاقاً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - عندما اتحد أبناء آدم وصار لهم لسان واحد وقلب واحد. وبدأوا في بناء مدينتهم.

(٤) لا يرد شيء في التوراة المحرفة عن الملائكة وسجودهم لآدم عليه السلام.

(٥) لا يرد شيء مطلقاً في التوراة المحرفة عن إبليس وتكبره وإبائه السجود لآدم، وعداوته، وإغوائه له عليه السلام. حتى أكل من الشجرة التي حرّمها الله على آدم والتي لم يأكل منها آدم تجبراً وعناداً لأمر الله، بل انخداعاً بالآيمان الكاذبة التي حلفها له إبليس اللعين، حيث لم يكن يتصور أن هناك مخلوقاً يمكن أن يحلف بالله العظيم كاذباً. وعصيانه كان من باب النسيان، ومن باب الغواية، ومن باب الرغبة في الخلود في نعيم الجنة التي كان فيها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عِزْماً﴾ (طه: ١١٥).

(٦) تزعم التوراة المحرفة أن الحية - وليس إبليس - هي التي أغوت حواء لتأكل من شجرة المعرفة. وحواء أغرت آدم بالأكل من الشجرة. لهذا لعن الله حسب زعمهم الحية وحواء وآدم والأرض. وتبقى الخطيئة على كل إنسان من نسل آدم عليه السلام. ويزعم النصارى أن الله أنزل ابنه عيسى (عليه السلام) ليخلص البشرية من خطيئتها هذه بأن يصلب ويدبح كالنعاج. وهي صورة مزرية ومضحكة وغارقة في السخف والبلاهة والبلادة.

(٧) تتحمل حواء جريرة أكل آدم من الشجرة، حسب مزاعم التوراة. ولهذا فالمرأة ملعونة في تعاليم التوراة، وهي مخلوق ممحض للشر وداعٍ إليه. وهذه الصورة مناقضة تماماً لما في القرآن الكريم من اعتبار المسؤول الأول في قصة الأكل من الشجرة المحرمة هو آدم عليه السلام، وتتبعه بعد ذلك زوجته.

(٨) لا يرد شيء مطلقاً في التوراة المحرفة عن توبة آدم وحواء، وعن اجتناب الله لآدم

واصطفائه له . بل تصور التوراة أن الله طرد آدم من الجنة ، ووضع عليها حراسة مشددة من الملائكة الكروبيم – الكروبيين – ، ومن لهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة – شجرة الخلد – حتى لا يذهب إليها آدم ويأكل منها . قال تعالى مخبراً عن آدم وحواء :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٢)

(الأعراف : ٢٣) .

(٩) لا يرد شيء مطلقاً عن أن آدم رسول ونبي ، وأنه عبد الله موحداً . بل يرد في التلمود – وهو أهم عند اليهود من التوراة ذاتها لأنه من تأليف الأحبار الذين لا يخطئون ولا يمكن أن تنقض تعاليمهم ولو بأمر الله –^(١) أن آدم كان زانياً ، وله خلية من الشياطين تسمى ليليت ، ومكث معها ١٣٠ سنة ، وأنجب منها أولاداً كثيرين . كما أن حواء كانت تخالل حسب زعمهم الكاذب عدداً كبيراً من الشياطين ، وأنجبت منهم عدداً من الأولاد ذكوراً وإناثاً .

(١٠) بما أن آدم مخلوق من ذات الله – تعالى الله عن ذلك – وهو على صورة الله ، فإن أبناء آدم الأول هم من نسل الله . ولكن هذا النسل تزوج من بنات الناس !! ولكن من هم بنات الناس ؟ لا توضح التوراة ، ولعلها تقصد الشياطين الذين أنجبهم آدم من عشيقته ليليت ، وحواء من عشاقها الكثيرين من الشياطين .

جاء في سفر التكوين (الإصحاح ٦) :

«وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ، وولد لهم بنات ، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا . فقال الرب : لا يدين روعي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه ، هو بشر ، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة . ولذلك تحول الإنسان الإلهي إلى بشر عادي ما عدا الجبابرة » الذين هم ذوو اسم منذ الدهر » فإنهم من نسل أبناء الله على بنات الناس !!! «وبعد ذلك أيضاً إذ دخل

(١) انظر كتابنا : «المسيح المنتظر وتعاليم التلمود» . الدار السعودية – جدة ، ١٩٨٧م ؛ وكتاب «الكنز المرصود في تعاليم التلمود» ، ليوسف نصر الله (دار القلم) ، ١٩٨٧م ؛ وكتاب «التلمود» ، لظفر الإسلام خان ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٠م ؛ وكتاب إبراهيم خليل أحمد : «إسرائيل والتلمود» . مكتبة الوعي العربي بالقاهرة ، ١٩٨٣م ، الطبعة الثانية .

بنو الله على بنات الناس . وولدن لهم أولاداً . هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر هم ذوو اسم .

وما عدا بنو إسرائيل الذين تزعم التوراة المحرفة والتلمود أنهم مخلوقون من روح الله مباشرة — أي جزء منه — حيث جاء في التلمود ما يلي :
(أ) «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح ، بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من والده» .

(ب) «الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة . وإذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية ، ويستحق الموت . ولولم يُخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس . والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب . وقد خلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين ما خلقت الدنيا إلا من أجلهم .

(ج) عندما يسمع الرب أبناءه اليهود يمجدونه رغم ما فعله بهم من نكبات وتشريد ، يلطم وجهه ويصرخ قائلاً : «طوبى لمن يمجدّه الناس وهو مستحق لذلك ، وويل للأب الذي يمجدّه أبناؤه — اليهود — مع عدم استحقاقه لذلك . لأنه قضى عليهم بالنفي والتشريد والشقاء» .

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم دعاوى اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا قُلُوبَهُمْ فَلَمَّ يَعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۗ ﴾ (المائدة : ١٨)

(د) وقد جاء في التوراة المحرفة أن اليهود شعب مقدس ، وأن لهم الحق في إبادة جميع شعوب الأرض الأخرى ، وخاصة تلك التي تسكن في منطقة فلسطين ، التي أعطاها الرب لإبراهيم ونيه . ومن ذلك ما جاء في سفر التثنية الإصحاح ٧ : «سبع شعوب أكثر وأعظم منك ، ودفعهم الرب أمامك فإنك تحرّمهم — أي تقتل الجميع بما في ذلك النساء والأطفال والبهائم — . لا تقطع معهم عهداً ولا تشفق عليهم لأنك شعب مقدس للرب إلهك . إياك قد اختار الرب لتكون له شعباً . أخص من جميع

الشعوب الذين على وجه الأرض . مباركاً تكون فوق جميع الشعوب . وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك . لا تشفق عينك عليهم .»

قصة ابني آدم :

ترد قصة ابني آدم هابيل رمز الخير وقابيل رمز الشر في التوراة المحرفة ، وفي القرآن الكريم . والاختلاف يكمن في أن القرآن الكريم يأتي بالقصة مجملة ويصل إلى الغرض الأساسي منها وهو حرمة الدماء ، ووجوب صيانتها ، والحفاظ عليها ، إلا إذا ارتكبت جريمة معينة توجب القتل ، والتي أوضحتها أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهي : جريمة القتل العمد ، وجريمة الردة ، وجريمة الزنى من الشخص المحصن ، وجريمة الحرابة .

قال تعالى :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ بَأْسِي وَإِنَّكَ فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾﴾ . (المائدة : ٢٧ - ٣٢) .

وهكذا ترد القصة في القرآن العظيم بهذه الصورة الرائعة المبهمة بدون أسماء وتوضح لنا صفة الأخوين حيث امتلأت نفس أحدهما حقداً وظلماً وعدواناً على أخيه التقي النقي دون جريرة جنتها يدها ، سوى أن الله تقبل منه قربانه ولم يتقبل من الآخر . فإذا النفس الشريرة تتهدد النفس الزكية بالقتل ، فيكون ذلك الرد الطاهر : ﴿لئن بسطت إلي يدي لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ رغم أنه كما يقول أصحاب التفسير

رواية عن ابن عباس كان الأقوى جسماً والأكثر شجاعةً وفتوةً. ثم يحذره مغبة العدوان، وأنه سيكون من أهل النار إذا اعتدى عليه بجريمة القتل المنكرة، ومع هذا لم يرعو قابيل بل أقدم على قتل أخيه هابيل.

أما في التوراة فتورد القصة هكذا: «وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين (قابيل) وقالت: اقتنيت رجلاً من عند الرب. ثم عادت فولدت أخاه هابيل. وكان هابيل راعياً للغنم وكان قايين عاملاً في الأرض — أي مزارعاً — . وحدث من بعد أيام أن قايين قدّم من أثمار الأرض قرباناً للرب. وقدّم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه — أي تقبل منه — ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه.

فقال الرب لقايين: لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أفلا أدفع وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها. وكلّم قايين هابيل أخاه وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على أخيه هابيل فقتله فقال الرب لقايين: أين هابيل أخوك؟ قال — قايين — : لا أعلم. أحارس أنا لأخي. فقال — الرب — : ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض. فالآن ملعون أنت في الأرض التي فتحت فاهاً لتقبل دم أخيك من الأرض» (سفر التكوين، الإصحاح ٤). وأصدر الرب أمره بعدم قتل قايين بل يبقى مطروداً ملعوناً. وكل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه. فخرج قايين من لدن الرب، وسكن في أرض نود شرقي عدن».

ولا تذكر التوراة شيئاً عن قصة الغراب الذي دفن أخاه الغراب الميت ليعلم قابيل كيف يوارى سوء أخيه. كما لا تذكر شيئاً عن الحكم الأساسي الذي يستخلص من هذه القصة، وهو حرمة قتل النفس البشرية بدون وجه حق، وأن من قتل نفساً واحدة كمن قتل الناس جميعاً، ومن أحيّاها كمن أحيّا الناس جميعاً. كما لم يرد في التوراة بأكملها ذكر للجنة أو النار. ولا شك أن اليهود قد أزالوا في مراحل متأخرة ما هو موجود لديهم في التوراة وتعاليم الأنبياء عن الجنة والنار وصفاتهما، لأن اليهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، والنصارى يقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً. . وأما النار فقد ذكر اليهود كما يرويه عنهم القرآن الكريم أنهم قالوا: ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾. . مما يدل دلالة

قاطعة على أن التوراة قد استمر تحريفها بعد نزول القرآن الكريم . . لأن التوراة الموجودة بأيدي الناس اليوم ليس فيها ذكر البتة للجنة ونعيمها أو للنار وجحيمها . . والذكر الوحيد هو للجنة التي كان فيها آدم، والتي طرد منها عندما أكل من شجرة المعرفة وأراد أن يأكل من شجرة الخلد أيضاً.

والغريب حقاً أن آدم بعدما أُخرج من الجنة وتناسل في الأرض، وبعد أن قام قابيل بقتل أخيه الطيب هابيل، نرى المجرم في حضرة الرب تعالى يكلمه كفاحاً، والرب يسأله أين هابيل؟ ويرد قاين – قابيل – بوقاحة أحارس أنا لأخي . وفي ترجمة أخرى: أرقب أنا لأخي! ثم إن الرب يأمر بعدم قتل قاين المجرم، وأن من يقتله فسبعة أضعاف ينتقم منه . ولا يوجد أي مبرر لذلك . فقاين مجرم، والقاتل يُقتل .

ثم تذكر التوراة (سفر التكوين، الإصحاح ٤): أن الرب أمر بطرد قاين من جنة عدن، ولكنه سكن قريباً منها في أرض نود التي تقع شرقي جنة عدن!! وهو أمر في منتهى الغرابة، إذ أن آدم قد طرد من الجنة إلى الأرض قبل أن يوجد له نسل وأولاده وُلدوا على الأرض، والمفروض أنهم لم يدخلوا جنة عدن . فكيف يدخل المجرم قابيل ويكلم الرب كفاحاً، ويطرد من جنة عدن التي لم يدخلها أصلاً!!

ثم تذكر التوراة (سفر التكوين، الإصحاح ٤) أن قابيل تزوج وأنجب ابناً سماه حنوك . وقد بنى حنوك هذا مدينة عظيمة باسمه – ولا ندري من سكنها – ثم ولد لحنوك عيراد، ولعيراد محويائيل ولهذا متوشائيل الذي أنجب لامك، الذي تزوج امرأتين إحداهما تدعى عادة ولدت له يبال وهو أب لكل الرعاة وساكني الخيام، ويوبال وهو أب لكل ضارب بالعود والمزمار . وتدعى المرأة الثانية صِلَّة وولدت له توبال الضارب كل آلة من نحاس وحديد . وقال لامك لامرأته . . اسمعا قولي فإني قتلت رجلاً لجرحي وفتى لشدخي . إنه ينتقم لقاين سبعة أضعاف وأما للامك فسبعة وسبعين!! .

وهو كلام غير منطقي ومضطرب ومليء بالخرافات والأساطير . . فحنوك يبني مدينة عظيمة يسكنها هو وزوجته وبنوه!! ولامك يلد يوبال جد جميع الرعاة وساكني الخيام في العالم، ويوبال جد جميع ضاربي العود والمزمار، وتوبال جد جميع من يضرب بآلة نحاسية وحديدية وهي فرقة موسيقية!!

ثم يندم لامك على جريمة قتل لا تحدثنا التوراة عنها شيئاً سوى أنه قتل رجلاً لجرحه وفتى لشدخه!! . وبما أن الرب قد منع قتل قايين – قابيل – ومن يقتله ينتقم منه سبعة أضعاف فإن قتل لامك جريمة أعظم وينتقم من قاتله سبعة وسبعين . لماذا؟! ولماذا الدفاع عن المجرمين والقتلة؟! لا ندري .

مولد شيث :

تذكر التوراة (سفر التكوين ٤ : ٢٥ ، ٢٦) أن آدم أتى زوجته حواء فولدت ابناً ودعت اسمه شيئاً قائلة : «لأن الله قد وضع لي نسلًا آخر عوضاً عن هابيل لأن قايين كان قد قتله» . ولشيث أيضاً ولد ابن فدعا اسمه أنوش . حينئذ ابتدئ أن يُدعى باسم الرب!!

ثم تأتي بعد ذلك قائمة بأسماء مواليد آدم وأبنائه ، وكم عاش كل واحد منهم .

وتختلف نسخ التوراة – اليونانية والعبرية والسامرية – اختلافاً شديداً في الأعمار مما يدل على ما حدث فيها من التحريف والتبديل ، ولا شك أن هذه الأعمار كلها لا تصح ، لأن التوراة والعهد القديم تسجل فيها الأعمار والمدة من خلق آدم إلى نوح ، ومن نوح إلى إبراهيم بتقديرات مختلفة في نسخ التوراة ذاتها ، كما أنها تختلف اختلافاً بيناً عما هو معروف في علم الآثار والتاريخ .

كما أن العهد الجديد – الإنجيل المختلفة – تسجل آباء المسيح عيسى بن مريم ، على اعتبار أن يوسف النجار خطب مريم العذراء ، وادعى أنه تزوجها وتضع له سلسلة نسب تنتهي إلى داوود ومن داوود إلى يعقوب ومن يعقوب إلى إبراهيم ومنه إلى نوح ومن نوح إلى آدم . وتختلف هذه السلسلة من الآباء المزعمين من إنجيل لآخر . وقد نقدها كثير من الباحثين ، ومنهم الدكتور موريس بوكاي في كتابه «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث» .

ونحن لا نرى أصلاً لهذه الأنساب فاعيسى ولد بدون أب . والنصارى يزعمون أنه ابن الله على قول فريق ، أو هو الله ذاته على قول فريق آخر ، فكيف يكون له نسب؟! وهذه الأنساب كلها منتحلة ، ولا يصح منها شيء . ومن باب أولى تقدير تلك الأعمار لكل واحد من أولئك الآباء .

ولهذا اختلف الذين حرّفوا التوراة والعهد القديم في الأعمار وسلسلة النسب اختلافًا بيّنًا. فكل نسخة تختلف عن الأخرى. وفيما يلي مثال واحد على هذا التناقض:

التوراة العبرية	التوراة السامرية	التوراة اليونانية
آدم	١٣٠	٢٣٠
شيث	١٠٥	٢٠٥
آنوش	٩٠	١٩٠
قينان	٧٠	١٧٠
مهلثيل	٦٥	١٦٥
يارد	١٦٢	٢٦٢
حنوك	٦٥	١٦٥
متوشالاح	١٨٧	١٨٧
لامك	١٨٢	١٨٨
نوح	٦٠٠	٦٠٠
١٦٥٦	١٣٠٧	٢٣٦٢

والمقصود في هذا الجدول أن آدم حينما ولد شيث كان عمره ١٣٠ وشيث حينما ولد آنوش كان عمره ١٠٥ سنة وهكذا. والمدة من آدم إلى نوح ١٦٥٦ سنة في التوراة العبرية، و ١٣٠٧ في السامرية، و ٢٣٦٢ سنة في اليونانية. . والمدة من سام بن نوح إلى تارح والد إبراهيم عليه السلام في التوراة العبرية ٢٩٢، وفي السامرية ٩٤٢ سنة، وفي اليونانية ١٠٧٢. . وهو اختلاف فاحش جداً.

ولا يرد أي ذكر لشيث في التوراة كم عُمر من السنين ومن ولد له، ما عدا مولده. وقد ورد في الأحاديث النبوية أن شيث هذا كان من الأنبياء المكرمين، وأن الله أنزل إليه صحفاً، وهي أول ما نزل من الكتب السماوية. وأنه دعى أبناء آدم الآخرين وأبناءهم إلى الله بعد أن بدأ بعضهم يزيع عن طريق الحق والتوحيد. . وقد ذكر ذلك ابن كثير في قصص الأنبياء (ص ٥٨) ورواه ابن حبان في صحيحه، كما ذكره ابن كثير

في التفسير أيضاً. وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه : أنه أنزل عليه خمسون صحيفة .

أخنوخ أو إدريس :

تذكر التوراة (سفر التكوين الإصحاح ٥) اسم أخنوخ وأنه ابن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث . وأن أخنوخ عاش ٦٥ سنة ثم ولد له متوشالch . «وسار أخنوخ مع الله ثلاثمائة سنة بعدما ولد متوشالch ، وولد بنين وبنات . فكانت كل أيام أخنوخ ٣٦٥ سنة . وسار أخنوخ مع الله . ولم يوجد لأن الله أخذه!!» ولسنا ندري إن كان المقصود بذلك أنه رفع إلى السماء .

ثم تذكر التوراة (التكوين الإصحاح ٥) أن متوشالch ولد لأمك ، ولأمك ولد نوحاً . ولعل لأمك هذا غير لأمك القاتل حفيد القاتل قايين . فهذا ينتسب إلى شيث بن آدم الصالح ، وذاك ينتسب إلى قابيل بن آدم – قاتل أخيه هابيل – .

ويذكر أهل التفسير أن أخنوخ هو إدريس عليه السلام . وأنه كان أول نبي بعد آدم وشيث عليهما السلام . وذكر ابن إسحاق وغيره أن إدريس كان أول من خط بالقلم . وقال ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء – وذكر مثله في تفسيره للقرآن العظيم – : «ويزعم كثير من أهل التفسير والأحكام أنه أول من تكلم في ذلك – أي الكتابة – ويسمونه هرمس الهرامسة . ويكذبون عليه أشياء كثيرة ، كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء» . . . وخلاصة القول إن ما قيل في هذا الصدد ، فهو من الإسرائيليات التي لا تصح .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى إدريس عليه السلام . قال تعالى : ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبيّاً ، ورفعناه مكاناً عليّاً﴾ وقد جاء في حديث الإسراء في الصحيحين (البخاري ومسلم) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ به وهو في السماء الرابعة . وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن إدريس رفع إلى السماء الرابعة وهو حي ثم قبض الملك روحه هناك . وانكر ابن كثير هذه الرواية .

نوح (عليه السلام)

ترد قصة سيدنا نوح عليه السلام في القرآن الكريم في سور كثيرة: منها سورة نوح، وسورة الأعراف، وسورة هود، وسورة يونس، وسورة الأنبياء، وسورة «المؤمنون» وسورة الشعراء، وسورة الصافات، وسورة العنكبوت، وسورة القمر، وغيرها من سور القرآن الكريم.

ولا ترد القصة كاملة في سورة واحدة، وإنما يرد منها ما يناسب جو السورة وغرضها، حسبما هو موجود في القصص القرآني بصورة عامة.

ويظهر هذا النبي الكريم على مسرح الأحداث بعد أن عاشت البشرية ردحاً من الزمن على التوحيد الخالص، ثم اجتالت الشياطين البشر، فعظموا الصالحين، من أمثال: وَدَّ وَسُوعَ وَيَعْقُوقَ وَنَسَرَ، ثم عبدوهم وصنعوا لهم التماثيل.

واختار الله نوحاً عليه السلام لدعوة قومه إلى عبادة الله وحده:

﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩).

(الأعراف: ٥٩).

ولكن الملاء وعلية القوم استكبروا، وقالوا له بصلف وعنجهية:

﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٦٠) قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبْلَغُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾.

(الأعراف: ٦٠ - ٦٢).

واستمر الملاء في ضلالهم ، فتارة يقولون له :

﴿ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْنَا بُدِي الرَّأْيِ
وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ . (هود : ٢٧) .

وتارة يطلبون منه أن يطرد الذين آمنوا معه حتى لا يختلط عليه القوم بسفلتهم كما
يزعمون . فيرد عليهم نوح ذلك الطلب بقوله :

﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُّوَارِبِهِمْ وَلَكِنِّي أَرِكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾
وَيَقُولُ مَنْ يُنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . (هود : ٢٩ - ٣١) .

واستمر نوح في مجادلة قومه ودعوتهم بالحسنى سراً وجرهاً ، حتى مل منه قومه
وقالوا له :

﴿ يَشُوْحٌ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأِنَّا بِمَاتَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .
(هود : ٣٢) .

وجاءت سورة نوح لتقص جانباً كبيراً من معاناة سيدنا نوح عليه السلام في دعوة
قومه المكذبين ، حتى جأ نوح بالشكوى إلى ربه ومولاه قائلاً :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ
لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَاعَهُمْ فِيْءِ أَذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ
إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ
كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ
سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ
الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾

لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَوْلَى وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ إِلَهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾ .

(نوح : ٥ - ٢٨) .

وفي هذه السورة الكريمة نرى صبر نوح عليه السلام ودعوته لقومه بكافة الوسائل السرية والعلنية ، وتذكيرهم بآيات الله في الكون وفي أنفسهم ، وبنعم الله المدبرة التي تهطل عليهم صباح مساء وهم عنها غافلون ، ويذكرهم باليوم الآخر ، ويوضح لهم زيف ما يعبدون من أوثان . ولكن قومه أصموا آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً .

فلما أمر الله نوحاً بأن يصنع الفلك ، سخر منه قومه سخرية لاذعة . فقد أصبح النبي نجاراً يصنع فلكاً في مكان لا ماء فيه . قال تعالى في سورة هود :

﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ ^(١) فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۖ وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ۖ ﴾ (٣٦) الْفُلَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ وقال أركبوا فيها بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرِهَا وَمُرْسَاهَا

(١) قيل : إن عدد الذين آمنوا من قوم نوح كانوا ثمانين رجلاً . وقد ركبوا معه في السفينة . . ولكن يبدو أنهم لم يعقبوا ، لأن البشرية كلها من نسل نوح وحده . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ ﴾ .

إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ
 يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ
 قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾
 وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي وَغَضَّ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ
 بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ
 وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ
 لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي
 بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْتُوخُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ
 عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ
 الْغَيْبِ نُوْحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٩﴾

(هود: ٣٦ - ٤٩).

وفي سورة هود نرى جانباً آخر من قصة نوح عليه السلام، وهو يصنع السفينة وقومه يسخرون منه ويستهزئون به، وهو يرد عليهم سخريتهم في ثقة بأنه عما قريب سيسخر منهم كما يسخرون منه. وقد جعل الله له علامة بأن يفور الماء من تنور بيته الذي يخبز فيه الخبز. وأسرع نوح عليه السلام بوضع زوجين اثنين من كل نوع من أنواع الحيوانات والطيور، ودعا جميع أهله ومن آمن، وأركبهم السفينة. وبدأت المياه تتفجر من الأرض وتنهمر من السماء بما لم تعرفه ولن تعرفه البشرية. وبدأ الطوفان الهائل. وكان أحد أبناء نوح عليه السلام يخفي كفره، ويتظاهر بالإيمان، بمعزل عن نوح. فناداه نوح أن اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. فقال الفتى المغرور الكافر: سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ نوح: لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ. وحال بينهما الموج فكان من المغرقين. وابتلع الطوفان كل شيء على وجه الأرض، ما عدا سفينة نوح ومن فيها من الحيوان والنبات والطيور والبشر. وتطهرت الأرض من رجس قوم نوح الكفرة الذين ظل يدعوهم لمدة ألف سنة إلا خمسين عاماً. واستوت السفينة على الجودي - جبل بشمال العراق -، هنالك تذكّر نوح ابنه وكان عليه حزيناً. تفجرت عاطفة الأبوة وخشي على ولده وفلذة كبده من أن يكون مع الكافرين:

﴿ونادى نوح ربه: إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾. . .
لم يكن نوح يعلم أن ابنه كافر، وإلا كان تبراً منه كما تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه. لأن رابطة العقيدة هي فوق كل رابطة مهما كانت تلك الروابط قوية. وإذا برز العزة يقول له: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح. فلا تسألن ما ليس لك به علم إنني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾. ويرتعب نوح عليه السلام فرقاً وخوفاً من الجبار ﴿قال رب إنني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾. وتذكره رحمة الله التي لم تفارقه: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾.

وهكذا تبدو قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم. قصة نبي من أولي العزم من الرسل صبر وجاهد وبلغ قومه رسالة ربه بكل وسيلة من الوسائل لمدة ألف سنة إلا خمسين عاماً. والآن لننظر إلى الصورة النقيض التي تصور بها التوراة المحرفة نوحاً عليه السلام. إنها صورة قميئة حقيرة بذیئة. لا نرى فيها إنساناً يدعو إلى ربه وإلى توحيد خالقه، بل نرى شخصاً يغرق في شرب الخمر حتى يتعري تماماً وهو لا يشعر.

قصة نوح في التوراة المحرفة :

تبدأ قصة نوح عليه السلام بذكر أن البشر قد فسدوا وحزن الرب وندم لأنه خلق الإنسان - تعالى الله عن ذلك - فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة، ما عدا نوح الذي كان باراً. ولا تذكر لنا التوراة أن قوم نوح عبدوا الأوثان، ولهذا غضب عليهم الرب. بل تذكر أن «أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا» لهذا غضب الرب، وقال: «لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد. لزيغانه هو بشر. وتكون أيامه مائة وعشرين» (سفر التكوين الإصحاح ٥ : ١ - ٣).

وغضب الرب عندما تزوج أبناء الله من بنات الناس - ألا لعنة الله على اليهود ما دامت السموات والأرض - . . «فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء. لأنني حزنتُ أني عملتهم. وأما نوح فوجد نعمة في عيني

الرب» (سفر التكوين، الإصحاح ٥ : ٥ - ٨). ولا تذكر التوراة سبباً هاماً لرضى الرب عن نوح. ولعله لم يتزوج من بنات الناس وإنما تزوج كما تزعم التوراة من بنات الله - أي من نسل آدم وحواء فقط دون أولئك الذين أنجبهم حواء من زناها مع الشياطين أو الذين أنجبهم آدم من زناه مع الشيطانة ليليت - .

وهكذا قرر الرب الإله كما تزعم التوراة أن يبيد الأرض ومن عليها، ما عدا نوح لأن الإنسان كان ظالماً وشريراً «وتزوج بنو الله من بنات الناس فولد الجبابرة الذين منذ الدهر هم ذوو اسم». «فقال الله لنوح نهاية كل البشر قد أتت أمامي. لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم فها أنا مهلكهم مع الأرض». وصدر الأمر: «اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر. تجعل الفلك مساكن وتطلب من داخل ومن خارج بالقار» ثم تفصيل لكيفية صنع الفلك ومقدار طوله وعرضه وارتفاعه (٣٠٠ × ٥٠ × ٣٠ ذراعاً) ثم أمره بأن يدخل هو وزوجته وبنوه الثلاثة وزوجاتهم إلى الفلك مع زوجين من كل بهيمة وطيور وحيوان على الأرض. وفي موضع آخر يأخذ سبعة أزواج من جميع البهائم والطيور الطاهرة وزوجين اثنين من البهائم غير الطاهرة.

«ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض». «في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر، في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء» «وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض. . وتعاضمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض فكان الفلك يسير على وجه المياه. وتعاضمت المياه، فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء». . وسارت الفلك. وبدأت المياه في التناقص «واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراط - شرق تركيا وشمال العراق - . وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر. ولكن نوحاً لم يخرج من السفينة إلا بعد مرور عام كامل. أي في السنة ستمائة وواحد (ويبدأ التقويم من ميلاد نوح) «وكلم الله نوحاً قائلاً: اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك وكل الحيوانات التي معك. .».

«وبنى نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت» (سفر التكوين، الإصحاح ٨ : ٢٠ - ٢٢).

والغريب حقاً أن المستشرقين من اليهود والنصارى، يزعمون أن الإسلام دين دموي، وأن رب المسلمين يتعشق الدماء، وكتابهم المقدس – العهد القديم – الذي يؤمن به اليهود والنصارى مليء بهذه الخزعبلات والافتراءات على الله وعلى رسله وأنبيائه.

وتذكر التوراة أن الله بارك نوحاً ونسله وجعل لنوح ونسله السيطرة على كل حيوانات الأرض وطيورها. وأصدر أمره بأن لا يأكل الإنسان دماً «غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه. وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط. من يد كل حيوان أطلبه. ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان. من يد الإنسان أخيه. سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه لأن الله على صورته عمل الإنسان» (سفر التكوين، الإصحاح ٩ : ١ – ٦).

«وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً: وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم... أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان... ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض. وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم... وضعت قوساً في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض... فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض» (سفر التكوين، الإصحاح ٩ : ٨ – ١٧).

وهكذا ندم الرب عندما خلق الإنسان، وحزن وتأسف في قلبه كما تزعم التوراة المحرفة ثم ندم وحزن عندما أغرق الأرض بالطوفان، ووضع عهداً مع نوح وبنيه وكل ذي روح على الأرض، أن لا يغرقهم ولا يهلكهم بطوفان آخر. وبما أن الله كثير النسيان حسب زعمهم، فإنه وضع علامة وميثاقاً يتذكر به هذا العهد والميثاق. ووضع الله قوسه في السحاب فإذا رأى القوس، تذكر أنه يجب عليه أن يحافظ على العهد ولا ينقض الميثاق، فيجعل الأرض تغرق بطوفان جديد. والقوس يشير إلى قوس قزح الذي يظهر عند نزول المطر. فإذا ظهر القوس تذكر الرب حسب زعمهم ميثاقه فيكف المطر.

نوح يسكر!!! :

وابتدأ نوح العمل على الأرض وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتعري داخل خبائه. فأبصر حام أبوكنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً – أي خارج

الخباء - . فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمرة، علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته. وقال: مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبداً لهم». (سفر التكوين، الإصحاح ٩ : ٢٠ - ٢٧).

وهذه صورة قميئة حقيرة لنبي الله نوح عليه السلام ترسمها له التوراة المحرفة. وإذا نبي الله الكريم يشرب الخمر حتى يسكر ويتعري ولا يشعر بنفسه، فيدخل ابنه حام - وهو الابن الأصغر حسب كلام التوراة - ويخبر أخويه الأكبر منه سناً: سام ويافت. . فيدخل هذان على أبيهما ويغطيان عورة أبيهما دون أن ينظرا إليها. وهو عمل حسن منهما. وعندما يفيق نوح ويعلم بما فعل حام، يلعن كنعان بن حام الذي لا جريرة له، ولا دخل له في هذا الموضوع البتة. ويجعله عبد العبيد لأبناء سام. والسبب في ذلك أن مؤلفي التوراة المحرفة أرادوا أن يثبتوا دعاواهم في فلسطين أرض الكنعانيين، فاختلقوا هذه القصة وهذا الإفك المشين. ولوئثوا صورة نوح عليه السلام. والغريب حقاً أن يقوم نوح السكران الذي تعري، بلعن حفيده كنعان الذي لا دخل له في هذه الجريمة التي اقترفتها يدا نوح نفسه. كما أعلن نوح بركاته على سام جد اليهود كما يعتقدون، وجعل كنعان عبداً لسام. وبالتالي ينبغي أن يكون جميع أهل فلسطين عبيداً لليهود، وأرض فلسطين تكون من نصيب أولاد سام. والمقصود من ذلك قطعاً اليهود.

وهكذا تلوث التوراة المحرفة صورة الأنبياء بصور مزرية قبيحة كما أنها قد لوثت صورة الله ذاته، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. .

مقارنة بين قصة نوح في القرآن الكريم وقصته في التوراة المحرفة :

إن الفرق بين الصورتين واضح جداً. . في القرآن صورة وضيئة لنبي كريم جاهد في الله حق جهاده، وأمر قومه بأن يعبدوا الله وحده، ويذروا آلهتهم وأوثانهم، كما أنذرهم باليوم الآخر، وبعذاب الله وسخطه. وذكر لهم آلاءه ونعمه. ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو صابر على أذاهم وسخريتهم، حتى أخبره المولى بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن.

أما في التوراة فلا نرى نوحاً يدعو قومه إلى الله سبحانه وتعالى ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر. والتوراة المحرفة من أولها إلى آخرها لا تذكر أن أحداً من الأنبياء دعا إلى الإيمان بالله وحده وترك عبادة الأوثان والأصنام، والإيمان باليوم الآخر. ولا نرى منهم أحداً يأمر بالصلاة والصيام والزكاة. ولا نرى أحداً منهم يأمر بفعل الخيرات وترك المنكرات، بل نرى الأنبياء كما تزعم التوراة أول الناس إقبالاً على الشر، وفعلاً للمنكرات. وليس من منكر ولا قبيح إلا فعلوه، ابتداءً من جرائم القتل وسفك الدماء، وانتهاءً بعبادة الأوثان والأصنام، مروراً بالكذب والخداع والسرقة والزنى وشرب الخمر ونكاح المحرمات.

الشيء الوحيد الذي ينالون به رضا الرب هو أن يقدموا له المحرقات واللحم المشوي الذي يحبه الرب جداً حسب زعمهم. فيُسَرُّ الرب الإله بهذه المحرقات ويتنسم نسيم الرضا، ويعطيهم العهود والمواثيق بأنه سيكون معهم ويبعد كل الشر من أجلهم، ويجعل الآخرين لهم عبيداً، لا لسبب سوى أنهم أرضوه بالمحرقات واللحم المشوي الذي يغرم به الرب — حسب افتراءاتهم — غراماً شديداً.

وكما تختلف الصورة من أساسها، فإن التفاصيل أيضاً تختلف اختلافاً كبيراً. ولكن إذا اختلف الأصل والغرض، فإن اختلاف التفاصيل يصبح هامشياً وثانوياً.

ففي القرآن الكريم إن نوحاً عليه السلام لبث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً. وفي التوراة كما أسلفنا لم يرد أن نوحاً دعا قومه إلى الله قط. بل تخبرنا التوراة أن نوحاً عاش ستمائة عام قبل حدوث الطوفان. وأن سبب الطوفان هو أن أبناء الله تزوجوا بنات الناس!! فولد لهم الجبابرة.. وغضب الرب لذلك وتأسف وحزن وندم، لأنه خلق الإنسان. فقرر إبادة الجنس البشري وإبادة الحياة من الأرض إلا نوحاً وبنيه فقط. ولعل نوحاً لم يتزوج من بنات الناس بل تزوج من بنات أبناء الله!!!

المهم أن الطوفان أخذ سنة كاملة حتى نزل نوح من السفينة. ولا يرد أي ذكر لمدة الطوفان في القرآن الكريم. كما لا يرد في التوراة أي ذكر عن ابن نوح الذي كفر وكان من المغرقين. وقد ذكر أهل التفسير أن هذا الابن كان يدعى كنعان، ولم يرد في

ذلك نص من كتاب الله أو سنة نبيه وإنما هو من الإخباريين الذين يروون عن أهل الكتاب .

وتذكر التوراة أن نوحاً عاش ٣٥٠ سنة بعد الطوفان فكان جملة عمره ٩٥٠ عاماً . بينما لا يرد في القرآن أي ذكر للمدة التي عاشها نوح بعد الطوفان . وفي القرآن أن نوحاً عليه السلام لبث يدعو قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً .

وتذكر التوراة المحرفة أن الربّ ندم مرة أخرى بعد حدوث الطوفان ، ووضع عهداً جديداً لنوح وبنيه ، أن لا يغرق الأرض بالطوفان . وذلك بعد أن أَرْضاه نوح باللحم المشوي والمحرقات . وكانت علامة العهد والميثاق قوس قزح !! فإذا ظهر قوس قزح في السماء تذكر الرب أنه ينبغي عليه المحافظة على عهده فيكف المطر حتى لا يغرق الأرض !! صورة تافهة وساذجة وغبية تصورها التوراة للرب سبحانه وتعالى . لأنهم حسب زعمهم وأساطيرهم وأكاذيبهم يقولون : إن الرب – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – كثير النسيان . . ولهذا لا بد له من شيء يذكره فجعل قوس قزح علامة له حتى يذكر أن عليه أن لا يغرق الأرض مرة أخرى بالمطر .

وأما قصة نوح وشرب الخمر وسكره حتى يتعري ، فأمر مرفوض البتة في الإسلام . وكذلك قصة لعن كنعان الذي لم يكن له من ذنب سوى أن أبناءه سكنوا فلسطين التي يريدونها اليهود . لهذا لا بد أن يكون كنعان ملعوناً ، وعبد العبيد يكون لإخوته !! ومبارك الرب إله سام ، جد اليهود !! .

ويرد في القرآن الكريم أن نوحاً عليه السلام صعد إلى السفينة هو ومن آمن معه وما آمن معه إلا قليل . ويذكر أهل التفسير أنهم بلغوا ثمانين شخصاً . ويحمل نوح معه من كل ذي روح زوجين اثنين وأهله دون تحديد لهم . فقد ورد أن أحد أبنائه لم يكن معه بل كان مع الكافرين فكان من المغرقين . كما ورد في مواضع أخرى من القرآن الكريم أن زوجة نوح كانت كافرة ﴿وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا الصالحين﴾ . ولا شك أنها لم تكن مع نوح في سفينته ، لأن الله أمره بإركاب المؤمنين فحسب ، إذ لا رابطة سوى رابطة الإيمان ولا وشيجة سوى وشيجة الحب في الله والبغض في الله . أما الزوجة والولد فلا قيمة لهم في ميزان

الله إذا كانوا من الكافرين. وهكذا تبرأ نوح عليه السلام من زوجته كما تبرأ من ابنه عندما علم بكفره. كما تبرأ إبراهيم عليه السلام فيما بعد من أبيه ومن قومه الكافرين.

أما في التوراة المحرفة التي لا يرد فيها ذكر للإيمان ورابطة الإيمان أصلاً فتزعم أن نوحاً عليه السلام أدخل في السفينة أبناءه الثلاثة وزوجاتهم وزوجته مع سبعة أزواج من الحيوانات والطيور الطاهرة وزوجين من الحيوانات والطيور غير الطاهرة. . (وفي موضع آخر زوجين اثنين من جميع الحيوانات والطيور الطاهرة وغير الطاهرة).

وخلاصة القول أن قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم قصة نبي كريم من أولي العزم من الرسل دعا إلى الله بكل وسيلة سرية وعلمية، وصبر على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً. . ولم يعرف إلا رابطة الإيمان بينه وبين قومه وعشيرته وزوجته وبنيه. فمن آمن فهو منه ومن كفر بالله فهو عدوه.

أما في التوراة المحرفة فتزد قصة نوح وسط أساطير وخزعבלات وكفر صريح بالله تعالى، وتصورات حقودة ضد البشر، وصورة قميئة حقيرة لنبي الله الكريم نوح عليه السلام. وكل إناء بما فيه ينضح. ومؤلفو التوراة المحرفة هم من أحبار اليهود الحاقدين على البشر. فصوروا الأنبياء بهذه الصور المزرية التي توضح أحقادهم وخستهم وحقارتهم.

* * *

إبراهيم (عليه السلام)

قصة إبراهيم عليه السلام في التوراة المحرفة :

تبدأ قصة إبراهيم عليه السلام في سفر التكوين بمسلسل أولاد سام بن نوح عليه السلام وكم عُمر كل واحد من أبنائه .

فهو حسب النسب المذكور في التوراة المحرفة ، إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام . وكان لأبرام (إبراهيم) أخوين هما ناحور وهاران . فأما هاران فقد توفي بعد أن ترك ابناً ، هو لوط عليه السلام . وتزوج ناحور من ملكة بنت هاران — أي ابنة أخيه — ، كما تزوج إبراهيم من أخته من أبيه ساراي كما تزعم التوراة .

وتزعم التوراة أن تارح أخذ أولاده وزوجاتهم وأولادهم وهاجر بهم من أور ، أرض الكلدانيين (في العراق) ، وانتقل بهم إلى أرض كنعان ، فأقاموا جميعاً في حاران .

ولن ندخل في التناقضات الكثيرة من حيث نسب إبراهيم وأعمار آبائه وأجداده ، فهي كلها تدخل ضمن التخمينات التي تتناقض فيما بينها ، كما تتناقض مع ما عرف من الآثار والتاريخ . فقد ورد في التوراة نفسها أن إبراهيم خرج من أرض أبيه وذهب إلى أرض الكنعانيين مع أن التوراة تذكر أن الذي بدأ الهجرة هو تارح أبو إبراهيم .

ولا تذكر التوراة شيئاً عن دعوة إبراهيم عليه السلام قومه للإيمان بالله وحده ، كما لا تذكر قصة تحطيمه للأصنام ، ورميه في النار وخروجه منها سالماً معافى . ولا تذكر

التوراة قصة جدال إبراهيم مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب والشمس والقمر، وكيف أوضح لهم أن هذه الكواكب والنيرات إنما هي آفلة والله سبحانه وتعالى دائم البقاء. كما لا تذكر التوراة شيئاً عن قصة إبراهيم مع النمرود الذي اعتبر نفسه إلهاً مثل بقية الفراعين والطواغيت، لأن الله آتاه الملك. ولذا فهو يحيي ويميت. ولكن إبراهيم عليه السلام أخرسه وجعله يبهت عندما طلب منه أن يأتي بالشمس من المغرب بدلاً من المشرق.

ولا ترد مطلقاً قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه الذي كان يصنع الأصنام، ودعوة إبراهيم لأبيه – أو عمه – لكي يترك عبادة الأوثان ويتجه إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد.

وقصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل المعروضة في القرآن الكريم غير موجودة في التوراة، وخاصة تركه لابنه إسماعيل وهاجر في وادٍ غير ذي زرع وما تبع ذلك من رحمة الله ونبع ماء زمزم، ونمو إسماعيل، ثم قصة الذبح، وقصة بناء البيت.

وتبدأ القصة في التوراة بسفر التكوين، الإصحاح ١٢ (بعد ذكر لمواليد سام إلى إبراهيم في الإصحاح ١١). . . . «وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركك، ولاعنك ألعنه، وتبارك فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب، وذهب معه لوط. وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران» ماذا حدث لإبراهيم خلال الخمسة والسبعين عاماً الماضية؟! أمر تسكت عنه التوراة سكوتاً تاماً. تبدأ القصة كلها من هذا المشهد. مشهد إبراهيم وزوجته ساراي (سارة) وابن أخيه لوط بن هاران، وهم يتحركون خارجين من حاران إلى أرض كنعان مع جميع ما لديهم من مقتنيات وعبيد.

وحاران كما نعلم هي في سورية. وهي ليست بلاد إبراهيم، إذ إن بلاده وبلاد أبيه أور الكلدانيين (في العراق). ولكن التوراة قررت أن تارح ارتحل إليها هو وبنوه وزوجاتهم. ثم كان الأمر الثاني بالارتحال من حاران إلى أرض كنعان (فلسطين) «واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم – هي مدينة نابلس الحالية في الضفة الغربية

لنهر الأردن في فلسطين — . وكان الكنعانيون حيثئذ في الأرض. وظهر الربُّ لأبرام، وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب — لأن الرب حسب زعمهم لا يحب شيئاً مثل المذابح واللحم المشوي — الذي ظهر له. ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي — اسم مدينة — من المشرق. فبنى هناك مذبحاً للرب — ما أكثر المذابح والمحارق واللحم المشوي في هذه التوراة المحرفة — . ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب».

«وحدث جوع في الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب لأن الجوع في الأرض كان شديداً، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أن قال لساراي امرأته: إني علمت أنك امرأة حسنة المنظر — عمرها فوق السبعين — فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي».

«فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خير بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال». (سفر التكوين، الإصحاح ١٢ : ١٠ — ١٦).

وهكذا تزعم التوراة المحرفة أن إبراهيم عليه السلام قدّم زوجته لفرعون مصر حتى يصير له خير بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد. . إلخ «وكان أبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب» بعد أن عرض زوجته لفرعون حسب زعمهم واشتغل ديوثاً. ألا لعنة الله على يهود.

وتكرر التوراة القصة مرة أخرى بعد مضي سنين طويلة أخرى.

ويذهب إبراهيم كما يزعمون إلى جرار بين قادش وشور. وقال إبراهيم عن سارة امرأته: إنها أخته وقدمها لأبيمالك ملك الفلسطينيين في منطقة جرار. ولما علم أبيمالك (أبومالك) في الحلم أن سارة ليست أخت إبراهيم بل زوجته، قال له معاتباً: ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء؟ فقال إبراهيم: «وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أُمِّي فصارت لي زوجة. وحدث لما أتاهاني الله من بيت أبي أني

قلت لها: هذا معروفك الذي تصنعين إليّ، في كل مكان تأتي إليه قولي عني هو أخي. فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماءً وأعطاهما لإبراهيم ورد إليه سارة امرأته. وقال أبيمالك هوذا أرضي قدامك. اسكن في ما حَسُنَ في عينيك. وقال لسارة إنني قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة» (سفر التكوين، الإصحاح ٢٠: ١ - ١٦).

ونستخلص من هذه القصة وسابقتها ما يلي:

- (١) أن إبراهيم عليه السلام حسب زعمهم تزوج أخته من أبيه سارة.
- (٢) أن إبراهيم اتفق مع سارة أن تقول عنه أنه أخاها في كل مكان يذهبان إليه، خوفاً من أن يحصل له مكروه، وطمعاً في أن يحصل على الأموال الوفيرة، من عرض زوجته للملك كي يتزوجها حسب زعمهم.
- (٣) رغم أن سارة كانت عجوزاً عقيماً عندما ذهبت مع إبراهيم لمصر إلا أن المصريين أغرموا بجمالها الفائق وعرضوها على فرعون فأخذها زوجة له.
- (٤) رغم أن سارة كانت قد بلغت تسعين عاماً عندما بشرها الملائكة بإسحاق «وقال - إبراهيم - في قلبه: هل يولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين؟» إلا أن هذه العجوز حسب زعمهم تسحر عقل أبيمالك ملك جرار ورجاله. هذا مع العلم أنها لم تذهب إلى جرار مع إبراهيم إلا بعد ولادة إسحاق. وبحيث نقدر أن عمرها في ذلك الوقت حسب زعمهم قد اقترب من المائة سنة على الأقل.

أبرام ولوط يفترقان بعد العودة من مصر:

تزعم التوراة أن لوطاً سار مع إبراهيم إلى مصر. وعندما خرجوا من مصر كانت أملاك إبراهيم وفيرة جداً، بسبب ما حصل عليه من فرعون، لقاء إعطائه زوجته سارة. وكذلك كان لوط. «ولوط السائر مع أبرام كان له أيضاً غنم وبقر وخيام. ولم تحتلما الأرض أن يسكنا معاً. إذ كانت أملاكهما كثيرة جداً. فلم يقدر أن يسكنا معاً. فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط. وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذ ساكنين في الأرض. فقال أبرام للوط: لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعائي ورعاتك، لأننا نحن أخوان. أليست كل الأرض أمامك؟ اعتزل عني». (سفر التكوين، الإصحاح ١٣: ١ - ٩).

«فرغ لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي . فاختار لنفسه كل دائرة الأردن . وارتحل لوط شرقاً فاعتزل الواحد عن الآخر . أبرام سكن في أرض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم» . (سفر التكوين ، الإصحاح ١٢ : ١٠ - ١٣) .

الرب يعطي أرض كنعان لأبرام ونسله
إلى الأبد ، حسب زعم التوراة :

«وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه : ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، لأن جميع الأرض التي ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد . وأجعل نسلك كتراب الأرض . حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يُعدّ . قم امش في الأرض طولها وعرضها . لأنني لك أعطيها . فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرأ التي في حبرون - مدينة الخليل الآن - . بنى هناك مذبحاً للرب» . (سفر التكوين ١٣ : ١٤ - ١٧) .

وواضح جداً من هذه المزاعم أن اليهود يدّعون أن الله أعطى أرض فلسطين لإبراهيم ولنسله ، والمقصود من نسله أولاد اسحاق «لأنه بإسحاق فقط يدعى لك نسل» حسب زعمهم كما أن المذابح والحرائق لا تنتهي من التوراة المحرفة .

ويذكر الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين من التوراة المحرفة ، أن ملوك فلسطين وما حولها جميعهم أكرموا إبراهيم عليه السلام ، وأحسنوا وفادته ، حتى إذا حدثت حروب بين هؤلاء الملوك ، كما هو معتاد في ذلك الزمان ، أخذوا من وجدوه من المنهزمين وأبنائهم وبناتهم عبيداً لهم . وتذكر التوراة (المحرّفة) أن حرباً وقعت بين مجموعة من الملوك المتحالفين : خمسة ضد أربعة ملوك ، وسقطت سدوم ، وهرب ملكها ، ووقع لوط في الأسر . فذهب إبراهيم مع حلفائه واستنقذ لوطاً وأملاكه .

وهكذا وقف هؤلاء الفلسطينيون بشهامة مع إبراهيم عليه السلام . . كما وقف معه كثير من ملوكهم وملوك منطقة الأردن . حتى إن ملك سدوم خرج هو وملك شاليم الذي يدعى ملكي صادق ، خرجا لاستقبال إبراهيم . «وكان ملكي صادق كاهناً لله العلي ، وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض» . وتوثق العهد بين

إبراهيم وملوك هذه المنطقة بعد هذه الواقعة (سفر التكوين ١٤).

وتحدث الرب بعد ذلك لأبرام في الرؤيا وعاتب أبرام الرب حسب زعمهم «وقال له أبرام إنك لم تعطني نسلاً. وهوذا ابن بيتي وارث لي. فإذا كلام الرب إليه قائلاً: لا يرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك — إنما يخرج الطفل من أحشاء المرأة — ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدّها. وقال له هكذا يكون نسلك».

وهكذا تزعم التوراة أن نسل إبراهيم من إسحاق «لأنه بإسحاق فقط يدعى له نسل» سيكونون مثل تراب الأرض ومثل نجوم السماء، ورغم مضي حوالي أربعة آلاف سنة من هذا الوعد، فإن نسل إبراهيم من إسحاق لا يزيدون عن ١٥ مليون. هذا مع العلم أن معظم هؤلاء ليسوا من نسل إبراهيم عليه السلام مطلقاً بل من الأمم التي تهودت مثل عرب اليمن، وبعض الأحباش، ويهود الخزر، (بحر قزوين وهم يهود روسيا وبولندا والدول الاشتراكية) ومعظم يهود أوروبا. إلخ. . وهكذا يبدو كذب هذا الوعد الذي اخترعه أحبار يهود الذين كتبوا التوراة المحرفة. . والذين زعموا أن الرب قال لأبرام «لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات» بعد أن قطع معه العهود والمواثيق المدعمة باللحم المشوي والمذابح والمحارق.

قصة سارة وإذلالها لهاجر :

ولما رأت سارة أنها لا تلد وأنها قد بلغت من العمر عتياً، قالت لأبرام «هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة. ادخل على جاريتي. لعلّي أرزق منها بنين. فسمع أبرام لقول ساراي. . . ودخل على هاجر فحبلت» وغارت ساراي جداً بعد حمل هاجر وخاصمت إبراهيم وقالت له: «ظلمي عليك» فقال لها إبراهيم: «هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك» فأذلّتها ساراي، فهربت هاجر من وجهها. فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية، على العين التي في طريق شور، وقال: يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت؟ وإلى أين تذهبين؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي. فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي لها». (سفر التكوين،

الإصحاح ١٥). «وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدن ابناً. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه».

وهكذا تزعم التوراة أن ساراي أذلت هاجر وعاملتها معاملة حقيرة سيئة بمباركة إبراهيم وبمباركة ملاك الرب!! لماذا لأن ساراي ستكون أم إسحاق، وإسحاق والد يعقوب، ويعقوب هو إسرائيل، ولذا يحق لبني إسرائيل أن يذلوا جميع الأمم. فإذا كان لساراي الحق أن تذل هاجر، وتذل إسماعيل ابنها عندما رآته فيما بعد يضحك ويلعب مع ابنها. فقالت لإبراهيم: إن إسماعيل وأمه ينبغي أن يرميا في الصحراء، لأن إسماعيل ابن الجارية ضحك ولعب مع ابني إسحاق. وأطاعها إبراهيم فوراً. لأن الرب وملاك الرب قالوا له: لكل ما تأمرك ساراي افعل ولها تطيع، والخدر من مخالفة أي أمر لساراي، ولو كان هذا الأمر هو الظلم المحض. فإن ساراي هي أم إسحاق. . وبإسحاق فقط يدعى لك نسل.

«ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح فقالت لإبراهيم: اطرده هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق. فقُبِح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريته. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل» (سفر التكوين، الإصحاح ٢١ : ٩ - ١٢).

العهد مع إبراهيم بالختان :

قد سبق أن ذكرنا أهمية الختان في العقائد التوراتية، على اعتبار أن الدم هو العلامة التي تربط بني إسرائيل بالرب. ولهذا يعتبر الختان في العقائد التوراتية علامة على الرابطة الدموية القوية بين الله وأبنائه اليهود - لعنة الله عليهم - . وقد ورد في التوراة أن صفورة زوجة موسى استطاعت أن تنقذ ابنها وبكرها من يدي الرب عندما هم بقتله، وذلك عندما أسرع صفورة وأخذت الغلام من يدي الرب - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وقطعت غرلة الغلام ومسحت ساقَي الرب بدم الغرلة. وقالت: «عريس دم من أجل الختان» فترك الرب - لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على اليهود أبد الأبد - الغلام. وقال: «عريس دم من أجل الختان».

ويبدأ العهد مع إبراهيم بتقديم المحارق واللحم المشوي وينتهي بدم الختان. جاء في (سفر التكوين الإصحاح ١٧): «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام، وقال له: أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثيراً جداً. فسقط أبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلاً: أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد أبرام، بل يكون اسمك إبراهيم. وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك — من إسحاق فقط حسب زعمهم — من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم».

وهي صورة مختلفة جد الاختلاف مع ما ورد في القرآن الكريم قال تعالى :
﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ .
(البقرة: ١٢٤).

فالعهد في التوراة أبدي لإبراهيم ونسله من إسحاق فقط. مهما فعلوا أو بدلو أو غيروا أو عبدوا الأوثان. والعهد لا يتضمن أنهم يفعلون الخير ويدعون الناس إلى عبادة الله وحده، بل لهم رب خاص من دون الناس جميعاً. ونسبتهم إليه كنسبة الابن إلى أبيه، لأنهم جزء منه. وفي مقابل ذلك يعطيهم أرض كنعان (فلسطين) إلى أبد الأبد. وهذه هي عقيدة يهود. وقد صرح زعماءهم مئات المرات بأن أرض فلسطين كلها بما في ذلك الضفة الغربية، هي أرض التوراة التي وعدها الرب لإبراهيم وبنيه. ولهذا ما دامت هناك أرض كنعان فلا بد أن يطرد منها ساكنوها ليحل محلهم أبناء الله وأحبائهم، شعب الله المختار. لأنهم قد حفظوا عهد الله معهم كما أوصت التوراة: «وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُخَتَّنُ منكم كل ذكر. فتُخَتَّنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يُخَتَّنُ منكم كل ذكر في أجيالكم. يُخَتَّنُ ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك. فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذي لا يُخَتَّنُ في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها أنه قد نكث عهدي». (سفر التكوين، الإصحاح ١٧ : ٩ - ١٤).

كل الجرائم تهون عند هذا الرب الذي تصفه التوراة المحرفة، ما عدا دم الختان ولحم الغرلة فهو مغرم جداً به وباللحم المشوي. ومستعد أن يضحي بكل شيء ما دام اللحم المشوي يقدم في المواعيد المحددة، وما دام الختان جارياً، وعلامة الدم مستمرة في لحم الغرلة. ولا يهم بعد ذلك أن يعبد اليهود - أبناء الله وأحباؤه - الأوثان، كما لا يهم أن يقتلوا أو يسرقوا أو يزنوا. كل الجرائم تهون ما دام لحم الغرلة يقطع علامة على العهد الوثيق مع الله. أما النفس التي ترفض الختان أو لا تختن لأي سبب، فتقطع تلك النفس من شعبها لأنها نكثت العهد.

وعندما أتم إبراهيم تنفيذ الختان، أعلن الله له أن ساراي ستلد له ولداً «وسقط إبراهيم على وجهه وضحك». وقال في قلبه: هل يولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين؟! وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. . . . عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت من السنة الآتية. فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم» (سفر التكوين ١٧ : ١٨ - ٢٢).

وهكذا تصور التوراة المحرفة المولى سبحانه وتعالى بأنه شخص يتجسد في صورة بشرية، ويتكلم مع الأنبياء ويتصارع معهم أحياناً، - كما تصارع مع يعقوب طوال الليل حتى طلوع الفجر - . ويحب اللحم المشوي جداً، وهو مغرم بدم الختان لدرجة مزعجة جداً. وليس له من عمل إلا إقامة العهد مع ابنه البكر إسرائيل!!! وكثيراً ما يظهر الرب بصورة بشرية للأنبياء، كما يختلط تعبير الرب بالملاك اختلاطاً شديداً في جميع أسفار العهد القديم. . . فقد جاء في قصة إبراهيم (سفر التكوين، الإصحاح ١٨).

«وظهر له - أي إبراهيم - الرب عند بلوطات ممرا، وهو جالس في باب الخيمة وقت حرّ النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفين لديه. فلما نظر، ركض لاستقبالهم من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض. وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم، واتكئوا تحت الشجرة، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تعجّازون، لأنكم قد مررتم على

عبدكم . فقالوا : هكذا نفعل كما تكلمت . فأسرع إبراهيم إلى الخيمة ، إلى ساراي . وقال : أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميداً . اعجني واصنعي خبز ملة . ثم ركض إبراهيم إلى البقر ، وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً ، وأعطاه للغلام ، فأسرع ليعمل . ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم . وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا .

وهكذا يختلط الحابل بالنابل ، ويتخيل كاتب التوراة المحرفة — عليه لعنات الله — أن الله يقف في صورة بشر ، ثم تختلط الرؤية فإذا هم ملائكة في صورة بشر . لكنهم أيضاً يحبون السمن والخبز والعجل ، فيأكلون منه ، ويرتاحون تحت الشجرة ، ويسندون قلوبهم بأكلة ترد الروح !! .

وبعد الوجبة الدسمة ، قال الرجال : أين سارة؟ فجاءت سارة ، وبشروها بغلام . فضحكت سارة في سرها من هذا الكلام . «وقال الرب لإبراهيم : لماذا ضحكت سارة قائلة : أفتلحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ فأنكرت سارة قائلة : لم أضحك لأنها خافت . فقال : لا بل ضحكت» . (التكوين ١٨ : ٩ — ١٥) .

«ثم قام الرجال وتطلعوا نحو سدوم ، وكان إبراهيم ماشياً معهم ليشييعهم . فقال الرب : هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله؟» وقرر الرب أن لا يخفي حسب زعمهم أي شيء عن إبراهيم . لأن إبراهيم قد ارتبط بعهد الختان مع الرب . ختان في غرلة اللحم . . . مع جميع نسله . . . دم . . . لهذا لا يستطيع الرب — حسب زعمهم — أن يخفي أي شيء عن إبراهيم . . . وتكلم إبراهيم مع الرب قائلاً : أفتهلك البار مع الأئيم؟ عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة . أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين؟ فقال الرب : إن وجدت في سدوم خمسين باراً فإني أصفح عن المكان من أجلهم . وبدأ إبراهيم ينقص العدد خمسة خمسة ، حتى وصلوا لعشرة . فقال الرب : لا أهلك من أجل العشرة . وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ، ورجع إبراهيم إلى مكانه» . (سفر التكوين ١٨ : ١٦ — ٣٢) .

وسنذكر قصة لوط في مكانها فيما بعد ، إن شاء الله تعالى .

سارة تحمل وتلد إسحاق حسب الوعد والعهد :

«وافتقد الرب سارة كما قال . — ما معنى هذه الجملة؟ — وفعل الرب لسارة كما تكلم . وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته . في الوقت الذي تكلم الله عنه . وختن إبراهيم إسحاق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله . وقالت سارة : قد صنع الله إليّ ضحكاً . كل من يسمع يضحك لي» . وغضبت سارة على هاجر وابنها عندما رأت إسماعيل يمزح مع إسحاق . وقالت لإبراهيم : اطرده هذه الجارية وابنها كما تقدم معنا . وسمع إبراهيم لقولها لأن الرب قال له : في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها ، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل .

وأخذ إبراهيم هاجر وابنها ، وأعطاهما خبزاً وقربة ماء وصوفها . فمضت هاجر وتاهت في بركة بئر سبع . ولما فرغ الماء من القربة ، طرحت الولد تحت الأشجار ، ومضت وبكت . فسمع الله صوت الغلام . وأبصرت هاجر بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام ، فكبر وسكن في البرية . وكان ينمورامي قوس . وسكن في بركة فاران . وأخذت له أمه زوجة من مصر (وهذه القصة مخالفة لما في القرآن والسنة من قصة إسماعيل في كثير من التفاصيل) .

وتذكر التوراة أن الملك أبيمالك وقائد جيشه فيكول ، كلّم إبراهيم قائليين : «احلف لنا بالله أنك لا تغدر بنا ولا بنسلنا» وهو أمر غريب جداً أن يحدث هذا من الملك لهذه الأرض وقائد جيشه ، إذ إن إبراهيم غريب في أرضهم وهم المحسنون إليه . وحفر إبراهيم بئراً ، وأعطى أبيمالك سبع نعاج ، وقال له : «إنك سبع نعاج تأخذ من يدي لكي تكون لي شهادة بأني حفرت هذه البئر . لذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع . لأنهما حلّفا هناك كلاهما وقطعاً ميثاقاً» (سفر التكوين ، الإصحاح ٢١) .

وهو أمر يتناقض مع ما ذكر قبل عدة أسطر فقط ، من أن بئر سبع نبعت عندما صرخ إسماعيل من العطش ، وأمّه معه في البرية ، بعد أن تركهما إبراهيم هناك حسب زعمهم .

ذبح إسحاق :

وظهر الرب كما تذكر التوراة ، وقال لإبراهيم : «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه

إسحاق واذهب إلى أرض المُرِّيّا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال». . . وأخذ إبراهيم حطباً للمحرقة، وصعد الجبل، وقال إسحاق لأبيه: «يا أبي هوذا النار والحطب، ولكن أين الخروف للمحرقة؟ فقال إبراهيم: الله يرى له الخروف للمحرقة يا بني». واستعد إبراهيم لذبح ابنه إسحاق فناداه ملاك الرب: «لا تمد يدك إلى الغلام. وأخذ إبراهيم الكبش وأصعده محرقة، عوضاً عن ابنه. فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهو يراه.

وقال الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه» (التكوين ٢٢).

موت سارة:

ماتت سارة عندما بلغ عمرها ١٢٧ سنة كما تقول التوراة، في قرية أربع، التي هي حبرون — أي مدينة الخليل — «فأتى إبراهيم ليندب سارة ويكي عليها. وقام إبراهيم من أمام ميتة وكلم بني حث قائلاً: أنا غريب ونزيل عندكم، فأعطوني ملك قبر لأدفن ميتي من أمامي، فأجاب بنو حث: اسمعنا يا سيد! أنت رئيس من الله بيننا. في أفضل قبورنا ادفن ميتك. لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك. فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث». (سفر التكوين ٢٣). وهكذا كان بنو حث في منتهى النبل والأخلاق والكرم مع إبراهيم عليه السلام. وكذلك كان معه ملك الفلسطينيين أبيمالك. ولكن التوراة لا تظهر لهم إلا الغل والحقد والذبح والقتل، رغم كل ما فعلوه من إكرام لإبراهيم وإسحاق ويعقوب. وهكذا تزعم التوراة المحرفة أن أخلاق الأنبياء حقيرة مثلهم. وتقابل المعروف بالشر. . . فكم خادع إسحاق وكم خادع يعقوب — حسب زعمهم — وكم قتل من أهل تلك الأرض الطيبة المعطاءة!! وكم وكم قتل موسى وتلميذه يشوع (يوشع بن نون). . . . وكم من الجرائم المروعة ارتكباها حسب زعم التوراة المحرفة، حتى أنهم لم يتركوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة. قتلوا الكل، حتى الحيوانات أبادوها.

وتزعم التوراة أن داود أيضاً قام بنفس المهمة، وأقام الحرائق ونشر المناشير،

وقتل النساء والأطفال والشيوخ والرضع مع جميع البهائم . حرّمها جميعاً أي إبادة أبادها
كما أمر الرب !!!

وتنتهي قصة حياة سارة بدفنها في مغارة المكفيلة من حبرون – مدينة الخليل –
تلك المغارة التي تزعم التوراة أن إبراهيم عليه السلام أصرّ على أن يشتريها من بني
حث ليدفن زوجته ، ولتكون له ولأولاده من بعده مدفناً .

زواج إبراهيم من قطورة :

وما يكاد إبراهيم ينتهي من دفن سارة حتى يتخذ له زوجة اسمها قطورة . وولدت
له حسب زعم التوراة ستة من الأبناء هم زمران ويتشان ومدان ومديان ويشباق
وشوحا . . كما كان له عدد آخر من الأبناء والبنات من السراري . وهؤلاء جميعاً
لا يدخلون في نسل إبراهيم !! لأنه بإسحاق وحده يدعى له نسل !!!

وقام إبراهيم وأعطى أبنائه هؤلاء أعطيات وصرفهم عن إسحاق ابنه إلى أرض
المشرق ، وهو بعد حي . وعاش إبراهيم ١٧٥ سنة . «وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيئة
صالحة وشبعان أياماً» . كما تقول التوراة . ودفنه ابنه إسحاق وإسماعيل في مغارة
المكفيلة في أرض بني حث بجانب سارة امرأته .

وهكذا تنتهي قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام في التوراة المحرفة . فلا نجد
فيها إلا لمحات قليلة تضيء هنا وهناك . وما عدا ذلك فركام وغثاء ومزبلة تثير التقزز
من رجل يكذب ، ويتزوج أخته ، ثم يقدمها للملوك لأجل العثور على الأموال . وعلاقته
بربه وطيدة ، بسبب اللحم المشوي والقرايين التي يقدمها ، ولهذا يأخذ بالمقابل عهوداً
له ولأولاده بأخذ أراضي الغير من النيل إلى الفرات ، عهداً أبدياً موثقاً بالدم . . دم
الختان . . دم الغرلة التي تقطع عند اليوم الثامن من الولادة . عهد رهيب . . من
لم يختن يموت موتاً . وتنقطع هذه النفس من شعب إسرائيل . لأن الرب قد وضع
علامة يعرف بها أبنائه . فإذا ذهبت تلك العلامة لم يعرفهم !! الدم . . الختان . .
الغرلة . . المحارق . . اللحم المشوي . . إلخ . . هذه هي قصة الأنبياء . وتتكشف
بصورة خاصة في أيام إبراهيم وأبنائه . . ولا يدعى له نسل إلا من إسحاق . . ولا يدعى
لإسحاق نسل إلا من يعقوب المخادع الكذاب حسب وصفهم وهكذا دواليك .

وهي كلها توضح أحقاد أحبار يهود الذين كتبوا هذه التوراة المحرفة ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ .

إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم :

نرى الصورة مغايرة كل المغايرة لتلك التي ترسمها لنا التوراة عن شخصية إبراهيم . القرآن الكريم يصور إبراهيم عليه السلام رجلاً كامل النقاء، كامل الصفاء، كامل الحب لله ولعباد الله . ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ . إبراهيم الذي عاش عمره المدين كله في حب الله والدعوة إليه . إبراهيم عليه السلام الذي يواجه الابتلاء إثر الابتلاء بصبر عجيب ورضا كامل . صورة فذة لا تكاد تتملأها العين حتى تمتلئ بها حباً وإعجاباً . صورة الحلم الكامل، والأناة الكاملة، والحب الكامل لله، الذي يصغر أمامه كل حب، حتى حب الشيخ الفاني لولده وأي ولد!!! ولد كله أناة ومحبة ووداعة وشجاعة وثبات . تأتية رؤيا - يمكن أن يعتذر عنها بأنها مجرد رؤيا - بأن يقتل ابنه فلذة كبده، فيبادر لتنفيذ الأمر، ولكنه لا يحب أن يفجأ هذا الغلام البار، فيخبره بالرؤيا ويقول: ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟﴾ فيرد الغلام على الفور ﴿يا أبت افعل ما تؤمر . ستجدني إن شاء الله مع الصابرين﴾ . ها هنا تتجلى المحنة والبلاء في أقصى ما يمكن أن يتصوره إنسان . يأخذ إبراهيم السكين . ويكبُّ الغلام على وجهه، وتحرك يدها للذبح، ولكن السكين تفقد قدرتها على القطع تماماً كما فقدت النار قدرتها معه على الإحراق . انتهى الابتلاء لأن إبراهيم ذبح كل شيء في قلبه لا يخفق بالحب لله، حتى حب الولد الذي يأتي بعد طول انتظار، يذبحه إبراهيم من قلبه، ويبقى ذلك القلب متجرداً للحب الإلهي بصورته الكاملة النقية التي لا يشبهها أي حب . لذا كان إبراهيم خليل الله . ومن نسل إبراهيم ومن نسل الذبيح إسماعيل يبرز محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليكون حبيب الله وخليله أيضاً . هذه هي القمة التي لم يصل إليها أحد قط من البشر سوى محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

وترد قصة إبراهيم عليه السلام متفرقة في سور كثيرة من القرآن الكريم كما هو معهود في المنهج القرآني . حيث ترد فقرات من القصة تليق بالمقام وتؤدي الغرض المطلوب، فتأتي بالعبارة والموعظة والتبشير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وترد ملامح من حياة إبراهيم عليه السلام المديدة في سور عديدة: في سورة البقرة، وآل عمران، والأنعام، والتوبة، وهود، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والشعراء، والعنكبوت، والفرقان، والصفات.

ولد إبراهيم عليه السلام لأب (أوعم) يصنع الأوثان ويعبدها ويتكسب من ورائها الأموال والمكانة في المجتمع. ولا تقبل نفس إبراهيم عليه السلام أن يرى هذه الآلهة التي تصنع في البيت من الطين ومن الخزف ومن النحاس ومن غيرها من المواد، ثم ينحني الناس لها بالعبادة ويتقدمون إليها بالقرايين.

دعوة أبيه :

ويوماً بعد يوم اتضحت الحقيقة كاملة في نفس إبراهيم عليه السلام. إن أباه آزر وقومه في ضلال مبين. وتقدم الفتى اليافع إلى أبيه بكل الحب والأدب والإخلاص، ينبهه إلى ما هو فيه من الضلال وعبادة الأوثان، وأن على والده أن يتجه لعبادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

قال تعالى :

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِبِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۖ يَأْتِبِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۖ يَأْتِبِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۖ يَأْتِبِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا تَنَزَّهَ لَا رَجْمَ لَكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ۖ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۖ وَأَعَزَّلْتُكُمْ وَمَتَدُّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۖ﴾ (مريم: ٤١ - ٤٨).

دعوة قومه لترك عبادة الأوثان :

وانتقل إبراهيم عليه السلام من دعوة أبيه إلى دعوة قومه. قال تعالى :
﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكْسِبُونَ سُوءَ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ .

(العنكبوت: ١٦ - ٢٤) .

وترد قصة إبراهيم عليه السلام وتحطيمه للأصنام إلا كبيراً لهم في سورة الأنبياء، وفي سورة الشعراء، وفي سورة الصافات. وفي كل سورة ترد مقاطع وإشارات لا ترد في السور الأخرى، تحقيقاً للغرض الأسمى من عرض القصة. وهو الموعظة والعبرة والتثبيت، حسبما يقتضيه جو السورة وسياقها.

قال تعالى في سورة الأنبياء:

﴿٥١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٤﴾ قَال لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٥﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٧﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٨﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦١﴾ قَالُوا فَاتُوبِيهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا

بِأَلْهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٣﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ تَوَسَّوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٧﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ .

(الأنبياء: ٥١ - ٧٠) .

وهكذا نجد الفتى إبراهيم عليه السلام يحاجّ قومه بالحكمة، فلما رأى أن ذلك لم يُجد معهم فتيلًا، عمد إلى أصنامهم في يوم عيد من أعيادهم، حيث يضعون القرابين والطعام أمام تلك الآلهة، فضربها جميعاً بالفأس إلا كبيرهم وهو يسخر من هذه الآلهة الصماء العمياء قائلاً لها ﴿ألا تاكلون﴾ . وجعلها إبراهيم عليه السلام جُذاذاً وحطاماً، وعلّق اففأس على عنق كبير الآلهة . وصدّم القوم عند عودتهم . هذه الآلهة التي يعبدونها محطمة مجندلة ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا، إنه لمن الظالمين﴾ . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴿على سبيل التصغير والتحقير لشأن هذا الذي حطّم آلهتهم﴾ . وجاءوا بإبراهيم عليه السلام على مشهدٍ من الملأ، وبدأوا التحقيق معه : ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا﴾ . — ولا يزال الفأس معلقاً في عنقه — ﴿فاسألوهم إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ . إنهم يعلمون تمام العلم أن هذه الآلهة لا تنطق، بل هي بكماء صماء عمياء خرساء، لا تدفع عن نفسها أذى . وسُقِط في أيديهم . واعترفوا بأنهم هم الظالمون، لأنهم يعبدون هذه الآلهة التي لا تدفع عن نفسها الضرّ، فكيف تدفعه عن غيرها؟! ثم عادوا وانتكسوا على رؤوسهم، وامتلأت قلوبهم ظلماً وظلاماً وتعصباً لهذه الآلهة التي يرتزق من ورائها الكهان والسدنة . وقالوا لإبراهيم عليه السلام في عناد غبي وقح ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ . قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله ﴿ها هنا انتهى الجدل﴾ . لم يعد لديهم ما يقولونه . انتهى المنطق والعقل، ولا بد إذن من اللجوء إلى القوة، كما يفعل

الطواغيت دائماً في كل مكان وزمان. ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

وضعه في المنجنيق وأججوا النار العظيمة. واجتمع الملائكة والشعب ليشهدوا منظر إحراق إبراهيم عليه السلام. وكانت المفاجأة. وكانت المعجزة. جاء جبريل عليه السلام - وإبراهيم في الهواء معلق في المنجنيق قبيل قذفه إلى النار مباشرة - وقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم أمّا لك فلا. لأنه لا حاجة به إلى مخلوق مهما كان هذا المخلوق. فتوكله التام الكامل، على الله وحده. فجعل الله النار برداً وسلاماً على إبراهيم. أفقدها قدرتها على الإحراق، وجعلها نعيماً، وهواء منعشاً، وسلاماً لإبراهيم عليه السلام. وكان القوم يرون النار تتلظى وتقفز بالحمم، وتشوي وجوههم من على البعد، وترهقهم منها قترة، ومن دخانها ظلمة تسود منها الوجوه. وإبراهيم عليه السلام يتنعم فيها. ويروى أن إبراهيم عليه السلام قال بعد خروجه من النار: «ما كنت أياماً وليالي أطيب عيشاً إذ كنت فيها. ووددت أن عيشي وحياتي كلها مثل إذ كنت فيها»^(١).

وما أن خمدت النار، وخرج إبراهيم منها سالماً، إلا وانعقدت الألسن وتجمدت الكلمات على الشفاه، ودارت الأعين في محاجرها من فرط الدهشة وهول المفاجأة. ها هو إبراهيم يخرج من النار المتلظية سليماً معافى، لم تحرق منه سوى الوثاق الذي أوثقوه به عند رميه في النار.

مُحَاجَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعِبَادَةِ الْكَوَاكِبِ وَالنَّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ:

وانتقل إبراهيم عليه السلام من هذه الفرقة التي كانت تعبد الأوثان إلى فرقة أخرى تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر. وكعادته في التلطف إلى دعوة قومه، وتنبيههم إلى الباطل الذي يعيشون فيه، بالحكمة والأدب الجم، بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته، بأن خرج إلى قومه معلناً لهم - من باب المنهج العقلي في الاحتجاج على الخصم - أن هذا الكوكب المضيء الشديد اللمعان هوربه. وكان فريق من قومه يعبدون الزهرة ويسمون لها عشتروت - ويسميها اليونان والرومان فينوس - ، وبقي معهم حتى أفلت الزهرة، فلما أفلت، قال

(١) ابن كثير: «قصص الأنبياء»، ص ١٤٠.

لهم: إني لا أحب الأفلين. ولا يمكن أن يكون إلهي يظهر ويغيب، فربي باقٍ دائم الحضور. وبدأ الإيمان بالزهرة لدى قومه يهتز. وفي الليلة التالية خرج مع فريق من قومه يعبدون القمر ﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾. قال: هذا ربي. فلما أفل، قال: لئن لم يهدني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين ﴿﴾. واهتز الإيمان بالقمر لدى هذه الفرقة أيضاً. فلما طلع الصبح وبزغت الشمس، قال إبراهيم عليه السلام ﴿هذا ربي هذا أكبر﴾. فلما أفلت، قال: يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴿﴾. وهكذا تساقطت الآلهة الكونية واحدة وراء الأخرى: الزهرة والقمر والشمس. واجتمع الملائكة من القوم، وعرفوا أن إبراهيم يهدد عقيدتهم ومصالحهم في الصميم.

وبدأوا في محاجته وتخويفه وإرعابه من هذه الآلهة:

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾...

وخرست الألسن أمام هذه الحجج الناصعة، وجاء التعقيب من المولى سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾.

(الأنعام: ٨٠ - ٨٣).

حاجة إبراهيم للنمرود:

كان مجتمع إبراهيم عليه السلام يعبد آلهة متعددة متنوعة. أنواع مختلفة من التماثيل، وأنواع من الكواكب والنجوم. عبادة للشمس والقمر، وعبادة للنمرود الملك الطاغية الجبار. وليس هذا الأمر غريباً، فهذه المجتمعات الوثنية تحتمل تعدد الآلهة

المختلفة. ورغم ما يكون بين هذه الآلهة نفسها من صراع ومعارك إلا أن عبّادها رغم اختلافهم تتسع صدورهم لعبادة آلهة كثيرة مخالفة لآلهتهم. بل لا يجدون غضاضة في مشاركة الآخرين عبادة هذه الآلهة الجديدة. لهذا فإن المجتمعات الوثنية تعج بمئات الآلهة. هذا إله للخصب، وهذه الإلهة للمطر، وهذا إله للحرب، وهذا إله للحب، وهذا إله للخمر، وهذه الآلهة للصيد، وهذه للشفاء من أمراض معينة، وتلك تُعبد حتى يفيض النهر، وأخرى يقربون إليها القرابين لاتقاء شرها وأذاها، وهكذا... وللنجوم دور في العبادة وللقمر والشمس مكان في قلوبهم. وللبشر الآلهة مكان وأي مكان. فكما تزعم التوراة أن الجبابرة هم من نسل أبناء الله، فكذلك يزعم أولئك الطغاة منذ أقدم الأزمنة إلى يومنا هذا... وهكذا كان يزعم الفراعنة في مصر، وهكذا كان يزعم أباطرة الروم، وهكذا كان يزعم ملوك بابل، وأكاسرة الفرس، وأباطرة الصين، وملوك الهند، وآخرهم أباطرة اليابان.

الغريب حقاً أن ماوتسي تونج مفجر الثورة الشيوعية الإلحادية في الصين وقائدها، قال لمراسل الأوبزرفر «Observer» البريطانية، في عام ١٩٧٠ م بعد إجراء تحقيق طويل معه: «إذا لم يكن هناك إله، ولا بد للشعب من إله يعبد، فلماذا تعيرون عليّ أن أكون هذا الإله؟! لقد قدّمت لشعب الصين من الخدمات ما لم يقدمه إنسان، وغيّرتُ معالم الصين بصورة لا مثيل لها، فمن حقي إذن أن يعبدني هذا الشعب. لماذا إذن تنكرون عليّ أنني جعلت نفسي إلهاً لشعب الصين؟!».

الموقف ذاته كان موجوداً منذ أربعة آلاف عام تقريباً في زمن إبراهيم عليه السلام. جعل النمرود نفسه إلهاً، واستغرب جداً أن يقف واحد من شعبه، من عبيده، يقول له: إنك لست بإله. يا للهول!! كيف يجرؤ هذا الرجل على نكران ألوهيته مع أن جميع الشعب يراها واضحة جلية؟! ولو كان رجلاً عادياً لأمر بقتله على الفور، ولكنه إبراهيم الذي رُمي في النار وخرج منها سالماً. لهذا تحلّى الملك بالصبر، وتذرّع بالحكمة، وبدأ بالمحاجة والمماحكة. قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ

فَأْتِيَهُمَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ .

(البقر: ٢٥٨)

وقف إبراهيم عليه السلام أمام هذا الطاغية وقال له: أنت بشر. أنت لست بإله. واحمررت حدقتا النمرود، ولكنه تماسك، وقال له: ما هذا الذي تقول يا إبراهيم؟ فقال إبراهيم: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ وعلم النمرود أنه لا يحيي ولا يميت، ولكنها المكابرة والعناد وإظهار قدرته أمام رعيته وعبيده. قال: ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أمر بقتل إنسان ثم أمر بالعفو عنه، فأنا قد أمتُّه في الأولى وأحييته في الثانية. وعلم إبراهيم عليه السلام أن لا فائدة من الجدل بهذه الصورة مع هذا المتعالي المعاند، فعمد إلى دليل لا يتمكن معه النمرود من الإجابة. قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾. فوجيء النمرود بهذا الجواب المفحم. ﴿فَبُهِتَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والله لا يهدي القوم الظالمين. ولم يحر نمرود جواباً وظل فاغراً فاه طوال اليوم من هول الصدمة. وتنبهت عقول العبيد الذين أعماهم سلطان النمرود وجبروته، وبدأت النفوس تتملل من عبادة هذا الذي لا يكاد يبين.

قامت الحجة على قوم إبراهيم بكل فرقهم وأوثانهم وعباداتهم المختلفة، الكواكب والنجوم والشمس والقمر، والأوثان المختلفة، وعبادة النمرود، كلها انهارت تحت نضاعة حجة إبراهيم عليه السلام. . . .

واستخدم الملأ وسائل الإرهاب والبطش، ومدوا يد الإغراء والمال لمنع التحول عن هذه الآلهة. واستمرأ قوم إبراهيم الذل وعبادة الأصنام المختلفة. أصنام البشر، وأصنام الكواكب، وأصنام الأحجار.

هجرة إبراهيم عليه السلام:

وجاء الأمر الإلهي لإبراهيم عليه السلام بالهجرة إلى ربه. خرج مهاجراً من وطنه وقومه. ولم يكن معه في هجرته إلا زوجته سارة وابن أخيه لوط بن هاران. قال تعالى:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٣﴾

(الأنبياء: ٧١ - ٧٣)

لم يؤمن له سوى لوط عليه السلام وسوى زوجته سارة .

قال تعالى :

﴿ فَأَمَّا لَئِي لُوطُ فَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (العنكبوت: ٢٦ - ٢٧) .

هاجر إبراهيم عليه السلام إلى أرض الشام ، إلى بيت المقدس . فوجد هناك الأمن والأمان . وعامله أهل تلك البلاد بكل تجلّة واحترام . وحتى التوراة المحرفة تقول لنا : إن الكنعانيين وملكهم أبيمالك عاملوا إبراهيم بكل الحب والود وأعطوه أرضاً يعيش فيها . وعندما ماتت زوجته سارة طلب منهم إبراهيم عليه السلام مكاناً ليدفنها فيه ، فخرجت المدينة (حبرون = مدينة الخليل) كلها تقول له : «اسمعنا يا سيد . أنت رئيس من الله بيننا . في أفضل قبورنا ادفن ميتك . لا يمنع أحد منا قبره عنك» (سفر التكوين ٢٣) .

مولد إسماعيل والأمر بذبحه :

في هذه الأرض المباركة رزقه الله بإسماعيل من هاجر جارية سارة التي أعطتها له . وجاء أمر الله أن يذهب بهاجر وابنها إلى وادٍ غير ذي زرع من مكان البيت العتيق في مكة المكرمة ، التي لم يكن فيها إنسان في ذلك الوقت . وحدثت المعجزة ، تفجرت الأرض ماءً زلالاً مباركاً ، بعد أن كاد الرضيع إسماعيل يموت من العطش في تلك البرية . واجتمع الناس حول الماء ، ونشأ الغلام رامياً بالقوس ، قوي الجسم ، صارم العزم ، مع حلمٍ وعلمٍ ورثهما من أبيه . فلما بلغ معه الغلام السعي جاء البلاء الأكبر الذي لم يتعرض إبراهيم عليه السلام لبلاء مثله من قبل .

رأى في المنام أنه يذبح ابنه فلذة كبده . لم يتشكك إبراهيم عليه السلام لحظة

واحدة. لم يقل هذا حلم. لو أراد الله ذلك لأمرني به صراحة بواسطة جبريل مثلما تأتي بقية أوامر الوحي.

انتهى إبراهيم من قراره الأليم بذبح أحب المخلوقات إليه. وانطلق إلى ابنه الحليم العليم وقال له:

﴿يَبْنِيْ اِنِّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾.

وعرف إسماعيل مقصد أبيه. أدرك مقدار الألم الذي يعانيه الشيخ الجليل الذي قارب المئة أو كاد. وأسرع بالود:

﴿ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيِبْ لَهُمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾. (الصفات: ١٠٢ - ١٠٦).

وأنزل الله كبشاً من السماء ليذبح بدلاً من إسماعيل. . وجعل الله سبحانه وتعالى ذلك اليوم عيداً. عيد التضحية والفداء، وهو أكبر الأعياد لدى المسلمين، حيث ذبح إبراهيم في ذلك اليوم من قلبه حب ابنه إسماعيل الذي رزقه على كبر ولم يبق في قلبه شيء سوى الحب الخالص لله. وصار حب إسماعيل بعد ذلك تابعاً لحبه لله تعالى.

وجعل الله سبحانه وتعالى من قصة إسماعيل ومشى هاجر بين الصفا والمروة، ثم الأمر بالذبح، وتعرض إبليس لإبراهيم وإسماعيل ليغريهما بالتوقف عن ما سماه جريمة القتل والذبح بدون مبرر، ورمي إبراهيم له بالحجارة في ثلاثة مواضع - هي الجمرات الموجودة في منى - ، جعل الله سبحانه وتعالى هذه القصة وما دار فيها من شعائر الحج ومناسكه.

الأمر ببناء البيت العتيق:

وأمر الله إبراهيم ببناء البيت ورفع القواعد. يساعده في ذلك إسماعيل:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ . (البقرة: ١٢٧ - ١٢٩) .

ويأمر الله إبراهيم عليه السلام بأن ينادي بالحج ، فيسمعه كل من في الأرض ، ومن في الأرحام ، إلى يوم الدين . ويلبي النداء من كتب الله له الحج . قال تعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَلَا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ . (الحج : ٢٦ - ٢٧) .

مولد إسحاق :

في أرض الشام — بمعناها الواسع — المباركة رزقه الله أيضاً بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب . وحملت سارة العجوز العقيم ، وأنجبت ذلك الغلام العليم . وعاش إسحاق وتزوج وأنجب يعقوب في حياة أبويه . وستأتي قصة إسحاق ومولده العجيب من أبوين بلغا من العمر عتياً . وتأتي البشارة من الملائكة بمولد إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب . وعاش إسحاق رجلاً كاملاً داعياً القوم الذين عاش بين ظهرائهم إلى عبادة الله وحده :

﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكَنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ . (الصافات : ١١٢ - ١١٣) .

العهد . . لمن ؟

وفي أرض الشام زاد حب إبراهيم لربه ، حبٌ ملك عليه كل شغاف قلبه . وابتلاه ربه بكلماتٍ . وكلما جاء الابتلاء كلما ازداد إبراهيم نوراً ، تماماً كما تصقل الماسة وتزيل عنها بعض الأتربة التي علفت بها . قال تعالى :

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ . (البقرة: ١٢٤) .

وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب . قال تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢٧) .
(العنكبوت : ٢٧) .

وقال تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٤)
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا
وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ .
(الأنعام : ٨٤ - ٨٧) .

والضمير في قوله : ﴿ ومن ذريته ﴾ كما يقول ابن كثير، عائد على إبراهيم على المشهور، ولوط وإن كان ابن أخيه، إلا أنه دخل في الذرية تغليباً. وهكذا جعل الله تعالى في ذرية إبراهيم النبوة والكتاب . وكل الأنبياء بعده عليه الصلاة والسلام من ذريته . وظهر من فرع إسحاق الأنبياء العديدون . وظهر من إسماعيل عليه السلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، وحبيب رب العالمين، وأفضل الخلق أجمعين .

قصة الطيور الأربعة :

وفي أرض الشام سأل إبراهيمُ ربُّه أن يريه كيف يحيي الموتى ، قال تعالى :
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٦٠) .
(البقرة : ٢٦٠) .

اشتد الشوق بإبراهيم ليرى القدرة وهي تتحرك رأي العين . سأل ربه كيف يحيي الموتى ؟ وجاء الجواب : ﴿ أولم تؤمن ؟ قال : بلى ﴾ .

وفي السؤال والجواب تعليم للبشرية على مدى أجيالها ليتضح لها مدى الحركة النفسية والشوق الذي كان يكابده إبراهيم عليه السلام، لينتقل من الإيمان واليقين إلى عين اليقين وحق اليقين. وجاء الأمر بأن يعمد إلى أربعة من الطير، فمزقهن وخلطنهن وقسمهن أقساماً، وجعل على كل جبل جزءاً ودعاهن بأمر الله، فإذا عضو يطير إلى صاحبه، وإذا كل ريشة تأتي إلى أختها وتلتصق بها، حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه، وهو ينظر. تجتمع الأبدان إلى الرؤوس دون أن تختلط عضلة أوريشة بعضلة الآخر وريشته. هنالك بلغ الإيمان إلى عين اليقين وحق اليقين.

بعض الفروق بين قصة التوراة المحرفة وقصة القرآن الكريم:

إن الفرق الأساسي بين ما يرد في التوراة المحرفة وبين ما ورد في القرآن الكريم من قصة إبراهيم عليه السلام، لا يكمن في الاختلاف في التفاصيل وفي بعض الوقائع التي ذكرها القرآن ولم تذكرها التوراة، أو ذكرتها التوراة المحرفة ولم يذكرها القرآن الكريم، وإنما يكمن الفرق الأساسي في المنهج والتصور والمغزى من إيراد القصة في الكتابين الكريمين، الذي حُرف أحدهما وهو التوراة من قبل أحبار يهود، وبقي الآخر محفوظاً.

(الحجر: ٩).

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

فإبراهيم عليه السلام في التوراة (المحرفة) رجل كل همّه الحصول على المال والثروة والولد والعهد من الرب، بأن يعطيه ونسله أرض كنعان. ومن أجل ذلك يقدم القرابين والمحارق. وتصوره التوراة (المحرفة) بأنه جبان وديوث وناكح أخته - لعائن الله المتتابة على اليهود أبد الدهر - ، كما تصوره في صورة شخص يبحث عن الثروة بكافة الوسائل، ولو كانت تلك الوسيلة تقديم زوجته سارة لفرعون ملك مصر أو أبيمالك ملك الفلسطينيين.

ولا يرد في التوراة المحرفة شيء عن دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه للإيمان بالله. لا ترد في هذه التوراة قصة تحطيمه للأصنام، ورميه في النار، ومحاكته لعبدة الكواكب والشمس والقمر ومحاكته للنمرود.

وترد قصة سارة وهاجر في صورة منقّرة. حيث تجعل التوراة المحرفة سارة

شديدة العدوان والظلم لهاجر وابنها . وعندما يهّم إبراهيم بالاحتجاج على هذا الظلم البين يأتيه أمر الرب «لزوجتك سارة تسمع لكل ما تقوله لك»، ولو كان ما تقوله هو الظلم والبغي والعدوان . «لأنه من سارة يدعى لك نسل» . أما إسماعيل فليس من نسلك .

ثم تزعم التوراة أن إسحاق هو الذبيح وشتان بين قصة الذبيح في القرآن وقصته في التوراة . لا شيء يرد عن الرؤيا التي رأى فيها إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنه ، ولا شيء يرد عن هذا الحوار الحاني بين الأب الممتلىء إيماناً وبين الفتى اليافع الذي يقول لأبيه : ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ .

ولا يرد شيء عن أمر الله تعالى بإخراج إسماعيل وأمه هاجر إلى وادٍ غير ذي زرع ، ولا عن رحمة الله وظهور ماء زمزم في التوراة الموجودة بين أيدينا ، ولكن التوراة تشير إلى أن إسماعيل وأمه كانا في بركة بئر سبع كما تشير أيضاً إلى ظهور الماء من البئر هناك . ولا يرد شيء مطلقاً عن بناء الكعبة ، ودعوة إبراهيم الناس للحج إلى بيت الله في التوراة المحرفة .

وترد قصة الملائكة الذين نزلوا ضيوفاً بإبراهيم في التوراة بصورة مغايرة لما في القرآن . ففي التوراة يختلط الأمر على كاتب التوراة المحرفة ، فتارة يتحدث عن الملائكة بأنهم الرب نزل في صورة بشر ، وتارة يتحدث عنهم بصفتهم ملائكة ، ولكنهم يأكلون ويشربون .

وترد في التوراة قصص لم ترد في القرآن الكريم . ومن ذلك زواج إبراهيم بعد وفاة سارة من قطورة ، وأن قطورة ولدت له ستة من الأبناء . وإذا علمنا أن التوراة تذكر أن سارة توفيت وعمرها ١٢٧ سنة وعمر إبراهيم آنذاك ١٣٧ سنة وأن إبراهيم بقي فترة دون زواج جديد . ثم تزوج قطورة وهو قد شارف على ١٥٠ عاماً ثم أنجب بعد ذلك ستة من البنين . . وجدنا أنه أمر مستبعد . ولم يرد في القرآن ولا في السنة شيء عن ذلك ، ومع هذا لا نستطيع الجزم بنفيه .

وتصرّ التوراة على أن أهم ما فعله إبراهيم هو إقامة العهد مع الرب لإعطاء إبراهيم ونسله جميع الأرض من النيل إلى الفرات . . وتكون علامة العهد دم الختان .

«وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم». (سفر التكوين ١٧).

لهذا كله نجد البون شاسعاً والفرق هائلاً بين قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم وفيما ورد في التوراة المحرفة.

* * *

إسماعيل (عليه السلام)

قصة إسماعيل في التوراة :

سبق أن أشرنا إلى مقاطع من حياة إسماعيل كما وردت في التوراة المحرفة عند استعراض قصة إبراهيم عليه السلام . وكانت تلك الإشارات سريعة جداً . وسنحاول ها هنا أن نذكر بعض التفاصيل .

رغم أن التوراة تعترف بأن إسماعيل هو ابن إبراهيم البكر، ورغم أن التوراة تجعل العهد دائماً للابن البكر، إلا أنها في هذا الموضع تنكر أهمية البكورية التي تتمسك بها . وتجعل العهد من الله لإسحاق دائماً أبدياً، لأنه بإسحاق فقط يدعى لإبراهيم نسل !!

تبدأ قصة إسماعيل في سفر التكوين الإصحاح ١٦ بأن تقوم سارة العاقر بتقديم هاجر جاريتها لإبراهيم حتى تلد له . «وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له . وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر . فقالت ساراي لأبرام : هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة . ادخل على جاريتي . لعلني أرزق منها بنين . فسمع أبرام لقول ساراي . . . فدخل على هاجر فحبلت . ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها . فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك . أنا دفعتُ جاريتي إلى حضنك . فلما رأت أنها حبلت صغرتُ في عينيها . يقضي الرب بيني وبينك . فقال أبرام لساراي : هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك ، فأذلتها ساراي ، فهربت هاجر من وجهها . فوجدتها ملاك الرب على عين الماء في البرية ، على العين التي في طريق شور . وقال : يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت؟ وإلى أين تذهبين؟ فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي .

فقال لها ملاك الرب : ارجعي إلى مولاتك، واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أكثر نسلك فلا يُعدُّ من الكثرة. وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدِينَ ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن. فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رُئي. لأنها قالت: أه هنا أيضاً رأيت بعد رؤية؟! لذلك دُعيت البثر بثر لحي رُئي... فولدت هاجر لأبرام ابناً ودعاه أبرام إسماعيل.. وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل» (سفر التكوين، الإصحاح ١٦ : ١ - ١٦).

وهكذا تزعم التوراة أن ساراي قدمت جاريته هاجر لإسماعيل ولكنها غارت منها جداً بعد أن حملت هاجر بإسماعيل، وأذلتها ساراي إذلالاً شديداً. ووافقها إبراهيم على هذا الظلم حسب زعم التوراة، كما وافقها الملاك أيضاً على هذا الظلم، الذي قال لهاجر: ارجعي إلى مولاتك واخضعي لها.

وتلد هاجر إسماعيل، وتصبر على أذى سارة وتعنتها، حسب مزاعم التوراة. «وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية. فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم». (سفر التكوين ١٧ : ١٨ - ٢١).

ورغم أن التوراة تجعل لإسماعيل شيئاً من البركة، إلا أن العهد كله يذهب لإسحاق عهداً أبدياً له ولنسله. ولا يدعى لإبراهيم نسل إلا بإسحاق فقط.

وأما إسماعيل فتصفه التوراة بأنه كان وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. ليس فيه من صفات إسماعيل الحقيقية التي وردت في القرآن شيء، ذلك الغلام العليم الذي يقول لأبيه ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ في ذلك الموقف الرهيب الذي تضطرب لهوله الجبال.

طرد إسماعيل وهاجر كما تزعم التوراة :

تذكر التوراة (المحرفة) أن إسماعيل كان يمزح مع أخيه إسحاق . وها هنا تشور
ثائرة سارة بدون أي مبرر، وتقرر طرد هاجر وابنها إسماعيل .

جاء في سفر التكوين (الإصحاح ٢١ : ٩ - ١٢) ما يلي :

«ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم :
اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق . فقبح الكلام
جداً في عيني إبراهيم بسبب ابنه . فقال الله لإبراهيم : لا يقبح في عينيك من أجل
الغلام ومن أجل جاريتك . في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى
لك نسل» وهي صورة قبيحة جداً حيث تصور أن الله - تعالى الله عن ذلك - يحابي
سارة ويقرها على ظلمها لهاجر وابنها إسماعيل، ويأمر إبراهيم بأن يطيع سارة في كل
ما تقول له سارة . وهي هي مزاعم اليهود التي افتروها على الله وملأوا بها التوراة .
حيث نجد في كل سفر عشرات المقولات بأن الله جعلهم شعبه المختار، وأنهم بمنزلة
الابن من أبيه، وأن العهد كان لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلى أبد الأبد، ليجعل بني
إسرائيل يستعبدون جميع الأمم ويدخلونها، لأن الله لم يكن ليخلق الكون كله إلا من
أجل ابنه البكر وحبيبه إسرائيل !!

وتذكر التوراة هذا العهد الأبدي الموثق بالختان . . تزعم التوراة أن الله قال
لإبراهيم «وأقيم عهدي بيني وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً . لأكون إلهاً
لك ولنسلك من بعدك . وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض
كنعان، ملكاً أبدياً، وأكون إلههم» . «وقال الله لإبراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدي
الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر، فتختنون في
لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم . يُختن ختانياً وليد بيتك والمبتاع
بفضتك . فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً . وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في
لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه قد نكث عهدي» . (سفر التكوين ١٧ :
٩ - ١٤) .

ورغم أن إبراهيم ختن إسماعيل وعمر إسماعيل آنذاك ١٣ عاماً إلا أن هذا

الختان لم يعط إسماعيل الحق في العهد. كان مثل العبد المبتاع بفضة يخن حتى يمكن أن يعيش في بيت إبراهيم ومع نسله، ولكن لا حق له في الميراث. ومع هذا قام إبراهيم بطرد هاجر وابنها إسماعيل حسب أوامر سارة. وتزعم القصة المتناقضة أن إبراهيم صرف هاجر وابنها بعد أن أعطاهما قربة ماء وخبزاً، فتاهت هاجر في بركة بئر سبع. وتصور القصة أن إسماعيل كان طفلاً صغيراً، وأن الماء نفذ من هاجر، ووضعت هاجر إسماعيل تحت شجرة وجلست مقابلة وبكت. «وسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر؟ لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملني الغلام وشدي يدك به لأنني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام».

وتتناقض قصة التوراة، فتارة تذكر أن إسماعيل كان طفلاً رضيعاً عندما طرد إبراهيم هاجر بناء على أوامر سارة، وتارة تزعم أن إبراهيم ختن إسماعيل أولاً وقد تم الختان لإسماعيل ١٣ عاماً.

وتزعم التوراة أن هاجر تاهت في بركة بئر سبع (صحراء النقب)، وتارة تزعم أن إسماعيل كبر ونما في بركة فاران (مكة). وتزعم التوراة أن هاجر أخذت لإسماعيل زوجة من أرض مصر.

وتذكر التوراة أن إسماعيل شب رامياً بالقوس – وهذا أمر تذكره الأحاديث النبوية الصحيحة، حيث كان النبي يحث أصحابه على الرمي ويقول لهم: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً».

ولكن التوراة تزعم أنه كان وحشياً، يده على كل أحد ويد كل أحد عليه. وهي صفات مناقضة لصفات الصبر والحلم والأدب التي تحلى بها إسماعيل عليه السلام.

وينتهي ذكر إسماعيل من التوراة بذكر أبنائه. وتتفرغ التوراة لمولد إسحاق وأخذ العهد له. وتزعم أنه هو الذبيح وإن كانت تعرض قصة الذبيح بصورة مشوشة ومسيئة لإسحاق عليه السلام. وتفصل بعد ذلك في قصة زواج إسحاق من رفقة، وما فعله إسحاق في حياته إلى أن مات.

قصة إسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم :

يذكر القرآن الكريم ثلاثة مشاهد من حياة إسماعيل عليه السلام :

● الأول : إسكان إبراهيم عليه السلام لزوجته هاجر وابنها الرضيع إسماعيل في وادٍ غير ذي زرع ، في موقع البيت العتيق حسب أمر الله تعالى .

● الثاني : عندما شبَّ إسماعيل وبلغ مع أبيه السعي . وقال له إبراهيم ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ .

● الثالث : بناء الكعبة ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ .

وقد ورد في غير هذه المشاهد الثلاثة ذكر لإسماعيل مع جملة الأنبياء . ووصفه الله بالعلم ، كما وصفه بالصبر والحلم ، وأنه كان يأمر أهله بالصلاة .

● المشهد الأول :

جاء إبراهيم عليه السلام إلى هاجر ، فأخذها هي وابنها الرضيع ، وسافر بهما من أرض الشام حتى وصل إلى وادٍ غير ذي زرع عند موقع البيت العتيق . ومكة آنذاك صحراء جرداء ، لا حياة فيها ولا أنيس بها . ووضع إبراهيم مع هاجر قربة من الماء وبعض الطعام ، ثم قفى منطلقاً فتبعته هاجر قائلة : يا إبراهيم . أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي لا حياة به ولا أنيس؟ وإبراهيم لا يرد عليها ، وهي تكرر مقولتها ، وإبراهيم لا يريها وجهه حتى لا ترى دمة تريد أن تطفر من عينه . ثم قالت له : الله أمرك بهذا؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيئنا ، ثم رجعت . فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه مكان البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوة ورفع يديه وقال :

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ .

(إبراهيم : ٣٧) .

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها . وجعلت تنظر إليه يتلوى . فانطلقت كراهية أن تنظر إليه .

فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها. فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي، رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً. ففعلت ذلك سبع مرات^(١). قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فلذلك سعى الناس بينهما».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه. تريد نفسها، ثم تسمعت، فسمعت أيضاً. فقالت: قد أسمعت إن عندك غواث. فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه، أو قال: بجناحه، حتى ظهر الماء. فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا. وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله أم إسماعيل! لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف من الماء، لكانت زمزم عيناً معيناً». قال: فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها الملك: «لا تخافي الضيعة فإن ها هنا بيتاً لله بينه هذا الغلام وأبوه» وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله. فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة. فرأوا طائراً عائفاً^(٢)، فقالوا: «إن هذا الطائر ليدور على ماء. لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء. فأرسلوا رسولاً فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا».

واستأذن القوم من أم إسماعيل أن ينزلوا عندها، فأذنت لهم بعد أن أوضحت

(١) ذكر القصة بطولها ابن كثير في كتاب «قصص الأنبياء» نقلاً عن البخاري، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) معنى عائفاً: أي أن الطير كانت تحوم على الماء وتتردد ولا تمضي تريد الوقوع. جاء ذلك في «الصحاح»، لإسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور العطار (ج ٤ / ١٤٠٨)، قال: عافت الطير تعيف عيفاً: تحوم على الماء أو على الجيف وتتردد ولا تمضي تريد الوقوع، فهي عائفة. منه قول أبي زبيد:

كان أوب مساحي القوم فوقهم طير تعيف على جون مزاحيف

شرطها قائلة: «لا حقّ لكم في الماء عندنا». واجتمع لدى أم إسماعيل جماعة من أهل جرهم.

وشب إسماعيل بينهم وتعلّم منهم العربية كما تعلم الرماية. وكان ماهراً بالرمي وتزوج فيما بعد منهم.

● المشهد الثاني:

الذي يعرضه القرآن الكريم من حياة إسماعيل، هو مشهد الابتلاء الثاني المبكر في حياة هذا النبي الكريم. يبدأ المشهد بهجرة إبراهيم عليه السلام وهو يخرج من وطنه مهاجراً إلى الله فيبشره الله بسلام حليم. فلما بلغ الغلام مبلغ السعي، رأى إبراهيم في المنام أنه يذبح هذا الغلام العليم الحليم. ويقرر إبراهيم أن يذبح ابنه لأن رؤيا الأنبياء حق، ولكنه يتلطف إلى ابنه ويقول له: ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟﴾ ويكون الجواب من الغلام العليم الحليم ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَٰإِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ (الصافات: ٩٩ - ١٠٧).

وهو مشهد تمتلأ النفوس فيه انبهاراً حين ترى هذا الشيخ الجليل الذي قارب المئة أو كاد، وهو يهيم بذبح فلذة كبده الذي لم يكن له غيره. غلام وأي غلام، كله علم وحلم وأدب وذكاء وفطنة، غلام ترين عليه مخايل النبوة في هذه السن الغضة. ويعلم الشيخ الجليل أن هذا ابتلاء من الله، وأن عليه أن يذبح ابنه. ويظهر له الشيطان في صورة بشر يريد أن يثنيه ويثني الغلام عن هذا العزم. يقول الشيطان لإبراهيم: أذبح ابنك من أجل رؤيا؟! والله قد حرم قتل النفس البريئة! أقتل إسماعيل دون ذنب

جنانه؟! أتقتل هذا الغلام الزكي دون جريرة؟! فيدفعه إبراهيم ويرميه بسبع حصيات في موقع جمرة العقبة. ويختفي الرجل ليظهر مرة أخرى عند الجمرة الوسطى في منى. ويلتفت مرة أخرى إلى إبراهيم وإلى الغلام: أي جريمة تريدان اقترافها؟! أيذبح إسماعيل الحليم العليم من أجل رؤيا من الشيطان؟! ويغضب إبراهيم عليه السلام فيدفع هذا الرجل الغريب ويرميه بسبع حصيات أخريات. ويختفي الرجل ليظهر عند الجمرة الصغرى لينال سبع حصيات تنهال عليه مرة ثالثة.

حياة إسماعيل وأبيه تصبح مشاعر الحج ومناسكه. حركة هاجر وهي تسعى بين الصفا والمروة بحثاً عن الماء، تتحول بأمر الله إلى السعي بين الصفا والمروة الذي يقوم به الحجاج والمعمتزمون على مدى الأزمنة وتطاول القرون.

انطلاقة إبراهيم في وادي منى لذبح ابنه إسماعيل، تتجسد على مدى التاريخ في حركة الملايين من البشر، وهم يتحركون في منى يرمون الجمرات، ثم يقومون بذبح الهدي والأضاحي.

ذبح إبراهيم عليه السلام لابنه هو ذبح لكل حب سوى حب الله، فإذا تحقق ذلك أنزل الله كبشاً من السماء ليفتدي إسماعيل. ويقوم الملايين من البشر منذ أربعة آلاف عام تقريباً بإعادة القصة ليتملّوا ما فيها من عبر وعجائب. حيث يرون ذلك الإيمان الشامخ، والبلاء الذي تنهّد له الجبال ولا ينهّد له إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل. حقاً ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ بلاء لا يستطيع أحد أن يصمد له إلا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ليبقى للبشرية نبزاً ونوراً تهتدي به في ظلمات الحياة، ولترى كيف يكون الحب الإلهي الكامل الخالص، الذي يذبح من أجله حب الولد، ومن شيخ فإن أتاه هذا الولد وقد بلغ من العمر أرذله. وأي ولدا! غلام عليم حليم تتراءى مخايل النبوة والنبيل في جميع تصرفاته وسكناته وحركاته. حقاً إن هذا لهو البلاء المبين الذي ينبغي أن تحني له البشرية رأسها إجلالاً وإكباراً ومحبة وتوقيراً.

● أما المشهد الثالث الذي يعرضه القرآن الكريم من حياة إسماعيل فهو مشهد

بناء البيت:

قال تعالى:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ . (البقرة: ١٢٥ - ١٢٩).

أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يرفع القواعد من البيت الذي قال الله عنه :

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ . (آل عمران: ٩٦ ، ٩٧).

وقد ورد في الأخبار أن آدم عليه السلام بناه، وأن الملائكة قالوا له : قد طفنا قبلك بهذا البيت . والكعبة بحيال البيت المعمور، كما روي عن علي كرم الله وجهه وغيره من الصحابة . واندثر البيت ولم تبق منه إلا القواعد . قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ .

ووقف إبراهيم على حجر عندما ارتفع البناء وابنه إسماعيل يناوله حتى أتما البناء كما أمرهما الله سبحانه وتعالى . وكان هذا المقام الذي قام عليه إبراهيم ملتصقاً بحائط الكعبة، حتى جاء عمر رضي الله عنه فأخره قليلاً لئلا يشغل المصلين . ولا تزال آثار إبراهيم الخليل باقية على هذه الصخرة التي وقف عليها إلى يومنا هذا . فقد كانت الصخرة رطبة فغرزت فيه قدم إبراهيم وبقيت آثارها إلى اليوم . وقد ذكرها في شعره أبو طالب في لاميته المشهورة التي نافح فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم وأعلن إيمانه فيها بصدق النبي وأنه صادق لم يكذب قط . وقد نعى فيها على قریش تكذيبها

لابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنها فقدت رشدها بذلك . قال يذكر البيت والمقام :

وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسحونه إذ اكتنفوه بالضحي والأصائل
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

وما أن أتم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بناء البيت حتى توجهها إلى الله العلي القدير بالدعاء ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم﴾ ويستجيب الله لدعائهما ويظهر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد مرور أكثر من أربعة آلاف على هذا الدعاء الخاشع المتبتل . .

ويقوم إبراهيم عليه السلام ومعه إسماعيل ابنه بتطهير البيت وإعداده للطائفين والقائمين والركع السجود . قال تعالى :

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ . (الحج : ٢٦ ، ٢٧) .

وطهر إبراهيم البيت ومعه ابنه إسماعيل ، وأعدده للحجيج الذين سيأتون على مدى الأزمنة وتطاول الأيام . ورفع صوته بالنداء كما أمره الله تعالى ، فجأوبته الجبال والوديان ، ومن كتب الله له الحج ممن كان في عالم الظهور أولم يزل في عالم الكمون .

ويذكر الله إسماعيل فيبقى ذكره إلى أبد الأبد . قال تعالى :

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ . (مريم : ٥٤ ، ٥٥) .

تبرز صفات هذا الغلام العليم الحليم عند شبابه، فإذا بنا أمام رجل قوي الإيمان، قوي الشكيمة، قوي الصبر، صادق الوعد، أرسله الله تعالى إلى القوم الذين عاش بين أظهرهم، وهم جرهم وما حولهم من العرب. وكان يأمرهم بعبادة الله وحده، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. واستجاب له القوم فعاشوا في سعادة وهناء. ثم اجتالتهم الشياطين وبدأوا الانحراف رويداً رويداً حتى عبدوا الأوثان والأصنام، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً. فأدركتهم دعوة إبراهيم وإسماعيل ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾. واستجاب الله لهذه الدعوة الصادقة من نبين كريمين ورسولين مطهرين. فظهر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، استجابة لهذه الدعوة. وسعد به العرب. . وسعدت به البشرية.

لم يظهر من نسل إسماعيل أنبياء عديدون كما ظهر من نسل أخيه إسحاق ولكن الله جعل من نسله من يرجح الكفة كلها. جعل فيها محمداً صلى الله عليه وآله وسلم. وكان ذلك من نصيب إسماعيل صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

ولن نقارن بين ما ذكرته التوراة عن إسماعيل وبين ما ذكره القرآن فشتان ما بين الصورتين. ونكتفي بما ذكرناه فيهما لأن الصورة واضحة جلية.

ففي إحداهما غبش وترهات بسبب إضافات الأخبار وتحريفاتهم، وفي الثانية نقاء وصفاء ومثل أعلى للبشرية تقتدي به وتهتدي بنوره. والله يهدي لنوره من يشاء. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* * *

إسحاق (عليه السلام)

قصة إسحاق عليه السلام في التوراة:

مولد إسحاق:

تقدم ذكر بشارة الملائكة لإبراهيم وسارة بمولد إسحاق في قصة إبراهيم عليهم السلام جميعاً. كما تقدم ذكر الرؤيا التي رآها إبراهيم قبل ذلك، وأن الله كلمه وأخبره بأن ساراي «ستلد له ولداً». فقال إبراهيم في قلبه: هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين؟! وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه، عهداً أبدياً لنسله من بعده. عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية». (التكوين، الإصحاح ١٧).

وبالفعل ولدت سارة وهي في التسعين وإبراهيم في المائة.. وختن إبراهيم إسحاق وهو ابن ثمانية أيام. وقامت سارة بطرد هاجر وابنها إسماعيل لأن إسماعيل كان يمزح ويضحك مع أخيه إسحاق. وقال الرب حسب زعمهم لإبراهيم: في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل.

وتقص علينا التوراة قصة ذبح إسحاق. وأن إبراهيم أخذ ابنه إلى أرض المريا ليذبحه ويجعله محرقة على أحد الجبال. ولا يرد في هذه القصة أن الذبيح علم بما يراد منه، بل كان يسأل أباه: يا أبي هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة؟! وأين ذلك من القصة العظيمة التي يرويها لنا القرآن الكريم، حيث يقول إبراهيم عليه السلام:

﴿ يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ قَالَ يَتَأَبَّتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ
 سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيِّرَ لَهُمْ ﴿١٠٤﴾
 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ
 بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ . (الصفات : ١٠٢ - ١٠٧) .

ولا شك أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام . وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أنا ابن الذبيحين» - أي إسماعيل وعبدالله - (١) .

تزويج إسحاق من رفقة :

تذكر التوراة أن إبراهيم استحلف كبير عبيده أن يذهب إلى أور الكلدانيين ويأخذ لابنه إسحاق زوجته من هناك ، من بلده وعشيرته ، وأن لا يأخذ لإسحاق زوجة من الكنعانيين الذين كان يعيش بين أظهرهم ، والذين أحسنوا إليه إحساناً متواصلاً . جاء في سفر التكوين الإصحاح ٢٤ مايلي : «وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام . وبارك الرب إبراهيم في كل شيء . وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له ، ضع يدك تحت فخذي . فاستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم ، بل إلى أرضي وعشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحاق . فقال له العبد : ربما لا تشاء المرأة أن تتبعني إلى هذه الأرض . هل أرجع بابنك إلى الأرض التي خرجت منها؟ فقال له إبراهيم : احترز من أن ترجع بابني إلى هناك . الرب الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي والذي كلمني والذي أقسم لي قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض . هو يرسل ملاكاً أمامك فتأخذ زوجة لابني من هناك» .

وبالفعل أخذ العبد جمالاً وأموالاً وذهب إلى مدينة ناحور . وخرجت الفتيات يستقين ويملأن الجرار . فقال العبد لإحداهن اسقني قليل ماء من جرتك ، فقالت : اشرب يا سيدي . وسقته ، وسقت جماله أيضاً . وسألها بنت من أنت؟ فقالت : أنا بنت بتوئيل ابن ملكه الذي ولدته لناحور - أخي إبراهيم - . وأعطاها العبد خزامه من

(١) انظر تفصيل ذلك في فصل (إسماعيل عليه السلام) .

الذهب وسوارين من الذهب وطلب المبيت عندهم، فركضت رفقة وأخبرت أخاها لابان. فانطلق لابان وأتى بالرجل الغريب. فلما دخل الدار أخبرهم أنه عبد إبراهيم وأنه قد قدم ليأخذ زوجة لإسحاق بن إبراهيم من بيته. ووافقت رفقة وأخوها على هذا الزواج وأعطاهم العبد مزيداً من الذهب والهدايا. وأخذ رفقة معه زوجة لإسحاق وسافر بها حتى وصلا إلى أرض كنعان وأخذ إسحاق رفقة زوجة له.

«وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتَّخذ لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل - بن ناحور أخو إبراهيم عليه السلام - الآرامي، أخت لابان الآرامي. وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً. فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته، وتزاحم الولدان في بطنها. فقالت: إن كان هكذا فلماذا أنا؟! فمضت لتسأل الرب، فقال لها الرب: في بطنك أمتان. ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب وكبير يُستذل لصغير» (سفر التكوين ٢٥ : ٢٠ - ٢٣). يا للصورة الزرية تذهب رفقة وتكلم الرب مباشرة وكأنه بشر، ويخبرها أنها حامل بتوأمين وأن الكبير منهما سيكون عبداً للصغير. والكبير هو عيسو الذي خرج أولاً من بطنها وهو أحمر وكله فروة شعر. والصغير هو يعقوب لأنه خرج قابضاً بعقب عيسو فدُعي يعقوب. ويعقوب هو إسرائيل. ولهذا ينبغي أن يستعبد له الجميع بما في ذلك أخاه عيسو ويكون نسل عيسو عبيداً لنسل إسرائيل.

«وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما». (سفر التكوين، الإصحاح ٢٥).

«وحدث جوع آخر غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم. فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار. وظهر له الرب وقال: لا تنزل إلى مصر. اسكن في الأرض التي أقول لك. تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك. لأنني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك. وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد». نفس الكلام المكرر الممجوج الذي لا يمل مؤلفو التوراة المحرفة من تكراره في كل سفر عشرات المرات. حتى يثبتوا لأنفسهم الحق المطلق في أرض فلسطين. رغم أن الفلسطينيين عاملوهم حسب اعتراف هؤلاء المؤلفين بكل كرم وأريحية نفس.

إسحاق يقول إن رفقة أخته :

ولما نزل إسحاق إلى جرار وسكن بين أهلها، سألته أهل المدينة عن رفقة التي كانت معه، فقال: «هي أختي. لأنه خاف أن يقول: امرأتي. لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر» نفس الحجة التي زعموا أن إبراهيم قالها عندما قَدَّم امرأته لفرعون، ثم عندما قدمها مرة أخرى لأبيمالك. . «وحدث إذ طالت له الأيام هناك أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر، وإذا إسحاق يلاعب رفقة امرأته. فدعا أبيمالك إسحاق وقال: إنما هي امرأتك، فكيف قلت: هي أختي؟ فقال له إسحاق: لأنني قلت لعلي أموت بسببها. فقال أبيمالك: ما هذا الذي صنعت بنا؟! لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنباً. فأوصى أبيمالك جميع الشعب قائلاً: الذي يمسُّ هذا الرجل أو امرأته موتاً يموت». (سفر التكوين، الإصحاح ٢٦).

فأنظر إلى نبل أبيمالك وكرم خلقه وخوفه من الله، وأنظر إلى الصورة الحقيرة التي تصور بها التوراة أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء، وتجعلهم جناء كذبة، يقدمون زوجاتهم للملوك خوفاً وطمعاً في الأموال والهدايا. وبقي إسحاق في جرار وتعاضم ملكه حتى صار عظيماً جداً كما تقول التوراة. فكان له مواشي من الغنم ومواشي من البقر وعبيداً كثيرين. فحسده الفلسطينيون، وقال له أبيمالك: «اذهب من عندنا لأنك صرت أقوى منا جداً». (سفر التكوين ٢٦: ١٣ - ١٧).

ولسنا ندري كيف استطاع إسحاق الغريب في أرض الفلسطينيين أن يكون له قوة أضخم وأقوى من قوة الملك نفسه!!

وتزعم التوراة إن إسحاق حفر آباراً كثيرة، ثم ذهب إلى بئر سبع، وهناك ظهر له الرب، وكرر له الوعد بتكثير نسله، حتى يصبحوا مثل عدد الرمال ومثل عدد النجوم، ووعدته بالأرض التي أقسم أنه يعطيها له ولنسله. فبنى إسحاق هناك مذبحاً للرب، وقدم له مجموعة كبيرة من الخرفان والأبقار المشوية، والتي يغرم بها الرب حسب زعمهم.

وتزعم التوراة أن أبيمالك وقواده ذهبوا إلى إسحاق وترضّوه . لأن الرب كان معه . وعقدوا معه عهداً وحلفاً ، أن لا يصنع بهم شراً . — غريب جداً أن يخاف الملك ومعه جيش قوي من إسحاق الذي لم يكن معه إلا حفنة من العبيد ورفقة زوجته — .

بئر سبع :

تذكر التوراة أن بئر سبع سميت كذلك لأن إبراهيم حفر بئراً وأعطى أبيمالك سبع نعاج . وقال له : «إنك سبع نعاج تأخذ من يدي لكي تكون لي شهادة بأنني حفرت هذه البئر . لذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع لأنهما حلفا هناك كلاهما . (سفر التكوين ، الإصحاح ٢١) .

وتزعم التوراة أيضاً أن إبراهيم صرف ابنه إسماعيل وزوجته هاجر بناءً على أوامر زوجته سارة ، التي أمره الرب بأن يسمع لها ويطيع . فمضت هاجر وتاهت في بيرة بئر سبع . ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، لأنها قالت : لا أنظر موت الولد . فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت ، فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك يا هاجر؟ لا تخافي . لأن الله قد سمع لصوت الغلام . وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام» (سفر التكوين ٢١) وسمت المكان بئر سبع .

ويرد في التوراة مرة أخرى (سفر التكوين ٢٦ : ٢٢ — ٢٣) أن عبيد إسحاق حفروا بئراً فسمى إسحاق المكان بئر سبع . لذلك اسم المدينة بئر سبع إلى اليوم !! وتنتهي حياة إسحاق بأن يخدعه يعقوب ويأخذ منه البركة بدلاً من أخيه عيسو ، كما سنستعرضه بعد قليل في ترجمة حياة يعقوب كما تذكرها التوراة المحرفة . ومات إسحاق شبعان أياماً كما تقول التوراة ، ودفنه ابنه يعقوب في مغارة المكفيلة في حقل عفرون في حبرون — مدينة الخليل في الضفة الغربية لنهر الأردن — وكان عمره عند وفاته ١٨٠ سنة .

قصة إسحاق عليه السلام في القرآن الكريم :

لا يرد في القرآن الكريم عن حياة إسحاق عليه السلام إلا نبذ مختصرة في آيات قليلة متفرقة ، ما عدا ما ورد عن مولده عليه السلام وما صاحبه من بشارات جاءت بها

الملائكة . حيث إن مولده كان معجزة من المعجزات . فقد بلغ أبواه الجليلان عمراً مديداً قبل ولادته ، وكانت أمه سارة قد بلغت التسعين كما تذكر التوراة ، وهي عجوز عقيم كما جاء في القرآن الكريم . وكان إبراهيم عليه السلام شيخاً كبيراً قد بلغ المئة عام عندما حملت به سارة ، ولكنها قدرة الله تعالى التي تقول للشيء كن فيكون .

وتأتي قصة مرور الملائكة عليهم السلام بإبراهيم صلوات الله وسلامه عليه في سور عديدة من القرآن الكريم : منها سورة هود ، وسورة الحجر ، وسورة الصافات ، وسورة الذاريات ، وسورية مريم .

قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ .
(هود : ٦٩ - ٧٣) .

في أرض الشام المباركة استقر إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة . ومضت الأيام والسنين وسارة عاقر ، انقطع عنها الدم ، وانقطع الأمل . مات البصيص الذي بقي في قلبها ، وتقدمت لزوجها تطلب منه أن يتزوج جاريتها هاجر ، لعل الله يرزقها بولد منها . وأحبت سارة إسماعيل - على عكس ما تصفها التوراة - ورأت أن الله قد عوضها بذلك عن فقدان الولد . وإن بقيت في النفس حشاشة تتطلع إلى الولد . . ومع مضي الأيام مات الحزن على فقدان الولد والشوق للثور عليه .

وجاء ذات يوم رجال ثلاثة ، ظهوروا فجأة ، لا يرى عليهم أثر السفر ، فرآهم إبراهيم عليه السلام في حقله . لم ينتظر النبي الكريم ليسألهم من أين جاءوا؟! بل انطلق مسرعاً ليكرم ضيفه . رحّب بهم أجمل ترحيب ، وأدخلهم داره ، ومع هذا كان مستغرباً لهيئتهم الجميلة التي لا يرى عليها أثر السفر . قال تعالى :

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿ ٢٥ ﴾ فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلُهُ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿ ٢٦ ﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿ ٢٧ ﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿ ٢٨ ﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿ ٢٩ ﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿ ٣٠ ﴾ .

(الذاريات : ٢٤ - ٣٠).

استنكرهم إبراهيم عليه السلام في نفسه، ولكنه التزم آداب الضيافة، وهو قمة في الكرم. فراغ من مجلسه معهم وأحضر عجلًا سمينًا وقربه إليهم. رأى الأيدي ممتنعة عن الوصول إليه. ومن عادة الضيوف أن يأكلوا عندما يُقدَّم لهم الأكل، فإن امتنعوا فتلك علامة شر. وازداد توجس إبراهيم من هؤلاء القوم ذوي الهيئة الجميلة والطلعة البهية الذين لا يرى عليهم أثر السفر ولا يعرف كيف وصلوا إليه وإلى مكانه فجأة كأنما هبطوا من السماء، هنا قال لهم إبراهيم عليه السلام: ألا تأكلون؟! الملائكة لا تأكل يا إبراهيم. ازداد التوجس والخوف في نفس إبراهيم عليه السلام. انفرجت أسارير الملائكة وأخبروه بأنهم ليسوا بشرًا حتى يأكلوا. وضحكت سارة من انزعاج زوجها وخوفه. وقيل ضحكت أي حاضت، لأن من أسماء الحيض الضحك. وأعلن الملائكة البشارة. ستلد سارة غلاماً. ليس غلاماً عادياً، إنه نبي من الأنبياء، وستشهد سارة وإبراهيم مولده وزواجه وولادة يعقوب ابنه.

وعقدت الدهشة لسان سارة برهة، ثم انطلق لسانها يصيح يا ويلتى ألد وأنا عجوز عقيم؟! وأقبلت في صرة وضجيج. . . وصكت وجهها وهي تقول: عجوز عقيم!! وتحدث الملائكة قائلين: ﴿أتعجبين من أمر الله، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾. وفي سورة الذاريات: ﴿قالوا: كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم﴾.

وفي سورة الحجر تعجب إبراهيم أيضاً من هذه البشارة كما تعجبت سارة:

﴿ قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا بَشِّرُونَ ﴾ (٥٤) قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَنِيطِ ﴿ ٥٥ ﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿ ٥٦ ﴾ .

يا لها من بشارة عظيمة بمولد نبي عظيم بعد هذا العمر المديد. ليس ذلك فحسب ولكن الشيخين يبشران بأنهما سيعيشان حتى يتزوج إسحاق ويولد له يعقوب.

وهذا يختلف مع ما ورد في التوراة من أن سارة ماتت قبل أن يتزوج إسحاق. وتزعم التوراة أن إسحاق هو الذبيح. ورغم اختلاف قصة الذبيح في القرآن عما هي عليه في التوراة، إذ يرين الغبش على قصة التوراة، ولا يرد فيها استسلام الغلام لأمر ربه، وحثه أباه على أن يمثل لأمر الله ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، بل يرد في التوراة أن إسحاق سأل والده «هذا الحطب والنار فأين الخروف؟» وأن إبراهيم فاجأه بتقييده ومحاولة ذبحه، والفتى يحاول التخلص. ولكن نزول خروف من السماء ينهي القصة حيث يأخذ إبراهيم الخروف ويذبحه بدلاً من ابنه.

وهناك أدلة من القرآن والسنة تدل على أن الذبيح هو إسماعيل. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا ابن الذبيحين» أي عبد الله وإسماعيل. وقد استدل أهل التفسير من بشارة الملائكة لإبراهيم وسارة بولادة إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب بأن إسحاق لا يمكن أن يكون هذا الذبيح. إذ إن إبراهيم قد علم مسبقاً بأن إسحاق سيعيش ويولد له ولد يدعى يعقوب.

قال تعالى:

﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١)

وقال تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ (٨٤) (الأنعام: ٨٤).

وقال تعالى:

﴿فَلَمَّا آتَوْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (٤٩)

(مريم: ٤٩).

وبانتهاء قصة مولد إسحاق عليه السلام يسدل الستار على قصته، حيث لا يرد في القرآن الكريم شيء عن حياته سوى أنه نبي كريم. ولا عن تزوجه من رفقة ابنة ابن أخ

أبيه ، ولا يذكر مزاعم التوراة في أنه قال عن زوجته أنها أخته ، كما لا يذكر القرآن الكريم الثروة الكبيرة التي حصل عليها إسحاق أثناء مقامه في أرض الفلسطينيين . لأن هذا كله ليس له قيمة إن صح في القصص القرآني . وأما التوراة المحرفة فكل همها هو إيراد كيف استطاع إبراهيم وإسحاق ثم يعقوب من بعد ذلك أن يجمعوا ثروات هائلة!! وكيف استطاعوا أن يأخذوا العهد من الرب بامتلاك أرض الغير الذين أكرمهم أيما إكرام . ولكي يأخذوا العهد من الرب ويجددوا ذلك الميثاق فإن عليهم أن يقوموا بشيئين اثنين لا ثالث لهما وهما : تقديم المحارق واللحم المشوي للرب الذي يحب اللحم المشوي جداً ، وعملية الختان لأن رؤية الدم وإزالة الغرلة هي التي ترضي الرب . ولا يهم بعد ذلك أن يكون اللحم المشوي المقدم للرب مسروقاً كما فعل يعقوب عندما سرق أغنام خاله لابان - في زعمهم - أو مأخوذاً عنوة وقسراً من الآخرين ، كما فعل يعقوب في مرحلة متأخرة من حياته .

* * *

لوط (عليه السلام)

قصة لوط في التوراة المحرفة :

إن قصة لوط عليه السلام في التوراة المحرفة تمثل منتهى الإسفاف والحقارة التي وصل إليها الأحبار الذين حرّفوا التوراة ولوثوا صور الأنبياء عليهم السلام . وتبلغ هذه الحقارة والدناءة أقصى دركاتها حطة ، في قصة لوط الذي تزعم التوراة المحرفة أنه زنى بابنتيه، وأنجب من كل واحدة منهما ولداً، أحدهما يدعى بن عمون والآخر موآب، وتزعم التوراة المحرفة أن ذلك حدث بعد أن أهلك الله قرى سدوم وعمورة نتيجة لفسادها، ونجّ الله لوطاً عليه السلام مع ابنتيه . فلما أنجاهم الله من القوم الفاسقين، التجأ لوط وابنتاه إلى مغارة في الجبل ، وهناك تقدمت الفتاتان وسقتا أباهما خمراً، واضطجعت معه الكبرى في الليلة الأولى ، فلم يشعر باضطجاعها ولا بقيامها، لأنه كان مخموراً لدرجة لا يميز فيها الأشياء . وفي الليلة التالية سكر أيضاً واضطجعت معه الصغرى، ولم يشعر باضطجاعها ولا بقيامها . وحبلت الفتاتان وأنجبت الكبرى موآب وهو أبو الموابيين – الذين عاشوا في منطقة الأردن – وأنجبت الصغرى بن عمون، وهو أبو بني عمون الذين عاشوا أيضاً في الأردن .

صورة حقيرة موغلة في البذاءة والشر.

وتبدأ القصة بمواليد تارح والد إبراهيم عليه السلام وناحور وهاران . وولد هاران لوطاً . ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين – في العراق – . واتخذ أبرام – أي إبراهيم – وناحور لأنفسهما امرأتين . . . وأخذ تارح أبرام ابنه،

ولوطاً بن هاران ابن ابنه، وساراي كتنه امرأة أبرام ابنه، فخرجوا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حاران - في الشام - وأقاموا هناك». (سفر التكوين ١١ : ٢٧ - ٣٢).

وهذه القصة تختلف عما هو في القرآن الكريم، حيث إن إبراهيم خرج من وطنه في العراق بعد أن قذفوا به في النار، وبعد أن أصرّوا على الكفر. وكان آزر والد إبراهيم كما يسميه القرآن كافراً. ولم يخرج مع إبراهيم سوى زوجته سارة، ووط ابن أخيه. وهاجروا إلى الأرض المباركة أرض الشام. كما قد مر معنا في قصة إبراهيم عليه السلام.

وتذكر التوراة أن لوطاً صعد مع إبراهيم إلى أرض مصر. وعندما عاد منها محمّلين بالثروات الهائلة من فرعون، حصل شقاق ونزاع بين رعاة إبراهيم ورعاة لوط. وقال إبراهيم للوط لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعائي ورعاتك. لأننا أخوان. أليست كل الأرض أمامك؟ اعتزل عني. إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً وإن يميناً فأنا شمالاً». (سفر التكوين ١٣ : ٥ - ٩).

«فرع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي. فاختر لوط لنفسه كل دائرة الأردن، وارتحل لوط شرقاً. فاعتزل الواحد عن الآخر. أبرام سكن في أرض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة، ونقل خيامه إلى سدوم. وكان أهل سدوم أشراراً وخطاة لدى الرب جداً» (سفر التكوين ١٣ : ١٠ - ١٣).

ذهاب الملائكة إلى لوط عبر إبراهيم :

ظهر ثلاثة رجال لإبراهيم فجأة عند بلوطات ممرا. فأكرمهم إبراهيم وجاء لهم بعجل سمين. وتزعم التوراة أنهم أكلوا وسندوا قلوبهم بتلك الوجبة الدسمة!! أكلة ترد الروح!! ثم قام الملائكة وبشروا إبراهيم بمولد إسحاق كما أخبروه أنهم ذاهبون إلى سدوم لإهلاكها. فجادلهم إبراهيم حتى لا يهلكوها. وطبعاً تخلط التوراة المحرفة خلطاً شديداً بين الملائكة وبين الرب كما قد أشرنا إليه من قبل^(١).

(١) انظر: قصة إبراهيم عليه السلام، في التوراة ص ٧٩ وما بعدها.

وذهب الملائكة إلى سدوم، ووصلوا في المساء. «فجاء الملاكان - كانوا ثلاثة قبل سطرين فقط - إلى سدوم مساء، وكان لوط جالساً في باب سدوم. فلما رآهما لوط، قام وسجد بوجهه إلى الأرض. - دائماً تصور التوراة الأنبياء وهم يسجدون للملوك وللأضياف ولكل من توسموا فيه مصلحة - . وقال يا سيديّ ميلاً إلى بيت عبدكما، واغسلا أرجلكما، ثم تبكران وتذهبان في طريقكما. فقالا: لا بل في الساحة نبيت، فألحّ عليهما جداً. فمالا إليه ودخلا بيته، وصنع لهما ضيافة خبزاً وفطيراً فأكلا». (سفر التكوين ١٩ : ١ - ٣).

وهذه الرواية تناقض ما جاء في القرآن الكريم من أن لوطاً عليه السلام ضاق بهم ذرعاً، وقال هذا يوم عصيب. لما يعرفه من قومه المجرمين الذين يعتدون على الأضياف، وخاصة أن هؤلاء كانوا في منتهى الجمال. وقومه مغرمون بالرجال. فكان لوط في منتهى الحرج والضيق، وودّ لو أن هؤلاء الأضياف لم يأتوا إليه. والشيء الذي تكرره التوراة هو أن الملائكة يأكلون ويحبون الفطير وخاصة مع الزبد واللحم!!

وتستمر التوراة المحرفة في القصة فتقول: إن رجال سدوم أحاطوا بمنزل لوط بمجرد أن سمعوا الخبر - لعل زوجة لوط هي التي دلتهم عليهم - ونادوا لوطاً: أخرج لنا الرجلين. وأسرع لوط يغلق باب بيته ويحكم رتاجه، وقال لهم: «لا تفعلوا شراً يا أخوتي، هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلاً. أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم - حاشا للوط عليه السلام أن يقدم بناته ليزني بهما أهل سدوم - وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً، لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفي، فقالوا: ابعد إلى هناك. ثم قالوا: جاء هذا الإنسان ليتغرب وهو يحكم حكماً، والآن نفعل بك شراً أكثر منهما. وتقدموا ليكسروا الباب، فمد الرجلان - الملكان - أيديهما وأدخلا لوطاً إليهما إلى البيت وأغلقا الباب. وأما الرجال الذين على باب البيت، فضرباهم بالعمى، من الصغير إلى الكبير. فعجزوا أن يجدوا الباب». (سفر التكوين ١٩ : ٤ - ١١).

«وقال الرجلان - أي الملكان - للوط من لك أيضاً ههنا؟ أصهارك وبنوك وبناتك وكل من لك في المدينة أخرج من المكان، لأننا مهلكان هذا المكان... وكلم لوط أصهاره الأخذين بناته».

والغريب حقاً أن التوراة نفسها قبل سطرين فقط قالت على لسان لوط: إن ابنتاه لم تعرفا رجلاً، ثم ها هي تقول: إن ابنتيه متزوجتان، وإن لديه أصهاراً. وأن أصهاره رفضوا أن يخرجوا معه، وكانوا يسخرون منه. كذلك تزعم التوراة أن للوط ابناً. وفي نفس الإصحاح تنفي أن له أبناءً، وتذكر أنه لم يكن معه سوى ابنتيه فقط.

وأخرج لوط مع ابنتيه وزوجته، واستأذن من الملائكة أن يذهب إلى مدين صوغر، لأنه لا يستطيع أن يهرب إلى الجبل، لعل الشر يدركه فيموت!! ودخل لوط إلى صوغر فأمر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء، وقلب تلك المدن وكل الدائرة، وجميع سكان المدن وبنات الأرض. — كلام فارغ لأن العذاب إنما نزل بقرى قوم لوط فقط — ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح. — لا تذكر التوراة أنها كانت كافرة وكانت تؤازر قومها. —

الطامة الكبرى:

انتهت قرى قوم لوط من الأرض، وغارت في الأرض، وأصبحت في موضع البحر الميت مدفونة فيه. وتأتي التوراة المحرفة بطامة كبرى حيث تزعم أن لوطاً سكر وزنى بابنتيه.

«وصعد لوط من صوغر، وسكن في الجبل، وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر — لا يوجد أي مبرر لهذا الخوف — فسكن في المغارة وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمرًا ونضبطجعه معه فنحیی من أبينا نسلًا. فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها — من شدة سكره حسب زعمهم — . وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت مع أبي. فأسقي خمرًا الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فنحیی من أبينا نسلًا. فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه — بَنُ عَمِّي — وهو أبو بني عمون إلى اليوم». (سفر التكوين، الإصحاح ١٩ : ٣٠ — ٣٨).

وهكذا تنتهي قصة لوط عليه السلام في التوراة المحرفة بهذه الصورة المخزية، حيث يصورون نبياً من أنبياء الله بأنه يسكر حتى لا يعلم ما يفعل، ويصورون بناته بهذا الشبق المخجل والمخيف لدرجة أنهن يسعين لأن يزين مع أبيهن الشيخ !! .

وبصرف النظر عن التناقضات الكثيرة في قصة لوط من أولها لآخرها، حيث تزعم التوراة المحرفة تارة أن بناته لم يعرفن رجلاً، وبعد سطرين أو ثلاثة تزعم أنهن متزوجات. ثم تزعم التوراة أن لوطاً طلب من الملكين أن يذهبا به إلى مدينة صوغر، وفجأة يترك المدينة بدون أي سبب ليذهب إلى مغارة في الجبل مع ابنتيه، وكان في إمكان البنتين النزول من المغارة والاتصال بالرعاة المنتشرين في المنطقة، ولكن مؤلفي التوراة المحرفة من الأحبار أصروا على تلويث الأنبياء بصورة مقرزة مقرفة.

فقد أصر هؤلاء الأحبار الذين حرّفوا التوراة على تلويث جميع الأنبياء عليهم السلام. فإبراهيم وإسحاق يعرضان زوجتيهما على الملوك من أجل الحصول على المال، ويعقوب كما سيأتي يخدع أباه، ويسرق خاله، ويأخذ العهد بحيلة ومكر. وإبراهيم يتزوج من أخته سارة، ونوح يسكر حتى يتعري، ولوط يسكر ويزني بابنتيه، وأبناء يعقوب زناة فجرة، فراؤبين يزني بامرأة أبيه بلهة، ويهوذا يزني بكنته - زوجة ابنه - ثمارا، وداود عليه السلام يزني بحليلة جاره، ثم يدبر مكيدة لاغتيال زوجها والتخلص منه. وهارون يصنع العجل ويعبده، وأمنون بن داود يزني بأخته، وسليمان يتزوج ألف امرأة ويعبد معهن آلهتهن الكثيرة، ويصنع لها المعابد والتماثيل، ويوشع - يشوع - بن نون يتزوج راحاب الزانية، وينجب من نسلها ثمانية أنبياء. والأنبياء جميعاً عندهم لصوص وكذبة وفسقة وزناة، وجبناء وقتلة، وشاربو خمر، وفي كثير من الأحيان عبدة أوثان. فإذا كان الأنبياء بهذه الحقارة والدناءة، وكانت كل الرذائل جائزة لهم، فلا شك أنها من باب أولى تكون جائزة لليهود. لهذا فإن اليهود على مدار التاريخ يمثلون أحقر ما في تاريخ البشر. كل صفات الخسة والجبن والكذب والخداع فيهم. لا يتورعون عن أي جريمة إذا تمكنوا منها: الزنى، شرب الخمر، اللواط، السرقة، الربا، الغش، القتل، كلها موجودة بصورة مكثفة فيهم. عليهم فقط أن يرتكبوا جرائمهم مع الشعوب الأخرى، التي لم يخلقها الله على هيئة بشر إلا من أجل أن يخدموا اليهود. فإن الله كما يقول التلمود: قد خلق نوعين من البهائم لخدمة الإنسان:

الخيل والبغال والحمير، والبهائم التي على صورة إنسان، وهي جميع البشر من غير اليهود. وذلك ليكونوا لاثقين لخدمة ابنه البكر إسرائيل. لذا يجب على اليهودي أن لا يقرض غير اليهودي إلا بالربا، ويجب عليه ديناً أن يغش غير اليهودي، وأن يسرقه، لأن غير اليهودي ملك لليهودي، فكيف بماله!! وأن عليه أن يصل إلى غرضه بكل وسيلة ممكنة، وأن يتدلل إذا اقتضى الأمر ذلك. وعليه أن يقدم بنته الجميلة للحصول على مآربه. ولهذا يقدس اليهود أستير ويجعلون لها سفراً كاملاً في التوراة المحرفة. وأستير هذه فتاة جميلة لعوب، استطاعت أن تستولي على قلب كسرى ملك فارس، وبهذه الطريقة استطاعت أن تنقذ اليهود من الأسر والهوان والتعذيب، وأن تفتح لهم جميع مناصب الدولة الفارسية، وأن تجعل كسرى يأمر بإعادتهم إلى فلسطين، وبناء الهيكل مرة أخرى من أجلهم.

لهذا فإن كل الوسائل التي تؤدي إلى تمكن اليهود وسيطرتهم على العالم تعتبر مباحة، بل مفروضة عليهم فرضاً. ولذا فإن اليهود مجموعة من البشر الملوئين الحاقدين على الإنسانية، ويسعون سعياً حثيثاً لامتطاء صهوة البشر جميعاً، وجعلهم لهم عبيداً. إذ إن بني إسرائيل مخلوقون من روح الله، أما بقية البشر فهم من أرواح الشياطين!! والإسرائيلي جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه، كما تزعم تعاليم التلمود!! لذا فلا يحق لأحد أن يعترض على أن يكون عبداً للإسرائيلي، بل إن ذلك هو الفخر الحقيقي، حيث يرتفع الإنسان طواعية لخدمة ابن الله البكر إسرائيل.

ويحق لليهود حسب تعاليم التوراة، بل يجب عليهم أن يبيدوا جميع الشعوب الموجودة في فلسطين، وأن يحرموهم تحريماً، أي أن يقتلوا الشيخ والرضيع، المرأة والرجل، الإنسان والحيوان... وعلى أقل تقدير عليهم أن يطردوهم طرداً من الأرض التي جعلها الله لهم، والتي حلف الرب فيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يجعلها لهم ولنسلهم أبد الأبد، من النيل إلى الفرات.

قصة لوط عليه السلام في القرآن الكريم:

شتان ما بين ما يعرضه القرآن الكريم من صور الأنبياء الناصعة وبين ما تعرضه التوراة المحرفة، من صور مخزية تزعم أنها تحكي حياة الأنبياء.

ويأتي ذكر لوط عليه السلام لأول مرة عند خروج إبراهيم عليه السلام من وطنه وهجرته إلى الأرض التي بارك الله فيها، أرض الشام. . . حيث لم يؤمن به من قومه إلا لوط عليه السلام - ابن أخيه - وزوجته سارة. قال تعالى:

﴿فَأَمَّا لُوطُ فَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (العنكبوت: ٢٦ - ٢٧).

وقال تعالى:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الأنبياء: ٧١).

واستقر إبراهيم عليه السلام في أرض كنعان، واستقر لوط في دائرة الأردن. وكان القوم الذين سكن بينهم لوط وأصهر إليهم قوم سوء فاسقين. كانوا يقطعون السبيل ويفعلون في ناديم المنكر، ويأتون الرجال شهوة من دون النساء. وهي جريمة ابتكرها قوم لوط، جريمة لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

قال تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يُّظَاهَرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَر ۖ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (الأعراف: ٨٠ - ٨٤).

دعاهم لوط عليه السلام إلى الله سبحانه وتعالى: وأنكر عليهم فعلتهم الشنعاء وجريمتهم النكراء وانتكاس فطرتهم وجبلتهم، وكان القوم قد ولغوا في الرذيلة، وأصبح المنكر لديهم معروفاً والمعروف منكراً. إن التطهر جريمة عندهم، ينبغي التبرؤ منها، وطرده المتطهرين من أرضهم النجسة، قالوا عن لوط وأهله: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ

قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴿٣٥﴾. إنها جريمة في عرفهم أن يكون لوطاً ومن معه من المتطهرين. وصبر لوط عليه السلام على هؤلاء القوم المجرمين الذين جمعوا رذائل الأمم الأخرى وأضافوا إليها جريمة لم تعرفها البشرية من قبل قط، وهي إتيان الذكور.

ويش لوط من هدايتهم. وجاءه الخبر من الله الجبار المنتقم بأن هؤلاء القوم مهلكون. وأرسل الله ملائكة في صورة بشر، جميلي الطلعة. فمروا بإبراهيم عليه السلام أولاً كما قد ذكرنا في قصة إبراهيم، وبشروه بولادة إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب. وأخبروه أن الله قد أرسلهم لمعاقبة قوم لوط. فاستمهلهم إبراهيم الأواه المنيب الحليم. وبدأ في محاولة إقناع الملائكة بإرجاء العذاب وإعطائهم فرصة أخرى. فلما أخبروه أن القوم قد استمروا الرذيلة والفساد، وأن لا بد من تطهير الأرض من رجسهم، قال: إن في تلك القرى لوط عليه السلام. قال الملائكة: نحن أعلم بمن فيها، لننجينهم وأهله إلا إمرأته كانت من الغابرين.

قال تعالى في سورة العنكبوت (٢٨ - ٣٥):

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيُنْكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْكَ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْكَ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وفي سورة هود نرى إبراهيم عليه السلام، وهو يجادل الملائكة. قال تعالى:

﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط . إن إبراهيم لحليم أواه منيب يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ .

وخرج الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام ، وإذا هم عند لوط عليه السلام في سدوم . انزعج سيدنا لوط انزعاجاً شديداً لرؤية هذه الوجوه الجميلة الصباح . إنه يعرف أن قومه لا يتركون رجلاً يمر دون أن يعتدوا عليه ، فكيف بهؤلاء الفتيان الذين لم يرَ أصبحَ منهم ولا أنضر في حياته .

قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطَاسِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُمْ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا الْقَدْ عَلِمْتَ مَالَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّايَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَأْتِيكَ بِهِ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ . (هود : ٧٧ - ٨٣) .

عندما ظهر الملائكة فجأة أمام لوط عليه السلام ﴿ سئء بهم وضاق بهم ذرعاً ﴾ وقال هذا يوم عصيب ﴿ لأنه يعرف قومه وفسقهم وحقارة أخلاقهم . وحاول لوط أن يوضح لهؤلاء الفتيان المرد أن هذه القرية فاسدة ، وأنها حقيرة ، وأن عليهم أن يتعدوا عنها ، لكن ضيوفه لم يبدوا أي اهتمام لما يقول . فلما قال لهم : ﴿ إنكم قوم منكرون ﴾ صرحوا له بحقيقة مهمتهم ، وأنهم ملائكة لن يصلوا إليهم قط . وقالوا له :

﴿ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ . (الحجر : ٦٣ - ٦٦) .

وما أن دخل الضيوف بيت لوط حتى تسللت امرأة لوط، التي كانت كافرة على دين قومها، تخبرهم أن فتياناً ما خلق الله أجمل منهم قد دخلوا بيت لوط. وسرعان ما تجمع أهل سدوم يدعون باب بيت لوط ويصرخون: أخرج الضيوف إلينا يا لوط. ولوط عليه السلام في منتهى الحرج والضيق، لأنه لم يكن يعلم حتى تلك الساعة أن ضيوفه ليسوا من البشر بل ملائكة مكرمون. وتقدم لوط يخاطب فطرمهم التي قلبوها ﴿يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾. الفطرة السليمة تنادىكم أن تتزوجوا النساء اللاتي خلقهن الله لكم. وتواقع القوم في ردهم على لوط ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد﴾. إنهم يعلمون أن لوطاً عليه السلام لم يعرض بناته إلا على سبيل الزواج، ولتذكيرهم بما تدعو إليه الفطر السليمة من التفكير في الزواج من الجنس الآخر. ولكنهم لووا الكلام كعادتهم وقالوا له: ﴿لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ ثم أوجزوا طلبهم ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ والدنيا كلها تعلم ما نريد. إننا نريد هؤلاء الفتيان الذين دخلوا بيتك.

إننا قوم نفتخر بأننا أول من مارس هذا الشذوذ، وأول من اخترع هذه الجريمة وباشرها على الأرض. وهنا تفجّر حزن لوط وغضبه المكتوم ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾. تحدث لوط عليه السلام بأسى. إنه غريب في هذه الأرض، وليس له عشيرة تنصره، ولا ولد ينصره، ولا صديق يلجأ إليه. بلغ به الأسى والحزن مداه. ها هنا التفت إليه الملائكة وأخبروه بحقيقتهم ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾.

ازداد هياج قوم لوط. كأن استعطافه لهم يزيد من سعارهم. أخذوا يمزأرون، أخرج إلينا ضيوفك يا لوط! ولوط يرتعد خوفاً وفرقاً على ضيوفه. هجموا على الباب وكسروه عنوة، دخلوا بالعشرات وها هنا تحركت يد جبريل تطمس على أعينهم، فإذا هم جميعاً قد فقدوا أبصارهم، كما فقدوا بصيرتهم من قبل.

قال تعالى: ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر﴾. وخرجوا يتصايحون، وهم لا يدرون إلى أين يتجهون. واطمأنت نفس لوط عليه السلام

في تلك اللحظة، وأعلن الملائكة أن الله قد أرسلهم لإهلاك هؤلاء القوم الفسقة. فقال لوط: متى؟ قالوا: ﴿إِنْ مَوْعِدُهُمُ الصَّبْحُ﴾، قال لوط عليه السلام، وقد نفذ صبره على هؤلاء القوم المجرمين: أريد أعجل من ذلك. قال الملائكة: أليس الصبح بقريب؟!!

وخرج لوط عليه السلام وابتناء وزوجته معهم. سرى بأهله ليلاً وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد. فلما بعدوا عن القرية، بدأت تباشير الفجر تظهر، وجاء عذاب الله. رفع جبريل أرضهم إلى السماء ثم قلبها عليهم، وأمطرتهم السماء بحجارة مسومة — معلمة — كل واحدة منها تقتل شخصاً بعينه. فلما سمعت زوجة لوط الجلبة، التفتت وصاحت: واقوما، فأصابها حجر من تلك الحجارة فأهلكها على الفور.

وانطلق لوط عليه السلام من تلك الأرض التي لوثها هؤلاء القوم الفسقة، ذوي الطبائع الغريبة الشاذة، والتي تصر على فسادها وشدوذها، وتتفاخر بذلك الشذوذ والفساد، وترى أنها قد اخترعت ما لم تعرفه البشرية من قبل، فهو محل اعتزازها وفخرها.

وتنتهي قصة لوط عليه السلام بهذه الخاتمة:

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

وفي سورة الحجر، قال تعالى:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِبَسْبِيلٍ مَّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

(الحجر: ٧٣ - ٧٧).

ذهب قوم لوط، وبقيت العبرة والعظة. إن في ذلك لآية للمتوسمين الذين ينظرون في العواقب، ويفكرون في نتيجة تصرفاتهم وأعمالهم. وقد جعل الله قرى قوم لوط في مكان تمر به قوافل قريش والعرب في رحلتهم إلى الشام. إنها لبسبيل مقيم، بطريق واضح معروف مطروق. وهم يعرفون ما حل بهؤلاء القوم المجرمين، فلماذا

لا يتعظون ويعتبرون؟ إن في ذلك لآية وعبرة للمؤمنين .

وشتان ما بين نهاية قصة لوط وقومه في القرآن الكريم ، ونهاية قصة لوط وبناته في التوراة المحرفة . تنتهي القصة في القرآن الكريم بالموعظة والعبرة ، وتنتهي القصة في التوراة المحرفة بدعوة إلى الفجور ، وإلى شرب الخمر ، وإلى اعتداء الإنسان على محارمه . تنتهي بصورة حقيرة بالغة الخسة تفوق خسة قوم لوط وشذوذهم . تنتهي بأن تزعم هذه التوراة المحرفة أن نبياً كريماً من أنبياء الله قد قارف الفاحشة مع ابنتيه بعد أن شرب الخمر . ويا لها من صورة تثير التقرز والاشمئزاز . ولكنها عقلية أحبار يهود الذين لوثوا الأنبياء جميعهم ، ليسهل لهم اقتراف جرائمهم التي لا يدانيها جرائم أي قوم آخرين ، ولو كانوا قوم لوط .

* * *

يعقوب (عليه السلام) وبنوه

قصة يعقوب عليه السلام في التوراة المحرفة :

يعقوب عليه السلام هو إسرائيل . وإسرا تعني عبد وثيل تعني الله ، أي عبد الله .
وقيل : إن إسرا معناها القوي – أي الشديد الأسر – وثيل الله ، أي القوي بالله . وترد
قصة يعقوب في التوراة المحرفة بشيء من التفصيل . ذلك لأن يعقوب هو الذي تنتسب
إليه أسباط بني إسرائيل جميعاً . وقد عمدت التوراة المحرفة إلى تشويه صورة يعقوب
كما شوّهت صور كثير من الأنبياء من قبل ومن بعد ، ولكنها جعلت ليعقوب صفات
المكر والخداع والكذب والغش التي يتميز بها اليهود ، عليهم لعائن الله أبد الدهر . كما
إنه لا يخلو من البطش وسفك الدماء عندما تحين له الفرصة . وهي هي صفات يهود
في كل زمان ومكان ألصقوها ظلماً وكذباً وزوراً وبهتاناً بأنبياء الله . أما أبناء يعقوب ،
فقد ألصقوا بهم تهماً شنيعة أخرى مثل : أن يزني راؤبين الابن البكر ليعقوب بزوجة
أبيه بلهة ، في حياة أبيه ، ثم يباركه يعقوب أبوه بعد ذلك !!! كما يزني يهوذا أسد
إسرائيل بكننته ثمارا زوجة ابنه !! هذا بالإضافة إلى جرائم القتل والغش والخداع
والسرقة .

مولد يعقوب :

تزوج إسحاق عليه السلام من رفقة أخت لابان – من نسل ناحور والد
إبراهيم – . وبقيت رفقة عشرين سنة عاقراً ثم حملت ، وكان حملها توأمين . جاء في
سفر التكوين (الإصحاح ٢٥ : ١٠ – ٢٣) : «وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ

لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل الآرامي، أخت لابان من فدان آرام. وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً، فاستجاب له الرب، فحبلت رفقة امرأته. وتزاحم الولدان في بطنها فقالت: إن كان هكذا فلماذا أنا؟ — تقصد إن كان الأمر بهذه الشدة، وأموت في هذا الجبل، فلماذا أنا حبلت إذن — فمضت لتسأل الرب، فقال لها الرب: في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعبٍ وكبير يُستعبدُ لصغير. أي إن يعقوب الصغير سيستعبد أخاه الكبير عيسو. وإن أبناء يعقوب سيحكمون ويستعبدون أبناء عيسو. هكذا قضى الرب حسب زعمهم.

«فلما كملت أيامها لتلد، إذا في بطنها توأمان. فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر، فدعوا اسمه عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو، فدعى اسمه يعقوب. وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما».

وهكذا تعقب يعقوب بكورية أخيه عيسو، ثم اشتراها منه بعد ذلك كما تزعم التوراة، التي تجعل للبكورية مقاماً عظيماً، وأنه لا يرث من الأب إلا الابن البكر. وكبر الغلامان وكان عيسو إنساناً يعرف الصيد فأحب إسحاق عيسو لأن في فمه صيداً. — سبب غريب للحب — وأما رفقة فكانت تحب يعقوب الذي لم يكن يعرف أن يصطاد والذي سكن الخيام، «وطبخ يعقوب ذات يوم طبيخاً فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيأ، فقال ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر لأنني قد أعييت. . . لذلك دعى اسمه أدوم — أي إدام — فقال يعقوب: بعني اليوم بكوريتك. فقال عيسو: ها أنا ماضي إلى الموت، فلماذا لي بكورية!! فقال يعقوب: احلف لي اليوم، فحلف له، فباع بكوريته ليعقوب، فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس، فأكل وشرب وقام ومضى فاحتقر عيسو البكورية». (سفر التكوين ٢٥ : ٢٧ — ٣٤).

وهكذا تزعم التوراة أن عيسو كان هو الذي يصطاد، وهو الذي يذهب للحقل، بينما كان يعقوب خاملاً يقوم بأعمال المنزل في بعض الأحيان. وكأنه فتاة. ثم تزعم أن يعقوب رفض أن يعطي أخاه قليلاً من إدام العدس والخبز إلا بعد أن باع له عيسو بكوريته. كان عيسو مجهداً جداً، وجائعاً جداً، لدرجة أنه أحس بأنه سيموت، لهذا تنازل عن بكوريته، وأعطاه ليعقوب في مقابل وجبة من الخبز والعدس.

زواج عيسو من الفلسطينيين :

«ولما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجةً: يهوديت ابنة بيرى الحثي، وبسمة ابنة إيلون الحثي. فكانتا مرارة نفس لإسحاق ورفقة» (سفر التكوين ٢٦).

قصة إعطاء العهد ليعقوب بالمكر والخداع :

تزعم التوراة «أن إسحاق لما شاخ وكلت عيناه عن النظر، دعا ابنه عيسو - ابنه الأكبر - وقال له: إنني قد شخت، ولست أعرف يوم وفاتي، فالآن خذ جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لي صيداً، واصنع لي أطعمة كما أحب، واثني بها لأكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت». (سفر التكوين، الإصحاح ٢٧: ١ - ٤). وهكذا ذهب عيسو لإحضار الصيد.

ولسنا ندري لماذا لا تحدث البركة إلا بعد أن يأكل من الصيد ويشرب من الخمر؟! على أي حال كانت رفقة تسمع كلام إسحاق مع عيسو. وبما أن رفقة لا تحب ابنها عيسو، وخاصة بعد زواجه من بني حث الفلسطينيين، وبما أنها تحب يعقوب حباً جماً فقد ساءها أن تذهب البركة لعيسو. لهذا دعت ابنها يعقوب وأخبرته بما قال أبوه إسحاق، وقالت له: «اسمع لقولي. اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى فأصنعهما أطعمة كما يحب، فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقة أمه: هوذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا أملس، ربما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهاون، وأجلب على نفسي لعنة لا بركة. فقالت له أمه: لعنتك علي يا ابني». ذهب يعقوب وأحضر الجديين، وصنعت أمه الأطعمة التي يحبها إسحاق، ولبس يعقوب في يديه وعنقه جلد الجدي، ولبس أوفر ألبسة عيسو التي أعطتها له أمه، ودخل يعقوب على أبيه «وقال يا أبي! فقال - إسحاق - ها أنذا. من أنت يا بني؟ فقال يعقوب: أنا عيسو بركك، قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك» - لا تأتي البركة إلا بعد الأكل - واستغرب إسحاق سرعة عودة عيسو، وشك في الصوت، فالصوت صوت يعقوب، لهذا قال له: تقدم لأجسك يا ابني. فتقدم يعقوب فجسه فقال: «الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. لأن يدي يعقوب كانتا مشعرتين كيدي عيسو»..

وأراد إسحاق أن يتأكد من أن الذي يخاطبه هو عيسو لا يعقوب، فأخذه وقبله، فوجد ربح ثياب عيسو، فاطمأنت نفسه. وقام ليأكل جديين كاملين!! يا للهول رجل قد تجاوز المائة يأكل جديين كاملين في وجبة واحدة، ثم لا يكتفي بذلك بل يأكل معهما خبزاً ويشرب كمية كبيرة من الخمر، حتى تحل البركة وتنزل على يعقوب. لأن البركة لا تنزل إلا بعد الأكل والوجبات الدسمة، وبعد شرب الخمر. وإذا كان الرب كما يزعمون لا يعطي بركته إلا بعد أن يقدم له عدة خرفان مشوية، فمن باب أولى كذلك أن أنبياءه لا يعطون بركتهم إلا بعد تناول جديين من الماعز مع قنينة من الخمر المعتقد!! لعنات الله على اليهود أبد الأبد. أكل إسحاق وشرب وارتوى من الخمر المعتقد. حينئذ بارك ابنه يعقوب وقال له: «فليعطك الله من ندى السماء، ومن دسم الأرض، وكثرة حنطة وخمر، ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل، كن سيداً لإخوتك. وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين. ومباركوك مباركين» (سفر التكوين، الإصحاح ٢٧).

هذه هي البركة.. أموال وحقول، وحنطة وخمر، ولتستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل، لتكن إلهاً من دون الله – والعياذ بالله –. هذه هي مزاعم يهود وفلسفاتهم التي تنضح بالحق على كل البشر، وأن الله قد جعل لهم كل البشر عبيداً إلى أبد الأبد، لأنهم أبناؤه وأحبائه، لا على المعنى المجازي بل على المعنى الحقيقي. فكما أن الابن جزء من أبيه، كذلك فإن الاسرائيلي جزء من الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً –.

فضيحة يعقوب كما ترونها التوراة المحرفة:

وتزعم التوراة المحرفة أن إسحاق ما كاد ينتهي من إعطاء البركة ليعقوب الكاذب المخادع، الذي زعم أنه عيسو، حتى جاء عيسو بصيده وقدمه إلى أبيه قائلاً: «ليقم أبي ويأكل من صيده، حتى تباركني نفسك». فقال له إسحاق أبوه: من أنت؟ قال: أنا ابنك بكر عيسو. فارتعد إسحاق ارتعاداً عظيماً جداً، وقال: فمن هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إليّ فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركتك؟ نعم ويكون مباركاً». فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة جداً ومرةً جداً، وقال لأبيه: «باركني أنا أيضاً

يا أبي». فقال إسحاق: «قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك». (سفر التكوين ٢٧ : ٣٠ - ٣٥).

عيسو يسأل أباه : أما بقيت لك بركة؟

طلب عيسو من أبيه أن يباركه أيضاً. وبما أن البركة لا تأتي إلا بعد أكل الطعام وشرب الخمر، وبما أن إسحاق قد أكل جديين كاملين مع قنينة كاملة من الخمر المعتقدة وكمية من الخبز الجيد، فإن عملية إنزال البركة مرة أخرى أمر متعذر تماماً. لأن بطن إسحاق قد امتلأت لحماً وخبزاً وخمراً، حتى وصل الأكل إلى أعلى المريء. وبما أن عيسو لا يفهم في شؤون الأكل هذه ولا في شؤون البركة، فقد بقي المسكين يلح على أبيه أن يعطيه ولو قليلاً من البركة، ووالده يحاول عبثاً أن يفهمه أن البركة لا يمكن أن تنزل إلا بعد وجبة رهيبة. وبما أنه شعبان فإنه لا يستطيع أن يعطيه أي بركة!!

«صاح عيسو: أما أبقيت لي بركة؟ فأجاب إسحاق: إني قد جعلته سيداً لك، ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً وعضدته بحنطة وخمر - ما دام قد عضده بالحنطة والخمر فإن الأمر قد انتهى تماماً - فماذا أصنع لك يا بني؟» القضية منتهية، ولا مجال فيها للنقاش. البركة نزلت بعد أكل جديين كاملين وبعد شرب قنينة من الخمر المعتقدة، وقد عضد يعقوب بخمر وحنطة. مسألة مهمة جداً حكاية الخمر والحنطة هذه. فلا يمكن فك البركة أو إلغاؤها بأي وسيلة من الوسائل.

وبما أن عيسو رجل متواضع جداً، وليس لديه حقد حتى مع من سرق بكوريته، وسرق بركته، فإنه لم يطلب سوى أن يأخذ ولو شيئاً يسيراً من هذه البركة. ولهذا ظل يردد على مسامع أبيه: «باركني أنا أيضاً. . . ألك بركة واحدة فقط يا أبي». . . ولكن أباه إسحاق أجابه أخيراً ببركة أشبه باللعنة، قال: «هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك. وبلا ندى السماء من فوق. وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد».

هذه هي البركة!! اللعنة التي حصل عليها عيسو من أبيه إسحاق بعد إلحاح منه ومماطلة من أبيه.

صرخ عيسو صرخة عظيمة وبكى بكاءً مرّاً، وحقد على أخيه يعقوب، وحق له

أن يحقد، ولكن رفقة أدركت ذلك كله، ولهذا نصحت ابنها يعقوب بأن يسافر من أرض كنعان، ويذهب إلى خاله لابان في أرض الأراميين في أور كلدان، حتى ينسى عيسو ويذهب حقه على أخيه، لأنها تعرف أن قلب عيسو نقي، مهما أسيء إليه يعفو ويصفح، وهو ليس حقوداً ولا ماكراً كي يعقوب أخيه، حسب زعمهم.

سفر يعقوب وأخذه البركة مرة أخرى :

خرج يعقوب من أرض كنعان وتوجه إلى أرض خاله لابان، بعد أن أوصته أمه أن يخرج خوفاً من بطش عيسو، كما طلبت منه أن يتزوج من بنات خاله. وفعل إسحاق الشيء ذاته قبل سفر يعقوب، وأوصاه بأن لا يأخذ له زوجة من بنات كنعان، وأن يأخذ زوجة من بنات خاله لابان الأرامي. ودعا له مرة أخرى بالبركة «والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثرك فتكون جمهوراً من الشعوب. ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك. لتراث أرض غربتك التي أعطاه الله لإبراهيم» (سفر التكوين ٢٨ : ١ - ٥).

والبركة كما لاحظنا في التوراة هي عبارة عن أرض ومال وكثرة أبناء، وسيطرة على الشعوب الأخرى، وجعلهم عبيداً لهم. إبراهيم كما تزعم التوراة حصل على هذه البركة بواسطة الأغنام التي قدمها محرقة قرباناً للرب. وإسحاق فعل الشيء ذاته. ويعقوب حصل على البركة بخدعة، بعد أن قدم اللحم المشوي لأبيه إسحاق. لا يوجد ذكر في التوراة من أولها لآخرها لليوم الآخر والقيامة والجنة والنار. لا شك أن التوراة الحقيقية كانت مليئة بذكر اليوم الآخر والجنة والنار. ودليل ذلك أن اليهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يزعمون أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة.

قال تعالى :

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة : ٨٠).

ومعنى هذا ببساطة أن التوراة المحرفة الموجودة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم كان فيها ذكر الجنة والنار. أما التوراة التي بين أيدينا فقد مُحي منها ذكر الجنة والنار واليوم الآخر. كل ما يذكر في التوراة من نعيم فهو في الدنيا، وكل ما يذكر فيها

من عذاب وشقاء فهو في الدنيا أيضاً. ألغى أحبار اليهود عقيدة اليوم الآخر والجنة والنار من التوراة مطلقاً.

جعلوا البركة تتحقق في الحصول على الأموال والأنعام، والحرث والأولاد، والخيول المسومة، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة. ولا يهم بعد ذلك كيف حصلوا عليها، ولا من أي طريق وصلوا إليها!! المهم أن يصلوا إليها ويكنزوها ويتحكموا بواسطتها في شعوب الأرض. «لتستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل».

ومهما فعل اليهود من ذنوب وجرائم فإن الله لا يغضب عليهم إلا كما يغضب الأب على ابنه البكر الأثير لديه. يغضب عليه ساعة ثم يعود إليه بالهبات والعطايا. أما الآخرون فليسوا أبناءه، ولا يمكن أن ينالوا رضاه مهما فعلوا من خير، فهو لم يخلقهم أساساً إلا لخدمة ابنه البكر إسرائيل!!

وفي الطريق إلى أرض الأراميين رأى يعقوب الرب واقفاً، فقال له الرب: «أنا الرب إله إبراهيم وإسحاق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيتها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وأنا معك أحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض». (سفر التكوين ٢٨ : ١٠ - ١٥).

زواج يعقوب :

ذهب يعقوب إلى أرض الأراميين كما أوصاه أبوه إسحاق وأمه رفقة. وهناك وجد بعض الرعاة مجتمعين حول بئر مغطاة بحجر ثقيل، فقال لهم: ما لكم لا تسقون؟ قالوا: الحجر ثقيل، ولا نقدر أن نحركها حتى يجتمع الرعاة. فلما رأى يعقوب فتاة جميلة مقبلة هي وأغنامها، دحرج الحجر عن فم البئروسقى لها. وعرف يعقوب أن الفتاة الجميلة هي راحيل ابنة خاله لابان فاحتضنها وقبلها - موقف غرامي من أفلام هوليوود - وجاء لابان وسراً جداً بمقدم ابن أخته. وبقي يعقوب عند خاله لابان يخدمه ويرعى له في مقابل أن يزوجه راحيل الجميلة جداً.

ولما أتم يعقوب مدة خدمته أدخل له لابان البنت الكبرى لينة في الظلام، فبنى بها يعقوب. ولما أصبح الصباح عاتب خاله لابان قائلاً: «ما هذا الذي صنعت بي

أليس براحيل خدمت عندك؟ فقال لابان: لا يفعل هكذا في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل الكبيرة. أكمل أسبوع فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع سنين آخر. ففعل يعقوب هكذا، فأكمل أسبوع هذه، فأعطاه لابان راحيل زوجة له. (سفر التكوين، الإصحاح ٢٩).

تنافس لينة وراحيل:

«ورأى الرب أن لينة مكروهة ففتح رحمها، وأما راحيل فكانت عاقراً، فحبلت لينة وولدت ابناً ودعت اسمه راؤبين، ثم ولدت آخر وسمته شمعون «لأن الرب سمع لي»، وولدت ثالثاً وسمته لاوي، وتأكدت أن زوجها يعقوب سيحبها الآن بعد أن أنجبت له ثلاثة من البنين. ثم ولدت رابعاً وسمته يهوذا، وقالت هذه المرة أحمد الرب.

وغارت راحيل غيرة شديدة، وقالت ليعقوب: «هب لي بنين وإلا فأنا أموت». فقال يعقوب: ألعلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة بطنك؟ فقالت: هوذا جاريتي بلهة ادخل عليها فتلد لك. فدخل عليها يعقوب وأنجبت ابناً سمته راحيل دانا، لأن الله قضى لها ودان، وولدت بلهة ابناً ثانياً سمته راحيل نفتالي، وقالت: مصارعات الله قد صارعتُ أختي.

وحمل الوطيس بين الأختين، وقامت لينة بتقديم جاريتها زلفة وأعطتها ليعقوب وولدت له جاد وأشير. وولدت لينة ابناً خامساً دعت اسمه يساكر وسادساً أسمته زبولون وبنثاً أسمتها دينة.

وأخيراً حملت راحيل وولدت يوسف.

انصراف يعقوب وعودته إلى أرض كنعان:

قرر يعقوب أن ينصرف ويعود بزوجتيه وأولاده العديدين إلى بيت أبيه في أرض كنعان. واحتال يعقوب حيلة ساذجة ليسرق أغنام خاله - حسب زعمهم - اتفق مع خاله على أن يأخذ يعقوب كل شاة رقطاع وبلقاء، وكل شاة بلقاء ورقطاء بين المعز، وكل شاة سوداء بين الخرفان. وأخذ يعقوب الأغنام وجعل قضباناً من أشجار اللوز والدلب وقشر فيها خطوطاً، وأوقف القضبان في مساقى الماء، حيث كانت الغنم تجيء لتشرب، لتتوحم

عند مجيئها للشرب، فتوهمت الغنم عند القضبان، وولدت الغنم مخططات ورقطاء وبلقاء. وأفرز يعقوب الخرفان، وكلما توهمت الخرفان، وضع القضبان أمام عيون الغنم في الأجران. «فاتسع الرجل أي يعقوب كثيراً جداً. وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير». (سفر التكوين ٣٠ : ٢٢ - ٤٢).

وغضب أبناء لابان وقرر يعقوب أن يرحل سراً «فقام يعقوب وحمل أولاده ونساءه على الجمال وساق كل مواشيه وجميع مقتناه الذي اقتنى. وأما لابان فكان قد مضى ليجز غنمه، فسرت راحيل أصنام أبيها، وخدع يعقوب قلب لابان الآرامي إذ لم يخبره بأنه هارب. فهرب هو وكل ما كان له، وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جلعاد».

ولما عرف لابان بالخبر أسرع يغذ السير وراء يعقوب، فلما أدركه أو كاد، جاءه الرب وقال له: «احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر» فخاف لابان جداً. وكلم يعقوب عندما أدركه قائلاً: «ماذا فعلت وخذعت قلبي وسقت بناتي كسبايا السيف؟ لماذا هربت خفية وخذعتني ولم تخبرني حتى أشيعك بالفرح والأغاني والدف والعود، ولم تدعني أقبل بناتي وبنّي؟ في قدرة يدي أن أصنع بكم شراً، ولكن إله أبيكم كلمني البارحة قائلاً: احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر... ولكن لماذا سرقت آلهتي؟!». (سفر التكوين ٣١ : ٣٠).

وأقسم يعقوب أنه لم يسرق آلهة لابان، لأن الذي سرقها هوراحيل. وأظهر يعقوب الغضب لهذه التهمة وقال: «إله إبراهيم وآلهة ناحور وآلهة أبيهما يقضون بيننا». (سفر التكوين ٣١ : ٥٢). وهكذا تتهم التوراة يعقوب بأنه كان مشركاً يحلف بالآلهة الكثيرة التي كان يعبدها ناحور وتارح - آزر - كما تتهمه بأنه كان مخادعاً وكاذباً ومحتالاً وسارقاً وغشاشاً، كذب على أبيه واحتال على أخيه عيسو، وأخذ العهد والبركة بمكر، ثم احتال على خاله، وكذب عليه وسرق أمواله وأغنامه، وسرقت زوجته راحيل آلهة الذهب الكثيرة.

ويا لها من صورة مقززة ترسمها التوراة لنبي كريم من أنبياء الله فتتهمه بكل نقيصة وكل جريمة، ابتداء من الشرك، وانتهاء بالكذب، والخداع، والمكر، والسرقة، وتزعم التوراة أن الرب بارك يعقوب، وأقسم له بالآيمان المغلظة بأن يعطيه الأرض

التي وعدّها لأبيه إسحاق وجده إبراهيم، كما وعده أن يكثر نسله حتى يكون أكثر من نجوم السماء، ومن تراب الأرض ورمل البحر، وذلك في مقابل محرقة ولحم مشوي قدّمه يعقوب للرب إلهه من جملة الأغنام التي سرقها من خاله لابان.

وذهب يعقوب إلى أرض كنعان، وقدم لأخيه عيسو المخدوع هدية مئتي عنز، ومئتي نعجة، وثلاثين ناقة مرضعة، وأربعين بقرة، وعشرة ثيران، وعشرين أتاناً، وعشرة حمير، وعشرين كبشاً، وعشرين تيساً. وأمر يعقوب غلامه بأن يجتاز بها إلى أرض أخيه عيسو، حتى إذا صادف عيسو الغلام وسأله: لمن أنت ولمن هذا الذي قدماك؟ تقول: لعبدك يعقوب. هو هدية مرسله لسيدى عيسو من عبده يعقوب. وأمر جميع الغلمان بأن يقولوا نفس الكلام. «...» (سفر التكوين، الإصحاح ٣٢: ١٣ - ٢١).

وهكذا انخدع عيسو بالكلام المعسول من يعقوب المخادع الماكر حسب مزاعم التوراة المحرفة، وازداد انخداعاً عندما رأى أخاه يعقوب يسجد له إلى الأرض سبع مرات عندما لاقاه، وزعم له أنه عندما رآه فكأنما رأى الله وأصرّ على أن يأخذ منه الهدية لأنه عبده.

يعقوب يصارع الله ويأخذ منه العهد مرة أخرى عنوة حسب زعم التوراة:

لم يكتف الأحرار الذين كتبوا التوراة - عليهم لعائن الله - بما اجتريته أيديهم واقترفوه من الكذب على يعقوب عليه السلام وعلى جميع الأنبياء حتى أتوا بفرية أعظم وبهتان أكبر. زعموا أن يعقوب بقي وحده في الوادي، فرأى الرب على هيئة إنسان، فصارعه يعقوب طوال الليل حتى طلع الفجر. فقال الرب - حسب زعمهم - ليعقوب: ها قد طلع الفجر. أطلقني. فرفض يعقوب أن يطلقه حتى يأخذ العهد مرة أخرى، وهذه المرة بالعنوة والقوة. فقال له الرب: لا يدعى اسمك بعد الآن يعقوب، بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الرب وقدرت، فباركه الرب هناك!!!

وإليك نص ما جاء في سفر التكوين (الإصحاح ٣٢: ٢٤ - ٣٢):

«فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه - أي على يعقوب - ضرب حُقَّ فخذيه. فانخلع حُقَّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال - الرب - أطلقني لأنه قد طلع الفجر. - وهو يخشى الفضيحة، وأن يراه

الناس يصارع يعقوباً — فقال يعقوب: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له — الرب — : ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال — الرب — لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل — أي القوي بالله — لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب — الرب — وقال أخبرني باسمك، فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعى يعقوب اسم المكان فنيثيل قائلاً: لأنني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي. وأشرقت الشمس وهو يجمع على فخذه. لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حُقّ الفخذ إلى هذا اليوم، لأنه — أي الله — ضرب حُقّ فخذ يعقوب على عرق النسا.

يعقوب يخدع أخاه عيسو مرة أخرى حسب زعمهم:

وذهب يعقوب بعد ذلك لمقابلة أخيه عيسو، وقدم له الهدايا الكثيرة من الإبل والغنم والأبقار والحمير، وسجد له سبع مرات إلى الأرض، وأمر زوجته وأبنائه بأن يسجدوا جميعاً لعيسو. واعتذر عيسو عن قبول الهدايا الكثيرة، حتى لا يرزأ أخاه. فقال يعقوب: خذ هذه الهدايا من عبدك، لأجد نعمة في عيني سيدي. إن وجدت نعمة في عينيك تأخذ هديتي من يدي، لأنني رأيت وجهك كما يرى وجه الله فرضيت عليّ. خذ بركتي التي آتي بها إليك. وألح على عيسو حتى أخذ الهدايا. (سفر التكوين ٣٣: ١-١٢).

وهكذا تقع التوراة في تناقضات كثيرة، فتارة تزعم أن إسحاق جعل يعقوب سيداً لعيسو، وتارة تزعم أن يعقوب قال لعيسو: أنا عبدك وأولادي عبيدك، وكل ما عندي هو لك. وسجد له سبع مرات، وقال له: إنه عندما يراه فكأنما رأى الله ذاته — تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً — . وتبرر ذلك أن كل ما فعله يعقوب هو من باب الخداع والمكر، حتى يستطيع أن يمتلك أرض أخيه وأمواله. وما أخبث ما يزعمون.

سكنى يعقوب في أرض شكيم واقتراه

جرمة القتل حسب زعم التوراة:

تزعم التوراة أن يعقوب ذهب إلى أرض شكيم — هي الآن مدينة نابلس في الضفة الغربية — وأقام هناك مذبحاً للرب ودعاه إيل إله إسرائيل!!

«وخرجت دينة ابنة ليتة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض، فرآها شكيم بن

حمور الحوي رئيس الأرض، وأخذها واضطجع معها وأذلها. وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب، وأحب الفتاة ولاطف الفتاة. فكلم شكيم حمور أباه قائلاً: خذ لي هذه الصبية زوجة».

وذهب حمور إلى يعقوب وخطب ابنته دينة لابنه شكيم قائلاً: شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابتكم، أعطوه إياها زوجة، وصاهرونا، تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتاً. وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم. اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها». وعرض عليهم أن يدفع لهم أي مهر يطلبونه مهما غلا هذا المهر.

«فأجاب بنو يعقوب شكيم وحموراً أباه بمكر وتكلموا، لأنه كان قد نجس دينة أختهم. فقالوا لهما: لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر، أن نعطي أختنا لرجل أغلف، لأنه عار لنا، غير أننا بهذا نواتيكم إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر، نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم، ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً.

«فحسن الكلام في عيني حمور وفي عيني شكيم بن حمور. ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر لأنه كان مسروراً بابنة يعقوب. وكان أكرم جميع بيت أبيه». اختتن شكيم وحمور وجميع أهل القرية.

«فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين، أن ابني يعقوب: شمعون ولاوي أخوي دينة، أخذ كل واحد سيفه وأتوا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر، وقتلا حمور وشكيم ابنة بحد السيف. وأخذوا دينة من بيت شكيم. ثم أتى بنو يعقوب على القتل ونهبوا المدينة، لأنهم نجسوا أختهم. غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم، وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيت» (سفر التكوين ٣٤).

وهكذا تزعم التوراة أن دينة زنت مع شكيم بن حمور برضاها، ثم جاء الشاب يريد الزواج منها، وتظاهر الأب يعقوب وأبناؤه بالرضى والقبول، بشرط واحد هو أن يختتن شكيم وحمور وجميع الذكور، وعندما قبل شكيم وأهل القرية بهذا الشرط وكانوا متوجعين في الختان، هجم عليهم أبناء يعقوب وقتلوهم، ثم نهبوا القرية وأخذوا كل ما فيها من أموال وأخذوا النساء سبايا.

وهي صورة توضح إلى أي مدى بلغ اليهود الذين كتبوا التوراة من الحقارة والخسة، حيث زعموا أن يعقوب وبنيه كانوا مثلهم في منتهى الجبن والخسة والندالة والحقارة.

يعقوب يسترضي الرب بمحرقة حسب زعمهم :

عندما قام يعقوب وبنوه بهذه الجريمة الخسيسة، خشي يعقوب على نفسه من انتقام سكان أرض فلسطين. وقال لأبنائه: إننا نفر قليل، والآن يجتمع علينا أهل هذه الأرض فيبيدونني. لهذا اتجه يعقوب إلى الله وأقام مذبحاً في بيت إيل وقرب له مجموعة من الأغنام المشوية شيئاً جيداً فتنسم الرب رائحة الرضا، وطلب يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا. فأعطوا يعقوب كل الآلهة التي في أيديهم. فطمرها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم - نابلس - . وتقدم للرب في بيت إيل، فباركه الرب وزرع الخوف في قلب أهل فلسطين وما حولها، فلم يسعوا للانتقام من يعقوب وبنيه. (سفر التكوين، الإصحاح ٣٤ و ٣٥).

وهكذا تزعم التوراة أن بيت يعقوب، وأبنائه وزوجاته، كانوا يعبدون الأوثان وهو راضٍ وساكت. فلما بدت له حاجة من الرب كي يحميه من سخط الفلسطينيين على فعلته الشنعاء وجريمته النكراء، تقرب للرب وترك الأرباب الأخرى التي كانت معه ومع أهله وبنيه، وطمرها تحت البطمة في قرية شكيم. وسرَّ الرب جداً برائحة اللحم المشوي، ونزل وخاطب يعقوب وجهاً لوجه، ووعدته بتكثير نسله وجعلهم مثل رمل البحر وتراب الأرض ونجوم السماء، وأن أبنائه سيكونون ملوك الأرض وسادتها. وأعطاه العهد والمواثيق بذلك. «ثم صعد الرب فنصب يعقوب في المكان الذي تكلم فيه الرب عموداً من حجر وسكب عليه سكباً وصبَّ عليه زيتاً، ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت إيل». (سفر التكوين ٣٥).

صورة مزرية أخرى من صور الوثنية. يضع يعقوب نصباً ويصب عليه الزيت ثم يعبد بعد ذلك هذا النصب والوثن.

مصائب أبناء يعقوب :

تزعم التوراة المحرفة أن يعقوب رحل من بيت إيل، وأن راحيل ولدت ابنها

الأخير بنيامين ثم ماتت أثناء النفاس وذلك في موقع مدينة بيت لحم ونصب لها يعقوب عموداً على قبرها. ثم رحل إلى مجدل يمدر.

رأوبين يزني بامرأة أبيه :

«وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأوبين — بكر يعقوب — ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل». (سفر التكوين ٣٥ : ٢١ — ٢٢).

لم يعلن إسرائيل — يعقوب — غضبه على هذه الفعلة الشنعاء، بل سكت عليها وبارك ابنه البكر رأوبين، الذي قال له : «رأوبين أنت بكري قوتي وأول قدرتي. فضل الرفعة وفضل العز، فائراً كالماء لا تتفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك. حينئذ دنسته. على فراشي صعد». ثم تكلم يعقوب عن كل واحد من بنيهِ. . «جميع هؤلاء هم أسباط إسرائيل الإثني عشر. وهذا ما كلمهم به أبوهم وباركهم. كل واحد بحسب بركته باركهم وأوصاهم. وقال لهم : أنا الغنم إلى قومي. ادفنوني عند آبائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثي» — في حبرون = مدينة الخليل — . وهناك دفنوا يعقوب مع أبويه إسحاق وإبراهيم.

يهوذا يزني بكنته ثماراً زوجة ابنه عير :

(سفر التكوين، الإصحاح ٣٨ : ٦ — ٢٧) :

يهوذا هو أحد الأسباط وأشجع أبناء يعقوب. وقد جاء في سفر التكوين الإصحاح ٣٨ قصة زنى يهوذا بكنته ثامارا. وإليك نص ما ورد في التوراة المحرفة :

«وأخذ يهوذا زوجة لعير بكره. وكان عير شريراً في عيني الرب فأماته الرب. فقال يهوذا لأونان — ابنه الثاني — ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلاً لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له. فكان إذا دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه. — ومعنى ذلك أن أونان كان يعزل، لأنه لو أنجب من ثامارا لدعي النسل لعير. وهو منطق غريب كل الغرابة وسخيف كل السخف — . فقبح في عيني الرب ما فعله أونان (لماذا ؟) فأماته أيضاً (غريب جداً هذا التصرف) . فقال يهوذا لثامارا كنته اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني. . فمضت ثامارا وقعدت في بيت أبيها — وهكذا كانت المرأة تحبس على الصبي حتى يكبر فإن شاء

تزوجها، وإن شاء زوجها من أراد وأخذ مهرها — وهي نفس عادات العرب في الجاهلية التي أبطلها الإسلام — . ولما طال الزمان ماتت امرأة يهوذا، فصعد يهوذا إلى جُراز غنمه إلى تمّنة . . فأخبرت ثامارا وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى تمّنة ليجز غنمه، فخلعت عنها ثياب ترمّلها، وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمّنة . لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة . فنظرها يهوذا وحسبها زانية، لأنها كانت قد غطت وجهها — عجيب!! الزواني فقط هُنَّ اللاتي يغطين وجوههن — فمال إليها على الطريق، وقال هاتي أدخل عليك . لأنه لم يعلم أنها كُتته — يا للوقاحة المتناهية — فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل علي؟ فقال: إني أرسل جدي معزى من الغنم . فقالت: هل تعطيني رهناً حتى ترسله؟ فقال: ما الرهن الذي أعطيك؟ فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك . فأعطّاها ودخل عليها فحبلت منه . ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترمّلها .

ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا، وقيل له قد زنت ثامارا كنتك، وها هي حبلى من الزنى . فقال يهوذا: أخرجوها فتحرق — يا للهول — . أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة: من الرجل الذي هذه له أنا حبلى . وقالت: حقق لمن الخاتم والعصاة والعصا هذه . فتحققها يهوذا وقال: هي أبرّ مني لأنني لم أعطيها لشيلة ابني .

صورة بشعة ووقحة وقذرة، تجمع أخلاق يهود من التظاهر بالدين، حيث يطلب يهوذا المجرم الزاني أن تخرج ثامارا وتحرق لأنها زانية، فلما تحقق أنها حبلى نتيجة زناه هوبها، قال: هي أبرّ مني . والأصح أن يقول: أنا أفجر منها وأفسق . فهو فاجر فاسق متظاهر بالدين حسب نصوص التوراة المحرفة .

وولدت ثامارا من زناها بيهوذا المجرم توأمين: أحدهما فارص، والآخر زارح . وتحذّر من فارص ولد الزنى داوود كما يزعمون . أما سليمان بن داوود فكان أيضاً حسب قولهم ابن زنى، عندما قام داوود — حسب زعمهم — بالاعتداء على حليمة جاره أوريا الحثي وقائد جيشه . وأنجبت من زناها بداوود حسب افتراءهم سليمان .

يوسف (عليه السلام)

تذكر المصادر التاريخية أن دخول يوسف إلى مصر كان في القرن السابع عشر قبل الميلاد، في عهد الرعاة الهكسوس الذين احتلوا مصر سنة ١٧١٠ قبل الميلاد. والهكسوس من العرب القدماء. وقدم بنو إسرائيل إلى مصر حيث أكرمهم الهكسوس. وكان عددهم سبعين شخصاً عند دخولهم مصر، وعندما طُرد الهكسوس من مصر عام ١٥٨٠ ق. م اشتد الأذى على بني إسرائيل.

تعرض التوراة المحرفة قصة يوسف عليه السلام بصورة مغايرة في الهدف والغاية لما هو موجود في القرآن الكريم. وليس يوسف الذي تصوره التوراة المحرفة مشابهاً ليوسف الصديق، النبي الكريم، الذي يتحدث عنه القرآن المجيد. لا نجد تلك النصاعة والأمانة والبراءة والقوة في دين الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد، بل على العكس من ذلك نجد صورة مغايرة، فيها لمحات من قصة يوسف الحقيقية.

تبدأ القصة بأن يعقوب أحب يوسف حباً جماً أحفظ إخوة يوسف عليه. وجاء يوسف وقص على إخوته أنه رأى في المنام أنه حزم حزمة في الحقل فانتصبت حزمته، وجاءت حزم إخوته وسجدت له. ثم حلم مرة أخرى وقص ذلك على إخوته، وقال لهم: إن الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً رأيتهم لي ساجدين. فنهزه أبوه وازداد إخوته غيظاً. (سفر التكوين ٣٧).

وذهب إخوة يوسف يرعون أغنامهم. فقال يعقوب: اذهب وارعى الغنم مع

إخوتك وأخبرني بسلامة إخوتك وسلامة الغنم ورد لي خبراً. فلما وصل يوسف إلى إخوته قالوا: «هوذا صاحب الأحلام قادم. فالآن هلم نقتله». . . فسمع رأوبين وأنقذه من أيديهم وقال: لا تسفكوا دماً، اطرحوه في هذه البئر. وإذا بقافلة من الإسماعيليين قادمة، فقرر يهوذا الاستفادة من ذلك، واتفق مع إخوته على بيع يوسف لهم. وعندما ذهب إلى البئر لم يجد يوسف لأن جماعة من أهل مديان سبقوهم إليه وباعوه لقافلة الإسماعيليين.

أخذ الإخوة قميص يوسف وغمسوه في دم تيس من المعزى، وقالوا لأبيهم: وحشٌ رديءٌ أكل يوسف. فمزَّق يعقوب ثيابه، ووضع مسحاً على حقويه، وناح على ابنه أياماً كثيرة. فقام جميع بنيه وبناته ليعزوه، فأبى أن يتعزى، وقال: إني أنزل إلى الهاوية نائحاً على ابني^(١). وأما يوسف فاشترى فوطيفار رئيس شرط فرعون. وأحبه سيده وجعل ثقته الكاملة فيه. وكان فوطيفار مخصياً، ورغم ذلك كانت له زوجة. وأعجبت السيدة بجمال يوسف، وقال له اضبطجع معي! فرفض. فأمسكت بثوبه، فترك ثوبه في يدها وهرب خارجاً. فغضبت وصرخت وكلمت أهل بيتها قائلة: إن يوسف جاء ليضبطجع معها، فلما صرخت هرب منها وترك ثوبه إلى جانبها. وأخبرت زوجها بذلك. فغضب زوجها، ووضع يوسف في السجن.

وحدث أن ساقى ملك مصر وخبازه أذنباً إلى سيدهما ملك مصر، فغضب عليهما وأدخلهما السجن مع يوسف. وحلم كل واحد منهما حلماً. قال رئيس السقاة: رأيت كرمة، وفي الكرمة ثلاثة قضبان أفرخت وأنضجت عناقيدها عنباً. وكانت كأس فرعون في يدي، فأخذت العنب وعصرته في الكأس وقدمته لفرعون. فقال يوسف: الثلاثة قضبان هي ثلاثة أيام، في ثلاثة أيام يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مقامك، وتعود ساقياً لفرعون كما كنت. اذكرني عند سيدك فرعون، لأنني لم أفعل شيئاً حتى وضعوني في السجن.

وقال رئيس الخبازين: إني رأيت ثلاث سلالٍ حواري على رأسي، والطيور تأكل

(١) هذه صورة زرية لشخص لا إيمان له. ومستحيل أن يكون ذلك قد صدر من يعقوب عليه السلام.

من السلة التي على رأسي. فقال يوسف: في ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك عنك، ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمتك عنك.

وبالفعل حدث الأمر تماماً كما أخبر به يوسف. لكن رئيس السقاة لم يذكر يوسف لفرعون. وبعد مرور سنتين حلم فرعون حلماً، وإذا هو واقف عند النهر، وإذا سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف. وحلم ثانية فإذا سبع سنابل سمينة وحسنة يأكلهن سبع سنابلات يابسات. ولم يجد فرعون من يعبر له الرؤيا. وها هنا تذكر رئيس السقاة يوسف. وأخبر فرعون بقصته. فدعا فرعون بيوسف وقص عليه حلمه. فقال يوسف: قد أخبر الله فرعون ما هو صانع. البقرات السبع الحسنة هي سبع سنين، والسنابل السبع الحسنة هي سبع سنين، هو حلم واحد. والبقرات السبع الرقيقة القبيحة والسنابل السبع الفارغة، تكون سبع سنين جوعاً. قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع. هوذا سبع سنين قادمة شعباً عظيماً في كل أرض مصر، ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً. فينسى كل الشعب في أرض مصر ويتلف الجوع الأرض. واقتراح يوسف على فرعون أن يأخذ خمس غلة الأرض في سبع سني الشبع، ويخزنها لأعوام الجوع. فأعجب فرعون بذلك، وجعل يوسف على خزائن مصر، وجعل له حكم أرض مصر نيابة عنه. وخزن يوسف قمحاً كرملاً البحر! وجاءت أيام الجوع.

«ولم يكن خبز في كل الأرض. لأن الجوع كان شديداً جداً. فخورت أرض مصر وأرض كنعان من أجل الجوع. فجمع يوسف كل الفضة الموجودة في أرض مصر وفي أرض كنعان، بالقمح الذي اشتروا. فلما فرغت الفضة من أرض مصر ومن أرض كنعان، أتى جميع المصريين إلى يوسف قائلين: أعطنا خبزاً، فلماذا نموت قدامك؟ فقال يوسف: هاتوا مواشيكم فأعطيكم بمواشيكم. فجاءوا بمواشيهم إلى يوسف. فأعطاهم يوسف خبزاً بالخيول والغنم والبقر والحمير. فقاتهم في تلك السنة بدل جميع مواشيهم.

ولما تمت السنة الثانية جاؤوا ليوسف ليأخذوا منه قمحاً فرفض أن يعطيهم قمحاً حتى باعوا أراضيهم وأنفسهم، قالوا له: اشترينا وأرضنا بالخبز، فنصير نحن وأرضنا عبيداً لفرعون. وأعط بذراً لنحيا ولا نموت، ولا نصير أرضنا قفراً. فاشتري يوسف كل

أرض مصر لفرعون. فصارت الأرض لفرعون. وأما الشعب فنقلهم إلى المدن وجعلهم عبيداً لفرعون. وقال يوسف: إني قد اشتريتكم اليوم لفرعون. هوذا لكم بذار فتزرعون الأرض». (سفر التكوين، الإصحاح ٤٧).

وهكذا تحول يوسف إلى مصاص دماء لشعب مصر. أعطاهم من القمح الذي أخذه من أرضهم أيام الرخاء، وأخذ منهم كل الفضة، ثم أخذ منهم جميع المواشي والخيول والأبقار والحمير، ثم أخذ منهم أرضهم وجعلهم عبيداً لفرعون.

إنها صورة للاستغلال البشع الذي يمارسه اليهود ضد شعوب الأرض. زعموا كذباً وبهتاناً أن يوسف عليه السلام مارسه ضد شعب مصر وضد الشعوب الأخرى.

وتعرض التوراة المحرفة يوسف وهو يسجد لفرعون. ويوسف وهو يقسم بحياة فرعون فهو يقول لإخوته: «وحياة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجيء أخيكم الصغير». وإلا فحياة فرعون إنكم لجواسيس». (سفر التكوين ٤٢: ١٥ - ١٧).

ورغم هذا نجد بعض التشابه فيما ورد في قصة يوسف في التوراة وفي القرآن الكريم. ولكن يبقى بعد ذلك الاختلاف كاملاً في التصور والمنهج والتفاصيل. فيوسف في التوراة يبدو في نهاية المطاف في صورة يهودي يمتص دماء البشر ويأخذ منهم كل ما يملكون من مال وماشية ودواب وأثاث، ثم يأخذ أرضهم ويجعلهم عبيداً، في مقابل حفنة من القمح. إنها صورة منفرة، حاشا لله أن تكون ليوسف بن يعقوب النبي الكريم ابن النبي الكريم.

موقف بعض الكتاب من الأنبياء عليهم السلام:

يوجد بعض الكتاب من العرب الذين يزعمون أنهم يفضحون اليهود فيقومون في أثناء ذلك بشتم أنبياء الله ومنهم يوسف عليه السلام، على اعتبار أنه باع الأرض والشعب لفرعون، بعد أن أخذ أموالهم ومواشيهم وكل ممتلكاتهم. كما نجدهم يقفون في صف فرعون عليه لعائن الله ضد موسى وقومه، ومع العماليق ضد يوشع بن نون، ومن معه، ثم يقفون مع هؤلاء العماليق ضد طالوت - شاول - وداود عليه السلام.

وهو موقف أعمى أملتة العصبية القومية ضد اليهود، بحيث لم يميزوا بين هؤلاء

اليهود الخبثاء الذين لعنهم الله ولعنهم الأنبياء، وبين الأنبياء المطهرين ومن تبعهم من المؤمنين، وهم نفر قليل من خلاصة بني إسرائيل. فالقوم الذين ذهبوا مع طالوت ولم يشربوا من النهر كانوا فئة قليلة، ولكنها فئة مؤمنة مدحها الله سبحانه وتعالى ونصرها على جالوت الطاغية وقومه.

وأي موقف ضد هذه الفئة المؤمنة يقفه أي إنسان مهما كان اسمه، وفي صف جالوت، يجعله يخرج مباشرة من صف المؤمنين إلى صف الكافرين. كذلك فإن أي مساس بأي نبي من أنبياء بني إسرائيل الذين ذكرهم الله جل وعلا في كتابه العزيز ومدحهم يعتبر قدحاً في العقيدة وخروجاً من الملة.

شتم الأنبياء كفر صريح :

ونحن لا نقبل بأي حال من الأحوال وتحت أي مسمى من المسميات من أي شخص كان أن يكفر بآيات الله ويستهزئ بها، ولا نقبل بأي حال من الأحوال أن يذكر أي نبي من أنبياء الله عليهم صلاة الله وسلامه جميعاً بسوء. ونعتبر من ذكرهم بسوء قريناً لهؤلاء اليهود الكفرة الذين افتروا على الله الكذب، ووسموا أنبياء الله بكل نقيصة وألصقوا بهم كل رزية، واتهموهم بمقارفة الفاحشة والكذب والسرقة والغش والخداع والظلم والقتل وسفك الدماء وقتل الأبرياء. بل وصلت الوقاحة (القمة) بأخبار اليهود محرفي التوراة أن زعموا أن هؤلاء الأنبياء كانوا ممن يفعلون الفاحشة بمحارمهم. ويدّعون أن إبراهيم عليه السلام تزوج أخته سارة، وأن لوطاً نكح ابنتيه، وأن رأوبين بن يعقوب اعتدى على امرأة أبيه بلهة، وأن يهوذا زنى بزوجة ابنه ثامار، وأن أمنون بن داود زنى بأخته بنصيحة الحكيم يوناداب. وأن يوشلام بن داود زنى بعشر من نساء أبيه، وأن يوشع بن نون تزوج راحاب الزانية التي ولدت بنات كن أمهات لثمانية من أنبياء بني إسرائيل، وأن داود هو من نسل فارص الذي نتج من زنى يهوذا بن يعقوب بثامار كته. وأن داود نفسه زنى بحليلة جاره وقائد جنده أوريا الحثي، ثم دبر مكيدة لاغتياله، وأنه أنجب من هذا الزنى سليمان. وأن سليمان تزوج ألف امرأة وسرية في وقت واحد، وأنه عبد الأصنام والأوثان واستخدم السحر.

إنكار وجود إبراهيم وبنيه :

ربما كان لبعض الباحثين من غير المسلمين العذر في اتهام العهد القديم بأنه كتاب يأتي بقصص أشخاص لا وجود لهم. وينكر بعض الباحثين وجود إبراهيم عليه السلام نفسه. وقد تأثر بهذا الرأي للأسف الشديد طه حسين في كتابه « في الأدب الجاهلي ». وقد أدى ذلك إلى تكفير طه حسين وإلى حرق كتابه ذاك. وأعلن طه حسين رجوعه، وأزال الفقرة التي نفى فيها وجود إبراهيم عليه السلام من طبعات الكتاب اللاحقة. وقد وجدنا رجاء جارودي يميل إلى هذا الرأي أيضاً في كتابه «إسرائيل الصهيونية السياسية» وناقشته في هذه النقطة عندما قابلته في مؤتمر في المغرب، فقال: إنه لا يوجد دليل تاريخي على أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب كانوا موجودين فعلاً، وأنهم عبروا إلى فلسطين ومنها إلى مصر، بل إن العبرانيين مجموعة من القبائل المختلفة الذين عبروا النهر، ولهذا سمو العبرانيين.

ولما قلت له نحن المسلمين لا نحتاج إلى أي دليل آخر إذا ورد ذلك في القرآن الكريم. فقال أنا أؤمن بالقرآن، ولكنني كنت أتحدث فقط عن الدليل التاريخي. وسنذكر مزاعم فرويد حول موسى عليه السلام في حينها (ص ١٨٤ وما بعدها).

يعقوب يصف أبنائه الاثني عشر :

تزعّم التوراة (سفر التكوين الإصحاح ٤٩) أن إسرائيل (يعقوب) دعا بنيه وقال لهم: «اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام. اجتمعوا واصغوا إلى إسرائيل أبيكم. وأوبين أنت بكرى قوتي وأول قدرتي، فضل الرفعة، فضل العزّ. فائراً كالماء، لا تفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك، حينئذ دنّسته، على فراشي صعد. شمعون ولاوي أخوان. آلات ظلم سيوفهما. في مجلسهما لا تدخل نفسي، بمجمعهما لا تتحد كرامتي، لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً وفي رضاها عرقبا ثوراً. ملعون غضبهما فإنه شديد وسخطهما فإنه قاس. أقسمُهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل. يهوذا إياك يحمد إخوتك — زنى بزوجة ابنه — يدك على قنا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك. يهوذا جرو أسد. من فريسة صعدت يا ابني. جثا وربض كأسد وكلبوة،

من ينهضه؟! لا يزول قضيب من يهوذا ومشتري من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب، — المقصود المسيح الدجال — رابطاً بالكرمة جحشه، وبالجفنة ابن أتان، غسل بالخمير لباسه وبدن العنب ثوبه. مسود العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن — دائماً يأتي ذكر الخمر وشربها في معرض المدح — . زبولون عند ساحل البحر يسكن وهو عند ساحل السفن وجانبه عند صيدون. يساكر حمار جسيم رابض بين الحظائر، فرأى المحل أنه حسن والأرض أنها نزهة. فأحنى كتفه للحمل وصار للجزية عبداً. دان يدين شعبه كأحد أسباط إسرائيل. يكون دان حية على الطريق، أفعواناً على السبيل يلسع عقبى فرس فيسقط راكبه إلى الراء، لخلصك انتظرت يا رب.

«جاء يزحمه جيش ولكنه يزحم مؤخره. أشير خبزه سمين وهو يعطى لذات ملوك. نفتالي أيلة مسيبة يعطي أقوالاً حسنة. يوسف غصن شجرة مثمرة على عين. أغصان قد ارتفعت فوق حائط، فمررت ورمته واضطهدته أرباب السهام. ولكن ثبتت بمثانة قوسه، وتشددت سواعد يديه من يدي عزيز يعقوب من هناك، من الراعي صخر إسرائيل. من إله أبك الذي يعينك ومن القادر على كل شيء الذي يباركك. . . . بركات أبك فاقت على بركات أبوي. . . بنيامين ذئب يفترس في الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يُقسّم نهباً.

«جميع هؤلاء هم أسباط إسرائيل الاثني عشر. وهذا ما كلمهم به أبوهم وباركهم. كل واحد بحسب بركته باركهم». «ثم مات يعقوب وأسلم الروح وانضم إلى قومه».

ما عدا يوسف عليه السلام نرى البركات التي حلت بالأحد عشر الآخرين عدوان وظلم وجرائم وجبن وخسة، وحية على الطريق وأفعوان على السبيل. . . . ويا لها من بركات يعاني العالم من ويلاتها إلى اليوم!!!

يعقوب وبنوه في القرآن الكريم:

ترد قصة يعقوب عليه السلام ومعاناته ضمن قصة يوسف التي ترد كاملة في سورة واحدة هي سورة يوسف. وهي القصة الوحيدة التي ترد كاملة في سورة واحدة في

القرآن الكريم . أما بقية القصص فتزد مفرقة في عدة سور .

ويرد ذكر يعقوب عليه السلام في لحظة الاحتضار في سورة البقرة ، وهو يوصي
بنه بأن لا يعبدوا إلا الله ، فيوجه إليهم يعقوب عليه السلام السؤال :

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٣) .

فهذا الشيء الذي يشغل بال يعقوب في لحظة الاحتضار ، والذي يريد أن يطمئن
عليه ليموت قرير العين ، هو أن لا يعبد أحد من أبنائه شيئاً سوى الله وحده لا شريك
له ، وأن يعيشوا ويموتوا على ملة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ، وأن يكونوا
مسلمين مستسلمين لله منقادين لأوامره .

وتُفتح سورة يوسف بقوله تعالى :

﴿ الرَّقِيبُ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٣) (يوسف ٢ - ٣) .

لن نخوض ها هنا في معاني الحروف المقطعة فموضعها كتب التفسير وما ورد
فيها . . . وهي على الجملة من الأمور التي لم يرد في تفسيرها نص ، لا في القرآن
ولا في السنة . ولهذا كثرت الأقاويل فيها . والقول المأمون فيها : الله أعلم بمراده .

ويذكر المولى تعالى أنه أنزل القرآن العظيم بلسان عربي مبين رحمة منه وفضلاً
لهذه الأمة التي اختارها لتحمل الرسالة الخاتمة .

وتبدأ الإشارة إلى قصة يوسف عليه السلام بقوله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ
قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢) (يوسف : ٣) .

ولا شك أن أحسن القصص وأصدق وأروع هو ما ورد في القرآن الكريم . ومن

أحسن هذا القصص قصة يوسف عليه السلام لما اشتملت عليه من العبر وما ظهر فيها من الابتلاء وما يعقب ذلك الصبر من الفرج .

والقصة عبارة عن مشاهد فنية رائعة، بها فجوات تترك ليملأها الخيال متماشياً مع السياق . وهي ذات حبكة درامية وفنية لا ترقى إليها أي قصة من القصص البشري . يبدأ المشهد الأول بمشهد الصبي يوسف وهو يقصص على أبيه حلماً رآه :

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ (يوسف : ٤) .

إنه حلم عجيب لا يستطيع الخيال أن يتابعه أو يتملاه : الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً من الكواكب السيارة تسجد للصبي يوسف . . . يا ترى كيف تسجد هذه الشمس والأقمار والكواكب؟! نترك ذلك للخيال يحاول أن ينطلق ليرى كيف تسجد هذه الكواكب والشموس .

ويأتي رد يعقوب عليه السلام ﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ . ملفتاً للنظر ومشيراً إلى أن هناك مشكلة بين يوسف وإخوته . يوسف الصغير المحبب لدى أبيه ، وإخوته الكبار العشرة الذين يغارون غيره شديدة من حب أبيهم ليوسف ، رغم أن يعقوب عليه السلام لم يحاب يوسف في شيء ، ولم يعطه أكثر مما أعطى إخوته الآخرين ، وحاشاه أن يفعل ذلك . فقد عدل فيما يملك . أما قلبه الذي لا يملكه فهو بيد الله يصرفه حيث يشاء ، ويوجه حبه لمن يريد . وكانت صفات يوسف جديرة بهذا الحب الغامر فهو على دماثة خلق ونجاسة وجمال . . . ومخايل نبوة تبدو على ملامحه الصديقية يراها أبوه بفراسته ونبوءته . تحدث يعقوب إلى ابنه الصغير يوسف مشفقاً عليه مما يمكن أن يفعله إخوته الكبار به إذا علموا بهذا الحلم الذي يشي برفعة يوسف حتى تسجد له الشمس والقمر والكواكب ، أو حسبما أدرك يعقوب من تأويلها أنه وزوجته وأولاده الأحد عشر سيسجدون ليوسف إعظماً له وإكراماً . قال يعقوب متمماً كلامه :

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ

يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

(يوسف: ٦).

قال بعض المفسرين^(١): إن هذا القول الأخير لم يكن من كلام يعقوب بل هو من كلام المولى عز وجل في معرض الامتنان على يوسف عليه السلام.

ولا شك أن يوسف لم يخبر إخوته بما رأى، على عكس ما ورد في التوراة من أنه أخبر إخوته بهذا الحلم وحلم قبله. ولعل أحداً في الدار كان يسمع يوسف وهو يقصُّ على أبيه ما رآه فبلغ إخوة يوسف بذلك. وحكى لهم ما سمع، فزادوا غيظاً على غيظ، وحنقاً على حنق، فدبروا مكيده للتخلص من يوسف.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ (يوسف: ٧-١٠).

اجتمع الإخوة وبدا الشر في أعينهم ونطق الشيطان على ألسنتهم: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً - ارموه في أرض بعيدة - يخل لكم وجه أبيكم، ويتمحض لكم حبه، ثم تكونوا بعد ذلك قوماً صالحين!! استيقظ ضمير أحدهم ورأى بشاعة جريمة القتل - يقال: إنه رأوبين - ، قال: لا تقتلوا يوسف... إنها جريمة نكراء شنعاء. يكفيكم أن تضعوه في أحد الآبار على الطريق التي تتردد عليها القوافل، فإذا مروا بها يستقون وجدوا يوسف وأخذوه معهم عبداً. هذا هو أقصى ما يمكن أن تفعلوه بيوسف إن كنتم لا زلتم مصرين على إبعاده عن وجه أبيكم.

كلام يبدو منه كره وبغض للجريمة الشنعاء، جريمة القتل التي فكروا فيها.

(١) هذا ما ذهب إليه الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن».

وعدم رغبة حقيقة في إبعاد يوسف بأي طريقة من الطرق. إلا أن وضعه في الجب أخف وطأة من جريمة القتل النكراء التي فكروا فيها.

وأمام إصرار رأوبين قرروا تنفيذ الجريمة الأخف. ذهبوا إلى أبيهم متظاهرين بحب يوسف ﴿قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون. أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون. قال: إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون. قالوا: لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون﴾.

ذهبوا إلى يعقوب قائلين: لماذا يبقى يوسف حبيس الجدران في البيت؟! فإن ذلك يؤذيه ويجعل جسمه نحيلًا ووجهه مصفرًا. لماذا لا ترسله معنا يرتع ويلعب كما يلعب الصبيان، فينطلق في مرحة ولعبة، وتتحسن صحته ونفسيته؟! أعلن لهم يعقوب أن ذهاب يوسف من مجلسه يحزنه. ازدادوا غيظًا بهذا الجواب وكتبوا الرد في أنفسهم... عما قريب لن يكون في مجلسك أبداً وستنساه تماماً... وأعلن يعقوب أنه يخاف أن يأكله الذئب وهم عنه غافلون بالرعي أو اللعب. مشيراً إلى ما يعتمل في نفوسهم من حقد على يوسف وعدم رعاية له. أنكروا ذلك إنكاراً شديداً وقالوا: ﴿لئن أكله الذئب ونحن عصبة — عشرة رجال أقوياء أشداء — إنا إذاً لخاسرون﴾. وافقهم يعقوب على مضض... وانطلق يوسف مع إخوته.

﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾. أخذوا يوسف وأسرعوا ينفذون خطتهم الدنيئة. أخذوه ورموه في الجب، بعد أن ضربوه وخلعوا قميصه عنه، وهو يسترحمهم، وهم يضحكون... أدركته عناية الله وامتلاً قلب الصبي ثباتاً وأمناً تماماً كما فعل إبراهيم عليه السلام حينما ألقي في النار. وقيل: إن القميص الذي كان على إبراهيم في لحظة الإلقاء في النار جاء به جبريل وألبسه يوسف وإخوته يطرحونه في غيابة الجب. بشره أيضاً جبريل بأنه سينبئهم بأمرهم هذا يوماً ما وهم لا يشعرون به ولا يعرفونه.

انتهت مهمة الإخوة بنجاح... نظر بعضهم إلى بعض... أحس رأوبين الأخ الأكبر الذي اعترض على قتل يوسف بشيء من وخز الضمير... ماذا نقول لأبينا عند عودتنا إليه؟؟ استخدموا نفس الحجة التي لقنكم إياها أبوكم... قولوا له: أكله الذئب. لقد

ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فجاء الذئب وأكله . ذهبوا سخلة^(١) ولطخوا قميصه بدمها . نسوا مع الارتباك أن يمزقوا القميص . ذهبوا إلى أبيهم عشاءً يكون ويصرخون . فزع يعقوب وأحس أن قلبه يكاد ينخلع . يوسف ليس معهم ، فراسته صدقت ، ما بالكم يا بني ؟ ﴿ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ، وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ عرفوا الشك في عين يعقوب . تحول الشك إلى يقين عندما قدموا له الدليل . قميص يوسف ملطخ بالدم ، ولكن القميص سليم !! قال يعقوب في نفسه : واعجباً لذئب يأكل يوسف دون أن يمزق قميصه !! تماسك يعقوب بالصبر الجميل واستعان بالله على مصيبتة في يوسف ومصيبتة في أبنائه .

قال تعالى :

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

وها هنا عدة اختلافات عما هو موجود في التوراة . . ففي التوراة أن يوسف قص على إخوته أحلامه ، وفيها أن يعقوب هو الذي أرسل يوسف في إثرهم ليعرف أخبارهم ويأتيه بها ، وأنهم لم يطلبوا من يعقوب أن يذهبوا بيوسف . وفيها أن يعقوب عندما سمع ما أخبروه به من أن وحشاً رديئاً افترس يوسف بكى عليه وناح ورفض أن يقبل العزاء ، ومزق ثيابه وقال : « إلى الهاوية سأذهب حزناً على يوسف » . وهذا أمر منافٍ لمقام النبوة ، وحاشا ليعقوب أن يفعله بل كان من أمره ما قصه علينا القرآن الكريم . قال : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً . فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ . كان يعقوب متأكداً في أعماقه أن يوسف لم يمت . قلبه يحدثه أنه لا يزال حياً ، وقلبه قلب نبي لا يكذب أبداً . صحيح أن حزنه على فراق يوسف شديد ، ولكنه كان يتصبر

(١) السخلة : الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز حين يولد وما دام رضيعاً .

ولا يبدي جزعه أبداً، في شموخ وعزة وقف يعقوب يكفكف عبراته ويطوي حزنه في أعماق نفسه. فلما اشتد عليه الحزن بثه إلى مولاه وخالفه... إنه ابتلاء من الله. عندما رُزق إبراهيم عليه السلام بإسماعيل في سن الشيخوخة أمره الله بذبحه. وانصاع إبراهيم للأمر العسير وهمّ بذبح ابنه. ذبح حبه من قلبه حتى أصبح القلب مجرداً لحب الله وخلته. الشيء ذاته يتكرر بالنسبة ليعقوب بصورة أخف. يعقوب لا يستطيع أن يذبح يوسف بيده. إيمانه عظيم لكنه لم يبلغ تلك الذروة التي بلغها إيمان إبراهيم. يأتيه الابتلاء في صورة أخرى. أبناءه يذهبون بيوسف ويخفونه بطريقة ما. يشتعل الحزن في قلب يعقوب، يزداد التجاؤه إلى الله، يزداد حباً لله وتعلقاً به، يرتفع مقامه بهذا الابتلاء.

يوسف عليه السلام أيضاً يواجه الابتلاء صابراً محتسباً. صبي صغير يُرمى في غيابة الجب وظلماته دون ذنب أو جريرة. بقي يوسف منتظراً الفرج من الله وهو جالس فوق صخرة من الجب. جاءت قافلة وإخوة يوسف يلمحونهم من بعيد. أدلوا دلوهم ليستقوا. تعلق يوسف بالدلو. قال الذي أخرج يوسف: يا بشري هذا غلام... أي يا بشري - وهي قراءة صحيحة -... لأن من وجد شيئاً اعتبر له. لما رأى إخوة يوسف ذلك أسرعوا إلى القافلة وقالوا لهم: هذا عبدنا وغلاننا هرب منا واختبأ في البئر. وقد سئمنا من هروبه فاشتروه منا. أحس أصحاب القافلة أن هؤلاء الرجال زاهدين في الغلام فاشتروه بثمن بخس دراهم معدودة.

قال تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩)

أخذت القافلة الغلام معها وتوجهوا إلى مصر ببضاعتهم. وهناك باعوا بضاعتهم وباعوا الغلام لعزیز مصر الذي ألقى الله في قلبه حب الغلام. اشتراه بثمن كبير.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةٍ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (٢٠)

كان الرجل عقيماً، وقيل إنه كان عنيماً أيضاً. وورد في التوراة أنه كان مخصياً وهو أمر مستبعد إذ إن المخصي لا يتزوج.

يقرر المولى سبحانه وتعالى أن هذه المهانة الظاهرة ليوسف تخفي في طياتها الخير والبركة ليوسف عليه السلام ولأهل مصر ولأهل فلسطين ولجميع البلاد من حول مصر. سيمكن الله ليوسف في أرض مصر وسينقذ الله به شعوباً كثيرة من المجاعة. وتظهر في ذلك أعاجيب القدرة حيث يختفي وراء الابتلاء والمهانة الظاهرة عز ورفعة، وتحقيق خير ليوسف وأبويه وأهله وذويه ولشعوب الأرض في مصر والمناطق المحيطة بها.

قال تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

ولكن قبل أن يصل يوسف إلى التمكين في الأرض لا بد من الابتلاء مرة أخرى. ها هو يوسف الغلام يشب في قصر العزيز. . وها هي امرأة العزيز تهيم حباً بهذا الفتى الجميل، الممشوق القد، البهي الطلعة، الجميل الوجه، الصادق في كلامه، المهذب في أخلاقه، الحلو الحديث، اللطيف المعشر، ها هو الفتى العبراني يكتسب ثقة سيده بحكمته وصدقه وحسن تصرفه، فيطلق سيده يده في قصره وفي شؤونه الخاصة. .

وتتعرض المرأة ليوسف يوماً بعد يوم بالإغراء، وبالتلميح، وبالإشارة، ويوسف يتجاهل تلميحاتها، ويعرض عن إغرائها، إغراضاً كريماً دون أن يجرحها. . وازداد الهيام بالمرأة ووجدت أن التلميح لا يغني عن التصريح. راودته مباشرة إيه يا يوسف لو تعلم لواعج قلبي وهيام كبدي!! أمسكت بيديه، وغلقت الأبواب كلها، وقالت هيت لك وهيت لك، تهيب به أن يقرب إليها. احمرت وجنتا يوسف خجلاً وغضباً. قال: معاذ الله، إنه ربي أحسن مثواي. . الله أحسن مثواي. . وربى سيدي زوجك أيتها المرأة الشقية أحسن مثواي وأكرمني واثمنني على دخائله وخصائصه وقصره ولست بالذي أخونه.

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ
مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ
نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ
قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي
لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

جاءت المرأة صاحبة السلطان وصاحبة الجمال وصاحبة المال وعرضت نفسها
على يوسف مرة بعد مرة بصور من التلويح والإغراء، ولكن ذلك كله لم يفلح مع
يوسف. جعلت كرامتها تحت قدميها، ووضعت ذلك كله على قدمي يوسف. الحب
ليس له حدود عند هذه المرأة. هذا الفتى العبراني ملك شغاف قلبها. وكأمرأة ذات
تجارب، وذات سلطان، وذات جمال ومال، أقفلت الأبواب، وأحكمت الرتاج، بعد
أن استدعت يوسف إلى مخدعها، وقالت له هيت لك، وفي قراءة هيات لك. . دعوة
صريحة قوية.

ارتفع يوسف عن ذلك كله وقال:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ
وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

همت به بالمعصية، واختلف المفسرون في همه عليه السلام بها. قال بعضهم:
همُّ بها ليضربها. وقال بعضهم: بل هناك تقديم وتأخير في الآية: أي همت به ولولا

أن رأى برهان ربه لهم بها. وهو أقربها إلى الصحة. لذا فهو لم يهتم بها أصلاً.
﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤).

فر يوسف يجري نحو الباب وجرت المرأة ورائه ممسكة بشوبه حتى تمزق ثوبه في يدها. فتح يوسف الباب وإذا بالعزیز نفسه أمامه، وامرأة العزیز تلهث وراء يوسف وعطرها وثيابها تومىء بالتهمة لها. ولكنها امرأة متمرسة تماكنت أعصابها وقالت لزوجها:

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥).

حددت التهمة وحددت نوعية العذاب الذي ينبغي أن يقع على يوسف. لقد جرحت كرامتها ومع هذا لا تزال تحب هذا الفتى العبراني لا تريد أن يقتل مثلاً.

اضطر يوسف للدفاع عن نفسه ﴿قال: هي راودتني عن نفسي﴾. ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ قيل كان طفلاً صغيراً في المهد أنطقه الله لتبرئة يوسف عليه السلام. وقيل بل كان من المقربين إلى العزیز من ذوي الحكمة وأصالة الرأي. قال الشاهد: ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾. . . ياله من حكيم ذو فراسة ودراية. إن كان القميص قد مزق وقطع من الخلف فلا شك أنه كان هارباً وكانت المرأة تريد اللحاق به. وإن كان القميص قد مزق من الأمام فلا شك أن المرأة كانت تدافع عن نفسها والرجل مقبل عليها. وقدم تهمته على تهمتها لمكانتها. ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾.

وقد يستغرب المرء هذا الموقف الفاتر من عزيز مصر وهو يرى زوجته تريد أن تخونه وتتهم هذا الفتى الغريب بعد أن فشلت خطتها في إيقاعه في حبالها. كان المرء يتوقع أن يصفعها على وجهها مثلاً. . . ولكنه موقف رجال القصر وعلية القوم والطبقة الأرستقراطية التي لا تنفعل لهذه الأمور مثلما يفعل لها عامة الناس. إنه رجل هادئ جداً. من رجال الطبقة الممتازة في المجتمع، الطبقة التي تكثر فيها الخيانات الجنسية، دون أن تثور نخوتهم وتغلي دماؤهم. . . قال لها: ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن

عظيم ﴿. كلمة أشبه بالمدح في هذا المقام منها بالذم . وما نظن أن امرأة العزيز استاءت من تلك الكلمة، بل لعلها سُرَّت بها . رأى العزيز ذلك فالتفت إلى يوسف قائلاً: ﴿يوسف أعرض هذا﴾ أهمل هذا الموضوع ولا تعره اهتماماً ولا تتحدث به . المهم عنده أنه لا تزكم الأنوف رائحة الفضيحة . فالطبقات الأرستقراطية في كل مكان وفي كل زمان مولعة بالفضائح تلوكها ألسنتها، وتبدي فيها وتعيد . ثم التفت مرة أخرى إلى زوجته ﴿واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾ .

وهذه الكلمة توضح أن حكام مصر في تلك الآونة مع ترفهم كانوا على صلة بالله . ربما مع الشرك . . ولكنهم مع ذلك مقرون بالله ، وأنه لا بد من الاستغفار من الذنب الذي يلُمُّ به الإنسان . ولعل كون العزيز عنيماً كما تزعم بعض الروايات أحد الأسباب التي جعلت العزيز فاتراً في تقريره لزوجته على فعلتها الشنيعة تلك .

أراد العزيز أن يسدل الستار على هذه الحادثة . ولكن الجدران لها آذان وربات القصور فارغات لاهيات ، انتقلت الرواية من فم إلى آخر . أصبحت حديث الطبقة المرفهة . نساء المدينة ذوات العز والجاه أبدين اهتماماً غريزياً بهذه القصة . . أصبح هذا الحدث موضوع المنتديات وخاصة منتديات النساء ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، قد شغفها حباً، إنا لنراها في ضلال مبين﴾ . أصبحت امرأة العزيز حديث المجالس . وسمعت امرأة العزيز بما تقوله هؤلاء النسوة، وقررت في نفسها أمراً . أقامت وليمة لكل نساء الصفوة في المجتمع ، النساء اللاتي لا يملن من الثروة والكلام بسبب الفراغ والثروة والجاه والمال . دعتهن جميعاً لهذه الوليمة ، ثم أعطت كل واحدة منهن سكيناً ليقرشن التفاح ، فلما تم لها ذلك أمرت يوسف بالدخول عليهن . وها هنا تحدث المفاجأة . . ذهلت النسوة عن التفاح وقطعن أيديهن وصرخن ما هذا بشراً إن هذا إلا مَلَك كريم .

قال تعالى يصف هذا المشهد:

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاوِءَاتٍ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا

مَلِكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ .

صورة عجيبة فريدة لمجتمع مترف أرستقراطي تبلغ فيه سيطرة المرأة هذه الوقاحة المتناهية . استطاعت امرأة العزيز أن تفاجيء مجتمع النسوة بيوسف . اشتعلت في قلوبهن الغيرة . عرفن أن امرأة العزيز لم تكن تراود فتى عادياً . إنه فتى أوتي شطر الحسن كله . . . مع عزة وإباء ، وشموخ نفس وطهارة ذيل ، تزيده جمالاً على جمال ، وجاذبية على جاذبية . بدأ مجتمع النسوة من الطبقة الأرستقراطية بكامله يغالزن يوسف . كل واحدة منهن ترمي شباكها حوله ، وتقول له : أطع مولاتك !! يا للهول !! وتتوابع امرأة العزيز فتعترف صراحة بفعلتها الشنعاء وتؤكد ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ، ولئن لم يفعل ما أمره لیسجننَّ وليكونا من الصاغرين﴾ . إنها تؤكد تهديدها بأن السجن سيكون مصيره إذا لم يفعل معها الفاحشة . . . وقاحة لا نظير لها وجرأة يستغربها الإنسان . ولكن المرء إذا عرف جو الطبقات المترفة في أي مكان في العالم ، وفي أي زمان من الأزمنة ، وجد أن الصورة هي الصورة ، وإن اختلفت السمات والشيئات .

زاد البلاء على يوسف . لم يعد يواجه إغراء امرأة العزيز وحدها ، ولكنه يواجه إغراء علية القوم كلهن . وفيهن فائنات بارعات الحسن والجمال ، عليمات بأسرار الإغراء والإغواء . التجأ يوسف عليه السلام إلى ربه :

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ .

صرف الله عنه كيد النساء . . عرفوا طهارة يوسف وعزة نفسها . اشتعلت نفوسهن رغبة فيه ، ولكنهن عرفن أن هذه الرغبات لا مجال لها للتنفيذ مع يوسف .

عرف رجال البلاط وعلية القوم بالحادثة . بدأت الألسن تتحدث عن امرأة العزيز وعلية القوم . ما بال هؤلاء الرجال الذين يحكمون مصر ويتحكمون في شعبها لا يستطيعون أن يتحكموا في نزوات نسايتهم؟! بدأ الحديث يصل إلى الشعب . إذاً الأمر جد خطير . : لقد تحولت قصة يوسف مع امرأة العزيز ومع نساء علية القوم إلى

مادة تمسُّ هبة الحكم وسلطانه. قررت السلطة الحاكمة كما هو معتاد في مثل هذه الظروف أن تزج بيوسف في السجن، حتى تسكت الألسنة عن قضية يوسف وقصته مع نسائهم، وليوهموا الشعب أن يوسف هو الذي كان يراود امرأة العزيز عن نفسها.

دخل يوسف السجن راغباً فيه. . ﴿السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه﴾ استجاب الله دعوته وأدخله السجن. السجن أخف من ارتكاب الفاحشة في مجتمع استمرّ الرذيلة واعتادها حتى أنه ليفاخر بها، ويتحدث عنها علانية ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ سجنوه بعد اقتناعهم ببراءة يوسف. لفقوا له التهمة ووضعوه في السجن كما هو معتاد دون محاكمة.

دخل يوسف السجن ثابت القلب والجنان. خلا فيه إلى نفسه وإلى ربه. عاد إليه الهدوء، وجد الوقت للعبادة والتفكير. بدأ يدعو المسجونين إلى عبادة الله. أسلوبه جذاب، صورته مغناطيس، كلامه يصل إلى القلب مباشرة. آمن به السجنان. ومجموعة من المساجين. وذات يوم دفع السجنان إلى غرفة يوسف بسجينين مهمين من أفراد الحاشية. رئيس السقاة ورئيس الخبازين. ربما حدثت مؤامرة في القصر ضد الملك، واتهم الاثنان بالاشتراك فيها. أحدهما بريء والثاني متلبس بتلك الجريمة. أنسا من يوسف هذا النور، فاطمأنت قلوبهما له. ظهر لهما من يوسف هذه القدرة على تفسير الأحلام وتعبير الرؤيا. قصّ عليه كل واحد منهما حلمه وفسره له يوسف.

قال تعالى:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَنِى أُعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّى أَرَنِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِ خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا (كان يخبرهما بنوع الطعام قبل مجيئه). ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىْ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِىَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْدِحِّى السَّجْنَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ

دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ
أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

هكذا تحول تفسير الحلم إلى دعوة كاملة إلى التوحيد. . دعوة شفافة تصل إلى القلوب مباشرة دون أي عائق. . دعوة إبراهيم وإسحاق ويعقوب. . دعوة التوحيد التي جاء بها الأنبياء جميعاً. لا يترك يوسف تلك الفرصة تفلت من يده. الأذان مصغية والقلوب متلهفة لمعرفة الحلم وتفسيره. ويوسف عليه السلام يستفيد من تلك الحالة النفسية المدعنة للحق الطالبة له، فيعرض عليها الإيمان بالله وحده، لينجيها مما هي فيه من ظلمات الكفر، وليأتي بعد ذلك تفسير الحلم. . ويكون التفسير المرعب لأحدهما دافعاً للإيمان بالله وحده، فإذا خسر الدنيا كسب الآخرة، ويكون بالنسبة للآخر مذكراً بالآخرة ونعيمها بحيث لا يغتر برضا الملك عنه. جاء جواب السؤال بعد أن انتهى من القضية الأساسية وهي قضية الإيمان. قال يوسف عليه السلام مفسراً الحلمين: ﴿يا صاحبي السجن. أما أحكما فيسقي ربه خمرأ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه، قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أيها الساقى ستعود كما كنت تسقي الملك خمرأ. . وأنت أيها الأخ الآخر تجاوز عن ذكره حتى لا يؤلمه، فإنك ستصلب وتأكل الطير من رأسك. قيل إنهما قالاً ليوسف: ما رأينا شيئاً. قال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان. وبالفعل خلال ثلاثة أيام أخرجنا من السجن، وعاد أحدهما وهو الساقى إلى القصر، وحمل الآخر فصلب حتى أكلت الطير من رأسه. ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه. فلبث في السجن بضع سنين﴾ قال يوسف للساقى إذا تحققت مما قلت لك وأصبحت ساقى الملك مرة أخرى، اذكرني عنده وخبره بشأني وإني قد أدخلت السجن ظلماً. ولكن الساقى أخذته النشوة وحياة القصر فنسي تماماً وعده ليوسف، حتى جاء يوم رأى فيه الملك حلماً غريباً قال عنه الكهان والحكماء: أضغاث أحلام. وما نحن بأضغاث الأحلام بعالمين. ساعتهما فقط تذكر الساقى يوسف وكيف فسر له ولصاحبه أحلامهما الغريبة، وطلب من الملك أن يرسله إلى السجن ليأتيه بيوسف وهو الوحيد الذي يستطيع أن يفسر رؤيا الملك الغريبة.

قال تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَى تَعْبُرُونَ ﴾ (٤٣) قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ - أي بعد زمن - . أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٍ أَكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ۞

جاء الساقى ومعه ثلة من القوم . . أخبر يوسف بالحلم ، أجابه يوسف على الفور بتعبير الرؤيا :

ستأتيكم سبع سنين رخاء ، احتفظوا بالقمح في سنابله إلا قليلاً مما تأكلون . . فإن وراء هذه السبع السمان سبع عجاف يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تدخرون وتحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون الزيت والعنب من وفرة ما ينتجون . هكذا أخبرهم يوسف عليه السلام في بساطة بتعبير الرؤيا ، ولم يكتف بذلك بل أخبرهم كيف ينقذون مصر وما حولها من هول المجاعة القادمة . . وبشرهم بأن المجاعة تنتهي بعام من الخصب والرخاء يكثرفيه الزرع ، ويعصرون فيه العنب والزيتون لكثرتهم . وهو أمر لم يرد أي شيء عنه في رؤيا الملك .

انتقل الساقى ومن معه إلى الملك وأخبروه بما قال يوسف وتعجب الملك من هذا الفتى الفذ الذي أدرك الحلم وفسره وأضاف إليه التدابير الوقائية لحماية شعب مصر والشعوب المجاورة من خطر المجاعة ، ولم يكتف بذلك كله وإنما بشرهم بعام الخصب بعد أعوام المجاعة . صاح الملك في ملئه : اثتوني به . ذهب الرسل سراعاً وأخبروا يوسف بأمر الملك . قال يوسف للرسول : ﴿ ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة

اللاتي قطعن أيديهن . إن ربي بكيدهن عليم ﴿٥٠﴾ . أراد يوسف محاكمة عادلة لتظهر براءته أمام الملك وأمام الشعب . فوجيء الملك بيوسف يرفض الخروج من السجن حتى ينال محاكمة عادلة . دعا الملك نساء عليه القوم وعلى رأسهم امرأة العزيز . قال الملك :

﴿ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۖ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

اعترفت النساء من عليه القوم ببراءته مما اتهم . وجاء اعتراف امرأة العزيز صريحاً قوياً .

﴿ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

وأضافت وهي تعترف أنها لا تبالي بما سينالها من مكروه نتيجة هذا الاعتراف العلني طالما علم يوسف أنها لم تخنه بالغيب . إنها تهتم فقط بأن يعرف يوسف عنها أنها أحبته بصدق . تحول الحب الجسدي إلى نوع آخر شفاف من الحب ، وحب عميق علمها الصدق والأمانة والخشية ، علمها أن تتصل بالله وتقول :

﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

هكذا بكل تبطل وخشوع تعود المرأة العاشقة المفتونة بجمال يوسف إلى امرأة شفافة . حب يوسف لا يزال كامناً في القلب ، بل هو أقوى مما كان عليه من قبل ، ولكنه حب سام له شفافية ورقة وحياء ، حب يدفع إلى الأخلاق العالية حتى تقترب من المستوى السابق الذي كان عليه يوسف ، لتكون في يوم من الأيام قريبة من مستواه وأهلاً لمبادلته الحب .

عرف الملك صدق يوسف وحكمته وحنكته . انطلقت الألسن بالشناء عليه .

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

عرف الملك من يكلم . بهرته ثقافة يوسف وحكمته وعلمه ونبوغه وتواضعه . كان

الملك ذو ثقافة واسعة وعلم باللغات وبمجريات الأمور. اختبر يوسف بنفسه، بقي معه أياماً وهو يتحدث معه. كلما تشعب الحديث كلما ازداد إعجاباً بيوسف وشغفاً به. قال له:

﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٥٤).

قال يوسف عليه السلام:

﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٥).

تلك مهمة صعبة لا يستطيع أحد من رجال القصر أن يقوم بها. متابعة المزروعات والمالية، وكيفية المحافظة على فائض الزرع في تلك الأيام الخصبة لمواجهة الأيام العسيرة المقبلة، أمر يعرف يوسف عليه السلام أنه لا يستطيع أن يقوم به أحد غيره. طلب الوظيفة الصعبة ليقوم بواجبها، وكان في إمكانه أن يطلب أي وظيفة أخرى لا تكلفه عتاً ولا مشقة. ولكنها النبوة والأمانة تفرض على يوسف أن يؤدي واجبه في الموقع الذي ينبغي عليه أن يشغله، وأن ينقذ شعوب الأرض في ذلك الزمان عندما تجذب أرض مصر وما حولها وتصاب بالجفاف الشديد لمدة سبع سنوات عجاف.

وهكذا مكن الله ليوسف في الأرض لينقذ به شعوب الأرض، ولينقذ به يعقوب وبنيه، وليرفع مكانته ومكانتهم ببركته.

قال تعالى:

﴿وكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧).

ومضت أيام الرخاء سراعاً، وأعقبها المجاعة. جاء شعب مصر يطلب الميرة فوجدها جاهزة. وجاءت الشعوب الأخرى من حول مصر بعد أن أنشبت المجاعة أظفارها فيهم. وأقبل إخوة يوسف بأحمالهم وبضاعتهم الرديئة، عملة مزيفة يقدمونها ليوسف ليبتاعوا من القمح الذي امتلأت به مخازن مصر.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ

بِحَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَّا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

دخل إخوة يوسف عشرة رجال، سألهم يوسف عن أرضهم وعن بلادهم. وجاء السؤال عرضاً، هل لكم من إخوة آخرين؟ قالوا: نعم، هناك أخ من أبينا يتسلى به عن شقيقه الذي فقده منذ زمن. قال يوسف: لماذا لا تأتون بهذا الأخ حتى تزددوا كيل بعير؟ ألا ترون أنني أوفي الكيل، وقد أنزلتكم خير منزل؟! لقد شوقتموني إلى أخيكم هذا وقصته. إني أريد أن أراه، فإن لم تأتوا به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون مرة أخرى. وعدوه بأنهم سيحاولون ذلك مع أبيهم الشيخ. رجعوا إلى بلادهم، وجدوا الميرة ووجدوا بضاعتهم - أي نقودهم - ردت إليهم، وهم لا يستحلون أخذها مرة أخرى، فلا بد من إرجاع الميرة أو النقود.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ - يا له من توبيخ وتقريع - . فَأَلَّاهُ خَيْرَ حَافِظٍ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعُ غَنَمٍ رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزَّدَا كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ﴾ ﴿٦٥﴾

لما يروونه من إكرام العزيز - وهو يوسف - لهم. قال يعقوب عليه السلام:

﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ

شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

أمرهم أبوهم أن يدخلوا من أبواب مختلفة حتى لا يتهموا بريئة، أو يصابوا بالعين، وحتى يتحسسوا من يوسف ويتسمعوا شيئاً من أخباره لعل الله يعلمهم بشيء منها، خاصة وأن القافلة التي أخذت يوسف كانت قد اتجهت إلى مصر حينما وضعوه في غيابة الجب.

عاد الإخوة مرة أخرى إلى مصر. ومعهم هذه المرة بنيامين شقيق يوسف الأصغر — ولد بعده مباشرة لأنهما كانا توأمين — وفرح يوسف بشقيقه. احتال حتى كلمه وقال له: إنه أخوة، وإنه سيأخذه منهم، وإنه سيتهمه بطريقة غير مباشرة بالسرقة. قال تعالى يصف ما حدث:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ — وَهِيَ صَوَاعُ الْمَلِكِ الْمَصْنُوعُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْمَرْصَعُ بِالْجَوَاهِرِ — فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنُ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦٤﴾ — أي كفيل — . قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾

يقصدون أن من سرق يسترَق ويصير عبداً لمن سرقه. ولم يكن القانون كذلك في مصر، بل كان من سرق يعزر ويسجن، ولكن الله ألهم يوسف هذا السؤال حتى يأخذ أخاه — ولو طبق قانون الملك في مصر لما استطاع أن يأخذ أخاه، بل عليه أن يضعه في السجن — قال تعالى يصف ما فعله يوسف:

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا

لِيُؤْسَفَ مَا كَانَ لِيَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ - أي في قانون الملك - . إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
 نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ
 سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ *

سرعان ما اتهم إخوة يوسف الكبار أخاهم بنيامين بالسرقة . ولم يكتفوا بذلك بل
 قالوا :

﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

متهمين يوسف نفسه بالسرقة . قيل إن يوسف رأى صنماً لأحد أخواله ، أوجده
 لأمه - لابان - فغضب وأخذه ورماه دون أن يخبرهم بذلك ، لأنه لا يريد أحداً من أهله
 أن يعبد الأصنام . وقد فعل ذلك يوسف حمية لدين الله وهو طفل صغير . فاتهموا لذلك
 يوسف بالسرقة . كتم يوسف غيظه وقال في نفسه : أنتم شر مكاناً . أنتم الذين أخذتم
 أخاكم وأردتم قتله ثم أجمعتم على رميه في غيابة الجب ، ولم ترعوا قرابته فيكم . وهو
 لم يذنب إليكم ولم يرتكب جريمة ضدكم .

انطلق إخوة يوسف يستعطفونه وهم لا يعرفونه :

﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا
 ظَلَمُوتٌ ﴿٧٩﴾ *

ولم يتهم أخاه بالسرقة بل قال : معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده حتى
 لا يتهمه ظلماً .

﴿ فَلَمَّا اسْتِئْذِنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ
 أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ
 أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

يشس القوم من استعطاف يوسف وخرجوا من عنده وهم يتناجون ماذا يفعلون؟ قال كبيرهم رأوبين يذكرهم بالعهد والميثاق الذي قطعوه على أنفسهم أمام أبيهم: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله؟! ثم ذكرهم بتفريطهم بيوسف وهو الوحيد الذي رفض فكرة قتل يوسف، واقترح عليهم بدلاً منها إلقاؤه في العجب، ومع ذلك حاول أن يشيهم عن تلك الفكرة وأن يرقق قلوبهم من أجل يوسف.

بدأت رحلة العودة بالنسبة لرأوبين سريعاً. وبدأ الندم يدبُّ إلى بقية إخوته رويداً رويداً. أمرهم رأوبين أن يرجعوا إلى أبيهم وأن يقولوا له:

﴿إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَأَلَ الْقَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وإذ المشهد كله قد انتقل من مصر إلى فلسطين وهم قد قالوا لأبيهم ما أوصاهم به أخوهم الأكبر رأوبين. ونفاجأ بجواب يعقوب عليه السلام الذي رفض تصديق هذه القصة المختلفة، فهو أعرف بابنه، وابنه لا يمكن أن يسرق مهما كانت الظروف.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

الألم يعتصر يعقوب عليه السلام ومع ذلك فهو صابر يكظم غيظه. إن الذين أخذوا يوسف هم أبناؤه، ثم ها هم يأخذون بنيامين ويدبرون أمراً لإبعاده عنه. إن الألم الممض يعتصر نفسه اعتصاراً. لو كان الذين اعتدوا على ولديه من الأجانب والأبعاد لربما كانت الحسرة أخف وأقل، ولربما جاهدتهم وقاتلهم، ولكن الجناة هم أيضاً فلذات كبده. ازداد الألم والحزن وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم. . يا للصبر!! إنه

لا يتحدث عن مكابדתه وحزنه وألمه حتى لهؤلاء الأبناء، إنما يشكو بثه وحزنه إلى الله .
والبث هو الحزن والألم العظيم الذي لا بد أن يبث من شدته وهوله، ولكنه لا يبث
شكواه إلا لخالقه، وهو يعلم من الله أنه لا بد سيلتقي بيوسف يوماً ما وستحقق الرؤيا
التي رآها يوسف في طفولته . سيسجد له أبواه وإخوته أجمعون، لهذا أمرهم يعقوب
بأن يذهبوا مرة أخرى إلى مصر، وأن يتحسسوا من يوسف وأخيه، وأن لا يئأسوا من
روح الله وفرجه، إنه لا يئأس من روح الله ورحمته إلا القوم الكافرون .

رجع الإخوة حسب أمر أبيهم للمرة الثالثة إلى مصر، وتنقلنا المشاهد القرآنية من
مصر إلى فلسطين ومن فلسطين إلى مصر في نقلات سريعة بها فجوات تترك للمشاهد
أن يملأها بخياله . .

ها هم الإخوة ينتقلون من بلد لآخر في رحلات مرهقة متعبة . . مرهقة جسدياً
ونفسياً، ومعها المعاناة والصقل، المعاناة النفسية تزداد حتى تبلغ ذروتها عند رؤيتهم
ليوسف للمرة الثالثة . الألم والندم والتعب قد أخذ منهم كل مأخذ .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّلَةٍ فَأَوْفِ
لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (٨٨)

أحس يوسف نبرة الصدق مع الألم الممض في حديثهم . إن الضرّ قد أخذ منهم
كل مأخذ، والندم لما فرطوا في يوسف من قبل قد اشتعل في نفوسهم، وزاد معه
التقريع من أبيهم ومن أخيهما الأكبر رأوبين . تعب الطريق، ومشقة السفر وعناء الرحلة،
بالإضافة إلى الألم النفسي الممض، كل ذلك جعل يوسف عليه السلام يرفع الستار
عن المأساة ويخبرهم الخبر . ﴿ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم
جاهلون ﴾ عقدت الدهشة ألسنتهم !! يا للمفاجأة العظيمة !! إنهم يذوبون خجلاً من
يوسف، ومع ذلك كان هناك شعور داخلي يهتف بالفرحة، ها هو يوسف أخيراً، وفي
أي مكانة ورفعة !!

﴿ قَالُوا أَتَىكَ لَآتٍ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ
مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ

اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ .

تصافت النفوس، واعترف الإخوة بذنبهم وأقروا بجريرتهم، وبادر يوسف بالعفو عنهم - قال: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾، ثم دعا لهم بالمغفرة وذكرهم برحمة الله الواسعة ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ وأعطاهم قميصه لينطلقوا به ويلقوه على وجه يعقوب فيرتد بصيراً. قيل إن هذا القميص هو قميص إبراهيم عندما أُلقي في النار، وإن جبريل جاء به إلى يوسف عندما أُلقي في الجب، واحتفظ به يوسف، ولبسه للمرة الأخيرة ثم أعطاه لإخوته ليلقوه على وجه أبيهم الذي ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ ﴿٩٤﴾ .

معجزة لنبي كريم من أنبياء الله، شم رائحة يوسف منذ أن خرجت العير من مصر وهي لا تزال في البيداء تبعد عن فلسطين مسافات طويلة شاسعة.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ ﴿٩٥﴾ .

سكت يعقوب ولم يرد عليهم إتهامهم.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ .

هنالك بكى الإخوة عند قدمي أبيهم واعترفوا بذنبهم وطلبوا منه أن يستغفر لهم.

﴿قَالُوا يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ .

أجل الاستغفار لوقت السحر فهو أخرى بالإجابة. وقد قال تعالى:

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (١٧). (آل عمران: ١٧).

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيحين أنه قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له» لهذا أجل يعقوب عليه السلام استغفاره لهم إلى وقت قمين بالإجابة وهو وقت السحر.

جاء القوم كلهم، يعقوب وبنوه وأولادهم، سبعون نفرًا. انطلقوا من منطقة بيت المقدس إلى مصر.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا — سجدود تحية وانحناء لا عبادة — .
وَقَالَ يَتَابَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ .

هكذا تطف ربي سبحانه وتعالى حتى جعلني حاكماً على مصر، فكل ما أصابني من مصائب في الظاهر كانت رحمة في الباطن. فالحمد لله الذي جمع شملنا وجاء بكم من البدو — وفي هذه دلالة على أن مصر كانت في حضارة باذخة في ذلك الوقت حتى أن من كان في فلسطين يعتبر في بادية، على ما في فلسطين من حضارة — ، وقد ذهب كيد الشيطان بعد أن نزغ بيني وبين إخوتي، وها نحن على وئام وصفاء ومحبة، إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم.

استقرت الأسرة الكبيرة في مصر، وشاخ يعقوب وحضرته الوفاة، جمع أبناءه حوله وقال لهم:

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣). (البقرة: ١٣٣).

اطمأنت نفس يعقوب ومات قرير العين. وتذكر التوراة أنه أوصى بنقل جثمانه لكي يدفن مع آبائه إبراهيم وإسحاق في مغارة المكفيلة في حقل عفرون في مدينة الخليل، وذهب يوسف وحاشيته وجميع أبناء يعقوب لدفنه. وأما المناحات التي تذكرها التوراة، والأشهر العديدة التي قضاها يوسف في تلك المناحة، فأمر لا نصدق، وهو أمر لا يليق بالفضلاء من الرجال فكيف بالأنبياء!!!.

ومضى الزمان، واشتأقت نفس يوسف للقاء ربه. قال:

﴿ رَبِّ قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفِّني مُسْلِمًا وَالْحَقِّني بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١١).

أعلن يوسف عليه السلام تمسكه بالإسلام في لحظة الوفاة كما أعلنها من قبل أبوه يعقوب، لينبه بنيه وذويه إلى التمسك بها، فهي العروة الوثقى لا انفصام لها. وبكت مصر كلها على يوسف، واختصموا في دفنه، وقيل: إنهم جعلوه في تابوت وجعلوا التابوت في أعلى النيل لتعم بركته أرض مصر، وأن موسى أخذه عند الخروج من مصر ودفنه في مدفن آبائه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون في مدينة الخليل التي يسمونها حبرون، وقيل غير ذلك.

من هم الأسباط؟ وهل هم أنبياء؟

ذكر الله تعالى الأسباط في كتابه في آيات عدة من القرآن الكريم. قال تعالى:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٦).

(البقرة: ١٣٦).

وقال تعالى:

﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٠).

(البقرة: ١٤٠).

وورد ذكر الأسباط أيضاً في سورة آل عمران آية ٨٤، وسورة النساء آية ١٦٣، وسورة الأعراف آية ١٦٠. وقد اختلف أهل التفسير في معنى الأسباط، ومن هم هؤلاء الأسباط، وهل هم أنبياء؟ على أقوال سنوجزها فيما يلي:

● الأول: أن الأسباط هم بنو يعقوب عليه السلام. قاله قتادة. وهم اثنا عشر رجلاً وولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا أسباطاً.

● الثاني: الأسباط حفدة يعقوب وذريته أبنائه الاثني عشر، ذكره الزمخشري في الكشاف ووافقه فيه الرازي في التفسير الكبير.

● الثالث: الأسباط قبائل بني إسرائيل، قاله البخاري وذكر أن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل وما أنزل من الوحي على الأنبياء منهم.

وقال القرطبي: وسموا الأسباط من السبط وهو التابع فهم جماعة. وقيل أصله السَّبَطُ بالتحريك وهو الشجر أي في الكثرة، بمنزلة الشجرة الواحدة سبطة. ثم قال والسبط الجماعة والقبيلة الراجعون إلى أصل واحد. والمقصود من ذلك أنهم ذريته يعقوب من أبنائه الاثني عشر. والأسباط هم الأنبياء من بني إسرائيل.

وقد اتفق أهل الإسلام على أن يوسف عليه السلام نبي ورسول. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾. (غافر: ٣٤).

وهو كلام مؤمن آل فرعون يقصه المولى عز وجل في معرض المدح لهذا الرجل المؤمن.

أما إخوة يوسف فقد اختلف أهل العلم فيهم إلى قولين: القول الأكثر ظهوراً هو أنهم ليسوا بأنبياء، وأن الأسباط المذكورين في القرآن الكريم هم أنبياء بني إسرائيل. وقد رجح هذا القول القرطبي وابن كثير والبخاري.

وما فعله إخوة يوسف قاذح في عصمة الأنبياء عندهم.

والقول الثاني: أنهم أنبياء وأن خطأهم كان قبل النبوة. وقد عصى آدم ربه فغوى

ثم اجتباه ربه فهدى . ولا شك أن آدم نبي والمعصية عند أصحاب هذا الرأي جائزة على الأنبياء قبل نبوتهم . وذلك لا ينافي العصمة .

ويردون على من قال إن الأسباط هم أنبياء بني إسرائيل : وهؤلاء الأنبياء إنما جاءوا من بعد موسى . ولا شك أنهم كانوا يدينون باليهودية . ولكن القرآن نفى عنهم ذلك حيث قال المولى : ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله؟﴾ وذلك دليل على أن الأسباط كانوا قبل موسى . وسياق الآية مرتبط ، إبراهيم وبنوه ، ثم يعقوب وبنوه ، وهم الأسباط . ونحن نكل العلم في هذه المسألة إلى الله . . والله أعلم بالصواب .

* * *

موسى وهارون (عليهما السلام)

ترد قصة موسى وهارون عليهما السلام في التوراة كما ترد أيضاً في القرآن الكريم. وتأخذ قصة موسى في التوراة عدة أسفار، أهمها سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية، حيث تنتهي قصة موسى بذكر وفاته في التيه وحرمانه من دخول الأرض المقدسة لأنه عصى الرب. تقول التوراة المحرفة على لسان الرب لموسى وهارون: «لأنكما خنتما في وسط بني إسرائيل عند ماء مريية قادش - اسم موضع - في بركة صين - اسم موضع وربما كان الصحيح في بركة سيناء - إذ لم تقدراني في وسط بني إسرائيل. فإنك تنظر الأرض في قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك، إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني إسرائيل» (سفر التثنية، الإصحاح ٣٢: ٥١).

«ومات موسى في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم» كما تقول التوراة (سفر التثنية، الإصحاح ٣٤: ٦).

ولا تحدد التوراة زمن ميلاد موسى، ولكنها تذكر أن ملكاً جديداً قد حكم مصر وكان يكنى الحق لربي إسرائيل، حيث رأى عددهم يكثر، وضياعهم وأملاكهم تتسع، ونفوذهم يقوى، فقال فرعون لشعبه: «هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالهم. فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس - تكتب أيضاً رمسيس -». (سفر الخروج، الإصحاح ١: ٨ - ١٢).

واستعبد المصريون بني إسرائيل وأذلّوهم ، ثم أمر فرعون بقتل كل ولد ذكر يولد من أبناء العبرانيين واستحياء كل بنت ، وذلك عندما قام الكاهن الأكبر في مصر بإبلاغ فرعون بأن ولداً يولد للعبرانيين يقوم بإهلاك فرعون وقومه . واشتات بذلك غضب فرعون على قوم موسى وزاد عليهم العذاب .

ولادة موسى :

ولد موسى عليه السلام في هذا الوقت العصيب . وتزعم التوراة أن عمران – يسميه القرآن الكريم عمران – تزوج عمته يوكابد التي ولدت له هارون – وهو يكبر موسى بثلاث سنوات – وموسى عليهما السلام (سفر الخروج ، الإصحاح ٦ : ٢٠) .

وينتسب عمران وزوجته إلى بيت لاوي بن يعقوب عليه السلام . وتصف التوراة قصة مولد موسى وهي تشبه إلى حد ما ما ذكر في القرآن الكريم ، ولكن لا يوجد في كلا الكتابين المقدسين أي تحديد للزمن الذي ولد فيه موسى .

وتذكر دائرة المعارف البريطانية (ج ٢ / ٤٥) من الميكروبيديا وج ١٢ / ٤٨٧ من الماكروبيديا طبعة ١٥) أن أقرب التواريخ إلى الدقة هو أن موسى ولد في أواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد وعاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

وترجح دائرة المعارف البريطانية أن موسى ولد في عهد الفرعون – لقب لملك مصر – سيتي الأول الذي حكم مصر في الفترة الواقعة بين سنتي ١٣١٨ هـ و ١٣٠٤ قبل الميلاد . . وتسميه فرعون الاضطهاد . . حيث اشتد في عهده اضطهاد بني إسرائيل وهو الذي أمر بقتل كل مولود ذكر من بني إسرائيل .

ومات هذا الفرعون أثناء شباب موسى ، وفر موسى من وجهه إلى مدين بعد أن وكز المصري فقضى عليه . وهي القصة التي ترد في القرآن والتوراة باختلافات بسيطة ، حيث وجد موسى رجلاً من قومه يتعارك مع أحد المصريين ، فاستغاثه الذي من شيعته على عدوه فوكزه موسى فقضى عليه . وفي اليوم التالي إذا بالرجل الذي استغاثه من قومه يتعارك مع شخص آخر – تذكر التوراة أنه من بني إسرائيل – فطلب من موسى أن ينجده ، فلما همّ أن يبطش بالذي هو عدو لهما خاف العبراني وظن أن موسى سيبطش

به، فقال له: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس؟! إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين. آنذاك اكتشف المصريون القضية وتجمعوا ليقتلوا موسى، فهرب موسى من أرض مصر إلى مدين حيث تزوج هناك.

ولما عاد موسى من أرض مدين كان فرعون الاضطهاد سيتي قد مات وتولى مكانه فرعون آخر أشد ظلماً، هو رمسيس الثاني - ١٣٠٤ / ١٢٣٧ قبل الميلاد -، الذي استمر في اضطهاد بني إسرائيل. وفي عهده ظهرت معجزات موسى التسع، وانتهت بإغراق فرعون وقومه.

ولا يعتبر تحديد دائرة المعارف البريطانية مقبولاً لدى الباحثين جميعاً. حيث نجد عدداً من الباحثين كما يقول الدكتور موريس بوكاي في كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم): يعتبرون أن فرعون الاضطهاد هو رمسيس الثاني، وأن فرعون الخروج هو خليفته منبتاح، ويختلف الباحثون بعد ذلك في المدة التي عاشها كلا الفرعونين، ويُعتقد أن رمسيس الثاني حكم مصر عدة تزيد على ستين عاماً، بينما لم يحكم منبتاح مصر سوى عشر سنوات في أحد الأقوال وعشرين عاماً في قول آخر.

لذلك كله لا يمكن تحديد زمن ولادة موسى، ولا العصر الذي عاش فيه بدقة، ولكن جمع الأقوال هذه يؤكد على أنه عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

مزاعم فرويد حول موسى عليه السلام:

زعم فرويد العالم النفسي المشهور بأن موسى عليه السلام لم يكن من بني إسرائيل. واستدل على ذلك بأن اسم موسى غير معروف لدى العبرانيين والساميين، وأن ما يقال من كلمة «مش» العبرانية والتي تعني انتشل من الماء، وأن اسم موسى المنتشل من الماء - على صيغة اسم الفاعل - لا تنطبق على موسى لأنه قد انتشل من الماء وهو صغير، والمفروض أن يكون الاسم على هيئة اسم المفعول - المُنتشل - . ويزعم أن كلمة مُس - بمعنى الابن في رعمسيس وتحوتس أي ابن الإله رع، وابن الإله تحوت - المصرية، هي مصدر كلمة موسى، وبالتالي فإن موسى هو رجل مصري، نشأ في قصر فرعون وحاشيته، وقام بدور عسكري في الحبشة ثم عاد وقام بانقلاب عسكري فاشل ضد فرعون. كان موسى حسب زعمه يدعو إلى عقيدة

أخناتون، وهو فرعون مصر الذي جاء بعبادة الشمس ورفض جميع الآلهة الأخرى. ولهذا يزعم كثير من الكتاب وخاصة من إخواننا المصريين أن أخناتون هو أول من دعا للتوحيد. وقد استدل فرويد على مزاعمه تلك بما جاء في سفر الخروج (١٨٥) «ولما كبر الصبي جاءت به إلى ابنة فرعون، فاتخذته ابناً لها وسمته موسى قائلة: لأنني انتشلته من الماء» (الخروج ٢: ١٠).

وهذا القول خطأ من وجوه عدة: أولها: أن آدم عليه السلام كان موحداً وأن أبناءه كانوا موحدين. وأن آدم كان نبياً رسولاً وكذلك ابنه شيث، ثم ظهر بعد ذلك إدريس، ويقال له أيضاً: أخنوخ، ثم ظهر نوح عليه السلام. وكل هؤلاء قبل أخناتون بقرون طوال.

ثم إن أخناتون حسبما تذكره البرديات كان عابداً للشمس، وتزوج من أخته الجميلة نفرتيتي.

ويزعم فرويد أن موسى كان تابعاً لديانة أخناتون، وأنه نتيجة لذلك اصطدم مع فرعون، ثم خرج بمجموعة كبيرة من بقايا الهكسوس الذين كانوا في مصر مع مجموعة من القبائل السامية والتي عبرت إلى مصر وسموا العبرانيين. وكان مع موسى سبعين رجلاً من قوم فرعون الذين كانوا يؤمنون بدعوة أخناتون، وأنهم ساروا معه في ثورته ضد فرعون. . . وأن موسى جعلهم قواداً لجيشه المشكل من مجموعات مختلفة من البشر.

ولما عبروا إلى شرق مصر غرق فرعون في البحر هو وجيشه، واستعد موسى للعودة إلى وطنه مصر، ولكن حدثت أحداث حالت دون ذلك. ويزعم فرويد أن شخصية موسى الأسطورية تجمع صورة البطل عند الساميين وصورتها عند المصريين. . . وشخصية البطل عند الساميين حسب زعمه تنبني على عناصر، أهمها:

(١) أن يكون من أب غير معروف أو أن يكون يتيماً. ومثال ذلك موسى ومحمد اليتيمان. . . وعيسى بن مريم بدون أب.

(٢) أن تكون ولادته محفوفة بالمشاكل والمخاطر، كأن يولد في وقت مذبحة أو من أم عاقر أو من أبوين طاعنين في السن، مثل مولد إسحاق ويحيى. . . وولادة موسى في وقت مذبحة.

(٣) أن يكون البطل محباً للعزلة في الصحاري والجبال . . وهذا واضح في شخصيات إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .

أما شخصية البطل عند المصريين فأهم عناصرها أن يكون من بيئة أرستقراطية وأن يكون قوي البنية شديد البأس وأن يعيش في الحضر بين قوم متمدنين . . . وتجمع شخصية موسى الأسطورية حسب فرويد هذه العناصر جميعاً . . وموسى شخصية مصرية حسب زعمه إلا أن أكثر أنصاره من الساميين!!

هذا هو ملخص لهلوسات فرويد الذي كان مدمناً للمخدرات وبصورة خاصة الكوكايين والتي يمتدحها في العديد من مقالاته وكتبه . وهو هو فرويد صاحب النظريات النفسية المنحرفة التي تزعم أن الطفل عندما يلتقم الثدي يقوم بعملية جنسية ، لأن الغريزة الجنسية تكون مركزة في هذه المرحلة في الشفتين ، وأن الصبي يحب أمه جنسياً ويكره أباه ، ولكن المجتمع يمنع ظهور هذه العواطف ، فيكبتها الإنسان ولذا يصاب بعقدة أوديب . والبنت تحب أباه جنسياً وتكره أمها وتصاب بعقدة إليكترا ، ثم يستمر في الهراء والسخف الذي يسمى علم نفس حيث يدرّس في جامعات العالم أجمع بسبب نشاط اليهود الذين رتبوا لذلك من أجل إفساد العالم .

الوجود التاريخي لموسى عليه السلام :

وبما أن زمن مولد موسى غير معروف على وجه الدقة ، وبما أنه لا يوجد ذكر لموسى في الآثار التاريخية وما عثر عليه من مخطوطات ، فقد أدى ذلك إلى أن يزعم كثير من الباحثين وخاصة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين أن شخصية موسى لا وجود لها على الإطلاق .

وتذكر دائرة المعارف البريطانية (ج ١٢ / ٤٨٧ الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢) أن كثيراً من الباحثين المشهورين ومنهم مارتن نوث يزعمون أن شخصية موسى المذكورة في التوراة هي من صنع مؤلفي التوراة الذين كتبوها بعد مضي مئات السنين من وفاة موسى المزعوم . ويقول : ربما كان موسى شخصاً حقيقياً ، ولكنه شخصية بسيطة من موآب — مدين — وليس من بني إسرائيل ، وكل الأحداث التي تلصق به هي من صنع الأساطير التي تجمعت في الحُقب التي تكوّن فيها شعب يدعى إسرائيل .

وقد سبق أن ذكرنا ما قاله جارودي في كتابه إسرائيل الصهيونية السياسية : من أنه لا يوجد أي سند تاريخي لوجود شخصية موسى ، كما لا يوجد أي سند تاريخي لوجود إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط . ويعتبر جارودي أن ما ورد عن هؤلاء الأنبياء هو من القصص الخلاق والحاسم في بناء الإنسان والحياة .

وتذكر دائرة المعارف البريطانية أن اليهود والنصارى ظلوا حتى العصور الوسطى يعتقدون أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ، وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ، والتي يطلق عليها اسم التوراة . ولكن اليهود والنصارى منذ عصر النهضة اعترفوا بأن التوراة كتبت في عصور متأخرة جداً وبعد وفاة موسى بعدة قرون . وأن أول ما كتب هو بعض الأناشيد ، والوصايا العشر ، ونبوءات يعقوب وموسى ، وذلك في عهد سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد – أي ٤٨٠ سنة تقريباً بعد خروج موسى وقومه من أرض مصر – .

ومهما كان النقاش حول شخصية موسى عليه السلام ، فإن المسلم لا يكون مسلماً حتى يؤمن إيماناً كاملاً بأن موسى عليه السلام ليس شخصية تاريخية فحسب بل هو من أولي العزم من الرسل .

وبالنسبة للمسلم ليست التوراة من تأليف موسى بل هي من عند الله مباشرة ، ولكن التوراة الحقيقية زُيِّفت وضاعت ولم يبق منها إلا ومضات يمكن أن نلاحظها في التوراة الموجودة بين أيدينا وفي بعض أسفار العهد القديم .

موسى عليه السلام في القرآن والتوراة :

إن استعراض قصة موسى في القرآن الكريم يشكل صورة وضيئة مشرقة لرجل اختاره الله منذ لحظة ولادته ليكون من أولي العزم من الرسل . حيث تتسم شخصيته بالقوة والصراحة والغضب لله والحب له وفيه ، والبغض لمن عاداه وناوأه في أنقى صورها وأجلى مظاهرها ، مع الثقة التامة الكاملة بنصرة الله له ورعايته للمستضعفين .

وقد كانت حياة الذل والمهانة والخضوع التي عاشها بنو إسرائيل منذ أن طرد أحمر فرعون مصر الهكسوس عام ١٥٨٠ قبل الميلاد ، وحتى ظهور موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، قد أدت إلى تولّد أخلاق مهينة وحقيرة لدى أجيال اليهود المتلاحقة .

ولم يكن يناسب تلك الشخصيات المهينة الضعيفة التي استمرت الذل والمهانة إلا أن يظهر الله شخصية قوية مستقيمة صريحة فذة لينقذ بها الله هذا الشعب الذي اعوجت دروبه والتوت أساليبه، وتعود الخنوع والخضوع مع ما يصحبهما من نفاق وذل وخزي.

ولن نحاول هنا استعراض قصة موسى كما وردت في القرآن الكريم، لأن ذلك يحتاج إلى كتاب كامل وربما أكثر من كتاب، ولكننا سنكتفي هنا بإبراز بعض المعالم الرئيسية في هذه القصة المؤثرة ذات الدلالات الموحية والمتناثرة في عدة سور من القرآن الكريم.

وتتميز سورة القصص - رقم ٢٨ - بأنها منذ بدايتها تستعرض قصة مولد موسى ونشأته بعد أن توضح في آيتين البيئة التي ولد فيها موسى، حيث كان فرعون الجبار يستضعف طائفة بني إسرائيل، يذبح أبناءها ويستحيي نساءها. وتعلن أنه من المفسدين. وأن الله القدير قد أذن لهذه الطائفة المستضعفة المهانة أن ترتفع من وهدة الذل والمسكنة والمهانة إلى مقام العزة والكرامة، وأن يلحق الذل والصغار بفرعون وهامان وقومهما المتجبرين المفسدين، وذلك بمولد رجل تجتمع فيه خصائص القيادة الفذة مع قوة النفس وصرامتها وقوة الجسم وعرامته. وتوضح تلك الرعاية الربانية التي ترعى موسى عليه السلام وتسخر من فرعون الجبار، حيث تجعل نشأة موسى كلها في بيت فرعون الذي كان يذبح أطفال بني إسرائيل خوفاً من مقدم موسى، وإذا بفرعون وامرأة فرعون وحاشية فرعون هي التي تدفع عن هذا الطفل الأذى، وهي التي تبحث له عن المراضع، حتى ترجعه يد القدرة إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن، وتعلم أن وعد الله حق.

وهكذا تتدخل القدرة الإلهية مباشرة لترعى موسى وتحفظه على عين الله حين تلقيه أمه في أمواج اليم، وتحفظه وترعاه حين يتلقفه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً، وتتلقفه وترعاه اليد الحانية الرحيمة لتعيده إلى أمه التي كادت لتبدي به بعد أن أصبح فؤادها فارغاً من شدة الهلع والجزع على صغيرها ذاك.

قال تعالى:

﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا

فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أُنْثَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ .

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعَةُ الَّتِي فِرْعَوْنُ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتْ أُمُّرَاتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ .

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ . (القصص: ٣ - ١٣) .

يا لها من مشاهد تتدخل فيها يد القدرة الإلهية حيث تصور تلك الأم الملتاعة المروعة التي تلتفت يمناً ويسرة والخوف يملأ جوانحها على وليدها الصغير، حيث انتشر جواسيس فرعون يبحثون عن كل مولود من بني إسرائيل ليذبحوه .

وها هو الله سبحانه وتعالى يتدخل في الأمر ويوحى إلى تلك المرأة المؤمنة ويهديء من روعها ويثبت في نفسها الأمن والطمأنينة . ولكن الأمر غريب غريب ﴿وَأَوْصَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ، وإذا خفت عليه من بطش فرعون فإن أمواج اليم سترعاه وتحفظه . فتضعه أم موسى في صندوق وتلقيه في اليم كما أمرت ، ولكن قلبها الملتاع يصرخ بها أتقذفين بفلذة كبدي في اليم؟ أتركه للهلاك؟ أتدرين ما هو مصيره؟! أصبح فؤاد أم موسى فارغاً إلا من الخوف

الذي ملأ جوانحه، حتى كادت أن تصرخ وتقول: يا قوم! لقد ألقيت فلذة كبدي في النهر!! ولكن الله ربط على قلبها، وهدأ من روعها، لا تخافي ولا تحزني، ومعها بشارة وأي بشارة، ﴿إنا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾.

وأمرت الأم الملتاعة أخت موسى أن تقص أثره وتأتيها بأخباره، فإذا بالفتاة الصغيرة تلحظ آل فرعون وهم يلتقطون الصبي من النهر، وتراهم وقد ألقى الله عليه المحبة حتى إن امرأة فرعون تلتزمه وتدافع عنه. تلك المرأة التي أراد الله لها الخير برعايتها لموسى عليه السلام فجعلها سيدة نساء زمانها، وقرنها بمريم ابنة عمران حين ضرب الله مثلاً للذين آمنوا. قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا الْوَقُوفُ ﴿١٢﴾ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ (التحریم: ١١ - ١٢).

ويحرّم الله المراضع على موسى، وآل فرعون مشغولون بالصبي الذي ملأ أفئدتهم حباً له وعطفاً وحباً عليه، وهو يرفض كل ثدي يقدم له حتى جاءت أخته وقالت: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ وهكذا أرجعه الله إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق. وفازت بابنها، وبالأمن والرعاية والأجر من آل فرعون.

وها هنا نقاط خلاف بين ما ذكر في التوراة من قصة موسى عليه السلام وبين ما جاء به القرآن الكريم. ففي التوراة لا يأتي أي ذكر لامرأة فرعون، بل التي تهتم بموسى وتطلب رعايته هي ابنة فرعون. ولا يرد في التوراة وصف لما كانت تعانيه أم موسى من قلق وخوف، ولا ما أوحى الله إليها من إلقاء موسى في اليم، ولا وعده لها بعودته ثم برسالته.

ويزعم الدكتور موريس بوكاي في كتابه «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم» (ص ٢٥٢): أن القرآن لا يذكر أن زوجة فرعون هي التي التقطته وإنما آل فرعون. مع وجود النص بأنها هي التي رعتهم ومنعتهم من قتله. (القصص: ٨ - ٩).

وتستمر سورة القصص في مشاهد متتالية من حياة موسى عليه السلام، وإذا الستار يرفع ونرى موسى شاباً قوياً فتياً قد ضاقت نفسه بالظلم الذي يقع على قومه من بني إسرائيل، وقد خرج موسى على القصر ورجال القصر وانضم خلصة إلى قومه الذين تعرف عليهم. وبينما هو يسير في المدينة في هدأة الظهيرة يجد رجلين يقتتلان ﴿هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾، وإذا الإسرائيلي يستنجد بموسى، فما كان من موسى إلا أن وكز المصري وكزة واحدة فإذا هو منطرح على الأرض قد فارق الحياة. مما يشي بقوة موسى البدنية الخارقة وبانفعالية موسى عليه السلام وقيامه ضد الظلم.

وسرعان ما يثوب موسى عليه السلام إلى رشده حيث لم يقصد أن يقتل المصري، ويعلن أن هذا العمل المتسرع من إحياء الشيطان، ويتجه إلى الله في استغفار خاشع متذلل لبارئه. وتأتيه الرحمة الإلهية القريبة فوراً، لأنه لم يقتل المصري عدواناً بل رداً على عدوان. وإذا بمشهد الصراع يتكرر في اليوم التالي حيث نرى الإسرائيلي وهو يصطرع مع أحد رجال فرعون، وإذا هو يستصرخ موسى ويطلب منه النجدة. ويستشعر موسى الغضب لهذا الذي لا يصبر عن العراك في وقت لا يستطيع فيه بنو إسرائيل القيام في وجه فرعون وقومه. ويخاف الإسرائيلي من غضب موسى ويظن أن موسى سيطش به فيعلن السر المكتوم ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾؟!

وتنتهي المعركة، ويذهب رجل الحاشية ويبلغ الملاء من قوم فرعون، أن موسى هو الذي قتل رجل الحاشية في اليوم السابق، وهو يحرض الإسرائيليين للثورة ضد فرعون. وتتجمع قوات الأمن والداخلية والمخابرات للبحث عن موسى. لا بد من القبض عليه حياً أو ميتاً.

ولكن رجلاً من آل فرعون يأتي إلى موسى مسرعاً يقول له: ﴿يا موسى إن الملاء يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾.

ويخرج موسى عليه السلام من مصر خائفاً يترقب لا أنيس له ولا نصير إلا خالقه وبارئه. ويسير في صحراء موحشة لا يعرفها ﴿فلما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾.

ولا يرد في التوراة مطلقاً أي ذكر لمؤمن آل فرعون بينما يتكرر ذكره في القرآن

الكريم، ويجعل الله له سورة كاملة هي سورة غافر التي تدعى أيضاً سورة المؤمن (رقم ٤٠).

وبصل موسى عليه السلام مكدوداً متعباً إلى مدين. ولكنه يرى منظراً يجعله يتحرك لنجدة امرأتين ضعيفتين تذودان أغنامهما ولا تسقيان حتى يصدر الرعاء. وهي صفاقة ووقاحة من أولئك الرجال الذين يمنعون الفتيات من السقي حتى يكملوا سقيهم. وكان الواجب والمروءة والشهامة أن يقدموهن للسقي. فيسقي موسى للفتاتين.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٤٢﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٤٣﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبَى يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

وهكذا استجاب الله لموسى وبذله أمناً بعد خوف، وأطعمه وسقاه بعد جوع وعطش.

وينزل الستار فإذا نحن أمام مشهد آخر: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينُ﴾. ودلائل قوة موسى وأمانته قد شاهدها الفتاة في تصرف موسى منذ اللحظة الأولى. ويتفرس الشيخ العجوز فيرى في موسى القوة والأمانة في أنصع صورها وأجلى مظاهرها. فيسرع ليخطب موسى لابنته. لا يتلجلج ولا يوارى ولا يداري. كلمة صريحة مباشرة ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ. وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ويقبل موسى عليه السلام العرض ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

وها هنا اختلاف طفيف في تفاصيل القصة بين التوراة والقرآن الكريم. فالقرآن

الكريم يذكر أن موسى وجد فتاتين تذودان أغنامهما، والتوراة تذكر أنهن سبع فتيات ليثرون كاهن مدين، وأن موسى تزوج صفورة ابنة يثرون التي ولدت له ابناً سماه جرشوم. بينما لا نجد أي ذكر لهذه التفاصيل في القرآن الكريم.

ولما انتهى الأجل سار موسى بأهله إلى مصر. وفي الطريق آنس من جانب الطور في سيناء ناراً فقال لأهله: ﴿امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أوجذوة من النار لعلكم تصطلون. فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾.

ويا له من نداء علوي يحار المرء كيف استطاع موسى رغم بشريته أن يسمعه!!

في هذا الجو العبق الكريم من الاصطفاء والاختيار أعلن الله لموسى أنه سيرسله إلى فرعون وقومه لإنقاذ بني إسرائيل. وتضطرب نفس موسى عليه السلام من شدة المفاجأة وهو يرى العصا تتحول إلى أفعى ضخمة سريعة الحركة كأنها جان فولى مدبراً ولم يعقب، ويأتيه النداء العلوي ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين﴾. من الأمنين من بطش فرعون وكيده، ومن الأمنين من هذا الثعبان المخيف، ومن الأمنين يوم الفزع الأكبر.

ويعطيه الله آية أخرى ﴿اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ ويطلب موسى من ربه أن يشد عضده بأخيه فيستجيب الله دعاءه وتضرعه، لأن هارون الذي يكبر موسى ببضع سنوات — ثلاث كما تذكر التوراة — هو أفصح لساناً وأقوى حجة وبياناً.

ويأتي موسى إلى فرعون وقومه، ويتكبر فرعون ويتجبر، ويقول:

﴿يَأْتِيهِكَ الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾.

ويقول لهامان وزيره:

﴿فَأَوْقَدْ لِي يَنْهَمَنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَا أَظُنُّهُ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ (٣٨) وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا

أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ .

وهكذا تنتهي قصة فرعون بغرقه في مشاهد سريعة تشرحها آيات أخرى في سور
أخرى من القرآن الكريم، حيث ترد قصة موسى ومجادلته لفرعون واجتماع السحرة،
والآيات متتالية في سورة الأعراف وسورة يونس وسورة هود وسورة طه وسورة الشعراء
وسورة غافر.

موسى يجادل الرب والرب يغضب على موسى حسب زعمهم :

وترد قصة موسى في التوراة في سفر الخروج منذ ولادته (الإصحاح الثاني) إلى
قتله المصري وهربه من مصر إلى مدين وزواجه من صفورة ابنة يثرون كاهن مديان
— مدين — . وفي الإصحاح الثالث من سفر الخروج «يظهر ملاك الرب بلهب نار من
وسط عليقة» وناداه الله من وسط العليقة وأعلن لموسى أنه سينقذ بني إسرائيل، وأمره
أن يذهب إلى فرعون ليطلقهم، ولكن موسى يجادل الله في ذلك (الإصحاح الرابع)
«فقال موسى للرب استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس من
حين كلمت عبدك. بل أنا ثقیل الفم واللسان. فقال له الرب من صنع للإنسان فماً
أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى. أما هو أنا الرب. فالآن اذهب وأنا
أكون معك وأعلمك ما تتكلم به. فقال — موسى — : استمع أيها السيد. أرسل بيد من
ترسل. فحمي غضب الرب على موسى». (١٠ — ١٧).

إسرائيل الابن البكر للرب :

(سفر الخروج، الإصحاح ٤ : ٢٢ — ٢٣) :
«فتقول لفرعون هكذا يقول الرب : إسرائيل ابني البكر. فقلت لك أطلق ابني
ليعبدني، فأبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر».

زوجة موسى تخدع الرب وتحمي ابنها من غضبه :

(سفر الخروج، الإصحاح ٤ : ٢٤ — ٢٦) :
«وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه — أي التقى ابن موسى البكر —

وطلب أن يقتله فأخذت صفورة - امرأة موسى - صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست
رجليه . فقالت - للرب - : إنك عريس دم لي . فانفك - الرب - عنه . حينئذ قالت :
عريس دم من أجل الختان» .

وهي صورة خرافية وضيعة وحقيرة حيث تصور الرب سبحانه وتعالى بصورة بشر
شديد الغضب، ينزل من السماء على هيئة بشر، ويجري خلف ابن موسى ليمسك به،
لأن موسى أبى أن يذهب إلى فرعون خوفاً وفاقاً، ولأنه لم يذهب لإنقاذ الابن البكر
للرب، فإن الرب يعزم على قتل ابن موسى البكر!! . . .

ومع هذا فإن الرب عاجز حتى عن قتل هذا الغلام الذي تستنقذه منه صفورة
امرأة موسى وذلك بأن تختن الصبي وتمسح رجل الرب بدم الغلام فينفك عنه .

وهي صورة تجمع البلادة والوقاحة معاً . وتوضح إلى أي مدى انزلق بنو إسرائيل
في تصوراتهم الشوهاء عن رب العالمين، كما أنها توضح إلى أي مدى حُرِّفت التوراة
بحيث لم يبق منها سوى بصيص من نور لا يكاد يرى من هذه الظلمات التي رانت
عليها .

وتلصق التوراة المحرفة كل نقيصة بأنبياء الله وتصفهم بالكذب والجبن والخداع .
وإذا تمكن أحدهم من أعدائه ظهر بصورة مجرم يقتل النساء والأطفال والشيوخ
والعجزة، بل حتى البهائم يقتلها . كما تصور الأنبياء بأنهم فسقة شاربو خمر، زناة،
حيث يتزوج إبراهيم من أخته سارة، ويزني داود بجليلة جاره، ويزني ابن داود بأخته
كما يزني يهوذا سبط يعقوب بزوجة ابنه، ويزني رأوبين أكبر أبناء يعقوب بسريرة أبيه،
وتصور لوطاً وهو يزني بابتنتيه!! .

وتصور الأنبياء بأنهم عباد للأوثان، وتدّعي أن هارون هو الذي صنع العجل لبني
إسرائيل ودعاهم إلى عبادته، وأن هارون وأخته مريم عرّوا موسى وفضحوه أمام بني
إسرائيل، وأن سليمان عبد الأوثان وأقام لها المعابد مع زوجاته .

وسنستعرض كل ذلك بتفصيل في حينه . وما يهمنا هنا هو استعراض قصة
موسى كما وردت في القرآن والتوراة والاختلافات بينهما .

موسى يعاتب الرب ويقرعه ، حسب زعمهم :

توضح التوراة أن موسى وهارون ذهبا لفرعون ليطلق بني إسرائيل ولكن فرعون أبى وزاد من عقوبة بني إسرائيل ، فضجّ بنو إسرائيل مخاصمين لموسى وهارون . وذهب موسى إلى الرب ليعاتبه ويقرّعه قائلاً :

«يا سيد لماذا أسأتَ إلى هذا الشعب؟ لماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب . وأنت لم تخلص شعبك» . (سفر الخروج الإصحاح ٥ : ٢٢ - ٢٣ .

الرب ينسب حسب زعم التوراة :

ويقول الرب لموسى : أنه قد أعطى العهد لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وأنه أعطاهم ووعدهم أرض كنعان - فلسطين - ، وأنه سمع أنين بني إسرائيل وتذكر عهده الذي كان قد نسيه!!! لذلك سيقوم هو بإنقاذهم من يد فرعون . (سفر الخروج ، الإصحاح ٦ : ٣ - ٨) .

موسى إله هارون وهارون فم لموسى :

«وهو - أي هارون - يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً . وتأخذ العصا التي تصنع بها الآيات» . (سفر الخروج ، الإصحاح ٤ : ١٦ - ١٧) .

موسى إله فرعون وهارون نبي لموسى :

«فقال الرب لموسى : انظر . أنا جعلتك إلهاً لفرعون . وهارون أخوك يكون قبيلك . أنت تتكلم بكل ما أمرك . وهارون أخوك يكلم فرعون ليطلق بني إسرائيل» (سفر الخروج ٧ : ١ - ٢) .

العصا لهارون وليست لموسى !!

تتحول عصا موسى إلى حية تسعى في القرآن الكريم ، وأما في التوراة فتتحول عصا هارون إلى ثعبان «وكلم الرب موسى وهارون قائلاً : «إذا كلمكما فرعون قائلاً هاتيا عجيبة ، تقول لهارون : خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعباناً» . (سفر الخروج ، الإصحاح ٧ : ٩ - ١٠) .

لا ذكر لإيمان السحرة في التوراة :

لا يرد أي ذكر لإيمان السحرة في التوراة بل إن ذكر السحرة في التوراة لا يتجاوز سطراً واحداً. «فدعا فرعون أيضاً الحكماء والسحرة. ففعل عرافو مصر أيضاً بسحرهم كذلك طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين. ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم». (سفر الخروج، الإصحاح ٧ : ١١ - ١٢).

فرعون يقول لموسى وهارون صلياً من أجلي :

وتظهر الآيات تباعاً، يتحول النهر إلى دم، ويموت السمك في النهر ويتن، ثم الضفادع، ثم البعوض، وها هنا يوافق فرعون أن يذهب بنو إسرائيل ليذبحوا قرابينهم ويقول موسى : لا بد أن نذهب في سفر ثلاثة أيام ونذبح في البرية لإلهنا. «فقال فرعون : أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم في البرية ولكن لا تذهبوا بعيداً. صلياً لأجلي فقال موسى : ها أنا أخرج من لدنك وأصلي إلى الرب». (الخروج ٨ : ٢٥ - ٣٠).

فرعون يعترف بخطئه ويكرر طلبه بأن يصلي موسى وهارون من أجله :

ثم يميت الرب كل بهائم المصريين ويترك بهائم بني إسرائيل سليمة. ثم تظهر الدمامل على الناس والبهائم. «فأرسل فرعون ودعا موسى وهارون وقال لهما : أخطأت هذه المرة. الرب هو البار وأنا وشعبي الأشرار. صلياً إلى الرب». (سفر الخروج ٩ : ٢٧ - ٢٨).

وتتابع الآيات البرد، الرعود، ونار متواصلة في وسط البرد. وضرب البرد جميع ما في الحقل من الناس والبهائم، إلا أرض جاسان - منطقة في مصر - حيث كان بنو إسرائيل فلك يكن فيها برد. (سفر الخروج، الإصحاح ٩ : ٢٢ - ٢٦). ثم يأتي الجراد فيغطي وجه الأرض ويأكل جميع الشجر النابت من الحقل. (سفر الخروج، الإصحاح ١٠ : ٣ - ٧).

وقال عبيد فرعون : أطلق الرجال ليعبدوا الرب إلههم. ولكن موسى أصر على أن يذهب جميع الشعب بما في ذلك النساء والأطفال. وقال فرعون لموسى وهارون : «يكون الرب معكم».

وعاد فرعون ونكث عهده، ثم جاءت ظلمة شديدة على أرض مصر، ورفض فرعون أن يطلق بني إسرائيل كما وعد.

الرب يأمر بني إسرائيل بأن يحتالوا على المصريين ويأخذوا حليهم :
وجاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر الخروج (١ - ٣) أن الرب أمر موسى أن يتكلم في مسامع الشعب - أي بني إسرائيل - ويطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة وأمتعة ذهب - عارية ليلبسوها في عيدهم - . وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين. وأيضاً الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب. «وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوهم» .

ويخبر الرب موسى بأنه سينزل في منتصف الليل إلى أرض مصر، ويميت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسیه إلى بكر الجارية التي خلف الرحي، وكل بكر بهيمة، ويكون صراخ عظيم في كل أرض مصر. ولكن الرب يحمي بني إسرائيل شعبه المختار. (الإصحاح ١١ من سفر الخروج : ٤ - ٨).

الاختلاف في عدد الآيات لفرعون وقومه :

يذكر القرآن الكريم أن الآيات التي أتى بها موسى عليه السلام كانت تسعاً. قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَّخَّرَ بِنِىِٔ إِسْرَءِءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ . (الإسراء : ١٠١ - ١٠٢).

وجاء تفصيل ذكر هذه الآيات في سورة الأعراف حيث ذكر المولى آية العصا واليد والسنين ونقص الثمرات .

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

تُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لِنَارِكَ بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ لِيُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ أَنَّ لَكَ وَرَثَةٌ فَلْيُورَثُوا مَالَهُمْ ذِي الْقُرْبَىٰ وَلْيُؤْتُوا يُؤْتُوا كَفًّا لِّمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ . (الأعراف: ١٣٢ - ١٣٥).

ولا نجد في القرآن الكريم ذكراً للبعوض والأورام الجلدية والبرد والظلمات وموت كل بكر من البشر والأنعام التي تصفها التوراة.

وليست هذه على أي حال من الفروق الجوهرية التي أوضحنا بعضاً منها - وسيأتي ذكر الأخرى فيما بعد - والغريب حقاً قول موريس بوكاي - بعد إسلامه - في كتابه القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ص ٢٥٠ إن آيات موسى هي من السحر. حيث يقول ما نصه: (ويثبت موسى لفرعون بالسحر أن له قوى خارقة فوق الطبيعة) .. وهو أمر يناقض الإيمان بالنسبة للمسلم.

* * *

حوادث وشخصيات في حياة موسى وردت في القرآن ولم ترد في التوراة

(١) امرأة فرعون :

إن الموقف النبيل والشجاع الذي وقفته امرأة فرعون في حماية موسى الرضيع من بطش فرعون وهي تقول :

﴿قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ . (القصص : ٩) .

يوضح إلى أي مدى كان قلب تلك المرأة النقية الزكية عامراً بالخير والحب . ودافعت تلك المرأة عن موسى عندما كان طفلاً كما جاء في الأثر، وقالت : إنه طفل لا يفهم ما يقول ولا يميز . فاقترح فرعون أن يعطي الطفل موسى جمرة وتمرّة فإن ميز بينهما قتله، وحمى الله الطفل فوضع الجمرة في لسانه فصار ألثغاً منذ ذلك اليوم . . ولذا طلب موسى من ربه أن يرسل معه هارون لأنه أفصح منه لساناً .

وآمنت تلك المرأة الطاهرة – التي كانت لموسى أمّاً ثانية – بموسى وبرسالته وبالله الواحد الأحد . ويذكر لنا القرآن الكريم هذه المرأة ويقرنها بمريم بنت عمران عليها السلام ، ويجعلهما مثلاً للذين آمنوا . قال تعالى :

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا

وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ . (التحریم : ١١ – ١٢) .

ولا يذكر القرآن الكريم اسمها ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يذكر أن سيدات نساء العالمين أربع ، كل واحدة منهن سيدة نساء زمانها: آسيا امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة البتول بنت محمد صلى الله عليه وسلم . .

وفي الأثر أن آسيا قاومت بطش فرعون بقوم موسى واعترضت عليه ، فغضب عليها فرعون وعرف أنها قد آمنت بموسى فعذبها وقتلها .

مؤمن آل فرعون :

لا يرد أي ذكر في التوراة المحرفة لمؤمن آل فرعون الذي لا يخبرنا القرآن الكريم عن اسمه ولكنه يخبرنا عن أفعاله وأقواله ومجادلته ومحاботه لفرعون . .

وأول ما يظهر من ملامح هذا الرجل الفذ العجيب المؤمن الصادق هو سعيه من أقصا المدينة ليخبر موسى عليه السلام بأن الملأ يأترون به ليقتلوه وينصحه بالخروج من أرض مصر. وذلك بعد أن وكز موسى أحد رجال فرعون وهو يختصم مع إسرائيلي فقضى عليه .

قال تعالى :

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأُ يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ
إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (القصص : ٢٠) .

ثم يقص الله علينا موقف هذا الرجل الشجاع الحكيم المؤمن وهو يجادل فرعون وكبار رجال حاشيته في سورة كاملة هي سورة غافر التي تسمى أيضاً سورة المؤمن . .

وتبدأ صورة الرجل الوضيئة عندما يقول فرعون لحاشيته :

﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ
الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ .

فيرد عليه الرجل المؤمن الحصيف :

﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ .

— كعادة المتجبرين الطغاة حيث لا يقبلون أي مناقشة — . ولكن الرجل المؤمن

يواصل حديثه :

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَوْمَ يَأْتِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ .

ويواصل الرجل المؤمن حوار الهادى ودعوته الرصينة ويذكرهم بما فعل الله بالأقوام السابقة التي طغت وتجبرت وكيف أهلكها الله تعالى . . . ويستمر في ذلك حتى يصرح في نهاية المحاجة بإيمانه :

﴿وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقْنَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ . (غافر: ٤١ - ٤٦) .

(٣) قصة قارون :

لا يرد ذكر في التوراة التي بين أيدينا عن قارون . وإن كانت هناك قصة قريبة إلى

حد ما من قصته في النهاية المفجعة، وهي ابتلاع الأرض له ولمن معه. وهي قصة قارح بن يصهار الذي يثور على موسى عليه السلام ويرفض علانية نبوته ويتهمه بالكذب على الله. فيدعو موسى ربه فيخسف الله الأرض بقورح بن يصهار ومن معه أمام بني إسرائيل. (سفر العدد، الإصحاح ١٦).

وتختلف قصة قارون في كل تفاصيلها عن قصة قارح ما عدا النهاية المربعة المخيفة. لقد كان قارون من قوم موسى فبغى عليهم بسبب الأموال الكثيرة الوفيرة التي جمعها والتحق بقوم فرعون وأنكر صلته بقومه بني إسرائيل.

وتأتي قصة قارون في القرآن الكريم في سورة القصص بعد المشاهد المتتالية من قصة مولد موسى عيه السلام، ثم نشأته في القصر، ثم نصرته لأحد بني إسرائيل وهو يختصم مع مصري من قوم فرعون، وقتله للمصري بضربة واحدة، وافتضح أمره، وفراره إلى مدين وتزوجه من ابنة يثرون كاهن مدين، وعودته بأهله وكلام الله له، وإرساله إلى فرعون، والآيات التي معه، واستكبار فرعون ونهايته وقومه غرقاً في اليم.

ويبدأ السياق القرآني هكذا:

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۖ - (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَكَثْرَتًا مَجْمَعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا

إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِمْ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَاتِبُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَاتِبُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ .

(القصص : ٧٦ - ٨٣) .

(٤) هامان :

هامان هو وزير فرعون الجبار، ويده التي يبطش بها، وعقله الذي يفكر به ويمكر. وهو أحد الجبابرة المفسدين في الأرض المستعلين بقوتهم ونفوذهم وذكائهم وجبروتهم. ومع هذا لا يرد لهامان أي ذكر في التوراة التي بين أيدينا. بينما جرائمه المنكرة وبطشه ببني إسرائيل كانت من التواتر بحيث يصعب تجاهلها في كتاب وضعه مؤلفوه ليسجل سيرة بني إسرائيل وأنبيائهم بتفصيل وتكرار ممل في أغلب الأبواب - . الإصحاحات - من الأسفار المزورة والمحرفة والتي ادعى بنو إسرائيل أنها من عند الله، وما هي من عند الله. ففيها تحقير المولى سبحانه وتعالى ووصفه بصفات مردولة من سرعة الغضب وكثرة الندم والتردد والحيرة والجبن وعدم القدرة حتى على مصارعة رجل واحد. كما أن فيها تحقير الأنبياء والرسل ووصفهم بالكذب والغش والخداع والمكر وعبادة الأوثان والزنى ونكاح المحرمات من الأخوات وزوجات الآباء وحلائل الأبناء. وقد ورد ذكر هامان في القرآن الكريم في ثلاث سور: القصص والعنكبوت وغافر.

هامان في سورة القصص^(١) :

ورد ذكر هامان ثلاث مرات في سورة القصص. وهي السورة التي قص الله فيها علينا استكبار فرعون وهامان وجنودهما، واستبدادهم وبطشهم ببني إسرائيل

(١) لا يرد ذكر هامان في أسفار التوراة الخمسة، ويرد ذكر هامان آخر في سفر استير عاش في فارس بعد النفي إلى بابل. . وتستطيع استير بدائها أن تدبر مكيدة وتقتل هامان وزير الملك. . ويحتفل اليهود بقتله ويجعلونه عيداً.

واستعبادهم لهم . . وأن الله قد أذن لهذا الظلم أن ينتهي ، ولهذا الليل أن ينجلي وذلك بولادة رجل ترعاه عين الله منذ لحظة ولادته حيث تلقى أمه الملتاعة في اليم بأمر الله فيلتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً .

قال تعالى مبشراً لبني إسرائيل بولادة موسى ونهاية الظلم والاستعباد وجعلهم أئمة :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُكِنِّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝ ﴾ (القصص : ٥ - ٦) .

وتبدأ القصة بولادة موسى في بيت متواضع من بيوت بني إسرائيل . وتلد امرأة عمران ولداً جميلاً يأخذ بالألباب . ومع هذه الولادة يبدأ الرعب والخوف والهلع ، لأن فرعون الجبار قد أمر بقتل كل مولود ذكر من بني إسرائيل في ذلك العام ، والجواسيس منبثون في أرجاء المدينة ، والقابلات كلهن قد انتظمن في سلك المخابرات وأجهزة الأمن التي يشرف عليها هامان . ويأتي الوحي من السماء للأم الملتاعة المروعة : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ .

يا لها من آية عجيبة !! إذا خفت عليه من بطش فرعون وهامان ألقيه في اليم !! فاليم قد أمر برعايته وحفظه ، وفوق ذلك تطمين ﴿ لا تخافي ولا تحزني ﴾ ، وبشارتان : ﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ .

﴿ فَالْقَطْعُ دَاءُ آلِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝ ﴾ (القصص : ٣٨ - ٤٠) .

هكذا تهزأ إرادة الله بالجبابرة الطغاة . . .

ويلتقط موسى الطفل الرضيع - الذي يتهدده قرار فرعون بقتل كل مولود ذكر من بني إسرائيل - آل فرعون . . . لماذا؟ ليكون لهم عدواً وحزناً . . . ويا لها من سخرية بفرعون وهامان الجبابرة الطغاة . .

ويأتي المشهد الثالث الذي يذكر فيه هامان . .

لقد بلغ موسى مبلغ الرجال وأتى من رحلته تلك المباركة في الطور حيث تجلى له رب العزة، وسمع موسى النداء العلوي ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ وصدع بالأمر وذهب إلى فرعون وهامان وطغمته . . . وطلب من فرعون أن يطلق بني إسرائيل . . وسخر منه فرعون واستكبر، وأظهر له موسى الآيات، وانقلبت العصا ثعباناً مربعاً مخيفاً كاد أن يلتهم فرعون، لولا أن موسى وضع يده في فمه فعاد عصا كما كان .

وتظاهر فرعون بالتجلد . وطلب السحرة، وانهزم السحرة وآمنوا برب موسى وهارون، واشتط غضب فرعون، وأمر بصلبهم، وقال للملأ من قومه :

﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ .
(القصص : ٣٨ - ٤٠).

هامان في سورة العنكبوت :

يأتي ذكر فرعون وقارون وهامان بآيات سريعة متلاحقة تصور مصارع الظالمين من مختلف الأمم . . فبعد أن ذكر الله عاداً وثمود، قال تعالى :

﴿وَقَرُونُ وَفِرْعَوْنُ وَهَمَانُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ .
(العنكبوت : ٣٩ - ٤٠).

هامان في سورة غافر (المؤمن) :

يرد ذكر هامان مرتين في سورة غافر :

الأولى في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَمْنَا
وَقَرُونَ فَقَالُوا سُحْرِ كَذَابٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ . (غافر: ٢٣ - ٢٤) .

والثانية : في قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ
فَأَطْلِعَ إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ
عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ . (غافر: ٣٦ - ٣٧) .

(٥) إيمان السحرة :

يتكرر ذكر إيمان السحرة الذين جمعهم فرعون من جميع مدن مصر ليتحدوا
موسى ، في القرآن الكريم في أكثر من سورة . .

والغريب حقاً أن التوراة الموجودة بين أيدينا لا تذكر أي شيء عن هذا الموقف
الرهيب . . حيث يجتمع السحرة لتحدي موسى في يوم الزينة ، ثم يخيب كيدهم
ويعترفون بالهزيمة ، وفي لحظات يتحولون من فجار كفار إلى بررة أطهار . . . وكان
قَمَنُ بالتوراة أن تذكر هذه القصة لأنها محل فخر واعتزاز بانتصار موسى عليه السلام
على فرعون في أول مجابهة ، ولكن التوراة الحقة قد ضاعت منذ أزمنة متطاولة .
ولم يبق بين أيدينا إلا هذه التوراة المحرفة .

ويأتي أول ذكر لقصة السحرة وإيمانهم في سورة الأعراف ثم يتكرر ذكر ذلك
الموقف المشهود بصور ومشاهد مختلفة في سورة طه والشعراء .

إيمان السحرة في سورة الأعراف :

يذكر الله تعالى قصة موسى مع فرعون حيث يبدأ المشهد بهذا الحوار بين موسى
رسول الله وفرعون الطاغية الجبار :

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾

ويتفق الملا بأن يؤجل فرعون موضوع موسى حتى يجتمع السحرة ويحشرون من كل مدينة في أرض مصر . .

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾

ويا له من سحر وصفه المولى بأنه عظيم . . حتى إن موسى عليه السلام أوجس في نفسه خيفة منه . .

وتأتي الضربة القاضية :

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

ويا له من موقف رائع . . حيث يتحول السحرة الفجرة إلى أبرار أطهار، في لحظة واحدة يرون الحقيقة كلها . إنهم يعلمون ما يافكون، وأن سحرهم ليس إلا تخيلاً للأعين . وأما عصا موسى فهي حية حقيقية تبتلع حبالهم وعصيتهم . وهم أعرف الناس بحقيقة سحرهم وإفكهم . وأمامهم الحقيقة ناصعة . ها هي العصا تلقف ما يافكون وتكاد تلتهمهم لولا أن موسى يمسك بها ويعيدها سيرتها الأولى .

وها هنا يشتط غضب فرعون حيث الفضيحة الكبرى. الشعب كله مجتمع في يوم الزينة والوقت ضحى، والرؤية أوضح ما تكون، وها هي عصا موسى تلتهم حبال السحرة وعصيتهم، وها هم السحرة يخرون ساجدين معلنين إيمانهم برب موسى وهارون!! موقف عصيب بالنسبة لفرعون. يتحدى كل منطق ويهزأ بكل وسيلة للإقناع، ولا بد من سلاح واحد يجدي في إسكات الناس أجمعين، سلاح الإرهاب والقتل وتلفيق التهم الباطلة، وهو السلاح الذي يلجأ إليه الجبابة في كل زمان حين يعوزهم المنطق ويفقدون الحجة.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

هي هي نفس الحجة التي يتمسك بها الجبابة في كل عصر حين تنهار حججهم ويبدو زيفها وعوارها، مؤامرة، أنتم تدبرون مؤامرة، لقلب نظام الحكم، ونشر الفساد في الأرض، ولا بد من قطع دابر الفساد وردع المجرمين، ومحاكمة عسكرية تصدر أحكامها الفورية بالإعدام.

وهكذا أعلن فرعون حكمه كما يعلن كل فرعون في كل زمان ومكان:

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

ويأت الرد المؤمن الواثق بربه:

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَجَاءِ تَنَارِنَا أَفَرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾. (الأعراف: ١٠٤ - ١٢٦).

وهكذا يسدل الستار على هؤلاء الأبرار وهم يصلّبون على جذوع النخل حتى يرتعب الشعب ويصمت كل من تسول له نفسه أن يشير إلى الموقف الحق الصلب الذي وقفه أولئك السحرة.

إيمان السحرة في سورة طه:

تعرض سورة طه لقطات من زوايا مختلفة لقصة إيمان السحرة وتأتي بتفاصيل

أخرى لم تذكر في سورة الأعراف . .

يبدأ المشهد بطلب من فرعون المتجبر المتكبر لموسى أن يجعل بينهم وبينه موعداً حتى يجمعوا السحرة .

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ - وهو وقت أروق ما يكون، وتكون الرؤية فيه واضحة لا غش فيها - فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَتَقُولُ فَإِذَا جِئَاهُمْ وَرِعَصِيهِمْ لِيُخِلَّ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ .

وهنا يشتط غضب فرعون ويصرخ مؤامرة .

﴿ إِنَّهُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطِيعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَابْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُمْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ مُّجْرِمًا فَإِنَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ .

(طه : ٥٦ - ٧٥) .

سورة الشعراء وقصة السحرة:

تعرض سورة الشعراء لقصة السحرة وإيمانهم من زوايا مختلفة فتضيف أبعاداً أخرى للصورة التي رسمتها سورتا الأعراف وطه.

بعد أن يعرض المولى صوراً جديدة من الحوار بين فرعون وموسى يعلن فرعون الطاغية لموسى قولته الفاجرة:

﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٣٩) قَالَ أُولَوْجِثْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ لِلْمَلَاحِظَةِ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٤٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٤٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٤٧﴾ فَجُمِعَ السّٰحِرَةُ لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مّٰعْلُومٍ ﴿٤٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٤٩﴾ لَعَلَّآ نَتَّبِعُ السّٰحِرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَٰلِبِينَ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّآ جَاءَ السّٰحِرَةُ قَالُوا الْفِرْعَوْنَ أَينَ لَنَا لَآجِرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَٰلِبِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَٰلِبُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُّوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلَاثُ حَنَافٍ ﴿٥٥﴾ فَأَلْقَىٰ السّٰحِرَةُ سِجِّينَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٥٨﴾ قَالَ أَمْسُرْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السّٰحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَابَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ (الشعراء: ٢٩ - ٥١).

(٦) قصة موسى والعبد الصالح (الخضر):

ترد قصة موسى وفتاه يوشع بن نون والعبد الصالح (الخضر) في سورة الكهف. . . وهي قصة ذات دلالات وأبعاد كثيرة. . . أخرج ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل ذات يوم. فسئل أي الناس

أعلم؟ فقال أنا. فعتب الله عليه ذلك إذ لم يقل الله أعلم. فأوصى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى: يا رب وكيف لي به. قال تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكمل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم. فأخذ حوتاً فجعله في مكمل ثم انطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما. واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً. ورأى ذلك يوشع بن نون وتعجب منه ونوى في نفسه أن يحدث موسى بهذا الحدث العجيب الفريد عندما يستيقظ موسى من نومه. فلما استيقظ موسى نسي يوشع أن يخبر صاحبه موسى بذلك. فانطلقا بقيّة يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾، فقال له يوشع بن نون: ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت. وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. واتخذ - أي الحوت - سبيله في البحر عجباً﴾. فقال موسى: ﴿ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً﴾. فرجعا يقصّان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة التي فقدتا عندها الحوت. فوجدا رجلاً مسجى بشوب. فسلم عليه موسى فقال الرجل المسجى (الخضر): وأنى بأرضك السلام. فقال موسى: أنا موسى فقال الخضر: موسى بني إسرائيل؟ قال نعم: أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، ﴿قال: إنك لن تستطيع معي صبراً﴾. يا موسى إني على علم من الله علمني لا تعلمه أنت. وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. فقال موسى: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً﴾، قال الخضر: ﴿فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول (أي بغير أجر). فلما ركبا السفينة قام الخضر وقلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم فغضب موسى وقال له: قد حملونا بغير نول فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إمرأاً. ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً. قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾...

قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فكانت الأولى من موسى نسياناً. قال: «وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر من البحر نقرة أو نقرتين فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

ثم خرجا من السفينة فيينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب بين الغلمان فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى : ﴿ أقتلت نفساً زكية بغير نفس . لقد جئت شيئاً نكراً . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ . قال وهذه أشد من الأولى . ﴿ قال إن سألتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه ﴾ ، فقال موسى قوم أتيئناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً . قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما» .

وسورة الكهف مليئة بالأعاجيب والقصص الفذة الغريبة ذات الدلالات الموحية ابتداء المولى بقصة أهل الكهف . . ثم الرجل الذي أعطاه جنتين فكفر وتولى . . ثم قصة موسى مع الخضر ثم قصة ذي القرنين . .

وتبدأ قصة موسى عليه السلام بقوله تعالى :

«وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً» وفتهاه هو يوشع بن نون كما حدثتنا الأحاديث النبوية الصحيحة . . ولكن أي بحرين وأين هو المجمع بينهما . . تسكت عن ذلك الآية الكريمة كما يسكت عن ذلك حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . (وما أورده المفسرون من أن ذلك حيث يجتمع بحر فارس (الخليج العربي) وبحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ليس صحيحاً لأنهما لا يجتمعان أبداً) .

وموسى مصمم على لقاء هذا الرجل الصالح الذي آتاه الله من لدنه علماً خاصاً لا يعلمه موسى ، ولو سار للقاءه زمناً طويلاً (حقباً) وقيل الحقبة ثمانين عاماً وقيل أكثر وقيل لا أحد لمداه . . ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً ﴾ . . فلما بلغا مجمع البحرين كأن التعب والكلال قد أخذا منهما كل مأخذ فما أن وضعاً رأسيهما على الصخرة حتى استغرقا في نوم طويل لذيذ . وانتبه الفتى يوشع بن نون أولاً فإذا هو يرى عجباً . . الحوت (وقيل إنه مشوي) الذي وضعاه في المكنة

وسارا به كل هذه المسافة الطويلة يعود فجأة إلى الحياة ويتخذ له سرباً واضحاً في الأرض حتى يصل إلى ماء البحر فينطلق ويختفي فيه .

وتعجب الفتى من هذا المنظر الغريب الذي لم يشهد مثله من قبل . . وعزم على أن يحدث موسى بذلك . . فلما أفاق موسى انزعج لهذا النوم الطويل وهو بعد لم يدرك مهمته فقال لغلامه أسرع . . أمامنا مشوار طويل . . فانطلقا يمشيان وجاوزا مجمع البحرين حتى إذا أخذ التعب منهما كل مأخذ قال موسى لفتاه : (آتنا غداءنا . لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً) . .

ويا له من سفر طويل متعب مرهق . . إذ أن موسى القوي الجلد الذي يكرز المصري وكزة واحدة فيقضي عليه . . والذي يزيح غطاء البشر الذي ينوء بحمله أربعين . . موسى القوي الجلد . . يعلن صراحة أنه تعب من هذا السفر وأن الأمر قد طال عليه . . هات يا فتى الغداء الذي حملناه معنا طوال هذه المسافة . .

وها هنا يتذكر الفتى قصة الحوت العجبية . . وقبل أن يوبخه موسى على نسيانه ذلك يعتذر الفتى قائلاً : ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ . .

ويفاجأ يوشع بن نون بأن موسى غير غاضب بل هو مسرور بذلك . ﴿قال ذلك ما كنا نبغ . فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ . .

قال موسى هذا هو ما نبغيه لأن الله قد جعل لي علامة . . «حيثُ فقدتُ الحوت ستجدُ الرجلَ الصالح» . . فارتدا يقصّان آثارهما حتى بلغا موقع الصخرة التي انسرب منها الحوت إلى البحر . . وهناك يجدان الرجل الصالح الذي يبحثان عنه ﴿فوجداه عبداً من عبادنا . آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ . فسلم عليه موسى وعرض عليه في أدب أن يتبعه كتلميذ يتعلم من أستاذه . . موسى النبي . . صاحب المعجزات العديدة وكليم الله . . يتواضع هذا التواضع لذلك العبد الذي علّمه الله علماً لا يعلمه موسى . . ﴿قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾ . يا له من أدب سامق . . كيف ينبغي أن يكون المتعلم متواضعاً للمعلم .

ويأتي الرد من المعلم يشترط شروطه ويتأكد من صبر تلميذه على التكاليف . .

والمعلم يعلم من يحدثُ ومع من يتكلم . . إنه موسى نبي الله وكليمه وأحد الخمسة من أولي العزم من الرسل . . إنه موسى صاحب المعجزات الفذة المتتالية . . إنه موسى زعيم بني إسرائيل وقائدهم ونبههم . . إنه موسى الذي لا يصبر على ضيم ولا يقبل باطلاً ولا يتبع إلا الحق الصراح الظاهر الجلي . . موسى ذو النفس الأبية المندفعة السريعة الغضب في الله والله . . موسى صاحب المواقف الفوارة الجياشة بالعاطفة والقوة والصدق والإخلاص . . موسى الذي وكز المصري بيده فأرداه قتيلاً . . موسى الذي أسرع لنجدة الفتاتين من مدين تزدودان أغنامهما ولا تسقيان حتى يصدر الرعاء . . موسى الذي أمسك برأس أخيه هارون يجره إليه عندما رأى بني إسرائيل يعبدون العجل في فترة غيابه . . وهارون لم يستطع أن يكبح جماح بني إسرائيل وطغيانهم وكفرهم . .

لهذا كله يقول الخضر لموسى وقد علم طبيعته الجياشة المنفعلة التي لا تصبر على ما تعتبره باطلاً مهما كانت الظروف . يقول له : ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ . وقد صدق فكيف يستطيع موسى أن يرى سفينة لمساكين تغرق بسبب عمل عدواني في ظاهره يقوم به الخضر ولا ينكر ذلك ، وكيف يستطيع موسى أن يرى الخضر يقتل غلاماً بريثاً يلعب مع الغلمان . . ويقره على فعله . . وكيف يرى موسى الخضر يقوم ببناء حائط يريد أن ينقض لجماعة بخيلة ظالمة ولا يأخذ منهم أجراً ثم لا ينكر فعل الخضر ذاك .

إن الخضر يعلم من طبيعة موسى ما لا يعلمه موسى من نفسه . لهذا قال الخضر ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ؟ ولكن موسى أجاب بكل أدب وخضوع ووعد بمشيئة الله أن يكون صابراً . ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِذَا شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ .

ظن موسى أنها ستكون أوامر وتكاليف شاقة . . وهو يعلم من نفسه الصبر على المشاق وتحمل المصاعب فكم تحمل من مشاق من فرعون وملئه . . وكم تحمل من مشاق من قومه المناكيد ذوي القلوب القاسية التي هي كالحجارة أو أشد قسوة . لهذا كله قال موسى : ﴿سَتَجِدُنِي إِذَا شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ .

إن الخضر لا يريد من موسى أن ينفذ أي شيء.. . كلا لا أوامر.. . لا شاقة ولا هينة.. . الأمر أشد من ذلك على موسى يريد أن يسكت على ما يعتبره موسى ظلماً رغم أن موسى يعلم بوحى من الله أن ما يفعله الخضر ليس من ذاته.. . بل عن أمر ربه ووحيه.

قال الخضر: ﴿فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ كل ما يطلبه الخضر من موسى هو الصمت.. . هل يستطيع موسى أن يصمت.. . إن حمل الجبال أهون على موسى عليه السلام من السكوت على الظلم.. . أو ما يعتبره ظلماً في ظاهره.

﴿فانطلقا﴾ ووجدا أهل سفينة فطلب الخضر من أصحاب السفينة أن يحملوهم معهم فلبى أهل السفينة الطلب بكل ترحاب وحملوهم مجاناً.. . أنهم أناس طيبو القلب دمثو الخلق يترزقون من سفينتهم تلك البسيطة.

وإذا بموسى يفاجأ بمنظر غريب.. . الخضر يمسك بالقدوم وينزع منها لوحاً فيخرق السفينة.. . يا له من كنود.. . هؤلاء المساكين حملونا مجاناً دون نول وأكرمونا.. . وإذا بالخضر يخرق السفينة ويجازيهم جزاء سنّار.. . من يسكت على هذا الظلم؟.. . يستطيع موسى أن يرى هذا الباطل والظلم ويصمت؟ إنه أستاذه الذي أمره الله باتباعه ليتعلم منه!! ولو!! إن الله لا يرضى بالظلم ولا الفساد في الأرض.. . موسى لا يستطيع أن يكتم غيظه من هذه الفعلة الحمقاء الظالمة في ظاهرها ﴿قال أخرجتها لتفرق أهلها. لقد جئت شيئاً إمرأ﴾.. . إنه أمر لا يمكن السكوت عليه.. . وخاصة بالنسبة لموسى عليه السلام ذو الطبيعة الجياشة والعواطف الفياضة التي لا تستطيع أن ترى منكراً وتسكت عنه.

وأجاب الأستاذ الهادى العليم بطبيعة تلميذه ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾.

وسرعان ما يثوب التلميذ إلى رشده.. . ألم يقل لأستاذه أنه سيصبر.. . آه ما أهون الصبر على المشاق وعلى تحمل الأذى.. . لكن ما أصعب الصبر على رؤية الباطل والأذى يقع على المساكين.. .

إن نقل الجبال من مكانها أهون على موسى عليه السلام من الصمت على موقف يرى أنه مخالف للحق . . ومع هذا أليس هذا هو أستاذه الذي ارتضاه فليصبر على العلقم . . ويعتذر موسى ﴿ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً ﴾ .

﴿ فانطلقا ﴾ . . انطلقا من السفينة بعد أن خرقتها الخضر يمشيان على ساحل البحر ﴿ حتى إذا لقيا غلاماً فقتله ﴾ يا للطامة الكبرى!! ما ذنب هذا الغلام الزكي الذي يلعب مع الغلمان . . أتقتل نفس زكية بغير نفس . . إلا ما أشد هذا الظلم . . وما أفدح هذا العدوان . . إنه شيء لا تستطيع نفس موسى الأبية أن تسكت عليه . . يصرخ موسى في وجه أستاذه ﴿ أقتلت نفساً زكية بغير نفس . لقد جئت شيئاً نكراً ﴾ .

وجاء الجواب من الأستاذ هادئاً ومقرعاً في نفس الوقت ﴿ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ . ومع تشابه الجملة الأولى مع الثانية نرى نوعاً من التقرير الخفي يزداد حدة . . ﴿ ألم أقل لك ﴾ ، فزادت كلمة لك في موقعها العجيب لتعطي إيحاءاً خفياً بأن الخضر بدأ ينذر تلميذه من هذا التدخل المتكرر وينبهه إلى أن طبيعته الفياضة الجياشة لا تسمح له بأن يرى منكراً أو ما يعتقد أنه منكر ويصمت . . ويصبر على مرارة الصمت على الباطل!

ويتنبه التلميذ ويرى أن أستاذه قد أنصف . . ألم يعد أستاذه بالصبر — وها هو للمرة الثانية لا يستطيع أن يكتم غيظه ويصرخ محنقاً في وجه أستاذه: ما هذا المنكر الفظيع الذي فعلت؟ . . وعلم موسى أن لا مجال لهذه الصحبة أن تستمر ولكن ليحرب نفسه مرة أخيرة . . ﴿ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني . قد بلغت من لدني عذراً . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾ . . يا لهم من قوم لثام . . إن إكرام الضيف الغريب واجب . . وقد أوجبت جميع الشرائع السماوية . . وحدده الإسلام بثلاثة أيام قرى فما زاد عن ذلك فهو صدقة . . حيث لم يكن في تلك الأيام فنادق ولا مطاعم عامة فإذا نزل المسافر بقوم ولم يجد من يطعمه ويؤويه فكيف يعيش ويقتات . . وصبر موسى على هؤلاء القوم اللثام ولم ينبس ببنت شفة . . ولكن ها هو أستاذه يقوم ليصلح لهم حائطاً مائلاً دون أجر . . وهنا تنفلت نفس موسى محتجة على هذا التصرف ﴿ قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ .

وأعلن الخضر نهاية هذا الصحبة التي لا يمكن أن تستمر حيث يمثل أحدهما عالم الشريعة . . عالم الظاهر . . ويمثل الآخر عالم الحقيقة . . عالم الباطن . . ﴿قال هذا فراق بيني وبينك﴾ لأنك لا تستطيع أن تصحبنى كما أخبرتك منذ اللحظة الأولى فأنا عليم بطبعك الذي لا يكظم غيظاً على باطل يراه ولا يسكت عن ظلم وقع على إنسان . . فنفس موسى عليه السلام تمثل نفس الإنسان المتمرد على الباطل والطغيان في أنقى صورها وأجلى مظاهرها . . وقد صاغها الله هكذا لتواجه نفس الطاغية المتكبر الجبار فرعون وملئه . . ولتواجه نفوس بني إسرائيل المستخزية الجبانة الرعيدة التي استمرت المذلة والمهانة واستعذبت الضيم والظلم والعبودية .

ولكن الخضر لا يذهب قبل أن يعلن لموسى عليه السلام أسرار تلك التصرفات التي تبدو مخالفة للعقل ومخالفة للدين . . ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أغيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ .

نعم، كان وراءهم ملك ظالم يأخذ كل سفينة صالحة غصباً لهذا قمت بإعطائها حتى لا يتمكن الملك الظالم من أخذها قسراً على هؤلاء المساكين . . فظاهر عملي هذا قسوة وعدوان وظلم وباطنه رحمة وشفقة بهؤلاء المساكين .

﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾ . فأردنا أن يبدلهما ربُّهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً﴾ .

إن هذا الغلام الجميل الوسيم الذي قتلته والذي ثارت نفسك من أجله هو غلام مطبوع على الكفر وقد أعلمني الله ذلك وأمرني بقتله لأن أبويه من المؤمنين الصالحين المتقين . . ومحبتهم لهذا الغلام الشقي سترهقهما إلى حد أنهما سيتابعانه على الكفر . قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : أي يحملهما حبه على متابعتة على الكفر . قال قتادة : فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولوبقي لكان فيه هلاكهما فليرضى امرؤ بقضاء الله فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وصح في الحديث : «لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيراً له» وقال تعالى : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ .

وهكذا يوضح الخضر لموسى عليه السلام أنه لم يقتل الغلام عدواناً وظلماً بل قتله بأمر الله ووحيه حتى لا يُخرج أبويه عن دين الله ولا يرهقهما طغياناً وكفراً ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً﴾ . . . ولم يكد الخضر يقتل الغلام حتى حملت أم الغلام بولد زكي بار بوالديه رحيم بهما لئن الطبع حسن الخلق قوي الإيمان محباً للخير.

﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري . ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ .

وأما الجدار الذي كاد أن ينقض وأقامه الخضر فلم يكن من أجل أصحاب القرية ﴿المدينة﴾ اللؤماء البخلاء الأشحاء . . بل من أجل غلامين يتيمين في المدينة . . . وتحت الجدار كنز لهذين اليتيمين . . . ولو سقط الجدار لظهر الكنز وأخذه هؤلاء اللؤماء ولم يعطوا اليتيمين صاحبي الجدار من مالهما شيئاً . .

وأصحاب القرية هؤلاء كما رأيت بنفسك أهل شح وبخل ولؤم . . وقد أبوا أن يضيّفونا . . وهم أحرى بأن يأخذوا كنز هذين اليتيمين . . ورعاية لليتيمين . . ولا بـ صالح لهما أمرني ربي بإعادة بناء هذا الجدار حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما . . رحمة من ربك . .

ثم يؤكد له الخضر أنه لم يفعل ما فعل في كل هذه الحوادث الغريبة شيئاً من تلقاء نفسه ﴿وما فعلته عن أمري . ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ .

ويسدل الستار على الخضر ويختفي فجأة كما ظهر . . وكما اختفى من قبل فتى موسى الذي صاحبه في الرحلة الشاقة حتى إذا لقيا الخضر انتهى دوره واختفى من المسرح .

وكم في قصة الخضر وموسى من أسرار وعبر . . وكم فيها من دروس وآيات وعجائب . . . وها هنا ملاحظات سريعة محدودة :

● أولاً : لا ينبغي لأحد مهما كان علمه أن يقول أنه أعلم أهل زمانه . . فعندما

بمثل موسى عن أعلم أهل الأرض يومذاك قال أنا؟ .. وكان صادقاً فيما يقول .. ولم يقلها موسى عليه السلام عُجباً ولا اختيالاً .. حاشاه من ذلك بل كان يظن أنه كذلك . فعاتبه الله على ذلك وجعله يسير تلك الرحلة الشاقة الطويلة المليئة بالأسرار الحافلة بالغموض المختصة بعلم الباطن ليعلم أن هناك من هو أعلم منه ببواطن الأمور .

● ثانياً: أدب طلب العلم .. وموقف المتعلم من المعلم .. وموقف المعلم من طالب العلم . تعرضها تلك الآيات القليلة .. لتكون نبزاً للأجيال في هذا الأدب العالي الرفيع .

● ثالثاً: هناك عالم حافل بالأسرار والحقائق .. لا يعلمه إلا الله ومن شاء أن يُظهره عليه من خلقه .. وهو عالم مثير غامض .. نسلّمه لأهله لكن بشرط .. شرط واحد هو أن لا يصطدم هذا العالم المثير الغامض .. بقوانين الشريعة ..

فإذا كان موسى عليه السلام رغم علمه أن الخضر لم يفعل شيئاً من ذات نفسه وأنه مأمور، لم يطق السكوت على الظلم وعلى سفك الدماء البريئة (في الظاهر)، فنحن أحق وأجدر بأن لا نسمح لأحدٍ كائناً من كان بأن يخالف الشريعة .. لأننا لا نعلم إن كان المخالف لها قد فعل ذلك بأمرٍ من ربه أم أنه كاذب كفّار.

فلا يجوز إذن لأحد مهما ادعى من ولاية وكرامات .. أن يخالف في أي أمر من أمور الشريعة .. فإن خالف ذلك فيجب أن يُنكر ذلك عليه ولا يُسلّم له مطلقاً .. وإن أتى أمراً يوجب عليه حداً من حدود الله فينبغي أن يقام عليه الحد .. لا نقبل في ذلك تأويلاً ..

وموسى عليه السلام يوحى إليه .. وقد علم يقيناً أن الخضر لا يفعل ما فعل من منكرات (في ظاهر الأمر) بأمره .. ومع هذا اعترض عليه ولم يطق صبراً على أفعاله ..

فكيف يمكن لنا أن نرى شخصاً يخالف الشرع ثم يزعم أنه مثل الخضر .. من أين لنا أن نعلم صدق مقولته؟ .

إن هذا الدين قد أقيم على الشريعة الواضحة المستقيمة . . ومن خالفها يعاقب حسب ما رسمته الشريعة ذاتها . إن اقترف حداً وجب عليه الحد . وإن فعل ما يوجب التعزير وقع عليه التعزير . . وإن فعل شيئاً يوجب الإنكار أنكرنا عليه . . وما أحسن ما ذهب إليه المحققون من علماء هذه الأمة . . من أن الشريعة والحقيقة يجتمعان في أجلى وأعظم وأنقى صورها في المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ثم في آل بيته وصحابته من بعده . . ثم في التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . وما ظهر من أحد من هؤلاء جميعاً مخالفةً للشريعة في أي أمر من أمورها ولا شأن من شؤونها . وحاشا أن يظهر فهم دعائها وحماتها والقائمون عليها .

* * *

بعض حوادث بني إسرائيل في عهد موسى (عليه السلام)

عدد بني إسرائيل عند الخروج الخرافي في التوراة :

تذكر التوراة أن عدد أولاد يعقوب وجميع من معه كانوا سبعين نفساً عند دخولهم مصر أيام يوسف، ثم تذكر أن الفراعنة تغيروا على بني إسرائيل — وذلك بعد طرد الهكسوس من مصر على يد أحمس ١٥٨٠ قبل الميلاد — وبدأوا في اضطهاد الإسرائيليين، وأن عدداً كبيراً منهم مات في أعمال السخرة، وأعداداً أخرى ماتت تحت التعذيب، ثم جاء فرعون الاضطهاد رعمسيس الثاني، وفرعون الخروج منبتاح — حسب زعمهم —، واشتد العذاب حيث أمر فرعون بقتل كل ذكر يولد لبني إسرائيل. وقد أكد القرآن الكريم ذلك حين ذكر في أكثر من آية تقتيل الأبناء واستحياء البنات ﴿يُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيَى نِسَاءَهُمْ﴾.

وتذكر التوراة في سفر الخروج (١٢ : ٤٠) أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت ٤٣٠ سنة. وفي سفر التكوين ٤٠٠ عام. وأن عدد الذكور فقط عند خروجهم كان ستمائة ألف. «فارتحل بنو إسرائيل إلى سكوت نحو ستمائة ألف ماشي من الرجال عدا الأولاد. وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر ومواشي وافرة جداً». (سفر الخروج ١٢ : ٣٧ - ٣٩).

وعندما علم فرعون بهرب بني إسرائيل غضب «وخرج وراءهم في ستمائة مركبة منتخبة. وسائر مركبات مصر وجنود مركبية على جميعها» (سفر الخروج ١٤ : ٧).

والغريب حقاً أن ستمائة ألف رجل من بني إسرائيل كادوا يموتون من الفزع لرؤيتهم ستمائة مركبة من مركبات فرعون وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر

أخذتنا لنموت في البرية. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر. أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كُفَّ عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية». (سفر الخروج ١٤ : ١٠ - ١٣).

وبعد أن نجَّى الله موسى ومن معه من بني إسرائيل وأهلك فرعون وقومه غرقاً في اليم سار موسى وقومه في البرية في سيناء متجهين إلى فلسطين . .

وجاء في (سفر العدد ١ : ١ - ٤) :

«وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلاً: احصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرتهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء. كل ذكر برأسه من ابن عشرين فصاعداً خارج للحرب في إسرائيل».

فأحصاهم موسى وهارون ورؤساء إسرائيل فوجدوهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين من الرجال فوق سن العشرين، ولم يعدوا فيهم النساء والأطفال دون العشرين، كما لم يعدوا فيهم أيضاً بيت اللاوي - أحد أسباط إسرائيل ومنهم موسى وهارون لأنهم أعدوا للكهانة وليس للحرب - .

ومعنى ذلك بكل بساطة أن عدد بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر مع النساء والأطفال كان يقترب من ثلاثة ملايين .

ثم كلم الرب موسى قائلاً عُدَّ بني لاوي حسب آبائهم وعشائرتهم كل ذكر منهم من ابن شهر فصاعداً فعدهم موسى». (سفر العدد ٣ : ١٤ - ١٦).

فكان جميع المعهودين من اللاويين الذين عدهم موسى وهارون حسب قول الرب بعشائرتهم، كل ذكر من ابن شهر فصاعداً: اثنان وعشرون ألفاً. . (سفر العدد ٣ : ٣٩).

ثم عُدَّ موسى جميع الأبكار الذكور من ابن شهر فصاعداً فوجدهم ٢٢٢٧٣

نفساً. (العدد ٣: ٤٣). . وأخذ موسى عن كل بكر خمسة شواقل فضة وأعطى الفضة لهارون وبنيه. . وأخذ كل بكر من البهائم وأعطاهما لهارون وبنيه. . وصار بذلك هارون من أغنى أغنياء العالم!!

وقد أنكر هذا العدد جميع الباحثين من اليهود والنصارى وقالوا: إنه غير معقول وفيه مبالغة وتهويل. وذكرت دائرة المعارف البريطانية (ج ٢ / ٨٧٩ - ٩٠١ الطبعة الخامسة عشرة ١٩٨٢) أن هذه الأعداد مبالغ فيها جداً. وكذلك ذكر الدكتور موريس بوكاي في كتابه القرآن والتوراة والإنجيل والعلم أن العدد مبالغ فيه. وأفرد رحمة الله العثماني الكيرانوي في كتابه إظهار الحق (ج ١ ص ١١٢ - ١١٤) ثلاث صفحات لمناقشة هذا الادعاء الباطل، واستدل على ذلك بعدة وجوه:

● الأول: أن مكث بني إسرائيل في مصر كما تذكره أغلب المصادر هو ٢١٥ سنة (تذكر دائرة المعارف البريطانية ج ١٢ / ص ٤٨٧ مادة موسى الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ أن الخروج كان سنة ١٢٩٠ قبل الميلاد على أرجح الأقوال، وتذكر أن المدة بين سليمان والخروج ٤٨٠ عاماً التي تدعيها التوراة).

ولا يعقل في هذه المدة أن يتضاعف بنو إسرائيل من سبعين شخصاً دخلوا زمن يوسف إلى مصر ويصبحوا بعد قرنين من الزمن قرابة ثلاثة ملايين شخص.

● الثاني: أن الفراعين قد تسلطوا على اليهود يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وذلك منذ أن طرد أحمرس الهكسوس (١٥٨٠ قبل الميلاد). وبالتالي لا يعقل أن يزداد الشعب زيادة كبيرة في فترات يكثر فيها القتل.

● الثالث: لا يعقل أن يزداد اليهود بهذه الدرجة ولا يزداد المصريون السكان الأصليون لمصر.

● الرابع: تذكر التوراة أن هذا العدد كله مع مواشيهم الكثيرة جداً عبروا البحر في ليلة واحدة أو جزء من ليلة، وهو أمر لا يعقل لكثرتهم.

● الخامس: لا بد أن يكون موقع نزولهم واسعاً جداً حتى يسع هذه الملايين مع مواشيهم، والأماكن المذكورة في التوراة أثناء خروجهم ليس فيها هذا الاتساع.

• السادس: وقع في سفر التثنية الإصحاح السابع أن الرب وعدهم بإهلاك أعدائهم سكان فلسطين قليلاً قليلاً، لأنه لو أبادهم دفعة واحدة لكانت أرض فلسطين متسعة جداً عليهم فتكثر عليهم دواب البر. ولو كان عددهم كما جاء في سفر الخروج لما وسعتهم فلسطين إلا بالكاد.

وقد جاء في القرآن الكريم استنفار فرعون لقومه للحاق ببني إسرائيل الذين فروا من وجهه:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِلُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

(الشعراء: ٥٤ - ٥٦).

وقد جاء في سفر الخروج أن عدد مركبات فرعون كان ستمائة والمركبة في ذلك الوقت لم يكن يركبها سوى فارس أو اثنين فقط. . ومعنى ذلك أن جيش فرعون لم يكن يزيد عن بضعة آلاف. وقد مر معنا ذلك الهلع والرعب الذي دبّ في أوصال بني إسرائيل عندما رأوا جند فرعون وتقريعهم لموسى، ولو كان عددهم بالملايين وفيهم ما يزيد على ستمائة ألف مقاتل لما ارتعبوا من فرعون هذا الرعب العظيم.

وقد أنكر ابن خلدون في المقدمة أيضاً هذا العدد الرهيب الذي ذكرته التوراة (سفر الخروج، وسفر العدد).

وأما سنة الخروج فقد اختلف فيها اختلافاً شديداً بين الباحثين. وذكرت دائرة المعارف البريطانية ج ١٢ / ٤٨٧ مادة موسى الطبعة الخامسة عشرة الأقوال الكثيرة المختلفة ورجحت أن سنة الخروج كانت ١٢٩٠ قبل الميلاد.

وذكر الدكتور موريس بوكاي في كتابه القرآن والتوراة والإنجيل كذلك الأقوال المختلفة في زمن الخروج واعتبر أشدها نكارة فرض (دي ميسلي - J. de Miceli) (١٩٦٠ م) الذي زعم أن خروج بني إسرائيل حدث في ٩ أبريل ١٤٩٥ قبل الميلاد. . وكذلك اعتبر فرض دانييل - روبس في كتابه شعب التوراة: فرضاً بعيداً عن الواقع. أما الأب ديغو فقد قرب من الحقيقة في كتابه «تاريخ إسرائيل القديم» بأن ذلك حدث في وقت رمسيس الثاني وهو في الفترة ما بين عام ١٣٠١ و ١٢٩٠ قبل الميلاد.

وينتهي الدكتور موريس بوكاي إلى تأييد فرضه بأن فرعون الخروج هو منبتاح بن رمسيس الثاني . وبما أن منبتاح تسنم عرش مصر سنة ١٢٢٤ قبل الميلاد، وحكم مصر لمدة عشر سنوات في أحد الأقوال، وعشرين عاماً في قول ثان، فإن سنة الخروج إما أن تكون سنة ١٢١٤ قبل الميلاد أو ١٢٠٤ قبل الميلاد.

وهكذا يبدو أن الزمن الذي تم فيه خروج موسى وقومه من مصر غير معروف على وجه الدقة، وأن أقرب الأقوال إلى الصحة أن ذلك تم في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

الأعداد الخرافية لبني إسرائيل في التيه :

وقد جاء في التوراة أن بني إسرائيل عبدوا العجل الذي صنعه لهم هارون عليه السلام وهو افتراء على هارون عليه السلام . والذي صنع العجل هو السامري كما ورد في القرآن الكريم . وقد جاء أن الله غضب عليهم وقال لهم : ﴿ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ، فجاءت سحابة فقتل منهم آلاف مؤلفة .

ثم قالوا : أرنا الله جهرة ، ومات منهم أيضاً عدد آخر . وجاء في سفر العدد (الإصحاح ١٦ : ٤١ - ٥٠) : « فتذمر كل جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين أنتما قتلتما شعب الرب . ولما اجتمعت الجماعة على موسى وهارون انصرفا إلى خيمة الاجتماع وإذا هي قد غطتها السحابة وتراءى مجد الرب . فجاء موسى وهارون إلى قدام خيمة الاجتماع فكلم الرب موسى قائلاً : اطلعنا من وسط هذه الجماعة - أي بني إسرائيل - فإني أفنيهم بلحظة . ثم قال موسى لهارون خذ المذبح واجعل فيها ناراً من على المذبح وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة وكفر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الرب . فأخذ هارون كما قال موسى وركض إلى وسط الجماعة وإذا الوباء قد ابتدأ في الشعب فوضع البخور وكفر عن الشعب . ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوباء . فكان الذين ماتوا بالوباء أربعة عشر ألفاً وسبعمائة عدا الذين ماتوا بسبب قورح » .

ومرة أخرى شتم بنو إسرائيل موسى وغضبوا على الطعام الذي أتاهم من

السماء. «فأرسل على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل» (سفر العدد، الإصحاح ٢١ : ٦).

وأرسل موسى الجواسيس إلى أرض العماليق ليعرف خبرهم، فلما جاء الجواسيس قالوا له : رأينا قوماً ضخاماً أقوياء أشداء لا طاقة للشعب بقتالهم. فبكى الشعب وقالوا لا نريد قتالاً لهؤلاء القوم. اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. وتكلم يوشع بن نون – تلميذ موسى – وكالب بن يفنه وكان من ضمن الجواسيس وهونا الأمر على الشعب، وقالوا للشعب: قاتلوا هؤلاء القوم والنصر لكم من عند الله. . لكن بني إسرائيل رفضوا القتال. فأما الرب جميع الشعب «لأن الرب قال لهم يموتون في البرية فلم يبق إنسان منهم إلا كالب بن يفنه ويشوع بن نون». (سفر العدد، الإصحاح ٢٦ : ٦٥).

والغريب حقاً أن يصل عدد المقاتلين من بني إسرائيل بعد كل هذا الإهلاك والموت إلى ستمائة ألف وبضع مئات عدا بني لاوي لأنهم من الكهنة. . وعدا النساء والأطفال لأنهم لا يعدون إلا من كان قد بلغ عشرين سنة فما فوقها.

«هؤلاء هم الذين عدهم موسى وألعازار الكاهن حين عدا بني إسرائيل من عربات موآب على أردن أريحا. وفي هؤلاء لم يكن إنسان من الذين عدهم موسى وهارون الكاهن حين عدا بني إسرائيل في برية سيناء لأن الرب قال لهم إنهم يموتون في البرية فلم يبق منهم إنسان إلا كالب بن يفنه ويشوع بن نون». (سفر العدد، الإصحاح ٢٦ : ٦٣ – ٦٥).

فإذا كان ستمائة ألف مقاتل قد ماتوا في التيه ومات غيرهم بالحياة والصعق والوباء فكيف يصل عددهم إلى ستمائة ألف مقاتل بعد أن أفني آباؤهم في خلال أربعين سنة؟ وكيف يقودهم يوشع بن نون مرة أخرى للقتال والاستيلاء على أريحا الأردن؟! ..

وهي أعداد خرافية لا يمكن أن تعقل، وتصطدم مع بديهيات الأمور. ففي خلال فترة التيه مات من بني إسرائيل حسب ما تذكر التوراة أكثر من مليون. ومع هذا نرى

جيشاً يقوده يوشع بن نون بحضور موسى يبلغ تعداد جنوده أكثر من ستمائة ألف مقاتل!!.

وقسم موسى الأرض سلفاً لأسباط بني إسرائيل ما عدا سبط اللاوي لأنهم الكهنة وليس لهم من قسم الأرض شيء.

بنو إسرائيل يتمردون على موسى ويعبدون العجل:

رغم أن موسى عليه السلام هو أعظم أنبياء بني إسرائيل على الإطلاق، وهو زعيمهم الذي أخرجهم من العبودية والذل إلى العزة والكرامة والحرية، إلا أنه لم يسلم من أذى بني إسرائيل ومن شتائمهم له. حتى إن التوراة الموجودة اليوم بين أيدينا مليئة بقذف موسى عليه السلام وافتراء الكذب عليه وعلى أخيه هارون.

ومنذ اللحظة الأولى التي جاءهم فيها موسى ودعاهم فيها لإخلاص العبادة لله والخروج من أرض مصر، وبنو إسرائيل يتلكأون في طاعته ويتمردون عليه ويلجئون في حاجته، لشدة فرقتهم وفزعهم من فرعون وقومه، وعدم صبرهم على احتمال الأذى واستعلائهم وتجبرهم وطغيانهم عند أول بادرة يزول فيها عنهم الخطر.

وبدأت لجاجتهم مع موسى عليه السلام وهم لا يزالون تحت فرعون يستعبدهم ويذبح أبناءهم ويستحي نساءهم. فقالوا لموسى:

﴿قَالُوا أَوِذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

(الأعراف: ١٢٩).

وما يكاد فرعون يغرق ويجاوز بنو إسرائيل البحر حتى يجدوا قوماً عاكفين على أصنام لهم فتبلغ بهم الوقاحة أن يطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً مثل أولئك القوم الفاسقين.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ

وَبَطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى
الْعَلَمِينَ ﴿١٤٠﴾

قصة العجل :

وسكت بنو إسرائيل على مفضل فلما ذهب موسى لميقات ربه، أخرجوا الحلي التي سرقوها من المصريين، وتناولها السامري فصنع لهم عجلاً له خوار، وقال: هذا إلهكم وإله موسى. فعبداه القوم، وذبحوا له، وسجدوا أمامه، وغنوا ورقصوا.

ويقص الله سبحانه وتعالى قصة العجل في سورة الأعراف وفي سورة طه. ويذكرهم المولى بعبادة العجل في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، وكيف أشربوا العجل وحبه في قلوبهم — سورة البقرة: ٩٣ :

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾.

ووصف المولى تعالى عبادتهم للعجل في سورة الأعراف كالتالي :

قال تعالى :

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا
أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَ عَلَيْهِمْ غَضَبَ مَنْ أَسَفَا قَالَ يَتَّبِعُونَ مِن بَعْدِي أَعِجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ
وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي
فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي
وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ
غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.

(الأعراف: ١٤٨ — ١٥٢).

وقال تعالى في سورة طه يصف كفر بني إسرائيل بعد أن أنجاهم الله من فرعون ، وبعد أن أنزل عليهم المن والسلوى ، وكيف عبدوا العجل :

﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَبْغَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ۞

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ - أي من أثر حافر دابة جبريل عليه السلام حيث أخذ السامري من ذلك التراب الذي مسه جبريل أو حافر دابته ونبذه في العجل الذهبي فخار العجل - . فَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ - أي لا يمسنني أحد لأنه لو مسه إنسان حُمَّ كلاهما معاً - . وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا

لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾ إِنَّكُمْ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٨﴾ .

(طه : ٨٠ - ٩٨) .

وهكذا يصف القرآن الكريم كيف عبد بنو إسرائيل العجل بعد أن نجاهم الله من فرعون وبطشه بهم، وبعدهما رأوا الآيات العجيبة المتتالية أمام أعينهم. ولكن ما أن ذهب موسى لميقات ربه حتى جمع بنو إسرائيل الحلي التي استعاروها من المصريين قبيل خروجهم من مصر، وجمعها السامري الذي برع وتفنن في صناعة العجل من الذهب الخالص، ولم يكتف بذلك بل قذف في فم العجل شيئاً من التراب الذي مسه حافر دابة جبريل، حيث قبض قبضة من أثر الرسول فنبذها، فإذا العجل يخور. وجُنَّ بنو إسرائيل بهذا العجل فهو يفوق العجول التي كان المصريون يعبدونها ويسمونها إيبيس، فتلك عجول صامتة، وهذا عجل له حوار.

وأما الصورة التي ترسمها التوراة المحرفة لعبادة العجل فهي صورة قميئة، حيث تتهم هارون عليه السلام بأنه هو الذي صنع العجل، وأنه هو الذي دعا بني إسرائيل لعبادته، ولا يرد أي ذكر للسامري في التوراة المحرفة.

وهذا يوضح إلى أي مدى بلغت الوقاحة بيهود حيث يحرفون كلام الله ويزيغونه لدرجة لا يكاد يتصورها عقل، والتي اتهموا فيها الأنبياء جميعاً بالغش والخداع والكذب والنفاق والزنى والربا ونكاح المحارم، والتي سنستعرضها بإذن الله في كتاب خاص.

ولم يكتفوا بذلك بل وصفوا المولى سبحانه وتعالى بقولهم:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ . (آل عمران : ١٨١) .

وبقولهم:

﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ . (المائدة : ٦٤) .

وصوّرت التوراة المولى سبحانه وتعالى بصورة مهينة وحقيرة، حيث يظهر في

صورة رجل يصارعه يعقوب فلا يستطيع أن يتغلب عليه، ولا يطلقه يعقوب حتى يعطيه العهد الأبدي له ولنسله. كما يظهر في صورة بشر حقوق سريع الغضب لأن آدم أكل من شجرة المعرفة، ولأن بني آدم اجتمعوا وصار لهم لسان واحد، فنزل خوفاً على عرشه وبلبلهم وفرقهم في الأرض. وتظهره التوراة المحرفة بصورة شخص سريع الغضب، كثير الندم. وسنستعرض ذلك أيضاً في رسالة خاصة بإذن الله تعالى.

هارون يصنع العجل ويعبده:

لقد بلغت الوقاحة والافتراء باليهود حدوداً لا يكاد يتخيلها عقل إنسان. ففي التوراة المحرفة (سفر الخروج، الإصحاح ٣٢ : ١ - ٣٠) ما يلي:

«ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم واثنوني بها - وهي التي سرقوها من المصريين عند خروجهم من مصر، وقد زعمت التوراة أنهم أمروا بسرقة المصريين من الرب - . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكة فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدتكم من أرض مصر. فلما نظر هارون، بنى مذبحاً أمامه - أي أمام العجل - ونادى هارون وقال: غداً عيد الرب. فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح - للعجل - . وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب».

«فقال الرب لموسى: اذهب انزل لأنه فسد شعبك الذي أصدتته من أرض مصر. زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا عجلاً مسبوكة وسجدوا له وذبحوا له. وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدتكم من أرض مصر. وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب. وإذا هو شعب صلب الرقبة. فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم، فأصيرك شعباً عظيماً. فتضرع موسى أمام الرب إلهه. وقال: لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه

الأرض؟ ارجع عن حمو غضبك واندم على الشرّ بشعبك — لعنة الله على اليهود كيف بلغت بهم الوقاحة أن يصوروا موسى يتحدث مع رب العالمين بهذه الصفاقة كأنما يكلم بشراً سريع الغضب — اذكر إبراهيم وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت فيملكونها إلى الأبد. فندم الرب على الشرّ الذي قال إنه يفعله بشعبه — ألا لعنة الله على اليهود حيث تقول التوراة المحرفة: إن الرب يندم!! وما أكثر ندم هذا الرب عندهم!!! — .

«فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده. لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين. وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه، فقال لموسى صوت قتال في المحلة. فقال: ليس صوت صياح النصر ولا صوت صياح الكسرة بل صوت غناء أنا سامع. وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص. فحمى غضباً موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرها في أسفل الجبل ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل». (سفر الخروج ٣٢: ١٥ - ٢٠).

موسى يقرّع هارون، وهارون يعرّي موسى ليهزأ به الشعب:

«وقال موسى لهارون ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة؟ فقال هارون: لا يحمّ غضب سيدي. أنت تعرف الشعب أنه في شر. فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أضعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ويعطني. فطرحته في النار فخرج هذا العجل. ولما رأى موسى الشعب أنه مُعرّي لأن هارون كان قد عراه للهزء بين مقادميّه». (سفر الخروج ٣٢: ٢١ - ٢٦).

الأمر يقتل عبدة العجل:

«وقف موسى في باب المحلة وقال من للرب فإلّي. فاجتمع إليه جميع بني لاوي فقال لهم. هكذا قال الرب إله إسرائيل. ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا

وارجعوا من باب إلى باب في المحلة. واقتلوا: كل واحد أخاه. وكل واحد صاحبه. وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. وقال موسى املاؤا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه. فيعطيكُم اليوم بركة» (سفر الخروج ٣٢ : ٢٦ - ٢٩).

وهكذا تصف التوراة المحرّفة الأنبياء.. وتجعل هارون صانعاً للعجل وداعياً لعبادته.. ثم تصور موسى عليه السلام وهو يكلم ربه وكأنما يكلم بشراً ويقول له: ارجع عن حمو غضبك واندِم على الشر بشعبك.. اذكر إبراهيم وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت فيملكونها إلى الأبد فندِم الرب على الشر الذي قال إنه يفعل به بشعبه».

ويقرع موسى هارون لفعلته المزعومة فما يكون من هارون إلا أن يقوم ويعري موسى من ملابسه حتى يهزأ الشعب بموسى ويضحك عليه ويسخر منه!!

تحريف الأحبار للتوراة:

هكذا يحرف الأحبار التوراة التي أنزلها الله على موسى وقال عنها في محكم كتابه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (المائدة: ٤٤).

وقد وصف المولى عز وجل فعلتهم الشنيعة وتحريفهم لكتاب الله في أكثر من آية. قال تعالى:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦).

وقال عز من قائل:

﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ وَقَدْ كَانُوا مِنْهُمْ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥).

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (البقرة: ٧٨ - ٧٩) .

وهكذا يفترى الكذب على الله الذين لا يعقلون .

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا أَسْمَاعُوتَ الْكَذِبِ سَمْعُوتَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ
يَأْتُوكَ بِحَرْفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: ٤١) .

وتحريفهم للتوراة: تحريف للمعاني ، وتحريف وحذف وإضافة للكلام ، وتزايد
التحريف على مدى الأزمنة بضياح التوراة الأصلية حتى لم يبق من كلام الله إلا بصيص
من نور يشع من حين لآخر بين هذه الظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض .

وقد أخبرنا المولى سبحانه وتعالى بعبادتهم للعجل في القرآن الكريم ولكن
الفرق بين ما ورد في القرآن الكريم وفي التوراة المحرفة الموجودة بين أيدينا اليوم فرق
شاسع . ويوضح تماماً كيف يحرف بنو إسرائيل الحقائق ويفترون على الله الكذب
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله . فيتهمون الأنبياء بجرائمهم الشنيعة .
ويصورون الله في صورة رجل أحرق سريع الغضب كثير الندم مجابٍ لشعبه وابنه البكر
إسرائيل رغم كل الجرائم التي ارتكبها ضده .

﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ :

يذكر القرآن الكريم في سورة البقرة العقوبة الشديدة التي جعلها على بني
إسرائيل حين عبدوا العجل . ويتفق هذا المقطع مع ما ذكرته التوراة المحرفة ، إلا أن
التوراة تحدد أن موسى دعا القوم فلم يجبه إلا عشيرته من بني لاوي بن يعقوب .
فأمرهم بأخذ سيوفهم وبأن يقتل كل واحد أباه وأخاه وابنه وقريبه وصاحبه فقتل في ذلك
اليوم ثلاثة آلاف من بني إسرائيل .

قال تعالى بعد أن عدّ النعم العظيمة التي منحها لبني إسرائيل :

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ
الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ
النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾. (البقرة: ٥١ - ٥٤).

وتذكر التوراة المحرفة أن موسى ألقى الألواح التي في يده فكسرها - تذكر أنهما
لوحان فقط - ثم عاد وصنع لوحين من حجر فكتب الله عليهما الوصايا العشر.

ذنب الآباء في الأبناء :

تكرر التوراة وما يسمى العهد القديم أن الله يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء وأبناء
الأبناء إلى الجيل الرابع . «نفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث
والرابع» . (سفر الخروج ٣٤: ٧) . مع أنه لا ذنب للأبناء في ذلك . وهذا يشبه ما لدى
النصارى من أن البشر كلهم يحملون وزراً من خطيئة آدم ، وأن الرب - تعالى الله عن
ذلك علواً كبيراً - أنزل ابنه عيسى ليفتدي البشر من هذه الخطيئة الكبرى فذبحه على
الصليب من أجل الكفارة . فمن آمن بعيسى على هذا المنوال فقد محيت خطيئته التي
حملها من آدم ومن لم يؤمن ولم يُعَمِّد بقيت عليه خطيئته .

وهي أمور تناقض العدالة والحق كما قال تعالى في القرآن الكريم : ﴿ولا تزر
وزرة وزر أخرى﴾ ، ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما
كانوا يفعلون﴾ .

وفي موقع واحد فقط في التوراة المحرفة تظهر الحقيقة التي جاء بها القرآن
الكريم وذلك في سفر حزقيال الإصحاح ١٨ حيث يتدلى حزقيال يتكلم وينقل كلام
الرب له ويوبخ بني إسرائيل على المثل الشائع بينهم «الآباء أكلوا الحصرم وأسنان
الأبناء ضرست» أي إن نتائج الذنب وقعت على الأبناء . ويقول لهم : إن النفوس كلها
لله . والإنسان الذي كان باراً ولم يعبد الأصنام وفعل حقاً
وعدلاً ولم ينجس امرأة قريبة ولم يقرب طامثاً ولم يظلم إنساناً ولم يغتصب اغتصاباً ،

بل بذل خبزه للجوعان وكسا العريان ثوباً، ولم يعط بالربا، ولم يأخذ مراهبة، وكف يده عن الجور، وأجرى العدل الحق بين الإنسان والإنسان وسلك في فرائضي، وحفظ أحكامي ليعمل بالحق فهو باراً. حياة يحيى يقول السيد الرب مهما كانت ذنوب آبائه.

فإن ولد ابناً مجرمًا سافكاً للدم وعبد الأصنام ونجس امرأة قرية وظلم الفقير والمسكين، وأعطى بالربا ولم يرد الرهن، قد عمل كل الرجاسات فموتاً يموت. دمه يكون على نفسه. وإن ولد هذا ابناً باراً فإنه لا يموت بإثم أبيه.

«وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم أبيه. أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً. حفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياة يحيى. النفس التي تخطيء هي تموت. الابن لا يحمل من إثم أبيه والأب لا يحمل من إثم الابن. برُّ البار عليه يكون، وشرُّ الشرير عليه يكون. فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياہ التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيى لا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه، في برِّه الذي عمل يحيى... وإذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير، أفيحيا؟ كل بره الذي عمله لا يذكر. في خيانتہ التي خانها وفي خطيئته التي أخطأ بها يموت».

ورغم أن هذا الكلام جيد ويوافق القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ إلا أن هناك ملاحظتين:

● الأولى: أن العقاب هو الموت وأن الثواب هو الحياة. وليس هناك ذكر لليوم الآخر، ولا الجنة والنار فيما يسمى العهد القديم — التوراة المحرفة — بأكمله.

● الثانية: أن الشخص الذي يعمل شراً بعد خير ينسى كل عمله الخير، كل بره الذي عمله لا يذكر، وهذا عين الظلم. فالقرآن الكريم يقول: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

* * *

ماذا حدث بعد عبادة العجل؟

أمثلة من جرائم بني إسرائيل بعد العجل :

يذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم جرائم بني إسرائيل منذ خروجهم من مصر بعد نجاتهم من فرعون، وإغراق فرعون وجنوده أمام أعينهم. وتبدأ سلسلة الجرائم بطلبهم من موسى أن يصنع لهم إلهاً ليعبدوه، فيوبخهم موسى ويقرعهم، ثم يذهب للقاء ربه فيعبدون العجل. وتأتي العقوبة صارمة ﴿اقتلوا أنفسكم﴾ فيقتلون أنفسهم. وتذكر التوراة كما مر معنا أنهم قتلوا في ذلك اليوم ثلاثة آلاف شخص.

اختيار السبعين وطلبهم رؤية الله :

قال تعالى :

﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّيَّ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ﴾. (الأعراف: ١٥٥ - ١٥٦).

وهؤلاء هم خيرة بني إسرائيل اختارهم موسى عليه السلام ليعتذروا لله عن عبادة قومهم العجل، فلما ساروا مع موسى قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فأخذتهم الصاعقة، فماتوا جميعاً، فقام موسى يبكي ويتضرع لله. وقال: ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ فأحياهم الله بدعاء موسى عليه السلام ﴿إنا هدنا إليك﴾، أي تبنا ورجعنا إليك، ومنها جاءت كلمة

اليهود. ولم تكن كلمة يهود تطلق على بني إسرائيل قبل ذلك، بل كانوا يدعون «العبرانيين» و«بني إسرائيل». وقد جاء ذكر هذه التفاصيل من قصة بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر في سورة البقرة، حيث بدأها المولى سبحانه وتعالى بتذكيرهم بنعم الله عليهم:

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

وهو تفضيل مبني على العمل الصالح لا على النسب لإبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط. على عكس ما تذكره التوراة المحرفة من أن العهد أبدي لنسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب من دون الناس مهما ارتكبوا من الجرائم.

ثم يقول المولى عز وجل مذكراً لهم بنجاتهم من فرعون:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ نَظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ نَظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

(البقرة: ٤٧ - ٥٦).

وقد بلغت الوقاحة بهؤلاء السبعين أن يقولوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، رغم أنهم قد سمعوا كلام الله لموسى على جبل سيناء. قال محمد بن

إسحاق (تفسير ابن كثير ج ٢ / ٢٤٩): اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخَيْرَ فالخير. وقال انطلقوا فتوبوا إليه مما صنعتُم — من عبادة قومكم العجل — وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم. فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه. وكان لا يأتيه إلا بإذن منه. فقال له السبعون: اطلب لنا نسمع كلام ربنا. فقال موسى: أفعل. فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغطى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم: ادنوا. وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهة موسى نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب دونه الحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام سمعوا الرب وهو يكلم موسى يأمره وينهاه. فلما فرغ موسى أقبل إليهم. فقالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾.

تحريف التوراة لقصة السبعين :

أما التوراة الموجودة بين أيدينا فتذكر الغمام وكلام الله لموسى والنور الذي يقع على جبهته بعد كلامه مع الله. وأما قصة السبعين فتختلف اختلافاً بيناً عما ذكره المفسرون. فقد جاء في سفر الخروج ٢٤ : ٩ - ١١.

«ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأوا إله إسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة. ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا».

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. حيث لم يستطع موسى رؤية الله، فكيف بهؤلاء القوم؟! وما قالها موسى إلا من شدة الشوق والحب ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً﴾.

آلاء الله على بني إسرائيل :

تتوالى المشاهد في سورة البقرة بعد منظر السبعين وهم يصعقون، ثم يبعثهم الله مرة أخرى بدعوة موسى عليه السلام. وإذا الشمس حارقة والجو مكفهر خائق، والصحراء مجدبة، فتأتي آلاء الله تباعاً، الغمام والمن والسلوى ونبع الماء من الصخر الجلمد:

﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة: ٥٧).

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠).

وهكذا أنعم الله في الصحراء المحرقة الموحشة التي لا كلاً فيها ولا ماء، فجعل لهم الغمام يظللهم إذا طلعت الشمس وارتفعت إلى كبد السماء، وأخرج لهم الماء من الصخر، ووجدوا أكلهم جاهزاً يأتيهم من السماء في سورة منّ – عسل – يبقى على الصخور، ينزل أثناء الليل فيجد كل واحد ما يكفيه، ثم جاءت أسراب طائر السماني فيتناول الواحد منهم بيده فيشويه ويأكله.

ونجد هذه الآيات العجيبة مذكورة في التوراة المحرفة بين أيدينا بصورة قريية جداً مما هو في القرآن الكريم:

الماء من الحجر:

«ثم ارتحل بنو إسرائيل من برية سين... ولم يكن ماء ليشرب الشعب. فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطونا ماء لنشرب. فقال لهم موسى لماذا تخاصمونني؟! وتذمر الشعب على موسى. وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا من العطش؟! فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يرحمونني. فقال الرب لموسى مرّ قدام الشعب وخذ معك من شيوخ إسرائيل، وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واذهب. ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب. ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل ودعا الموضع مسّه ومريبه». (سفر الخروج ١٧: ١ - ٨).

المنّ والسلوى في التوراة:

(سفر الخروج ١٦: ١ - ٣٦).

«فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية. وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع. فقال الرب لموسى: ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء فيخرج الشعب فيلتقطون حاجة اليوم بيومها لكي امتحنهم أيسلكون في ناموسي أم لا؟ وأعطاهم يوم الجمعة ما يكفي ليومين». وأعطاهم الرب المنّ يجدونه في الصباح حيث ينزل في آخر الليل، وهو بمثابة الخبز لهم. وفي المساء تأتيهم طيور السماني - السلوى - ليأكلوا منها، ومنعهم من الاكتناز وقال لهم: التقطوا منه كل واحد على حسب أكله.. ففعل بنو إسرائيل هكذا بين مكثرو ومقل. وقال لهم موسى لا يُبقي أحد منه إلى الصباح. لكنهم لم يسمعوا لموسى، بل أبقى منه أناس إلى الصباح فتولد فيه دود وأنتن. فسخط عليهم موسى». وقد ذكر المصطفى صلوات الله عليه ذلك حيث قال: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم» أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والإمام أحمد في مسنده.

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وهو يشرح الحديث: (يخبز اللحم أي ينتن. والخبز التغير والتتن. قيل أصله: إن بني إسرائيل أدخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك. حكاه القرطبي. وذكره غيره عن قتادة. وقال بعضهم: معناه لولا أن بني إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أنتن لما ادخروا لم ينتن. وروى أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال: في بعض الكتب: (لولا أني كتبت الفساد على الطعام لخزنه الأغنياء من الفقراء).

وهكذا تتضح طبيعة يهود الفاسدة التنة. فقد أعطاهم الله المن والسلوى كل يوم بيومه، ولكن الجشع والطمع الذي يلازم طبيعة يهود، وجبهم للادخار واكتناز الثروة مهما كانت، وبكل طريق وسيل. فهي معبودهم وعجلهم الذي أشربوا حبه في قلوبهم. لا ينفك عنهم أبداً مهما طال الزمن وتغيرت الأيام.

بنو إسرائيل يطلبون الذي هو أدنى ويتركون الذي هو خير:

ورغم هذه النعم المتتالية على بني إسرائيل، إلا أن طبيعة الخسة والدناءة

والحقارة فيهم جعلتهم يطلبون من موسى الذي هو أدنى ويتركون الذي هو خير. طلبوا الثوم والقثاء والبصل والعدس بدلاً عن المن والسلوى.

قال تعالى يصف موقفهم ذاك المخزي :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا مِنَّا ثَمَنًا مِّنَ الْأَرْضِ
مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلُ وَالْمَسْكَنَةُ
وَبَاءَ وَيَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ
الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ (البقرة: ٦١).

وقال لهم المولى : اهبطوا إلى أي مصر من الأمصار فستجدون هذا الطلب المتواضع . لقد أراد الله لهم العزة ، وأعطاهم المن والسلوى ، ولكن نفوسهم لم تنفطم عن شهواتها . لأي بادرة يقلقون ، ولأي خوف يجزعون ويفرقون . وإذا كانوا مع أنبيائهم يتواقحون . آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، واتهموا الأنبياء في توراتهم المحرفة بكل نقصية ، بل بلغت بهم الوقاحة أن شتموا رب العالمين :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ۖ﴾ (المائدة: ٦٤).

والمولى الحلیم يصبر على ذلك كله ويمهلهم ولا يهملهم . ومع هذا ازدادوا عتواً وصلفاً وتجبراً مع أنبيائهم ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ . وازدادوا خسة وجبناً وحقارة وذلة مع من تجبر عليهم من أمثال نبوخذ نصر والفرس والرومان الذين حكموهم .

وقد اختلف المفسرون حول مصر الذي قيل لهم ادخلوه . وأقرب الأقوال أنه أريحا في الأردن ؛ لأنها كانت أقرب أرض زراعية لهم ، وفيها العماليق وما أمروا به من قتالهم .

الميثاق ورفع الطور فوقهم :

قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (المائدة: ١٢).

قال تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (البقرة: ٦٣ - ٦٤).

وقال تعالى :

﴿وَإِذْ نُنَاقِشُ الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ (الأعراف: ١٧١).

ويذكر المولى عز وجل نص هذا الميثاق :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْسِلُوكَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْذُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (البقرة: ٨٣ - ٨٥).

وقد جاء في تفسير ابن كثير في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ :

أن الله أمرهم فامتنعوا عن الطاعة فرفع عليهم الجبل فوق رؤوسهم كأنه ظلة،

كما جاء في سورة الأعراف ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ، فالطور هو الجبل . فلما رفع الجبل فوقهم سجدوا على شق ونظروا بالشق الآخر ، وأخذوا الموائيق التي ذكرتها الآية الأخرى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ . . . الآية .

وجاء في تفسير ابن كثير في قوله : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ الآية :

الجبل هو الطور . . عن ابن عباس أنه قال : «سار بهم موسى عليه السلام إلى الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعدما سكنت عنه الغضب وأمرهم بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم وأبوا أن يقرؤا بها ، حتى نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة . قال : رفعته الملائكة فوق رؤوسهم . (رواه النسائي) .

وفي رواية أخرى : أن موسى قال لهم : هذا كتاب من الله أتقبلونه بما فيه ؟ فإن فيه بيان ما أحل الله لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم . قالوا : انشر علينا ما فيها فإن كانت فرائضها وحدودها يسيرة قبلناها ، وإن كانت غير ذلك نراجعك . فأوحى الله إلى الجبل فانقلع وارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤوسهم والسماء كأنه ظلة . فخر كل رجل ساجداً على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً أن يسقط عليه . وكذلك يسجد اليهود إلى اليوم .

الميثاق والعهد في التوراة :

يأتي ذكر الجبل وصعود موسى إليه ، ولكن لا تذكر التوراة الموجودة بين أيدينا أن الله نتق الجبل فوق بني إسرائيل حتى يأخذوا ما آتاهم الله من الموائيق .

ففي سفر الخروج ، الإصحاح ١٩ : ٢٠ - ٢٥ ، جاء ما يلي : «ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل ، ودعا الله موسى إلى رأس الجبل ، فصعد موسى ، فقال الرب لموسى : انحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون . ثم انحدر موسى إلى الشعب وقال لهم» .

وكلمهم الله بواسطة موسى وأمرهم بهذه الأوامر :
أنا الرب إلهك الذي أخرجك من بيت العبودية أرض مصر . لا يكن لك آلهة

أخرى. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن.

اذكر يوم السبت لتقدسه.

أكرم أباك وأمك.

لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشتت بيت قريبك، لا تشتت امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك.

وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن. ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد. وقالوا لموسى: تكلم أنت معنا، ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت». (سفر الخروج ٢٠ : ١ - ٢٠).

ثم وضع موسى أمامهم الأحكام التفصيلية التي أشرنا إلى بعضها، حيث تسمح باسترقاق جميع الأمم ما عدا بني إسرائيل، وأحكام الزواج، والزنى، والقتل، والسرقة، ودية السقط، إلخ... إلخ... بعض هذه الأحكام قد أقرها الإسلام. وهي من التوراة الصحيحة التي بقيت منها بقايا مدفونة بين ركام الكلام الموضوع الذي وضعه الأحرار.

وقد أشرنا إلى ما جاء القرآن بتصديقه من قبل. ومن ذلك ما جاء في التوراة «لا تقبل خبراً كاذباً. ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم. ابتعد عن كلام الكذب ولا تقتل البريء والبار. ولا تأخذ رشوة. ولا تضايق الغريب فإنكم عارفون نفس الغريب لأنكم كنتم غرباء... إلخ.

وتأتي بعد ذلك أوامر سخيفة لصنع الرداء والثوب للكاهن، والمحرقات والتابوت الذي سيسكن فيه الله بينهم!! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهكذا تجد في التوراة الموجودة بين أيدينا الغث والسمين، والحق والباطل. حتى بلغ الأمر بعلماء اللاهوت أن يقرروا أن جميع أسفار كتب العهد القديم لا علاقة لها بموسى، ولم يكتبها موسى، ولم يأمر بكتابة شيء منها. وإنها اختلقت اختلاقاً

وكتبت بأيدي الكهنة والأخبار بعد وفاة موسى بمئات السنين، واستمرت كتابتها وتعديلها لأكثر من ألف عام. حيث بدىء بكتابتها في عهد سليمان عليه السلام. وكانت آخر الصياغات والأسفار قد أضيفت بعد ظهور المسيح عليه السلام.

وقد بلغ الأمر ببعض الباحثين أنهم لم ينكروا التوراة والعهد القديم ونسبتهما إلى موسى عليه السلام فحسب بل أنكروا وجود موسى نفسه، كما أنكروا وجود إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وقالوا: إن هذه الشخصيات خرافية لا وجود لها خارج نطاق مؤلفات العهد القديم. وهو شطط وأي شطط. ونرفضه رفضاً تاماً؛ لأن الله سبحانه وتعالى يحدثنا في القرآن الكريم عن وجودهم وأفعالهم وأعمالهم.

ولكن لما ران الركام والأساطير والأكاذيب والتحريفات على أسفار العهد القديم، وناقص بعضها بعضاً، وامتلات بالترهات والسخافات وشتم الأنبياء وقذفهم واتهامهم بكل الصفات الخسيسة، من دناءة، وحقارة، وكذب، وغش وخداع، وشرب الخمر، والزنى، ونكاح المحارم من الأخوات، وحلائل الأبناء، وزوجات الآباء. لما ران على العهد القديم كل هذه السخافات والأكاذيب، وتصوير المولى عز وجل في صورة بشر أحمق، كثير الندم، سريع الغضب، لا تفكير ولا هم له إلا ابنه البكر إسرائيل...

لما ران على العهد القديم كل هذا البهتان والأساطير، أدى ذلك ببعض الباحثين إلى إنكار العهد القديم جملة وتفصيلاً، بل وإنكار جميع الشخصيات التي ذكرت فيه واعتبارها شخصيات أسطورية لا وجود لها.

وهو أمر مرفوض دينياً وعلمياً بالنسبة للمسلم. فهذه الشخصيات لا شك في وجودها. ولكنها شخصيات مطهرة من هذه الرذائل التي ألصقها بها بنو إسرائيل في أسفارهم الشوهاء المحرّفة.

والتوراة ذاتها رغم ما اكتنفها من ركام الأكاذيب والتحريفات والإضافات، لا تزال تنبض في بعض آياتها أنوار الحق وتتألأأ في جنباتها بوارق تدل على أنها من جناب الحق.

وذلك مثل ما ورد في سفر الخروج (الإصحاح ٢٤): «ولا تضطهد الغريب ولا تضايقه لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر. لا تسيء إلى أرملة ولا يتيم. إن أسأت إليه فإني إن صرخت أسمع صراخه فيحمي غضبي، وأقتلكم بالسيف فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى، إن أقرضت فضة لشعبي الفقير - هنا تحديد وإضافة كلمة شعبي وإلا فالربا محرم على الإطلاق وليس فقط لبني إسرائيل - الذي عندك فلا تكن له كالمرايبي لا تضعوا عليه ربا.

ويعدهم الله أنهم إن استجابوا لوصاياه أدخلهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً ويبعد من أمامهم الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحيويين واليبوسيين ويورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم. «أرسل هييتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذي تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين. وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحيويين والكنعانيين والحثيين من أمامك. لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية - وهو يدل على أن عدد بني إسرائيل كان قليلاً، لا ستمائة ألف مقاتل كما تزعم التوراة ذاتها في سفر الخروج وسفر العدد - . . قليلاً قليلاً أطردهم من أمامك إلى أن تُثمر وتملك الأرض. وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر فإني أدفع إليكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك. لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً. لا يسكنوا في أرضك - أي أرض فلسطين - لئلا يجعلوك تخطيء إليّ» (سفر التكوين ٢٧ - ٣٢).

لا يرد في هذه الوعود تكفير الذنوب، ومغفرة الرب ودخول الجنة. كما ورد في سورة المائدة: ١٢:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ (المائدة: ١٢).

ولا يرد في العهد القديم بأسفاره التسعة والثلاثين (١٣٥٨ صفحة) أي ذكر لليوم الآخر ولا البعث والنشور ولا الجنة والنار، مما يؤكد التحريف المستمر للتوراة، إذ إن القرآن الكريم يذكر أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾، وقالوا: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾.

وهذا مما يقطع بأن التوراة قد حرفت بعد عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما حرفت من قبل.

الأمر بدخول الأرض المقدسة ونكوص بني إسرائيل:

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَتَقَوَّمُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَيَّ آدْبَارَكُمْ فَفَنَقِلبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِ مُغْلِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَ نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَآذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (المائدة: ٢٠ - ٢٦).

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (البقرة: ٩٦).

مختصر تفسير آيات سورة المائدة (٢٠ - ٢٦):

قام موسى عليه السلام وذكرهم بنعم الله عليهم قبل أن يخبرهم بوجوب قتال

العمالق الذين كانوا في الأرض المقدسة - قيل إنها أريحا كما سيأتي في التوراة - . ومن أجل تلك النعم عليهم : تتالي الأنبياء فيهم منذ إبراهيم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام كلما مات نبي أو قتل بعث الله إليهم نبياً آخر . وجعل فيهم ملوكاً كما سيأتي حيث جعل طالوت - شاول - ملكاً ، وجاء بعده داوود وسليمان ، واستمرت المملكة بعد سليمان في يهوذا - دولة يهوذا - وإسرائيل - دولة إسرائيل - لعدة قرون قبل خرابهما على يد نبوخذ نصر كما سيأتي في حينه .

وحرصهم موسى عليه السلام لدخول الأرض المقدسة - لا يرد تحديد لها في القرآن الكريم ويذكر المفسرون أنها بيت المقدس . وقد جاء في التوراة أنها أريحا الأردن - وقاتل من فيها ، ولكن القوم جنبوا ونكلوا وارتعبوا من مواجهة العمالق .

وكرر موسى عليه السلام محاورتهم محاولاً تشجيعهم ﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ . ويأتي الرد القاسي الوقح الجبان ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها . فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ .

والتجأ موسى آنذاك إلى الله تعالى يعلن براءته من القوم الفاسقين . فجاء النداء العلوي بحرمانهم من دخولها أربعين سنة يتيهون في الأرض حتى يأت جيل آخر لم يستمرىء الذل والهوان والخسة والجبن ، فيقوم آنذاك بواجبات الجهاد .

ولا يظهر أحدٌ من جموع بني إسرائيل التي تدّعي التوراة أنهم كانوا أكثر من ستمائة ألف مقاتل إلا رجلين هما يوشع بن نون وكالب بن يُفنه . . فيقولان : ﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ .

ويصرُّ الجبناء على موقفهم رغم تشجيع موسى وهارون لهما ، ورغم الموقف الشجاع النبيل الذي وقفه الرجلان اللذان أنعم الله عليهما بمخافته وحده ، وعدم الفرق والخوف والجزع من غيره ﴿لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾ وزيادة في الوقاحة والصلف مع الجبن والخسة ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ .

مقارنة مع موقف الصحابة يوم بدر :

ما أعظم المفارقة بين بني إسرائيل الجبناء الرعايد الممثلثين وقاحة وصلفاً مع

أعظم أنبيائهم موسى عليه السلام، وبين موقف الصحابة يوم بدر حين استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «أشيروا عليّ أيها المسلمون» في قتال العدو أو مطاردة العير لقريش. وما كانوا قد خرجوا لقتال، ولم يكن العهد بينه وبين الأنصار إلا أن يحموه مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم. فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه وقال:

«كأنك تعرّض بنا يا رسول الله. فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك. فسر بنا على بركة الله، فسّر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقام المقداد وقال: «يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون». فبشرهم رسول الله بالنصر.

قتال العمالق في التوراة:

تروي التوراة المحرفة قصة قتال العمالق بعدة صور متناقضة مختلفة وهي كالتالي:

(١) قتال العمالق في رفيديم:

«وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم. فقال موسى ليشوع - يوشع بن نون تلميذه - : انتخب لنا رجالاً واخرج حارب عماليق. وغداً أقف أنا على رأس التلة وعصا الله في يدي. ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق. وأما موسى وهارون وهور فصعدوا على رأس التلة. وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل تغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب. فلما صارت يدا موسى ثقيلتين؛ أخذوا حجراً ووضعاه تحته فجلس عليه. ودعم هارون وهور يديه، الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس. فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف. (سفر الخروج ١٧ : ٨ - ١٣).

(٢) نكوص بني إسرائيل عن قتال العمالق في عهد موسى:

جاء في سفر العدد الإصحاح الثاني عشر أن موسى دعا اثني عشر نقيباً من نقيباء بني إسرائيل وطلب منهم أن يأتوه بخبر العدو في أرض كنعان. وكان بينهم يوشع بن

نون وكالب بن يفتنه. فلما رجع النقباء؛ ملأوا قلوب بني إسرائيل فرقاً من العماليق، وقالوا لهم: «قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً. وهذا ثمرها. غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز، والمدينة حصينة جداً. وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك. العمالقة ساكنون في أرض الجنوب، والحيثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب — نهر — الأردن. فأشاعوا مذمة الأرض التي تجسوها في بني إسرائيل قائلين: الأرض التي مررنا فيها لتتجسسها هي أرض تأكل سكانها. وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة، فكنا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم» (سفر العدد ١٣ : ٢٧ — ٣٣).

«فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة. وتذمّر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل. وقال لهما كل الجماعة: ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر. ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف. تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمّة. أليس خيراً أن نرجع إلى مصر؟ فقال بعضهم لبعض: نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر». (سفر العدد ١٤ : ١ — ٤).

وتكلم يشوع بن نون وكالب بن يفتنه وقالوا لقومهما: «لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا. قد زال عنهم ظلهم. والرب معنا. لا تخافوهم». (سفر العدد ١٤ : ٩ — ١٠).

فما كان من بني إسرائيل إلا أن قاموا لرجمهما بالحجارة ثم ظهر مجد الرب. «وقال الرب لموسى: حتى متى يهينني هذا الشعب؟ وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم؟ إني أضربهم بالبواب وأبيدهم وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم». (سفر العدد ١٤ : ١١ — ١٣).

فقام موسى وبكى وتضرع للرب أن يصفح عن ذنب هذا الشعب الصلب الرقبة الكثير الذنوب. «فقال الرب قد صفحت حسب قولك». وحلف أن لا يدخل أحد من هؤلاء القوم الأرض المقدسة التي كتب الله لهم سوى يوشع بن نون وكالب بن يفتنه. (سفر العدد ١٤ : ١٣ — ٢٥).

وقال الرب: «حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة عليّ. قد سمعت تدمير بني إسرائيل الذي يتذمرونه عليّ... في هذا القفر تسقط جثثكم، جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً - أي أكثر من ستمائة ألف كما ذكر في سفر العدد - لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يَفْنَه ويشوع بن نون. وأما أطفالكم الذين قلتهم: يكونون غنيمة فإني سأدخلهم فيعرفون الأرض التي احتقرتموها... فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في هذا القفر أربعين سنة... أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة عليّ. في هذا القفر يفنون وفيه يموتون». (سفر العدد ١٤ : ٢٦ - ٣٥).

ويتكرر ذكر ذلك في سفر العدد، ثم في سفر التثنية (الإصحاح ١ : ٣٥ - ٤٠): «لن يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لأبائكم. ما عدا كالب بن يَفْنَه ويشوع بن نون».

غضب الرب على موسى وهارون كما يزعمون :

والغريب حقاً أن الرب يغضب أيضاً على موسى وهارون ويميتهما في البرية ويمنعهما من الدخول إلى الأرض المقدسة حسبما تقول التوراة المحرفة.

يقول موسى: «وغضبَ الربُّ عليّ بسببكم وأقسم أني لا أعبر الأردن. ولا أدخل الأرض الجيدة التي الرب إلهك يعطيك نصيباً فأموت أنا في هذه الأرض. لا أعبر الأردن وأما أنتم فتعبرون وتمتلكون تلك الأرض الجيدة». (سفر التثنية ٤ : ٣٠ - ٣٣).

«اسمع يا إسرائيل. أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك، ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء. قوماً عظاماً وطوالاً بني عناق الذين عرفتهم. وسمعت من يقف في وجه بني عناق!! فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة. هو يببدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلمك الرب» (سفر العدد ٩ : ١ - ٤).

ويقول موسى : «وعلى هارون غضب الرب جداً لبيده . فصليت أيضاً من أجل هارون في ذلك الوقت» (سفر التثنية ٩ : ٣٠) .

«وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً : اصعد إلى جبل عباريم . . . قبالة أريحا - الأردن - وانظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل ملكاً . ومت في الجبل الذي تصعد إليه . وانضم إلى قومك كما مات أخوك هارون في جبل هور . . لأنكما ختتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في بركة صين إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل . فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل» (سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ - ٥٢) .

«وقال له - أي لموسى - الرب : هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً : لنسلك أعطيها . قد أريتك إياها بعينيك . ولكنك إلى هناك لا تعبر . فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب . ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم» . (سفر التثنية ٣٤ : ٤ - ٦) .

* * *

مرحلة التيه - الدياسبورا - الأولى

عندما رفض بنو إسرائيل قتال العماليق ودخول الأرض المقدسة وبلغوا في وقاحتهم وخستهم وجبنهم مبلغاً لا يمكن تصويره؛ عاقبهم الله تعالى بالتيه في الصحراء أربعين سنة.

وقد قص المولى سبحانه وتعالى موقفهم المخزي هذا في سورة المائدة. قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَائِمًا يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومِ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَيَّ آذَانَكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُكُمْ خُلَاقًا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنذُرُكُمْ خُلَاقًا أَلَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (المائدة: ٢٠ - ٢٦).

وقد سبق أن أوضحنا في الفصل السابق نكوص بني إسرائيل عن قتال العماليق وخوفهم وفرقهم منهم. وبكى بنو إسرائيل وصرخوا وتذمروا على موسى وهارون وقالوا

لهما: «لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض؟ لنسقط بالسيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة؟!» (سفر العدد ١٤ : ١ - ٤).

وقد حاول يوشع بن نون وكالب بن يفنه أن يثنيهم عن هذا الموقف الجبان قائلين: «لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا. قد زال عنهم ظلُّهم والرب معنا. لا تخافوهم». (سفر العدد ١٤ : ٩ - ١٠).

ولكن الشعب لم يسمع لهما بل قاموا برجمهما بالحجارة. . . وغضب الرب وأراد أن يبيدهم ولكن موسى توسل إليه أن لا يبيدهم فقال الرب: «في هذا القفر تسقط جثثكم. جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً، وكان موسى وهارون قد عدا الشعب بأمر الرب فوجدا المقاتلين منهم أكثر من ستمائة ألف. وهو عدد مبالغ فيه جداً وقد ذكرنا ذلك من قبل - «لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يَفْنَه ويشوع بن نون. . . فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في هذا القفر أربعين سنة» (سفر العدد ١٤ : ٢٦ - ٣٥).

وتوضح التوراة مرة أخرى هذا القرار وأسبابه فقد جاء في (سفر التثنية ١ : ٣٥ - ٤٠) ما يلي:

«لن يرى إنسان من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لأبائكم ما عدا كالب بن يفنه ويشوع بن نون».

والسبب في ذلك أن جيل بني إسرائيل الذي خرج من مصر، وتربى على الذل والمهانة، وشرب من حياض العبودية؛ لم يعد قادراً على المواجهة والقتال. ومع هذا فهو متواق وشديد الصلف مع موسى وهارون، بل مع الله سبحانه وتعالى.

ولذلك كان لا بد من نشوء جيل جديد، لم يعرف مصر، ولم يعرف عهد الذل والمهانة، ولم يتشرب عبادة العجل. جيل جديد نشأ في أحضان الصحراء، لا يعرف الاستكانة والمهانة، يرفض الذل والعبودية، ولديه استعداد للنضال والقتال، جيل لا يفرق من أول مواجهة ولا يتقهقر من أول مصادمة ولا يفر من أول معركة.

وقام يشوع قبل المعركة الفاصلة بختان كل الموجودين من الذكور؛ لأن بني إسرائيل المختونين الذين خرجوا من مصر ماتوا في القفر، وأبناؤهم الذين ولدوا في القفر لم يختنوا. (سفر يشوع، الإصحاح الخامس: ٣ - ٩).

تفسير ابن كثير يشرح مرحلة التيه :

قال ابن كثير في تفسيره (ج ٢ / ٣٩) في قوله تعالى ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة تتيهون في الأرض﴾: «لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد؛ حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة. فوقعوا في التيه يسIRON دائماً لا يهتدون للخروج منه...».

وذكر عن ابن عباس أنه قال: «فتاهوا في الأرض أربعين سنة يصبحون كل يوم يسIRON ليس لهم قرار. ثم ظلل الله عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى... ثم كانت وفاة هارون عليه السلام، ثم بعده بثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام. وأقام الله فيهم يوشع بن نون نبياً خليفة عن موسى بن عمران».

ومات في هذه المدة كل الجيل الذي خرج من مصر وكان ابن عشرين فصاعداً. ولم يبق منهم سوى يوشع بن نون وكالب بن يفته... وهما الرجلان اللذان أنعم الله عليهما... فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون فقصدهم بهم بيت المقدس فحاصرها، فلما تضيّفت الشمس للغروب وكان ذلك يوم الجمعة وخشي دخول السبت عليهم - لأنهم مأمورون بعدم العمل والقتال فيه - قال: إنك مأمورة وأنا مأمور. اللهم احبسها عليّ؛ فحبسها الله تعالى حتى فتح بيت المقدس. ولم تحبس الشمس على أحد سوى يوشع بن نون.

التوراة والتهيه :

«وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدم في طريق أرض فلسطين مع أنها قريبة». (سفر الخروج ١٣ : ١٧).

رغم أن التوراة تؤكد مرحلة التيه في أكثر من موضع - سفر العدد الإصحاح ١٤ ؛ وسفر التثنية الإصحاح الأول - كما سبق أن ذكرنا، إلا أن التوراة

الموجودة بين أيدينا تذكر حوادث كثيرة وانتصارات وهمية حدثت لبني إسرائيل ضد كثير من الأمم في أثناء مرحلة التيه. وهو أمر مناقض لما ذكر من التيه في الأرض، وعدم الغلبة لهم حتى يموت كل الجيل الذي نكص عن القتال - ما عدا كالب بن يَفْنَه ويوشع بن نون - . والتوراة الموجودة بين أيدينا مليئة بالمتناقضات الصارخة التي لا يمكن التوفيق بينها مهما بذل المرء من تكلف؛ وذلك لأنها كتبت بأيدي أشخاص مختلفين في أزمنة وأعصار مختلفة، ثم جمعت بعد ذلك. فقد كتبت بعض أجزاء من التوراة المحرفة في عهد سليمان عليه السلام - بعد وفاة موسى بـ ٤٨٠ عاماً كما تذكر التوراة المحرفة نفسها - ثم كتبت إضافات أخرى، وهي ما يسمى بكتابات الأنبياء، بعد العودة من السبي في بابل أثناء العهد الفارسي، وذلك في القرن السادس والخامس قبل الميلاد - أي بعد وفاة موسى عليه السلام بأكثر من ستة قرون - . وتمت كتابة الأسفار الأخرى المشكوك فيها عندهم وهي أخبار الأيام وعزرا ونحميا وأستير ودانيال والجامعة والأمثال والمزامير في فترة متأخرة جداً، حيث ترجعها دائرة المعارف البريطانية - ج ٢ / ٨٧٩ الطبعة الخامسة عشر ١٩٨٢ - إلى العهد اليوناني الإسكندري عندما ظهر فيلون الإسكندري اليهودي في القرن الثاني قبل الميلاد. أي بعد وفاة موسى بأكثر من ألف سنة.

ولم تجمع هذه الكتب في كتاب واحد ويتفق عليها إلا عام ٣٥٠ بعد الميلاد وهو النص اليوناني المعتمد (Vulgate)^(١).

الأمور التي حدثت في التيه:

يحدثنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى بني إسرائيل في التيه كثيراً من المعجزات التي حدثت على يد موسى عليه السلام. ورغم أنهم كفروا بالنعم الكثيرة وتواقحوا جداً على المولى سبحانه وتعالى حيث قالوا لموسى: ﴿اذهب وأنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ إلا أن المولى سبحانه وتعالى رأف بهم في التيه من أجل موسى وهارون والرجلين اللذين أنعم الله عليهما بخوفه وعدم خوف غيره، وهما كالب بن يَفْنَه ويشوع بن نون، ومن أجل الذراري والنساء والأطفال والبهائم.

(١) انظر الفصل الأول: (تعريف عام بالتوراة والعهد القديم).

وفي تلك الصحراء الحارقة التي لا ماء فيها ولا كلاً ولا طعام جعل الله لهم الغمام تظلمهم من حر الشمس، وأنبع الماء من الصخر، وأرسل لهم المن من السماء يهبط على الأرض آخر الليل؛ فيلتقطونه في الصباح، ثم تأتي أسراب طيور السماني في المساء؛ فيتناولونها بأيديهم.

قال تعالى:

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ . (البقرة: ٥٧).

وقال تعالى:

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ . (البقرة: ٦٠).

وقد ذكرت التوراة الموجودة بين أيدينا المن والسلوى (سفر الخروج ١٦ : ١ - ٣٦). كما سبق أن ذكرنا في فصل جرائم بني إسرائيل بعد العجل. وكذلك ذكرت التوراة نبع الماء من الحجر. (سفر الخروج ١٧ : ١ - ٨).

وقد أمرهم الله تعالى بأن لا يكتنزوا ولا يخبثوا طعاماً إلى الغد ما عدا يوم الجمعة حيث يعطيهم الله طعاماً للسبت أيضاً. فاكتنز بنو إسرائيل وخبث الطعام وأنتن وتولد فيه الدود (سفر الخروج ١٦ : ١ - ٣٦). والمصطفى صلوات الله وسلامه عليه أخبرنا بذلك^(١) قال: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم». أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده.

ولم يكتف بنو إسرائيل بذلك بل ضجوا من المن والسلوى، وطلبوا الذي هو أدنى. قال تعالى:

(١) انظر: (أمثلة من جرائم بني إسرائيل بعد العجل)، ص ٢٣٨.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ﴿٦١﴾﴾ . (البقرة: ٦١) .

نزول التكليف والتوراة والميثاق:

سبق أن ذكرنا نزول التوراة والتكليف ونكوص بني إسرائيل عن قبولها؛ فرفع الله فوقهم الجبل كأنه ظلة؛ فخرروا ساجدين على شق ونظروا بالشق الآخر، وقبلوا ما فيها من موثيق. ولكنهم سرعان ما نقضوها وخانوها.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ . (البقرة: ٦٣ - ٦٤) .

وقال تعالى:

﴿وَإِذْ نُنَاقِشُ الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ . (الأعراف: ١٧١) .

ورغم هذه الموثيق والعهود، نكص بنو إسرائيل على أعقابهم ولم يلتزموا بما أنزل الله، بل عبدوا العجول والأوثان، وأكلوا الربا، وغشوا وخدعوا وسرقوا ونكصوا عن الجهاد... إلخ ولم يكتفوا بذلك كله، بل كذبوا الأنبياء وافتروا عليهم الكذب واتهموهم بكل نقيصة ورذيلة، وقتلوا من قتلوا من الأنبياء، وزعموا أنهم قتلوا المسيح بن مريم واتهموا أمه بالزنى، وحرفوا التوراة، وحاربوا محمداً صلى الله عليه وسلم. واستمروا في مواقفهم المخزية منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا. ﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم﴾ .

الأحداث التي وقعت في التيه ولم يذكرها القرآن :

- (١) صنع خيمة الاجتماع وكان المترجمون القدامى للتوراة يسمونها قبة الزمان^(١).
- (٢) صنع التابوت ليسكن فيه الله معهم — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً — والتابوت يرتحل معهم^(٢).
- (٣) تفاصيل المحاريق والقرايين والتقدمات . . وتفاصيل لباس الكاهن . . إلخ^(٣).
- (٤) تفاصيل الأحكام . وقد ذكر القرآن شيئاً يسيراً جداً منها . . وأغلبها سخيّف تافه ومحرف . (سفر اللاويين).
- (٥) إحراق الله لابني هارون لأنهما قدما قرباناً فيه نار غريبة.
- (٦) غضب الله على موسى وهارون . — لعنة الله على اليهود — .
- (٧) إحصاء بني إسرائيل في التيه والأعداد الخرافية والمرفوضة من كل من له عقل^(٢).
- (٨) شتم هارون وأخته مريم لموسى، «وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها . لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية . . فحمي غضب الرب عليهما ومضى — أي الرب لأنه كان يكلمهم من وسط السحابة في داخل خيمة الاجتماع — فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة، إذا مريم برصاء كالثلج، فالتفت هارون إلى مريم فإذا هي برصاء» (سفر العدد ١٢ : ١ — ١٠).
- (٩) هارون يعرّي موسى ليهزأ به شعب إسرائيل «ولما رأى موسى الشعب أنه مُعرّي لأن هارون كان قد عراه للهزء به بين مقاوميه . (سفر الخروج ٣٢ : ٢٥).
- (١٠) موسى يرجم رجلاً يحتطب يوم السبت . (سفر العدد ١٥ : ٣٢ — ٣٦).
- (١١) قورح بن يصهار وجماعته يشورون على موسى ، والله يعاقبهم بأن يخسف بهم الأرض . (العدد ١٦).

(١) انظر سفر الخروج (الإصحاح : ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٠).

(٢) انظر سفر الخروج (الإصحاح : ٢٥ ، ٢٧).

(٣) سفر الخروج (الإصحاح : ٢٨ — ٣٠ ، ٣٨ — ٤٠)، وسفر اللاويين (الإصحاح : ١ — ٩ ، ٢٣ — ٢٥).

- (١٢) ظهور الوباء من بني إسرائيل بسبب ممالأتهم لقورح وصحبه .
- (١٣) موت مريم أخت موسى وهارون في بركة صين . وموت هارون في جبل هور مغضوباً عليه من الرب ؛ لأنه عصى أمر الله مع موسى .
(العدد ٢٠ : ٣٢ - ٣٤) ، ومات هارون في السنة الأربعين من الخروج من مصر .
- (١٤) عزل هارون من منصب الكاهن الأعظم قبل موته ، وتولية ابنه العازار .
(العدد ٢٠ : ٣٥ - ٣٨) .
- (١٥) قام ملك كنعان عراد بمحاربة إسرائيل في طريق أتايم فهزمهم وسبى منهم سبياً . فنذر إسرائيل نذراً للرب أن يحترّم مدنها إذا وقعت في يده . فسمع الرب لقول إسرائيل ودفع الكنعانيين فحرّموهم - والتحرّيم هو الإبادة الكاملة التامة لكل نفس من طفل وشيخ ورجل وامرأة وإنسان وحيوان - ومدنها فدعي اسم المكان حرمة . (سفر العدد ٢١ : ١ - ٣) .
- (١٦) ارتحل شعب بني إسرائيل من جبل هور في طريق بحرسوف ليدوروا بأرض أدوم . . فضاق بنو إسرائيل ذرعاً . «وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين : لماذا أصعدت منا من مصر لنموت في البرية؟! فقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف - أي المنّ والسلوى - . فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقات فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل .
(العدد ٢١ : ٤ - ٧) .
- (١٧) أراد بنو إسرائيل المرور بأرض الأموريين فلم يسمح لهم ملك الأموريين - سيحون - بذلك ؛ فحاربه بنو إسرائيل وضربوه بحد السيف وملكوا أرضه من أرنون إلى يبق إلى بني عمّون . فأخذ إسرائيل كل هذه المدن وأقام إسرائيل في جميع مدن الأموريين ، في حشبون وفي كل قراها . (العدد ٢١ : ٢٦ - ٢١) .
- واستولى موسى بعد ذلك على باشان ، فقتل ملكها وشعبها ولم يبق منهم شارد ، وملكوا أرضه . (العدد ٢١ : ٣٣ - ٣٥) .

ولا شك أن هذه الحروب من أساطير قصاص بني إسرائيل إذ كيف يعاقبهم الله في التيه ويبقون فيها أربعين سنة، وفي نفس الوقت يقومون بفتح المدن وإهلاك الشعوب حولهم!!؟

(١٨) بلعام بن باعور:

تقول التوراة (سفر العدد ٢٢):

ارتحل بنو إسرائيل حسب زعم التوراة بعد ذلك ونزلوا في عربات موآب القريبة من مدينة أريحا في الأردن .

وارتعب بالاق بن صفور ملك موآب من بني إسرائيل الذين أبادوا الأموريين إبادة كاملة . وأرسل بالاق بن صفور إلى بلعام بن بعور القاطن في مدينة فتور وطلب منه أن يأتي ويلعن شعب إسرائيل ؛ لأن دعوة بلعام كانت مجابة . ومن باركه بلعام يكون مباركاً ، ومن لعنه يكون ملعوناً . ورفض بلعام عرض الملك بالاق ؛ لأن الله ظهر له وقال له : لا تذهب ولا تلعن الشعب ؛ لأن شعب إسرائيل مبارك . وكرر الملك الدعوة لبلعام وعرض عليه الذهب والفضة . وظهر الرب لبلعام ، وأمره بالذهاب معهم . وظهر له ملاك الرب وقال له : لا تتكلم إلا بالذي أقوله لك فانطلق بلعام مع رجال بالاق .

وطلب بلعام من الملك أن يبني له سبعة مذابح . وقال بلعام : كيف ألعن من لم يلعنه الله وكيف أشتم من لم يشتمه الرب؟! . لتمت نفسي موت الأبرار ولتكن آخرتي كآخرتهم . وغضب الملك لأن بلعام أبى أن يلعن بني إسرائيل . فقال بلعام : إن الرب وضع في فمي هذا الكلام وأنا أتكلم بما يضعه الرب في فمي .

وتكرر الموقف في اليوم التالي ، ومدح إسرائيل . وكذلك فعل في اليوم الثالث قائلاً : ما أحسن خيامك يا يعقوب ! مساكنك يا إسرائيل كجنان على نهر ، كشجرات عود غرسها الرب . . . الله أخرجه من مصر يأكل أمم مضايقيه ويقضم عظامهم ويحطم سهامهم . جثم كأسد ، ربض كلبوة . مبارك إسرائيل ولاعنوه ملعونون .

وغضب الملك آباق وقال دعوتك لتشتم أعدائي وها أنت ذا قد باركتهم الآن ثلاث مرات .

وتنبأ بلعام قائلاً: يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي
موآب ويهلك كل بني الوغى. ويكون أدوم ميراثاً. ويكون سعي أعدائه ميراثاً. ويصنع
إسرائيل ببأس. ويتسلط ابن يعقوب ويهلك الشارد من المدينة.

وتنبأ بهلاك العمالق على يد شعب إسرائيل، ثم رجع بلعام إلى مكانه.

مصير بلعام الذي تزعم التوراة أنه دعا لإسرائيل وباركها:

لقد لقي بلعام بن باعور الذي تزعم التوراة أنه دعا لإسرائيل وباركها ولعن
لاعنيها وبشرها بالنصر والفوز، جزاء سنمار. فما كادت إسرائيل تنتصر على أهل مديان
— مدين — وأبادوا جميع من فيها من السكان، حتى بحثوا عن بلعام فقتلوه بحد السيف
(سفر العدد ٣١ : ٩).

قصة بلعام بن باعور في القرآن تخالف ما ذكرته التوراة مخالفة تامة :
قال تعالى :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنفَسَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
ٱلْغَٰوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَٱنْفُسَهُمْ كَآنُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (الأعراف: ١٧٥ — ١٧٧).

ذكر أهل التفسير (ابن كثير وابن جرير وغيرهما) أن هذه الآية نزلت في رجل من
بني إسرائيل يقال له بلعام بن باعوراء، وكان يعلم الاسم الأكبر، وكان مقيماً في بيت
المقدس مع الجبارين. — وفي ذلك نظر لأن أحداً من بني إسرائيل لم يدخل إلى بيت
المقدس إلا بعد أن استولى عليها يوشع بن نون بعد وفاة موسى —. وقال مالك بن
دينار: كان من علماء بني إسرائيل وكان مجاب الدعوة. يقدمونه في الشدائد. بعثه
نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى الله، فأغراه ملك مدين بالأموال
والذهب والفضة والقطائع؛ فترك موسى واتبع دين ملك مدين. وهناك رواية عن ابن

عباس أنه من اليمن وأخرى أنه من قوم الجبارين – العماليق – وكان يعلم اسم الله الأعظم ، فدعاه قومه أن يدعوا لهم على موسى وبني إسرائيل ، فرفض أول الأمر ، وما زالوا به حتى قام ودعا على موسى وقومه ؛ فسلخه الله .

وورد عن السدي أن بلعام هذا كان في زمن يوشع بن نون لما خرج وأراد قتال الجبارين – العماليق – وكان بلعام من بني إسرائيل مجاب الدعوة ، فأغراه العماليق بالمال فذهب إليهم ودعا على بني إسرائيل فانسلخ من الدين ، وكان من الغاوين .

وقد ورد في روايات أخرى أنه كان في زمن موسى وأن أعداء بني إسرائيل رشوه لكي يدعوا على موسى ، فلما أقبل يدعو اندلع لسانه ودعا لموسى وبني إسرائيل ، ودعا على العماليق – وفي رواية ملك مدين – فقال له القوم : إنك تدعو علينا لا لنا . فقال : هذا أمر جرى على لساني بغير اختيار مني ، ولكني أدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاك بني إسرائيل ، إن الله يبغض الزنى وإنهم إن وقعوا في الزنى هلكوا . فأخرجوا النساء وزنى بهن بنو إسرائيل . وكانت ابنة الملك جميلة وعظيمة الجسم . وقال لها بلعام : لا تمكني نفسك إلا من موسى . . فأتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل وحاولها فامتنعت عليه ، ثم مكنته في خيمة قريبة من موسى ، فعلم بذلك رجل من بني هارون – فنحاس بن إلعازر بن هارون – فغضب الله وطعنهما بالرمح ، ورفعهما على الرمح لكي يراهما الناس فخافوا . وسلط الله الطاعون على بني إسرائيل فأهلك سبعين ألفاً منهم .

وأورد المفسرون رواية وردت في التوراة بصورة مختلفة قليلاً . . وهي أن الأتان التي كان يركبها بلعام توقفت في الطريق ، وجعل يضربها وهي لا تتقدم ، فقالت له : علام تضربني ؟ أما ترى هذا الذي بين يديك ؟ فظهر له الشيطان فسجد له . والرواية في التوراة أن الذي ظهر له هو ملاك الرب فسجد له .

ووردت روايات بتحديد اسم الرئيس من بني إسرائيل الذي زنى بابنة الملك ، وأنه يدعى زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب . وأن موسى حذره من ذلك ، فأبى ، فأتى فنحاس بن إلعازر بن هارون فانتظمها برمحه ثم خرج بهما إلى الملاء

وقال: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك؛ فرفع الله عنهم الوباء، وهو الطاعون الذي مات فيه من بني إسرائيل سبعون ألفاً وفي رواية عشرين ألفاً.

وقد اتفق أغلب المفسرين أن لسان بلعام اندلع عندما قام يدعو على موسى فهو كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

وقد ورد أن هذه الآية نزلت أيضاً في أمية بن أبي الصلت الذي آمن لسانه وشعره، وكفر قلبه. وكان أمية قد علم كثيراً من الشرائع السابقة ونادى بالتوحيد في شعره. وكان يطمح إلى النبوة، فلما ظهر رسول الله شرقت نفسه، ووالى المشركين من قريش. وقد جاء في الحديث أنه ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه.

(١٩) زنى بني إسرائيل مع بنات موآب:

وردت في التوراة قصة زنى بني إسرائيل مع بنات موآب (سفر العدد، الإصحاح ٢٥)، ولكن لم يكن ذلك بإيحاء وإيعاز من بلعام بن باعوراء كما ذكر بعض المفسرين..

ولم يكتف شعب إسرائيل بالزنى مع الموابيات، بل ذبحوا لآلهتهن وسجدوا لها. فحمى غضب الرب على إسرائيل. فقال الرب لموسى: خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب. فأمر موسى بقتل رؤساء الشعب.

وبلغت الوقاحة بأحد هؤلاء الرؤساء أن أتى بالمرأة ليزني بها أمام موسى وأعين كل جماعة بني إسرائيل. فلما رأى ذلك فينحاس بن إلعازر بن هارون الكاهن؛ قام من وسط الجماعة وأخذ رمحاً بيده ودخل وراء الرجل الإسرائيلي إلى القبة، وطعن كليهما، الرجل الإسرائيلي والمرأة في بطنها. فامتنع الوباء — الطاعون — عن بني إسرائيل. وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً.

«فكلم الرب موسى قائلاً: فينحاس بن إلعازر بن هارون الكاهن قد رد سخطي عن بني إسرائيل، بكونه غار غيرتي في وسطهم، حتى لم أفن بني إسرائيل بغيرتي. لذلك ها أنذا أعطيه ميثاقي ميثاق السلام. فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدي لأجل أنه غار لله وكفر عن بني إسرائيل. وكان اسم الرجل الإسرائيلي المقتول

زمري بن سالور رئيس بيت أب من الشمعونيين . واسم المرأة المديانية المقتولة كزبي بنت صور الذي هو رئيس قبائل بيت أب في مديان . (سفر العدد ٢٥ : ١ - ١٥) .

(٢٠) الحرب مع مديان وموسى يأمر بقتل النساء والأطفال حسب زعمهم :

يتحدث سفر العدد (الإصحاح ٣١) عن حرب شنّها موسى عليه السلام في سني التيه على مديان . «فتجندوا على مديان كما أمر الرب . وقتلوا كل ذكر . وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم أوي وراقم وصور وهور ورابع . خمسة ملوك مديان . وبلعام بن باعور قتلوه بالسيف . - رغم أنه حسب رواية التوراة المحرفة بآرك بني إسرائيل ودعا لهم - . وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم ، وجميع مواشيهم وكل أملاكهم . وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار . وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم . وأتوا إلى موسى وإلعازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحلة ، إلى عربات موآب التي على أردن أريحا .

«فخرج موسى وإلعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة . فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب . وقال لهم موسى : هل أبقيتم كل أنثى حية ؟ . فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها . لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات . وأما أنتم فانزلوا خارج المحلة سبعة أيام» حتى يتطهروا .

وأحصى موسى النهب فكان من الغنم ٦٧٥,٠٠٠ رأس ومن البقر ٧٢,٠٠٠ رأس ومن الحمير ٦١,٠٠٠ ومن الأطفال الإناث - بعد إبادة جميع الأطفال الذكور والنساء - ٣٢,٠٠٠ ، وجمع موسى الذهب والفضة والمواشي ، وأخرج نصيب المقاتلين وهو النصف ، ثم أخرج نصيب الزكاة وهي تدفع للكاهن ولبيت لاوي - موسى وهارون من بيت لاوي - . وكان كل ذهب الرقيقة التي رفعوها للرب ١٦٧٥٠ شاقلاً من الذهب ، ومن الغنم ٦٧٥ . ومن البقر ٧٢ والحمير ٦١ ومن الإناث الأطفال ٣٢ نفساً ، وجميعها أخذها إلعازار الكاهن . (سفر العدد ٣١ بأكمله) .

(٢١) الوعد بدخول أرض كنعان بعد وفاة موسى :

«كلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً : كلم بني إسرائيل وقل لهم : إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان ؛ فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم ، وتمحون جميع تصاويرهم ، وتبيدون كل أصنامهم . تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنني قد أعطيتكم الأرض – أي أرض فلسطين – لكي تملكوها . وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم . وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم ؛ يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ، ومناخس في جوانبكم ، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها» .

لهذا تقوم سياسة إسرائيل الحالية على قتل وطرد جميع الفلسطينيين من أرض فلسطين وما يسمى الضفة الغربية وقطاع غزة وجنوب لبنان . لأن الله أعطى هذه الأرض في عهد أبدي دائم لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وبني إسرائيل إلى أبد الأبد . . . وكرر الرب توصياته لبني إسرائيل ، وحدد لهم تخوم أرضهم ، بحيث إنها تشمل جميع أرض فلسطين والضفة الغربية وقطاع غزة والأردن وجنوب لبنان . وفي بعض النصوص لبنان وسوريا إلى حماة حتى نهر الفرات ، من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل . وأكد لهم الرب أنه ساكن في وسط إسرائيل . وبالذات في التابوت الذي صنعوه له من الخشب الفاخر المطعم بالذهب والفضة والعاج .

النهاية المحزنة لموسى حسب ما تزعم التوراة :

وتنتهي صورة هذا الوعد بنهاية أليمة بالنسبة لموسى حسب زعم التوراة المحرفة ، حيث يموت مغضوباً عليه من الرب ودون أن يدخل إلى الأرض المقدسة التي وعدهم الرب منذ زمن إبراهيم . . . جاء في سفر التثنية موت موسى مغضوباً عليه كما مات هارون من قبل :

«وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً : اصعد إلى جبل عباريم . . . قبالة أريحا – الأردن – ، وانظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل ملكاً . ومث في الجبل الذي تصعد إليه ، وانضم إلى قومك ، كما مات أخوك هارون في جبل هور ؛ لأنكما ختتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في بركة صين ؛

إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل . فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك ، إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني إسرائيل . (سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ - ٥٥) .

وتأتي النهاية المحزنة وينزل الستار على هذا المشهد الأخير:
«وقال له الرب : هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها . قد أريتك إياها بعينيك ، ولكنك إلى هناك لا تعبر - لكي تموت كمداً وحسرة - فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور . ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم» . (سفر التثنية ٣٤ : ٤ - ٦) .

وهكذا يسدل الستار على موسى ليموت في البرية مجهول القبر مغضوباً عليه من الرب . . يموت والحسرة والكمد يملآن قلبه ، إذ يرى أرض كنعان ، أرض الميعاد ، يراها بعينه ولا يستطيع أن يعبر إليها ؛ لأن الرب غضب عليه وعلى هارون عند ماء مريبة !! هكذا تزعم التوراة المحرفة . . وهكذا تلوث صورة نبي من أولي العزم من الرسل . . موسى زعيمهم ونبيهم الذي أنقذهم من فرعون ، لقي الأذى منهم في حياته ، ولقى الأذى منهم بعد مماته بما سودته صحائف أقلامهم في توراتهم المحرفة التي نسبوها إليه .

ولكن موسى في كنف الله وفي نعمة الله منذ أن خلقه . وهو الآن في الرفيق الأعلى لا يضره كيد يهود ولا مكر يهود ولا شتائم يهود ولا ما تقوله توراتهم المحرفة . فسلام الله عليك يا نبي الله يا كلم الله . . وسلام الله عليك يا رسول الله محمد ، يا من أعلنت على الملأ براءة موسى مما ألصقه به بنو إسرائيل من التهم . . فصلى الله عليكما وعلى جميع الأنبياء والمرسلين صلاة دائمة إلى أبد الأبد .

* * *

بعض أحكام التوراة الحقّة والمحرّفة

الوصايا والألواح :

(سفر الخروج، الإصحاح ٣٤ - ٤٠) و(سفر اللاويين : ٢١٨) :
أمر الرب موسى أن يصنع لوحين من حجر بدلاً عن اللوحين اللذين كسرهما في غضبه . وصعد موسى الجبل، فنزل الرب في السحاب ونادى : الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب - عكس ما تصوره التوراة حيث نراه سريع الغضب كثير الندم - وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألف، غافر الإثم والخطيئة، لكنه لن يُبريء إبراءً - لا يزال الذنب موجوداً - مفتقداً إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع .

أمر من الرب بإبادة الأمم :

«احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين . احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها؛ لئلا يصيروا فخاً في وسطك - ومن هذا النص يأخذ اليهود في اسرائيل اليوم خطتهم في عدم إجراء أي معاهدة سلام تسمح بموجبها بقيام كيان لسكان فلسطين - . . . احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض . - أي أرض فلسطين - .

«لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة . تحفظ عيد الفطير . . ثم يذكر تفاصيل عيد الفطير - وقد أفردنا لها فصلاً خاصاً وكيف تطور عيد الفطير عند اليهود، بحيث يجعلون فيه دم نصراني أو مسلم - «ستة أيام عمل وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم

سبت عطلة مقدس للرب . كل من يعمل فيه عملاً يقتل — عقوبة شديدة على جريمة تافهة . . . بينما هارون الذي صنع العجل بزعمهم لم يقتل بل كان مكرماً — وأمرهم موسى بأن يتبرعوا لهارون وبيت اللاوي بالأموال والبخور والعطور والذهب والماشية، وأن يقيموا خيمة الرب، خيمة الاجتماع . . . إلخ، وأن يصنعوا التابوت مسكناً مقدساً يسكن الله فيه في وسطهم!!! «وصنع مذبح المحرقة» . . . والمحرقة لها أهمية قصوى في التوراة إذ إن الشواء عمل مقدس، والرب لا يرضى إلا حين يشم رائحة المشوي . . . وبقية اللحم يأخذه آل هارون . (الإصحاح ٣٨).

وتذكر التوراة تفاصيل الرداء الذي يلبسه الكاهن من آل هارون في الإصحاح ٣٩ من سفر الخروج . وتجعل التوراة الإصحاح الأربعين من سفر الخروج لتفاصيل التابوت والسرج والبخور في خيمة الاجتماع .

ويخصص سفر اللاويين لتفاصيل المحرقة والقرايين، وكيفية وضع الشحم فوق الحطب . . . إلخ . وأنواع القرايين: قرايين الإثم، وقرايين السلامة، وقرايين الخطأ السهو . . . إلخ . وتفصيلها من البقر والغنم وأنواع الخبز . . . بالإضافة إلى قربان الدم والكفارة عن كل بكر من الأبناء . ويستغرق ذلك من الإصحاح الأول إلى الإصحاح التاسع من سفر اللاويين .

الرب يحرق ابني هارون لأنها قدما ناراً غريبة على المذبح :

ويذكر الإصحاح العاشر من سفر اللاويين أن ابنا هارون وهما ناداب وأبيهو قربا أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بهما . فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما؛ فماتا أمام الرب . وهو عقوبة فظيعة من أجل عمل تافه . . . بينما يعفو عن جرائم فظيعة مثل عبادة هارون للعجل وصنعه لبني إسرائيل، ومثل الغش والكذب والخداع الذي قام به يعقوب، ومثل زنى رأوبين بسرية أبيه بلهة، ومثل زنى يهوذا بزوجة ابنه وهي ثمارا . . . إلخ .

«وقال موسى لهارون وإلحازار وإيثامار ابنيه الباقين — أي ابني هارون — خذوا التقديم الباقية من وقائد الرب، وكلوها فطيراً بجانب المذبح؛ لأنها قدس أقداس . . . كلوها في مكان مقدس . . . إلخ ومن يأكل منها من بني إسرائيل يموت موتاً؛ لأنها خاصة بهارون وبنيه .

ويخصص الإصحاح ١١ من سفر اللاويين لأنواع الحيوانات المحرمة عليهم .
ويخصص الإصحاح ١٢ للنفاس وأن المرأة تكون نجسة . . . إلخ . والإصحاح ١٣
للأورام الجلدية والبرص ، واعتبار المصاب بها نجساً . ويستمر الحديث عن الأبرص
ونجاسته إلى الإصحاح ١٤ من سفر اللاويين . ويخصص الإصحاح ١٥ لمن يكون
مصاباً بالسيلان ونجاسته . . . ووجوب الغسل بعد الجماع أو الإنزال . واعتبار الحائض
نجسة ، وكل من مسها يكون نجساً ، بل كل من مس فراشها يكون نجساً .

ويعود الإصحاح ١٦ إلى ذكر الذبائح والقرايين للتكفير عن خطايا بني إسرائيل .
ويذكر الإصحاح ١٧ من يجوز له أن يقرب إلى خيمة الاجتماع ومن لا يجوز .

والإصحاح ١٨ للمحرمات وعدم كشف العورة ، ومنع الزنى ، ومنع اللواط
«ولا تضاجع ذكراً مضاجعة امرأة . إنه رجس» . «ولا تجعل مع بهيمة مضجعك» .

وهي أمور صحيحة ولكن تنقضها أحكام التلمود التي تبيح الزنى واللواط واتخاذ
البهائم كما سنّفصله في حينه . بل إن التوراة نفسها تذكر عن الأنبياء أنهم مارسوا
الزنى . ومنهم داود الذي زنى بحليلة جاره ، ورأوبين – من الأسباط – الذي زنى
بسرية أبيه ، ويهوذا بن يعقوب الذي زنى بحليلة ابنه ، وأن أمنون بن داود زنى بأخته
ثامار ، وأن إبراهيم عليه السلام تزوج أخته سارة ، وأن لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه وهو
مخمور . . . إلخ .

وفي الإصحاح ١٩ وصايا بعدم عبادة الأوثان واحترام الآباء والأمهات ، وحفظ
السبت وإقامة العدل ، وعدم البغض وعدم الزنى ، وعدم طلب الجن والاستعانة بهم ،
ومحبة الغريب والإحسان إليه .

بعض أحكام التوراة الحقة :

ويذكر الإصحاح العشرون من سفر اللاويين العقوبات الصارمة وهي القتل
للجرائم التالية :

(١) كل إنسان من بني إسرائيل ومن الغرباء النازلين في إسرائيل أعطى من زرعه
لمولك – وثن كان يعبد في تلك الجهة – فإنه يقتل . . . ويرجم رجماً .

(٢) والنفس التي تلتفت إلى الجان وإلى التوابع كذلك تقتل قتلاً .

(٣) وكل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل .

(٤) وإذا زنى رجل مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزاني والزانية . وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه . إنهما يقتلان كلاهما دمهما عليهما .

قصة اليهوديين الزانيين في المدينة :

وهذه قصة حدثت في المدينة المنورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم توضح اعوجاج يهود وخبثهم وإنحرافهم . فقد زنت يهودية مع يهودي من أشrafهم في المدينة واعترفا بذلك . وأراد اليهود مخرجاً من حكم الرجم الموجود في التوراة؛ فقالوا: نأتي إلى محمد فإنه نبي، فإن حكم لكم بغير الرجم فإنكم ستحتاجون ربكم بأن ذلك حكم رسوله، وإن لم يحكمم إلا بالرجم فلا تقبلوا منه الحكم . فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يأتوا بالتوراة، وقال لهم أتلوها . . . فتلا قارئهم وغطى على موضع آية الرجم، فقال له المصطفى : ارفع يدك، فرفعها، فإذا هي آية الرجم . فأخذهما الرسول ورجمهما بحكم التوراة . . وغضب اليهود وشتما الرسول صلوات الله وسلامه عليه وحزن لذلك المصطفى .

ونزل في ذلك قرآن من السماء . قال تعالى :

﴿ يَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيَتْهُمْ هَذِهِ - أي حكماً آخر غير حكم الرجم - . فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ

عَنْهُمْ فَكَانَ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ
 بَعْدِ ذَلِكَ - فقد أعرضوا بعدما حكم فيهم رسول الله بحكم التوراة وهو الرجم - .
 وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ . (المائدة : ٤١ - ٤٣) .

ويخبرنا المولى سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ببعض الأحكام الواردة في
 التوراة الصحيحة والتي لا يزال بعض آثارها موجوداً إلى اليوم في التوراة المحرفة (سفر
 اللاويين، الإصحاح ٢٠) .

قال تعالى :

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
 وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
 كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ .
 (المائدة : ٤٥) .

وجوب تطبيق أحكام الشريعة :

وهذا الحكم باقٍ في الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام . .
 ولكن اليهود والنصارى حَرَّفُوا أحكام الله وكتبه وألغوا شريعته . . وللأسف فإن بعض
 بلاد المسلمين - عرباً وعجماً - تقلد اليهود والنصارى وترفض تطبيق الشريعة
 الإسلامية . .

ولا شك أن هذا الرفض لتطبيق شريعة الله يلحقهم باليهود والنصارى .

قال تعالى :

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ . .

(المائدة : ٤٤) .

وقال تعالى :

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة : ٤٥).

وقال تعالى :

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة : ٤٧).

(المائدة : ٤٧).

وقال عز من قائل :

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة : ٤٨).

(المائدة : ٤٨).

وقال تعالى :

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتُخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١).

(المائدة : ٤٩ - ٥١).

وواضح من هذه الآيات الكريمة أن حكام المسلمين الذين يرفضون تطبيق شريعة الله قد تولوا اليهود والنصارى الذين سولوا لهم أن يمنعوا تطبيق الشريعة الإسلامية، واستخدموا معهم كل وسيلة من تهديد وترغيب لكي يحاربوا شريعة الله ويمنعوا تطبيقها. وعندما حاول أحدهم تطبيق أجزاء من الشريعة الإسلامية كادوا له المكاييد وأسقطوه من كرسي حكمه وطرده شرطردة. ولكن الله غالب على أمره، وناصر دينه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وقد وصف الله صفاتهم ومسارعته في مودة اليهود والنصارى. قال المولى عز وجل :

﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ .

تماماً كما يقول كثير من حكام المسلمين لخاصتهم: إنهم يخشون بطش أميركا إذا هم طبقوا الشريعة الإسلامية!!

﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَأُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴾ (٥٢) .
(المائدة: ٥٢) .

ويصور المولى عز وجل تهديده المرعب الرهيب للذين يتقاعسون عن تطبيق شريعته ويرفضون تنفيذها خوفاً من اليهود والنصارى، وهم الغالبية من حكام المسلمين اليوم:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٤) .
(المائدة: ٥٤) .

وتتوالى آيات سورة المائدة تحذر هؤلاء الذين يتولون اليهود والنصارى والكفار، ويسيرون خلفهم كالنعاج، ويرفضون تحكيم شريعة الله خوفاً وفاقاً منهم .

ويقول المولى عز وجل:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٥٧) .
(المائدة: ٥٧) .

مواصلة لذكر بعض أحكام التوراة:

حكمت التوراة بقتل المرتد ومن يعبد وثناً ومن يتبع الجان والتوابع، ومن يسب أباه أو أمه، ومن يزني . وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعل كلاهما رجساً، إنهما يقتلان، دمهما عليهما . (الإصحاح ٢٠ من سفر اللاويين: ١٣) .

وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم. (٢٠ : ١٤ من سفر اللاويين).

وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميمونها. وكذلك المرأة إذا زنت مع حيوان كلاهما يقتلان. (سفر اللاويين ٢٠ : ١٥ - ١٧).

وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار. يقطعان أمام أعين بني شعبهما قد كشف عورة أخته يحمل ذنبه. (سفر اللاويين ٢٠ : ١٨).

والغريب حقاً أن التوراة ذاتها تزعم أن إبراهيم عليه السلام تزوج أخته من أبيه سارة، وأن راؤبين زنى بامرأة أبيه أثناء حياة أبيه يعقوب، وأن يهوذا بن يعقوب زنى بثمارا زوجة ابنه، وأن داوود زنى بحليلة جاره أوريا الحثي وهي التي ولدت له سليمان عليه السلام. وأن أمنون بن داوود زنى بأخته ثمار، وأن لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه وهو مخمور... إلخ.

وهو تناقض غريب وفظيع فكيف يكون الأنبياء المثل العليا للبشرية زناة وعتاة ومجرمين وكذبة ومخادعين، بينما تأمر التوراة في مقاطع أخرى بعدم الزنى والكذب والغش والخداع، وتحكم على من فعل ذلك بأحكام بالغة الشدة!!

ويستمر الإصحاح العشرون من سفر اللاويين يوجه الأحكام بعدم الاضطجاع مع امرأة طامث. فإذا فعل ذلك حكم على الرجل والمرأة بالإعدام - وهو حكم شديد القسوة -.

ويحكم السفر بعدم كشف عورة الخالة والعمة وامرأة العم والخال وزوجة الأخ ومن فعل ذلك يقتل أو يموت عقيماً.

وإذا فعل بنو إسرائيل ذلك وحفظوا هذه الفرائض والأحكام؛ فإنهم يرثون أرض تلك الأمم التي فعلت هذه الموبقات، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً... «أنا الرب إلهكم الذي ميزكم بين الشعوب فلا تدنسوا أنفسكم بكل ما هو نجس من البهائم والطيور، وتكونون لي قديسين لأنني قدوس أنا الرب». (سفر اللاويين ٢٠ : ٢٢ - ٢٦).

ويستمر سفر اللاويين في ذكر القرايين بعد ذلك وخصوصيات بيت اللاوي وبني هارون لأنهم الكهنة. . وإذا أكل أحدهم من القربان وهو نجس - أي عليه جنابة - يموت موتاً!!

وتعود التوراة تفصّل تفصيلاً مملاً ثقيلاً في موضوع القرايين وما يأخذه الكاهن من مواشيهم وزروعهم وأنواع اللحم المشوي والمقدد للرب!! ثم تأتي أحكام النفس بالنفس «وإذا أَمَاتَ أحد إنساناً فإنه يقتل».

«ومن أَمَاتَ بهيمة يعوض عنها نفساً بنفس. وإذا أحدث إنسان في قريبه عيباً فكما فعل كذلك يفعل به، كسر بكسر وعين بعين وسن بسن. كما أحدث عيباً في الإنسان كذلك يحدث فيه. من قتل بهيمة يعوض عنها. ومن قتل إنساناً يقتل. حكم واحد يكون لكم. الغريب كالوطني. إني أنا الرب إلهكم». (سفر اللاويين ٢٤ : ١٧ - ٢٢).

وهي نفس الأحكام التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في سورة المائدة آية ٤٥ : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ وزاد المولى المسلمين ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ لأن ذلك لم يكن في حكم التوراة.

وهذه نصوص التوراة بين أيدينا تؤكد ذلك. إذ التصديق والعفو لم يذكر في التوراة. ويكاد يكون سفر اللاويين خاصاً بالأحكام. وفيه أحكام عظيمة لا شك في صدقها مثل قوله : «لا تصنعوا لكم أوثاناً ولا تقيموا لكم تمثالاً منحوتاً أو نصباً، ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له» (الإصحاح ٢٦ : ١).

ومثل قوله : «إذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فأعضده غريباً أو مستوطناً فيعيش معك. لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة بل اخش إلهك فيعيش أخوك معك. فضتك لا تعطيه بالربا، وطعامك لا تعط بالمرابحة».

ولكن هذه الأقوال والأحكام العظيمة الصحيحة تنقضها أقوال وأحكام أخرى في التوراة، بحيث تستثني غير اليهودي من أحكام عدم الربا، وعدم استرقاق الإنسان.

ففي سفر اللاويين (٢٥ : ٢٩ - ٤٦) : وإذا افتقر أخوك - اليهودي - عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباده عبد... بل اخشَ إلهك. وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم. فهم تقتنون عبيداً وإماء. وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائريهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك. تستعبدونهم إلى الدهر. وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف.

وفي سفر التثنية (١٥ : ٣) : «لا تقرض أخاك بربا... ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا. للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا».

وهكذا يحرف الأخبار كتاب الله وأحكام الله... لا تقرض بربا يحولونها لا تقرض أخاك اليهودي بربا... لا تستعبد أحداً تتحول لا تستعبد أخاك اليهودي واستعبد جميع الشعوب الأخرى... لا تزن تتحول إلى لا تزن بيهودية لا تسرق... لا تكذب... لا تخدع لا تغش... كلها تتحول على أيدي الأخبار إلى لا تسرق يهودياً، لا تكذب على يهودي، لا تخدع يهودياً... بل تتحول إلى وجوب الغش والسرقة والخداع للأجنبي، كما تنص على ذلك نصوص التلمود التي تعتبر عندهم مقدسة أكثر من التوراة ذاتها.

ولا نقول كما قالت دائرة المعارف البريطانية (ج ٢ / ٨٧٩ - ٩٠٥ الطبعة الخامسة عشر) إن سفر اللاويين قد كتبه الكهنة بعد وفاة موسى بمئات السنين، وإنه آخر سفر كتب من أسفار التوراة الخمسة، ولكننا نقول: إن هذا السفر يحوي على أحكام ووصايا حقيقية نزلت من السماء على لسان موسى عليه السلام... وإن الكهنة فيما بعد حرفوا بعضاً منها، وحذفوا وأضافوا كما أملى لهم الشيطان والهوى.

وقد سبق أن استعرضنا كيف حرفت التوراة، ومتى كتبت الأسفار المختلفة للعهد القديم، وما هو مقبول منها عند اليهود والنصارى وما هو مشكوك فيه عندهم!!

وتتكرر في التوراة وعود الرب لشعبه البكر إسرائيل بإعطائهم أرض فلسطين. وتتسع الرقعة أحياناً لتمتد من النيل إلى الفرات «وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر. فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردوهم من

أمامك . لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً . لا يسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تخطيء إليّ» . (الخروج ٢٣ : ٣١ - ٣٣) .

وتتكرر هذه الوعود في كل سفر من أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين كما تتكرر في كل إصحاح منها تقريباً .

وأقام موسى محرقات سلامه للرب ، وأخذ موسى نصف الدم ووضعها في الطسوت ، ونصف الدم رشه على المذبح ، وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب ، فقالوا : كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له . وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال : هوذا دمُ العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال . (سفر الخروج ٢٤ : ٥ - ٨) .

ومثل هذه الصور القبيحة لا شك أنها من صنع الكهان وإضافاتهم الكثيرة التي لوثوا بها كتاب الله .

* * *

يوشع بن نون ، المفترى عليه

يوشع بن نون هو فتى موسى وتلميذه وحواريه، ونبي بني إسرائيل من بعد موسى . وقد ذكره الله في القرآن الكريم في سورة الكهف في قصة موسى والخضر:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِبُحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۖ﴾.

وهو أحد الرجلين الذين أنعم الله عليهما عندما فرق بنو إسرائيل من قتال العماليق ودخول الأرض المقدسة . قال تعالى :

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۖ﴾ (المائدة: ٢٣).

والرجل الثاني هو كالب بن يفنة . والموقف عجيب والمفارقة واضحة . فالذين يخافون من ربهم كانوا هم المستعدين لمواجهة العماليق ومجالدتهم ، والذين لا يخافون من ربهم هم الذين يرتجفون ويرتعبون ويبكون وينوحون خوفاً وفرقاً من مقاتلة العماليق ، فحرم الله عليهم دخول الأرض المقدسة أربعين سنة حتى مات كل ذلك الجيل العفن الجبان الذي مرد على الذل والعبودية في أرض مصر . وأتى الله بجيل جديد لم يعرف الاستكانة والمهانة والخضوع ، وأبقى الله يوشع بن نون ومعه كالب بن يفنة ليدخلا الأرض المقدسة تحت قيادة النبي يوشع بن نون .

ولكن يهود لم يلبثوا أن لوثوا سيرة هذا النبي ، وجعلوها صورة بشعة فظيعة للمجازر والمذابح والهولوكوست وحرب الإبادة للشعوب المقيمة في الأردن وفلسطين ولبنان . وهي صورة أبعد ما تكون عن الحقيقة ، ولكنها أصبحت معتمد سياسة إسرائيل اليوم وتدرس في المدارس لجميع أطفال اليهود .

تحقيق الوعد على يد يوشع بن نون واستيلاء بني إسرائيل على الأرض:

جاء في سفر يشوع - يوشع بن نون - الإصحاح الأول (١ - ٥):

«وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادماً موسى قائلاً: موسى عبدي مات. فالآن قم اعبّر هذا الأردن - أي نهر الأردن - أنت وكل الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى. من البرية ولبنان إلى هذا النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم. لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك...»

«فأرسل يشوع بن نون رجلين جاسوسين سراً قائلاً اذهبا انظرا الأرض وأريحا. فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك». وعلم ملك أريحا بوجودهما فأرسل جنوده للبحث عنهما. وأنكرت راحاب وجودهما بعد أن خبأتهم. ثم أخرجتهما بعد أن ذهب الطلب، وقالت لهما: قد علمت أن الرب قد أعطاكم الأرض وأن رعبكم قد وقع علينا. لأنني قد عملت معكما معروفاً فتعملا أنتما أيضاً مع بيت أبي معروفاً وتستحييا أبي وأمي وإخوتي وأخواتي وكل مالهم، وتخلصا أنفسنا من الموت...» فوافق الجاسوسان على ذلك وأعطياها العهد والعلامة. (يشوع ٢: ١ - ١٤).

وسار يشوع والتابوت أمامهم يدلهم... وفي التابوت جلس الله!! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وعبروا نهر الأردن بعد أن انفلق النهر فلقطين. وعبر الشعب النهر مشياً. (يشوع ٣: ٩ - ١٧).

يشوع يقوم بحرب إبادة حتى النساء والأطفال والرضع والبهائم أبادهم بحد السيف:

«وسمع ملوك الأموريين الذين في عبر الأردن وجميع ملوك الكنعانيين الذين على البحر أن الرب قد يئس مياه الأردن من أمام بني إسرائيل ذابت قلوبهم» (يشوع ٥: ١ - ٢).

وقام يشوع بإعادة ختان بني إسرائيل لأن بني إسرائيل المختونين الذين خرجوا من مصر ماتوا في القفر، وأبناءؤهم الذين ولدوا في القفر لم يختنوا. (يشوع ٥ : ٣ - ٩).

«وكانت مدينة أريحا مقفلة بسبب بني إسرائيل. لا أحد يخرج ولا أحد يدخل» أي أنها محاصرة، وبعد سبعة أيام من الدوران حول أريحا ضرب الكهنة الأبواق وهتف الشعب هتافاً عظيماً، فسقط السور في مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة. «وحرّموا - أي أبادوا - كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف». ما عدا راحاب الزانية وأهلها. «وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها: إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة الرب».

وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلاً: «ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا». (يشوع ٦ : ١ - ٢٧).

وهكذا قام يشوع حسب أقوال التوراة المحرفة بهولوكوست وإبادة تامة أقطع من تلك التي قام بها هتلر في بولندا!!!.

لقد أباد يشوع عدة مرات كل ما وجده أمامه من طفل ورضيع، ورجل وامرأة، حتى الحيوانات والدواب أبادها. ويسمى هذا المبدأ التحريم. أي حرمة أخذ الغنائم. وقد ورد في الحديث الصحيح: أن الغنائم كانت محرمة على من كان قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنها أحلت له. وهي من الخصوصيات للنبي محمد ولأمته. ولكن هذا لا يعني أن التحريم هو إبادة وحرق للصغير والكبير، للطفل والشيخ، للمرأة والرجل، للغنم والبقر!! وأبت طبيعة يهود أن تدخل الذهب والفضة في التحريم، وإنما جعلتها في خزانة الكهنة والأخبار التي يسمونها خزانة الرب.

وذكرت التوراة أن بني إسرائيل غلّوا غلّوا ولم يحرّموا الغنائم كما أمروا به. (سفر يشوع الإصحاح السابع). . وأمر يشوع بأن يحرق كل الغلول، وأن يحرق معه أيضاً الشخص الذي غلّ. وأخذ يشوع عجان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقرة وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله. ورجمه جميع بني إسرائيل

بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة. وأقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم. فرجع الربُّ عن حمو غضبه» (سفر يشوع، الإصحاح السابع).

ويا لها من صورة فظة همجية!! لم يكتف يشوع بقتل الذي غلّ بل قتل أهله وأبناءه وبناته وبقره وغنمه وحميره، وأحرقهم جميعاً بالنار بعد أن رجمهم الشعب حتى الموت!!!

سفر المجازر (سفر يشوع):

ويسمى سفر يشوع من العهد القديم سفر المجازر. فبعد أن قام يشوع بمجزرته الكبرى في أريحا، قام بعدها بمجزرة مثلها لملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه. وقال له الرب: «ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار».

وقام يشوع بقتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية، حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف. ثم دخل المدينة وضربوها بحد السيف ولم يبقوا طفلاً ولا رضيعاً ولا شيخاً ولا رجلاً ولا امرأة. وكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء عاي اثني عشر ألفاً، جميع أهل عاي. . . وحرّم يشوع جميع سكان عاي ولكن البهائم والأموال والذهب نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب!! وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم. (سفر يشوع ٩ : ١ - ٣٠).

«ولما سمع جميع الملوك الذين في عبر الأردن، في الجبل وفي السهل وفي كل ساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان، الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون؛ اجتمعوا معاً لمحاربة يشوع وإسرائيل» (سفر يشوع ٩ : ١ - ٢)، وذلك لكي ينقذوا أنفسهم من المجازر وحرب الإبادة الكاملة التي كان يقوم بها يشوع.

«وأما سكان جعبون لما سمعوا بما عمله يشوع بأريحا وعاي» فقد ارتعبوا؛ وجاءوا ليشوع وقالوا عبيدك نحن، من أرض بعيدة جئنا. والآن اقطعوا لنا عهداً.

وحلفوا ليشوع بأنهم جاءوا من أرض بعيدة، لأن الرب أخبره أن لا يقطع عهداً مع سكان أرض فلسطين وما حولها؛ ولكن سكان جعبون تضرعوا ليشوع وحلفوا له

بأنهم جاءوا من أرض بعيدة، وليتخذهم يشوع عبيداً. (ويا له من شرف!!) وأخيراً وافق يشوع على ذلك.

ولما علم يشوع بأن هؤلاء الذين اتخذهم عبيداً واستبقاهم هم من أهل جعبون غضب، وأراد بنو إسرائيل إبادةهم، ولكن رؤساء الجماعة منعوهم من ذلك لأنهم حلفوا بالرب إله إسرائيل لأهل جعبون بالأمان.

حجز الشمس عن المغيب من أجل يشوع :

ويذكر سفر يشوع أن الحيشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين وغيرهم من الشعوب اجتمعوا لمحاربة يشوع بعد أن سمعوا بالمذابح والمجازر التي أقامها يشوع لأريحا وعاي وغيرهما من المدن.

والغريب حقاً أن يذكر سفر يشوع أن المعركة كانت في جعبون وهي التي سبق أن أخبرنا السفر أن أهلها فروا منها ولبسوا ثياب السفر المهلهلة وأخبروا يشوع بأنهم قد جاءوا من بلاد بعيدة ليعفو عنهم ويتخذهم عبيداً له ولبنى إسرائيل.

ويذكر السفر أن المعركة كانت يوم الجمعة وكادت الشمس أن تغيب. ومن المعلوم أن القتال محرمٌ لدى اليهود من غياب شمس الجمعة حتى غياب شمس يوم السبت. وكذلك كل عمل من أعمال الدنيا.

واستمرت المعركة طوال النهار والحرب سجال بين الفريقين، فلما رأى يشوع أن الشمس تكاد تغيب دعا الله سبحانه وتعالى أن يمنعها من المغيب فوقفت الشمس حتى أتم يوشع فتح جعبون.

وجاء في سفر يشوع الإصحاح العاشر (١٢ - ١٤): «حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بني إسرائيل، وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جعبون ويا قمر على وادي أيلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر^(١). فوقفت الشمس في كبد السماء ولم

(١) سفر ياشر هذا من جملة الأسفار المذكورة في العهد القديم، ولكن ليس له وجود. وهو من ضمن الأسفار المفقودة، والتي يعتقد أن التوراة والعهد القديم الحالي قد كُتبا منها.

تعجل للغروب نحو يوم كامل . ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الربُّ صوت إنسان . لأن الرب حارب عن إسرائيل !!» .

وقوف الشمس ليوشع في الأحاديث النبوية :

وقد وردت قصة وقوف الشمس ليوشع بن نون عليه السلام في أحاديث عدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . أخرج الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما بين ، ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفها ، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها ، قال : فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور . اللهم احبسها علي شيئاً فحبست عليه حتى فتح الله عليه . قال فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه فقال فيكم غلول ، فلبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده ، فقال : فيكم الغلول ، فلتبايعني قبيلتك فبايعته . قال : فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة فقال : فيكم الغلول ، أنتم غللتهم ، قال : فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب ، قال : فوضعوه في المال ، وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلته^(٢) . فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا . ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا» .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : قال القاضي : «اختلف في حبس الشمس المذكورة هنا فقليل ردت على أدراجها ، وقيل وقفت ولم ترد ، وقيل أبطىء

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» ، كتاب الجهاد : باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ، ٥١/١٢ - ٥٣ ، دار الفكر ، بيروت .

(٢) كانت علامة القبول من الله سبحانه وتعالى أن تأتي نار من السماء فتأكل القربان ، وذلك ما حدث في قصة ابني آدم ، إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . فقد قدم قابيل عن ثمار الأرض وقدم هابيل خروفاً سميناً فتقبل الله من هابيل إذ جاءت نار من السماء فأكلته . ولم يتقبل الله من قابيل لخبث نفسه . واستمر الأمر على ذلك حتى أن اليهود - عليهم لعائن الله - طلبوا من الرسول أن يأتيهم بقربان تأكله النار ليتثبتوا من صدقه حسب زعمهم .

بحركتها. وكل ذلك من معجزات النبوة. قال: ويقال أن الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون.

والحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب فرض الخمس باب أحلت لكم الغنائم^(١). وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: «قوله (غزا نبي من الأنبياء) أي أراد أن يغزو، وهذا النبي هو يوشع بن نون كما رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار، وبين تسمية القرية كما سيأتي. وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجه أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس...»

قال ابن حجر في الفتح: «وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام في قصيدة:

فوالله لا أدري أحلام نائم أملت بنا أم كان في المركب يوشع
وقد أخرج حديث حبس الشمس الإمام البخاري في كتاب المناقب أيضاً، وأخرجه أبو داود في سننه، وأحمد في مسنده (ج ٢/٢١٨).

حبس الشمس للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

ولم تحبس الشمس ليوشع بن نون فحسب وإنما حبست أيضاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كما سيأتي.

وقد شرح الأئمة العلماء أن ما ذكر من أن الشمس لم تحبس إلا ليوشع بن نون، يعني ذلك أنها لم تحبس لأحد في الأمم السابقة. قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: «ولا يعارضه (أي حبس الشمس ليوشع بن نون فقط) ما ذكره يونس بن بكير في زياداته في مغازي ابن إسحاق «أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر قريشاً صبيحة الإسراء أنه رأى العير التي لهم وأنها تقدم مع شروق الشمس، فدعا الله

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» ٦/٢١٩، المطبعة السلفية، القاهرة.

فحبست الشمس حتى دخلت العير، وهذا منقطع، لكن وقع في الأوسط للطبراني من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار وإسناده حسن. ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فلم تحبس الشمس إلا ليوشع. وليس فيه نفي أنها تحبس بعد ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم».

وذكر الإمام النووي في شرح صحيح مسلم أن الشمس قد حبست لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم مرتين الأولى في حديث الإسراء والمعراج عندما طفق يحدث قريشاً عن بيت المقدس وعن العير التي يقدمها الجمل الأورق وتأخر مجيء القافلة فحبست الشمس ولم تشرق حتى أتت، والثانية يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت فردها الله عليه حتى صلى العصر، ذكر ذلك الطحاوي وقال رواه ثقات.

حبس الشمس للإمام علي كرم الله وجهه :

قال الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري^(١):
وروى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في «الدلائل» عن أسماء بنت عميس أنه صلى الله عليه وسلم دعا لما نام على ركة عليّ ففاته (أي فاتت علي كرم الله وجهه) صلاة العصر فردّت الشمس حتى صلى عليّ ثم غربت. وهذا أبلغ في المعجزة. وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في «الموضوعات» وكذا ابن تيمية في «الرد على الروافض»^(٢) في زعم وضعه والله أعلم.

«وأما ما حكى عياض أن الشمس ردت للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق لما شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر. كذا قال وعزاه للطحاوي. والذي رأيته في «مشكل الآثار»، للطحاوي، ما قدمت من ذكر حديث أسماء، فإن ثبت ما قال فهذه قصة الثالثة والله أعلم».

(١) كتاب فرض الخمس - باب أحلت لكم الغنائم، ٢٢١/٦ - ٢٢٢، المطبعة السلفية القاهرة.

(٢) أما ابن تيمية فقد كان له موقف آخر، كما جاء في كتابه «الكرامة ومعجزات الأولياء» وهو مستخرج من فتاويه. وسيأتي ذكر ما قاله ابن تيمية في هذا الباب.

وذكر الإمام ابن تيمية في كتابه المعجزة وكرامات الأولياء أن الشمس قد حبست ورُدَّت للإمام علي كرم الله وجهه . قال : وردَّ الشمس ليوشع بن نون وكذلك ردها لما فاتت علياً الصلاة . والنبي صلى الله عليه وسلم نائم في حجره ، إن صح الحديث . فمن الناس من صححه كالطحاوي والقاضي عياض ، ومنهم من جعله موقوفاً كأبي الفرج بن الجوزي .

وذكر الإمام ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء (ص ٤٤٤) ، قال : «صححه (أي حديث رد الشمس لعلي) أحمد بن أبي صالح . ولكنه (أي الحديث) ليس في شيء من الصحاح والحسان» . وذكر أن الإمام أحمد أخرجه في مسنده وقال ورواته على شرط البخاري .

وقد ذكر الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني صاحب سبل السلام قصة حبس الشمس للإمام علي في كتابه الروضة الندية في شرح التحفة العلوية :

قال : وعليه الشمس رُدَّت فغداً أفقها من بعد الظلام مضيّاً

«عن علي كرم الله وجهه قال : لما كنا بخيبر سهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتال المشركين (اليهود) فلما كان من الغد ، وكان مع صلاة العصر جئته ولم أصل صلاة العصر ، فوضع رأسه في حجري فنام فاستثقل فلم يستيقظ حتى غربت الشمس ، فلما استيقظ مع غروب الشمس قلت : يا رسول الله ما صليت صلاة العصر كراهية أن أوقظك من نومك ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده وقال : اللهم إن عبدك تصدّق بنفسه على نبيك فاردد عليه شروقها فرأيتها على الجبال في وقت العصر بيضاء نقية حتى قمت وتوضأت وصليت ثم غابت . . . » .

«وعن علي كرم الله وجهه قال : أنشدكم بالله هل منكم من ردت له الشمس غيري حين نام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل رأسه في حجري حتى غربت الشمس فانتبه فقال : يا علي صليت العصر؟ فقلت : اللهم لا . فقال اللهم ارددها عليه فإنه كان في طاعتك وطاعة رسولك» .

«وذكرها الحافظ السيوطي في الجامع في مسند أمير المؤمنين رضي الله عنه .

وذكر القاضي العلامة المالكي عياض اليحصبي في كتابه «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» في قسم المعجزات ما لفظه: وخرَجَ الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أنَّ النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه، فلم يصلَّ العصر حتى غابت الشمس، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: «صَلِّتَ يا علي؟ قال: لا. فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس. قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر». قال: وهذان الحديثان ثابتان ورواهما ثقات. وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة». انتهى. وقد ذكر حديث أسماء بنت عميس كتاب «فرائد السمطين» لإبراهيم بن محمد الجويني، بشيء من التفصيل في الجزء الثاني، ص ١٨٣، وهو قريب مما تقدم فلا حاجة لإعادته.

حروب يشوع:

يذكر سفر يشوع من أسفار العهد القديم حروباً كثيرة متصلة قام بها يشوع وأنه حرَّم (أي أباد جميع سكان بل وحيوانات) مدينة مقيدة بحد السيف وقتل الرُّضْع والأطفال والشيوخ والعجزة وجميع البهائم، وفعل بها مثل ما فعل بأريحا وعاي وجعبون.

«ثم نزل إلى مدينة لينة فدفعها الرب هي أيضاً بيد إسرائيل مع ملكها فضرِبها بحد السيف وكل نفس بها!! لم يبق شارداً، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا». ودفع الرب مدينة لخيش وضرِبها يشوع بحد السيف وكل نفس حية بها حسب كل ما عمله بلبنة. وقضى يشوع على جازر وملكها، وحرَّم فيها كل نفس بحد السيف. وانتقل إلى عجلون وحاربها وأخذها في ذلك اليوم وضرِبها بحد السيف. وحرَّم يشوع كل نفس بها حسب كل ما فعل بلخيش.

ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون (هي مدينة

الخليل)، وحاربوها. وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها. لم يبق شارداً حسب كل ما فعل بعجلون فحرمها بحد السيف.

ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دبير وحاربها. وأخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف. وحرموا كل نفس بها. لم يبق شارداً كما فعل بحبرون، كذلك فعل بدبير وملكها.

فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها، لم يبق شارداً بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل. فضربهم يشوع من قادش برنيع إلى غزة، وجميع أرض جوشن إلى جعبون. وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة، لأن الرب إله إسرائيل حارب عن إسرائيل». (سفر يشوع، الإصحاح ٩ و ١٠).

فلما سمع يابين ملك حاصور بما فعله يوشع وبنو إسرائيل بالشعوب، من حرب إبادة كاملة، وإفساد في الأرض، جمع بقية الملوك في المنطقة وعزم على محاربة يوشع بن نون وجيشه. «فقال الرب (كما تقول التوراة ليشوع): لا تخفهم لأنني غداً في مثل هذا الوقت أذفعهم جميعاً قتلى أمام إسرائيل، فتعرب خيلهم وتحرق مركباتهم بالنار. فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميروم بغتة وسقطوا عليهم، فدفعهم الرب بيد إسرائيل فضربوهم... حتى لم يبق لهم شارد. ففعل يشوع بهم كما قال له الرب: عرقب خيلهم وأحرق مركباتهم بالنار، ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ حاصور وضرب ملكها بالسيف، وضربوا كل نفس بها بحد السيف. حرموهم، ولم تبق نسمة، وأحرق حاصور بالنار. فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها، وضربهم بحد السيف. حرمهم كما أمر موسى عبد الرب. وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبها بنو إسرائيل لأنفسهم. وأما الرجال فضربوهم جميعاً بحد السيف حتى أبادوهم. لم يبقوا نسمة. — أي قتلوا النساء والأطفال والرجال والشيوخ — كما أمر الرب موسى عبده. هكذا أمر موسى وهكذا فعل يشوع. لم يهمل شيئاً من كل ما أمر به الرب موسى. فأخذ يشوع كل تلك الأرض الجبل وكل الجنوب وكل أرض جوشن والسهل والعربة وجبل إسرائيل وسهله من

الجبل الأقرع الصاعد إلى سعيير إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون . وأخذ جميع ملوكها وضربهم بالسيف . وعمل يشوع حرباً مع أولئك الملوك أياماً كثيرة . (سفر يشوع ١١ : ٦ - ١٩) .

وجاء يشوع وقرض - أي أهلك - العناقيين من الجبل من حبرون - مدينة الخليل - ومن دبير ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا، ومن كل جبل إسرائيل . حرّمهم - أي أبادوهم جميعاً، نساءً ورجالاً، شيوخاً وأطفالاً مع جميع البهائم - يشوع مع مدّنتهم . فلم يتبقّ عناقيون في أرض بني إسرائيل - حرب إبادة هولوكست - . فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلّّم به الرب موسى ، وأعطاه يشوع ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسابطهم . واستراحت الأرض من الحرب - وحق لها أن تستريح من هذه الحرب الوحشية الضارية التي تعلن التوراة الكاذبة أنّ يشوع شنّها على جميع سكان أرض فلسطين والأردن ولبنان - . (سفر يشوع ، الإصحاح ١١ : ٢١ - ٢٣) .

متى عاش يشوع؟

تذكر المصادر التاريخية أن الخروج حدث حوالي ١٢٣٧ قبل الميلاد، وأنّ يوشع كان شاباً مصاحباً لموسى آنذاك . وتتفق المصادر الدينية والتاريخية على أن مرحلة التيه استغرقت أربعين عاماً . ظهر بعدها يوشع كقائد ونبي لبني إسرائيل ، واستمر في ذلك كما تذكر التوراة ٤٠ عاماً، ثم مات عن عمر يناهز مائة وعشرة أعوام . فتكون وفاته بذلك حوالي سنة ١١٥٧ قبل الميلاد، ويكون بالتالي مولده حوالي سنة ١٢٦٧ قبل الميلاد .

ومع ذلك لا يرد أي ذكر محدّد لحياة يوشع بن نون في التوراة، ومن المؤكد أنه عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وامتد به العمر إلى القرن الثاني عشر . وقد عاش يوشع بن نون تلميذاً مخلصاً وفياً لموسى عليه السلام، وصاحبه في جميع رحلاته، بما في ذلك رحلته ليلتقي بالرجل الصالح - الخضر - الذي قصّ الله علينا قصته في سورة الكهف . قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ

البحرين أو أمضي حقاً»، حتى إذا التقى موسى عليه السلام بالرجل الصالح اختفى فتى موسى من المسرح ولم يعد له ذكر.

ويظهر يوشع وهو يوبّخ قومه عندما نكصوا عن قتال العماليق كما تقدم. ثم يوصي موسى قومه باتباع يوشع لأنه خليفته بعد وفاته. ويقوم يوشع بفتح أرض العماليق. لا بالصورة البشعة التي تصوره بها التوراة، بل كما ينبغي لنبي يجاهد في سبيل الله.

وعندما فتح الله عليه بيت المقدس؛ دخل يوشع مطأطئ الرأس تواضعاً لله، بعد أن سجد على الباب شكراً لله. لا كما تصوّره التوراة جباراً سفاكاً متعطشاً للدماء مبيداً لكل نفس من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني، ومن الفتاة اليافعة إلى العجوز العقيم. قال تعالى موبخاً بني إسرائيل على جرائمهم، وكيف أمرهم بدخول باب بيت المقدس سجداً متواضعين، وأن يقولوا حطة - أي حطّ عنا ذنوبنا - فدخلوا على أستاذهم يزحفون وهم يسخرون ويضحكون، ويقتلون ويسفكون دماء الأبرياء من النساء والأطفال. قال تعالى:

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَاسِكُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾. (الأعراف: ١٦١ - ١٦٢).

ووصف المولى عز وجل موقفهم من المصطفى، وسؤالهم له أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، فذكرهم المولى بمواقفهم المخزية وسؤالهم موسى أن يروا الله جهرة، ثم اتخذهم العجل، ثم نكوصهم عن قتال العماليق، ثم رفضهم أخذ الميثاق إلا بعد أن رفع الله الطور فوقهم، ثم نقضهم لجميع العهود والمواثيق، ثم دخولهم الأرض المقدسة على يد يوشع بن نون، وأمرهم بالدخول سجداً، وكيف عكسوا ذلك الأمر، ودخلوا على أستاذهم يزحفون سخرية من أوامر الرب، وكيف قتلوا وسفكوا الدماء، وقتلوا الأنبياء، واتهموا مريم العذراء بالفاحشة، وادعوا أنهم قتلوا عيسى بن مريم رسول الله.

قال تعالى :

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ
مِنَ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا
جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ
بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا
﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ وَكُفِّرَهُم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا
غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٧﴾﴾ . (النساء : ١٥٣ - ١٥٧).

«وعندما شاخ يشوع ، قال له الرب : أنت قد شِخت . وقد بقيت أرض كثيرة جداً
للاحتلاك هذه هي الأرض الباقية . كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشيحور
الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً ، من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة
التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين ، وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق
الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة ، جميع سكان الجبل من
لبنان إلى مسرفوت مايم جميع الصيدونيين . أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل» . (سفر
يشوع ١٣ : ١ - ٧) .

وقام يشوع بكل ذلك وبتنفيذ الوصايا ، وبتذكير بني إسرائيل بوصايا موسى
وتعليمات الرب ، وذكّرهم بأن لا يتخذوا أوثاناً ولا آلهة من دون الله كما سبق أن فعلوا
مراراً . ثم مات يشوع وهو ابن مئة وعشر سنين فدفنوه في تخم ملكه في تمّة التي في
جبل أفرام شمالي جبل جاعش . (سفر يشوع ٢٤ : ٢٩ - ٣٠) .

وهكذا انتهت حياة نبي من أنبياء بني إسرائيل . وقامت التوراة بتلويث صورته
كما فعلت من قبل بموسى وهارون عليهما السلام ، وكما ألصقت التهم الحقيرة بنوح

(١) وقبر يشوع عليه السلام معروف وهو موجود في غور الأردن في المملكة الأردنية الهاشمية ،
وعلى مسافة غير بعيدة منه يوجد قبر نبي الله شعيب ، في غور الأردن أيضاً .

وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب والأسباط .

ولا شك أن ما ورد في التوراة المحرّفة من صفات الأنبياء هو من الكذب والبهتان الذي لم ينفك عنه بنو إسرائيل منذ خَلَقَهُم الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إلا من آمن منهم وقليل ما هم .

يشوع — يوشع — بن نون وموقف الكتاب العرب منه :

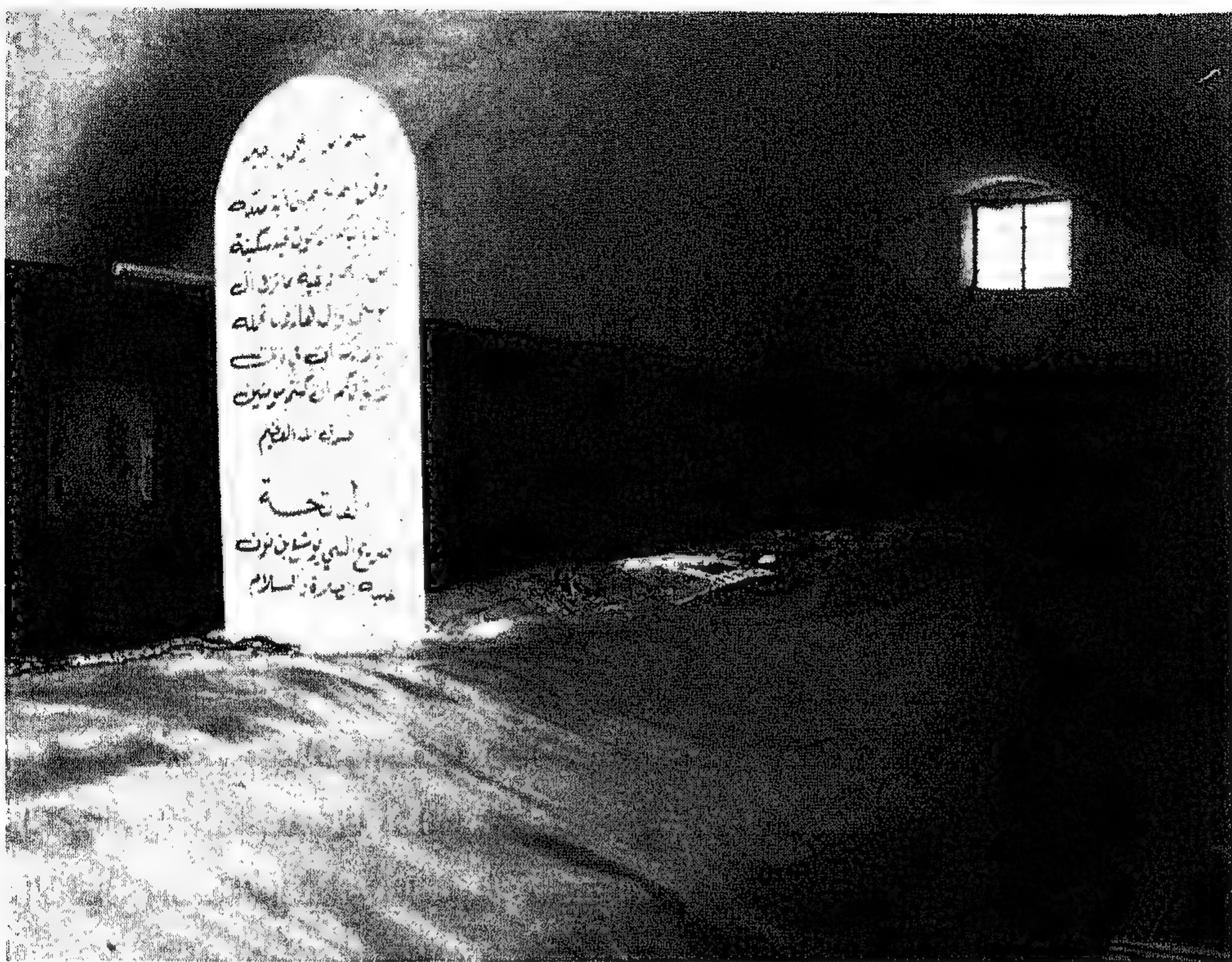
مات النبي يشوع — يوشع — بن نون بعد أن بلغ مائة وعشر سنوات، وقد قضى حياته كلها مع موسى وهارون عليهم السلام جميعاً. وكان من أخص تلاميذ موسى عليه السلام، وخليفته من بعده. ولم يكن رسولاً لبني إسرائيل لأن الرسالة كانت لموسى عليه السلام. وكان هو من أبرز الذين دعوا بني إسرائيل لتطبيق الشريعة الحقة.

وتميّز يشوع بالصراحة وقول الحق، والجهاد في سبيل الله باللسان والسنان. ولكن التوراة المحرّفة كما أسلفنا تصوّره متعطشاً للدماء، سفّاكاً، مجرماً يقتل الأبرياء والأطفال والنساء والشيوخ والعجزة، وحتى البهائم يقضي عليها.

وللأسف، فإن كثيراً من الكتاب العرب والمسلمين يخطئون خطأ فاحشاً عندما يتخذون ما ورد في التوراة المحرّفة عن موسى وهارون ويوشع وداوود وسليمان دليلاً على انحراف هؤلاء الأنبياء، ومن ثمّ يهاجمونهم.

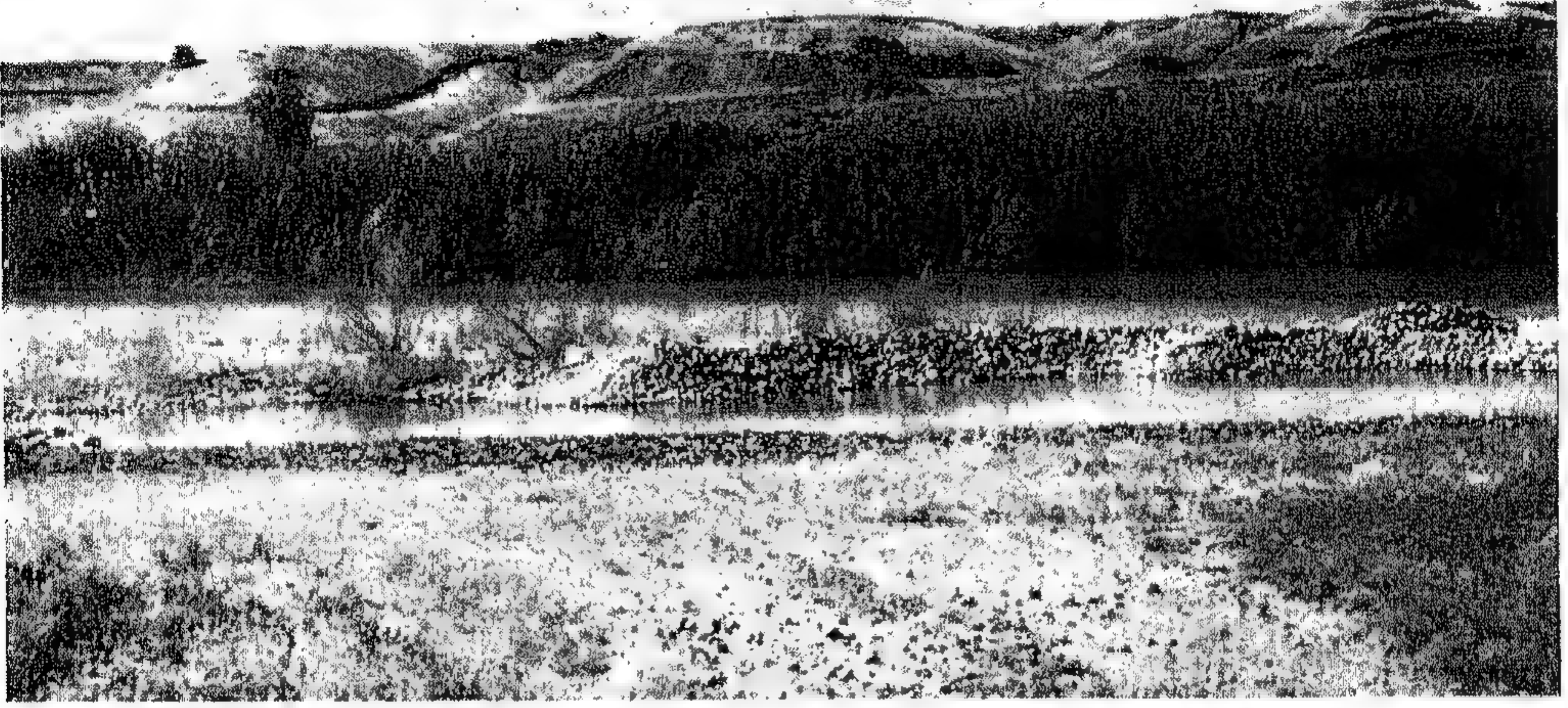
وهو موقف غريب أشد الغرابة، ومرفوض رفضاً تاماً من شخص يدّعي أنه مسلم!! فكيف يستطيع كاتب مسلم ويدرس في الأزهر وفي غيره من الجامعات، وغيره كثير، أن يتهم يوسف والأسباط، بل ويتهم يعقوب وإسحاق وإبراهيم وموسى وهارون ويوشع بالانحراف؟! وكيف يمكن لشخص يدّعي الإسلام أن يدافع عن فرعون وملئه، ويحاول أن يبرّر طغيان فرعون وهامان وجنودهما، وأن اضطهاد فرعون لقوم موسى إنما كان بسبب استغلال بني إسرائيل للكرم المصري، وأن فرعون محقّ في موقفه ذاك من يهود!!

والمؤسف حقاً أن تيار القومية العربية في الخمسينات والستينات دفع بكثير من الكتاب الذين كتبوا عن تاريخ اليهود، من العرب خاصة وبعض المسلمين



ضريح نبيّ الله يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة والتسليم. يوجد هذا الضريح في غور الأردن، كما يوجد في نفس المنطقة أيضاً قبر نبي الله شعيب عليه السلام. وفي تلك المنطقة أيضاً قبور كثير من الصحابة الذين توفوا أثناء الفتح وأثناء الإصابة بطاعون عمواس، نذكر منهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ومعاذ بن جبل وضرار بن الأزور رضي الله عنهم أجمعين.

واليهود - عليهم لعائن الله - يتطلعون للاستيلاء على هذه المنطقة التي عاش فيها نبيّ الله يوشع بن نون وعلى ترابها سُجّي جسده. وعلى مدنها وقراها وأغوارها وجبالها دارت معارك شرسة بين أهل الحق آنذاك والكفار، وسيأتي يوم قريب بإذن الله تدور فيه رحى المعركة الفاصلة بين يهود والمؤمنين على ضفاف نهر الأردن حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي ورائي، تعال فاقتله.



نهر الأردن، ويسمى أيضاً نهر الشريعة، وهو النهر المبارك الذي عَبَرَهُ الأنبياء والصحابه رضوان الله عليهم. وهو يفصل حالياً بين دولة الأردن وبين دولة البغي والعدوان، إسرائيل. التلال الواضحة في الصورة تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧م والمنطقة المزروعة هي منطقة حرام والنهر يفصل بين الأردن (الضفة الشرقية) وبين الضفة الغربية التي تحتلها إسرائيل، وهو نهر غير عميق في كثير من مناطقه ويمكن عبوره مشياً، ويصل في تلك المناطق إلى حقو الإنسان فقط.

وعلى ضفاف هذا النهر دارت معارك كثيرة وتحرك يوشع بن نون عليه السلام، وعلى ضفافه أيضاً سنقتل اليهود تلك المقتلة العظيمة التي لا تُبقي منهم أحداً والتي بشرنا بها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

المتحمسين لقضية فلسطين، أن يندفعوا اندفاعاً غير محمود أدى بهم إلى الكفر الصريح والخروج من ربة الإسلام، وذلك عند مهاجمتهم للأنبياء عليهم السلام، بحجة أن التوراة ذكرت عنهم هذه المخازي ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾. شياطين الإنس وهم اليهود، هم الذين كفروا وحرّفوا الكلم. وبلغت بهم الوقاحة أن شتموا الأنبياء جميعاً وألصقوا بهم التّهم الحقيرة والأوصاف الرذيلة، والأنبياء منهم براء.

ويتخذ بعض المؤلفين من العرب المحدثين موقفاً يدلّ على الجهل حيث إنهم لم يعرفوا أن يشوع بن نون من الأنبياء، فصدّقوا ما قالته فيه التوراة المحرّفة المزيفة، وأخذوا يقذعون السب والشتم في يشوع ويشوع منهم جميعاً براء. ورغم أن هؤلاء حاولوا أن يرثوا موسى عليه السلام من التّهم التي ألصقتها به التوراة، إلا أنهم أقذعوا في سب الأسباط وهم أبناء يعقوب عليه السلام.

وحاول بعضهم أن يردّ على ادّعاء يهود بأنهم أوّل من قال بالتوحيد، ودعا إلى الإله الواحد. وكان الردّ في ذلك سخيلاً كل السخف، تافهاً كل التفاهة. فقد جاءت الردود منصبّة على أن أخناتون – الفرعون المصري الذي دعا إلى عبادة الشمس وحدها – هو أوّل بشر دعا إلى التوحيد، وأن موسى عليه السلام أخذ عقيدة التوحيد من أخناتون. ونقل بعضهم ما يقوله الكتاب الغربيون من يهود ونصارى – وأغلبهم لا ديني – من أن اليهود كانوا يعبدون إله قبيلة. مثلما تفعل كثير من القبائل المحيطة بهم. ثم تطوّرت تلك الفكرة باحتكاكهم بالمصريين بعد دخولهم مصر، وتأثروا بفكر أخناتون. وتحولّ إله القبيلة الذي لم يكن يمانع من وجود آلهة أخرى، إلى إله للكون بأكمله، ولكنه لم ينسّ شعبه وقبيلته، وابنه البكر إسرائيل.

وكل هذه التخرّصات مبنية على كثير مما ورد في التوراة المحرّفة، من وصف للإله وتصويره بصورة بشر أحمق شديد الغضب كثير الندم، متفانٍ في حبّ ابنه البكر إسرائيل مهما فعل به هذا الابن من الأفاعيل، ومهما أساء إليه هذا الولد العاق. وحتى في لحظات الغضب التي كثيراً ما تتابيه ويعزم فيها على إفناء ابنه البكر من الوجود، يتقدّم أحد أنبياء هذا الشعب الصلب الرقبة ويسترضيه بمحرقات ولحم مشوي؛ فيرضى ويعود إلى سالف عهده.

* * *

عصر القضاة (١١٥٧ - ١٠٢٠ قبل الميلاد)

قام يشوع بن نون قبل وفاته حسبما تزعم التوراة المحرّفة بتوزيع كل الأرض التي استولى عليها قبل وفاته، وتوزيع الأرض التي لم يستولِ عليها بعدُ على عشائر بني إسرائيل ماعدا سبط اللاوي، لأنهم الكهنة كما حدد ذلك موسى حسب زعمهم. ولهم مقابل ذلك الأموال الخاصة بالمعبد والنذور... إلخ، ومدناً للسكن في أرض كنعان مع مسارحها لبهائمهم (سفر يشوع ٢١ : ١ - ٣).

تقول التوراة المحرّفة (سفر يشوع، الإصحاح ١٣ : ١٢ - ١٤):
«وعندما شاخ يشوع قال له الرب أنت قد شخت. وقد بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك هذه هي الأرض الباقية. كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً، تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة: الغزيّ والأشدوديّ والأشقلونيّ والجتيّ والعرونيّ والعويّين. من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين، وأرض الجبلين، وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة... أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل. إنما أقسمها بالقرعة لإسرائيل ملكاً كما أمرتك. والآن أقسم هذه الأرض ملكاً للتسعة الأسباط ونصف سبط منسيّ. معهم أخذ الراوبينيون (أبناء راؤبين بن يعقوب) والجاديون (جاد بن يعقوب) ملكهم الذي أعطاهم موسى عبر الأردن نحو الشروق، كما أعطاهم موسى عبد الرب» وأخذ يعدد الأماكن والمواضع لكل سبط من أسباط يعقوب (إسرائيل).

وقام يشوع في شيخوخته بإلقاء خطبة الوداع الأخيرة، ووصيته لبني إسرائيل (سفر

يشوع ، الإصحاح ٢٣) ، قائلاً لهم : «أنا قد شخت . تقدمتُ في الأيام . وأنتم قد رأيتم كل ما عمل الربُّ إلهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم . لأن الربَّ إلهكم هو المحارب عنكم . انظروا قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقيين مُلكاً حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التي قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس . والربُّ إلهكم هو ينفيه من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الربُّ إلهكم ، فتشدّدوا جداً لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب في سفر شريعة موسى حتى لا تحيدوا عنها يميناً أو شمالاً ، حتى لا تدخلوا إلى هؤلاء الشعوب أولئك الباقيين معكم ، ولا تذكروا اسم آلهتهم ولا تحلفوا بها ، ولا تعبدوها ولا تسجدوا لها . ولكن الصقوا بالرب إلهكم كما فعلتم إلى هذا اليوم . قد طرد الرب من أمامكم شعوباً عظيمة وقوية . وأما أنتم فلم يقف أحد قدامكم إلى هذا اليوم . رجل واحد منكم يطرد ألفاً لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم كما كلمكم فاحتفظوا لأنفسكم أن تحبّوا الرب إلهكم» .

ويكرر الوصية بأن لا يلتصقوا بهذه الشعوب الباقية ولا يصهرّوا إليها لئلا يعبدوا آلهتها الباطلة . وعليهم أن يطرّدوا هذه الشعوب طرداً من أرضهم حتى «لا يكونوا لكم فخاً وشركاً وسوطاً على جوانبكم وشوكاً في أعينكم ، حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة . . .» .

وحذّرهم يشوع من أن يعبدوا آلهة أخرى ويسجدوا لها فيحمي غضب الربّ عليهم ، ويطردون من الأرض الصالحة التي أعطاهم إياها .

وأخذ يذكرهم بعهد الرب مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب (سفر يشوع ، الإصحاح ٢٤) . وأخذ يشوع العهد والمواثيق مرة أخرى بأن لا يعبدوا إلّا الله ولا يشركوا به شيئاً ، «فقال الشعب ليشوع : الربُّ إلهنا نعبد ولصوته نسمع . . . وقطع يشوع عهداً للشعب في ذلك اليوم ، وجعل لهم فريضة وحكماً في شكيم — يقال إنها مدينة نابلس اليوم — وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله . وأخذ حجراً كبيراً ونصبه هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الربّ — هذا هو أصل النصب التذكاري المنتشر في العالم اليوم — ثم قال يشوع لجميع الشعب : إن هذا الحجر يكون شاهداً علينا ، لأنه قد

سمع كلام الرب الذي كلمنا به ، فيكون شاهداً عليكم لئلا تجحدوا إلهكم». ثم مات يشوع .

يبدأ سفر القضاة الإصحاح الأول ، بذكر المعارك التي تمت بعد عهد يشوع :

«وكان بعد موت يشوع أن بني إسرائيل سألوا الرب قائلين من منا يصعد إلى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم؟ فقال الرب: يهوذا يصعد - أي سبط يهوذا بن يعقوب - هوذا قد دفعت الأرض ليده. فقال يهوذا لشمعون - سبط آخر من أسباط بني إسرائيل - أخيه: اصعد معي في قرعتي لكي نحارب الكنعانيين؛ فأصعد أنا معك في قرعتك. فصعد يهوذا. ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم فضربوا منهم في بازق - يقال إن بازق أحد أسماء مدينة القدس، نسبة إلى أدوني بازق ملك اليبوسيين - عشرة آلاف رجل. ووجدوا أدوني بازق في بازق، فحاربوه وضربوا الكنعانيين والفرزيين، فهرب أدوني بازق، فتبعوه وأمسكوه وقطعوا يديه ورجليه، فقال أدوني بازق: سبعون ملكاً مقطوعة أيديهم وأرجلهم كانوا يلتقون تحت مائدتي. كما فعلت كذلك جازاني الله. وأتوا به إلى أورشليم فمات هناك - وهذا يدل على أن بازق ليست هي أورشليم القدس كما زعم صابر حطيمة في كتابه التاريخ اليهودي العام - .

«وحارب بنو يهوذا أورشليم، وأخذوها وضربوها بحد السيف، وأشعلوا المدينة بالنار. وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والسهل. وسار يهوذا على الكنعانيين في حبرون - وهي مدينة الخليل الحالية - وكان اسم حبرون قبلاً قرية أربع. وضربوا شيشاء وأخيمان وتلماي. وسار من هناك على سكان دبير. واسم دبير قبلاً قرية سفر. فقال كالب - وهو زميل يشوع وأحد الرجلين الذين أنعم الله عليهما بالخوف منه وعدم الخوف من عماليق -: الذي يضرب قرية سفر ويأخذها أعطيه عكسة ابنتي امرأة. فأخذها عثنيل بن قناز أخو كالب الأصغر منه فأعطاه عكسة ابنته امرأة». (سفر القضاة ١: ٨ - ١٢).

والتناقضات في أخبار غزوات اليهود رهبة. فقد مرّ معنا في سفر يشوع أن هذه البلاد جميعاً قد سقطت بيد يشوع، وأنه دمرها تدميراً، وحرّم كل نفس بها ولم يبق بها

طفلاً ولا رضيعاً ولا شيخاً ولا رجلاً ولا امرأة. فكيف قامت بعد وفاته وصارت دولاً أو دويلات يحاربها سبط يهوذا ويقضي عليها مرة أخرى؟! .

وفي سفر القضاة الإصحاح الأول ذاته – أي في خلال صفحتين فقط – تناقض فظيع، حيث يدّعي هذا الإصحاح: أن اورشليم سقطت بيد يهوذا «وأخذوها وضربوها بحد السيف – أي أبادوا جميع سكانها – وأشعلوا المدينة بالنار». وفي نفس الإصحاح الأول سفر القضاة: ٢١: وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان اورشليم، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في اورشليم إلى هذا اليوم».

وكذلك لم يطرد منسي أهل بيت شان ولا قراها. وأفرايم – أحد أسباط إسرائيل – لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر. وزبولون – أحد أسباط إسرائيل – لم يطرد سكان قطرون ولا سكان نهلول فسكن الكنعانيون في وسطه. ولم يطرد أشير – أحد الأسباط – سكان عكو – عكا – ولا سكان صيدون – صيدا – وأحلب واكزيب وحلبة وأفيق ورحوب. فسكن الأشيريون – سبط أشير – في وسط الكنعانيين سكان الأرض. ونفتالي لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناة بل سكن في وسط الكنعانيين. وكذلك الأموريون سكنوا مع سبط يوسف – سفر القضاة الإصحاح الأول –.

وخلاصة القول: إن التناقض واضح ويّين: فبينما يدعي سفر يشوع أن هذه المناطق سقطت على يد يشوع وأنه أبادها، يأتي سفر القضاة ليقول: إن هذه المناطق لم تسقط إلا بعد يشوع وأنهم لم يحرموها، بل سكن الكنعانيون مع الإسرائيليين على عكس وصية الرب لهم، وصعد ملاك الرب ووبّخهم قائلاً: قد أصعدتكم من أرض مصر، وأتيت بكم إلى الأرض التي أقسمت لأبائكم. وقلت لا أنكث عهدي معكم إلى الأبد. وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض. اهدموا مذابحهم، فلم تسمعوا لصوتي. فماذا عملتم؟ فقلت أيضاً: لا أطردهم من أمامكم بل يكونون لكم مضايقين وتكون آلهتهم لكم شركاً. وكان لما تكلم ملاك الرب بهذا الكلام إلى جميع بني إسرائيل أن الشعب رفعوا صوتهم وبكوا. فدعوا اسم ذلك المكان بوكيم. وذبحوا هناك للرب» (سفر القضاة ٢: ١ – ٥).

تأثر بني إسرائيل بالكنعانيين وعبادتهم الأوثان :

ونتيجة اختلاط بني إسرائيل بالكنعانيين وتزاوجهم منهم ، أخذوا عن الكنعانيين لغتهم وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وتعلموا منهم الكتابة . ولم يكتفوا بذلك كله بل عبدوا آلهتهم .

«وفعل بنو إسرائيل الشرَّ في عيني الرب . وعبدوا البعليم – البعليم جمع بعل وهو أحد آلهة الكنعانيين . وقد جاء ذكر البعل في القرآن الكريم في سورة الصافات آية ١٣٥ . قال تعالى : ﴿ وإن إلياس لمن المرسلين . إذ قال لقومه ألا تتقون . أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين ﴾ . – . وتركوا الربَّ إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر . وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها . وأغاظوا الربَّ . وعبدوا البعل وعشتاروت – عشتاروت هي الزهرة التي عبدها البابليون ثم انتقلت عبادتها إلى اليونان والرومان وهي فينوس آلهة الجمال عندهم – . فحمي غضب الربُّ على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهيين نهيوهم ، وباعهم بيد أعدائهم حولهم . ولم يقدرُوا بعدُّ على الوقوف أمام أعدائهم . حيثما خرجوا كانت يد الربِّ عليهم للشرِّ . كما تكلم الربُّ وكما أقسم الربُّ . فضاق بهم الأمر جداً . » . (سفر القضاة ٢ : ١١ – ١٥) .

وظهر قضاة في بني إسرائيل . . كل قاض يحكم منطقة من المناطق . وكان القضاة من الكهنة ومن العلماء . فدعوا بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده وترك الأوثان والأصنام واستجاب لهم بنو إسرائيل حيناً ، وانفضوا عنهم وعبدوا الأوثان في أغلب الأحيان .

جاء في (سفر القضاة ٢ : ١٦) يذكر هذه الحقائق :

«وأقام الرب قُضاة فخلصوهم من يد ناهيهم . ولقضااتهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها . حادوا سريعاً عن الطريق التي سار بها آبائهم بسمع وصايا الرب لم يفعلوا» .

والواقع أن آباءهم عبدوا العجل . وطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة كما لأولئك الوثنيين الذين مروا عليهم . وقالوا لموسى : «أرنا الله جهرة» ؛ فأخذتهم الصاعقة

وهم ينظرون . ولم يكن موسى عليه السلام يخرجهم من ضلالة إلا وقعوا في أخرى أشد وأنكى . والتوراة المحرّفة تصور الرب - تعالى الله عن ذلك - أنه يندم : «وحيثما أقام الربُّ لهم قضاة كان الرب مع القاضي وخلصهم من أعدائهم كل أيام القاضي . لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم ومزاحمهم . وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها . لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية ؛ فحمي غضب الرب على إسرائيل . وقال من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدي الذي أوصيت به آباءهم ولم يسمعوا لصوتي ؛ فأنا أيضاً لا أعود أطرّد إنساناً من أمامهم من الأمم الذين تركهم يشوع عند موته» . (سفر القضاة ٢: ١٨ - ٢١) .

وظهرت في هذه الفترة قوة الفلسطينيين - الفلسطينيين - الذين قدموا من بحر إيجه وسكنوا في سواحل فلسطين منذ سنة ١٢٠٠ ق.م . وازدادت قوتهم مع مرور الأيام ، واستطاعوا أن يستولوا على المنطقة الغربية من فلسطين ، حتى بلغ من قوتهم وتأثيرهم أن أرض كنعان أصبحت تسمى أرض فلسطين . وبقي ذلك الاسم إلى اليوم - ثلاثة آلاف سنة أو تزيد - وشكّل هؤلاء الفلسطينيون تهديداً قوياً للدويلات اليهودية الصغيرة والتي لم يكن يجمعها سوى حلف دفاعي للحرب ضد الأعداء .

ولم يكن الفلسطينيون فقط هم الذين يشكلون خطراً على الدويلات اليهودية الصغيرة ، بل كان كذلك الآراميون والأموريون والمؤابيون والكنعانيون واليبوسيون والحثيون . «فهؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم إسرائيل كل الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان - أي التي قامت في عهد موسى ويوشع بن نون - : أقطاب الفلسطينيين الخمسة ، وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة . كانوا لامتحان إسرائيل بهم . لكي يعلم هل يسمعون وصايا الرب التي أوصى بها آباءهم عن يد موسى ؟ فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين . واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنينهم^(١) وعبدوا آلهتهم . فعمل بنو إسرائيل الشرّ

(١) وهذا يؤكّد أنّ بني إسرائيل اختلطوا بالشعوب الأخرى وتزاوجوا منها ، ولم يعد هناك شعب نقي =

في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري. فحمى غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام النهرين. فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنين. وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام الرب مخلصاً لبني إسرائيل، فخلصهم عثنيئيل بن قناز أخو كالب الأصغر. فكان عليه روح الرب وقضى لإسرائيل. وخرج للحرب فدفع الرب ليد كوشان ملك آرام. واستراحت الأرض أربعين سنة ومات عثنيئيل بن قناز. (سفر القضاة ٣: ١ - ١٢).

وتكرر نفس الموقف، وعاد بنو إسرائيل لعبادة الأوثان؛ فسلط الله عليهم عجلون ملك موآب الذي انتصر عليهم واستعبدهم ثماني عشرة سنة.

وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وأعلنوا توبتهم من عبادة الأوثان؛ فأقام الله لهم مخلصاً هو إهود بن جيرا البنياميني - من سبط بنيامين - وقتل إهود ملك موآب بحيلة، حيث ادعى أنه سيعطيه هدية، وبعد أن قدّم له الهدية طلب أن يتحدث إلى الملك سراً؛ فأخرج من حوله من الحاشية، وأخرج إهود السيف الذي خبأه، وقتل الملك عجلون. ثم غطى الملك وهرب. ولم ينتبه أحد من الحرس إلا بعد فرار إهود. وظنوا أن الملك نائم. فلما اكتشفوا موت الملك كان بنو إسرائيل بقيادة إهود قد أحاطوا بهم، فضربوا موآب وقتلوا من بني موآب عشرة آلاف رجل. (سفر القضاة ٣: ١٣ - ٣١). واستراحت الأرض من القتال ثمانين سنة.

وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب بعد موت إهود كما يقول سفر القضاة، وعبدوا الأوثان للمرة الألف، فغضب الرب عليهم؛ وباعهم الرب بيد يابين ملك الكنعانيين في حاصور. وكان يابين ملكاً قوياً له تسعمائة مركبة من حديد. واستعبد بني إسرائيل عشرين سنة. وكان له قائد فذ يدعي سيسرا.

ولأول مرة تظهر امرأة في مسرح القيادة والزعامة، وهي دبورا - كثير

ينتسب إلى يعقوب عليه السلام. وكذلك دخلت شعوب أخرى كثيرة في اليهودية مثلما حدث في اليمن أيام ذي نواس، وملوك الخزر في بحر الخزر - بحر قزوين - حيث تهوّدت القبائل الوثنية الموجودة هناك، ثم اختلطوا بالروس وهم يهود أوروبا الشرقية وروسيا. ومنهم حكام إسرائيل منذ وجودها إلى اليوم.

من الغربيات يسمين بهذا الاسم حالياً - . ودبورة كما تزعم التوراة امرأة نبية زوجة لفيدوت ، وهي قاضية بني إسرائيل في ذلك الوقت .

وقامت دبورا بالإرسال إلى باراق بن أبينوعم - من سبط نفتالي بن يوسف - وأمرته بالذهاب لقتال سيسرا لتخليص بني إسرائيل من حكم ملك الكنعانيين يابين . وجمع باراق عشرة آلاف مقاتل من سبط نفتالي وسبط زبولون ، وصعدت دبورا معه إلى قادش لأنه أبى أن يصعد بدونها .

واستطاع باراق أن ينتصر على سيسرا القائد الكنعاني رغم وفرة مركباته - تسعمائة مركبة من حديد - وضرب باراق سيسرا وجيشه بحد السيف . وأذل الله في ذلك اليوم يابين ملك كنعان . وأما سيسرا فقد هرب واختبأ في خيمة امرأة تدعى ياعيل ، امرأة جابر القيني ، لأنه كان صلح بين جابر القيني وملك الكنعانيين . ولكن المرأة خانت الرجل وقتلته بعد أن أوهمته بأنها ستخبئه . فلما شرب وأكل ونام ، أخذت وتد الخيمة وقتلته به .

وترنمت دبورا بترنيمة النصر ، والتي لا تزال يترنم بها اليهود والنصارى في كنائسهم وبيعهم إلى اليوم .

واستراحت الأرض أربعين سنة بعد هذه المعركة .

ومرة أخرى عاد بنو إسرائيل كما يقول سفر القضاة لعبادة الأوثان : «وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ؛ فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين» (القضاة ٦ : ١) .

ولما صرخ بنو إسرائيل إلى الرب بسبب المديانيين ؛ أرسل لهم الرب رجلاً نبياً لإنقاذهم . وأتى الرب إلى جدعون حسبما تزعم التوراة وقال له : الرب معك يا جبار البأس . فقال له جدعون : يا سيدي إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا هذه المصائب ؟! وأين عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا الأولون ؟ والآن قد رفضنا الرب وجعلنا من كف مديان . فالتفت إليه الرب وقال له : اذهب بقوتك وخلّص بقوتك من كف مديان . أما أرسلتك إلى مديان ؟ . وعاد جدعون ليسأل الرب بماذا يخلص إسرائيل وعشيرته هي الأشد ذلاً في بيت منسي ؟ وهو - أي جدعون الأصغر - في بيت أبيه . فقال له الرب :

لاني أكون معك. فطلب جدعون من الرب علامة. وذهب جدعون وأتى بفطير ولحم، فأنت النار فأكلت القربان — وهي علامة قديمة لقبول القربان. حيث تأتي نار من السماء فتأكل القرايين المقبولة —.

وأمره الرب — وتارة يقال عنه ملاك الرب — بهدم مذبح البعل، وأن يبني مذبحاً للرب إله إسرائيل. وصعد بمحرقات قرباناً لله، فقرب ثوراً وبقرة. وقام جدعون بن يواش بهدم مذبح البعل ليلاً. فلما جاء الصباح وجد بنو إسرائيل مذبح البعل قد هدم. فطلبوا من يواش أن يقدم لهم جدعون ابنه ليقتلوه. فقال يواش: إن كان البعل إلهاً فليدفع عن نفسه وينتقم من ابن جدعون.

ثم قام جدعون مرة بامتحان الله قائلاً: إن كنت تخلص بيدي إسرائيل كما تكلمت فيها أنا واضع جزء صوف في البيدر، فإن كان طلٌ على الجزء وحدها وجفاف على الأرض كلها، علمتُ أنك تخلص بيدي إسرائيل كما تكلمت. وكان كذلك. ثم قام جدعون وقال لله: لا يحم غضبك عليّ. فأتكلم هذه المرة فقط. أمتحن هذه المرة فقط بالجزء. فليكن جفاف في الجزء وحدها وعلى كل الأرض ليكن طلٌ. ففعل الله كذلك في تلك الليلة، فكان جفاف في الجزء وحدها وعلى الأرض كلها كان طل (سفر القضاة ٦).

وهي صورة تافهة وحقيقية حيث يقوم عبد يزعم أنه نبي ويمتحن الله جل علاه وكأنه رفيقه. ويتكرر الامتحان ثلاث مرات، والصورة قميئة وبذيئة وتافهة، وهي ملازمة لعقلية يهود في تصورهم لله رب العالمين حسبما تصوره التوراة المزيفة المحرّفة التي كتبها الأحرار على مدى القرون المتطاولة بعد موسى عليه السلام وموسى منها براء.

وقام جدعون الذي تسمى أيضاً باسم يربعل ونادى الشعب وقال: من كان خائفاً ومرتبداً فليرجع ولينصرف من جبل جلعاد. فرجع من الشعب الجبان اثنان وعشرون ألفاً وبقي عشرة آلاف. ومروا بنهر، فقال جدعون: لا يشرب أحد من الماء إلا من اغترف غرفة بيده. فشربوا كلهم وولغوا من الماء كما يلغ الكلب — هكذا وصف التوراة — إلا ثلاثمائة رجل اغترفوا غرفة بأيديهم. وقال جدعون: كل الذين شربوا من الماء أو ولغوا فيه فليفترزوا عنا. وأخذ معه فقط الثلاثمائة الذين اغترفوا غرفة بأيديهم فقط.

ونزل جدعون سراً في الليل، ووجد أهل مدين والعماليق وهم مرتعبون من بني إسرائيل، ويحلم كل واحد منهم حلماً يحدث به أصحابه أن الواقعة قد وقعت بهم. ولما سمع جدعون ذلك سجد شكراً لله. وقال للثلاثمائة الذين هم معه: قد دفع الله لأيديكم جيش المديانيين. فانتصرت القلة القليلة على الكثرة الكثيرة، وقتلوا رؤساء أهل مدين (سفر القضاة ٧).

وتوالى انتصارات جدعون على مديان، واستراحت الأرض أربعين سنة من القتال، قصة جدعون - يربعل - ترد في القرآن الكريم بصورة مشابهة في بعض التفاصيل ومختلفة في الأخرى.

وترد قصة اختيار بني إسرائيل واختبارهم باجتياز النهر - الذي لا تحدده التوراة ولا القرآن الكريم - في القرآن الكريم عند ذكر قصة طالوت - وهو شاول - أول ملك على بني إسرائيل، الذي سترد قصته عند الحديث عن شاول حيث نرى طالوت يخبر قومه بأن الله مبتليهم بنهر، فمن شرب منه فليس من طالوت ولا يذهب معه للقتال، ومن لم يشرب أو من اغترف غرفة بيده فهو مع طالوت وسيذهب معه لقتال الأعداء.

ولما برزت الفئة القليلة نكص أيضاً عدد آخر منهم عند رؤيتهم للأعداء الكثيرين. وثبتت قلة القلة. ومع هذا آتاه الله النصر.

والقصة في سورة البقرة (٢٤٦ - ٢٥١). وسنوردها عند الحديث عن طالوت.

بنو إسرائيل يعودون لعبادة الأوثان بعد موت جدعون:

«وكان بعد موت جدعون أن بني إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم، وجعلوا لهم بعل بريث إلهاً. ولم يذكر بنو إسرائيل الرب إلههم الذي أنقذهم من يد جميع أعدائهم من حولهم. ولم يعملوا معروفاً مع بيت يربعل - وهو جدعون - نظير كل الخير الذي عمل مع إسرائيل». (سفر القضاة ٨: ٣٣ - ٣٥).

وقام بعد ذلك أبيمالك بن جدعون وقتل إخوته السبعين في مدينة شكيم - نابلس - وترأس أبيمالك على إسرائيل ثلاث سنين، ثم غدر أهل شكيم بأبيمالك كما غدر هو بإخوته. ولكن أبيمالك انتصر عليهم. ثم قامت امرأة فرمت رحي على رأس أبيمالك فمات. (سفر القضاة ٩).

وقام بعد أبيمالك تولع بن فواه فقضى لإسرائيل ثلاثاً وعشرين عاماً. ومات ودفن في شامير. وقام بعده يائير الجلعاوي فقضى لإسرائيل اثنتين وعشرين سنة. (سفر القضاة ١٠: ١ - ٣).

«وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا: البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمّون وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه، فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمّون. فحكموهم واستعبدوهم ثماني عشرة سنة (سفر القضاة ١٠: ٦ - ١٢).

وكالمعتاد عاد بنو إسرائيل وطلبوا من الرب أن يخلصهم من الفلسطينيين وبني عمّون، وأزالوا الآلهة الغريبة. وكالمعتاد ندم الرب على الشر الذي فعل بابنه البكر إسرائيل - الا لعنة الله على اليهود -، وضاعت نفس الرب بسبب مشقة ابنه البكر الحبيب الأثير لديه إسرائيل. (سفر القضاة ١٠: ١٤ - ١٦).

الرب يختار يفتاح الجلعاوي ابن الزانية لينقذ بني إسرائيل :

يزعم سفر القضاة الإصحاح ١١ أن الرب اختار يفتاح ابن الزانية لينقذ بني إسرائيل من بني عمّون. ونذر يفتاح للرب إن دفع بني عمّون ليده فالخارج الذي يخرج من باب بيته للقاءه يكون للرب ويصعده محرقة. أي يحرقه بالنار تقرباً إلى الله - ويا لها من عبادة وثنية - فتكون ابنته الوحيدة هي التي تقابله؛ فقام هذا المجرم يحرق ابنته العذراء تقرباً لله!!

وقامت حرب أهلية بين بني إسرائيل - يفتاح جلعاد وسبط أفرايم - فسقط من سبط أفرايم اثنان وأربعون ألفاً. وقضى يفتاح الجلعاوي لإسرائيل ست سنوات.

وقضى بعده ثلاثة قضاة، ثم عاد بنو إسرائيل لعبادة الأوثان فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة (سفر القضاة، الإصحاح ١٣).

وتأتي بعد ذلك القصة الخرافية عن شمسون الجبار. وقد ولد شمسون بن مَنُوح من أم عاقر بعد رؤية الملك الذي بشرها بمولده. وقال لها الملك: والآن لا تشربي خمرًا ولا مسكرًا ولا تأكلي شيئاً نجسًا؛ لأن الصبي يكون نذيراً لله. ثم أمر الملاك

أيضاً منوح بعدم شرب الخمر وأن يجتنب أكل أي شيء نجس . فولدت المرأة ابناً ودعت اسمه شمسون فكبر الصبي وباركه الرب .

شمسون الرجل المبارك يزي ويقجر ويظلم :

ونزل شمسون إلى تمّنة ورأى امرأة من بنات الفلسطينيين وطلب الزواج منها، رغم تعاليم التوراة المشددة في عدم الزواج من الغلف، وعدم الزواج من خارج نطاق بني إسرائيل .

ونزل أبوه وأمه وخطبا المرأة من الفلسطينيين أبويها؛ فزوجوها لشمسون . رغم أن الفلسطينيين في ذلك الوقت كانوا متسلطين على إسرائيل كما يقول سفر القضاة (الإصحاح ١٤) . وعمل شمسون وليمة الزواج ودعا ثلاثين من شباب أهل فلسطين، وأعطاهم شمسون أحجية ولغزاً، وطلب منهم أن يفسروا الأحجية . فإن لم يستطيعوا عليهم أن يعطوه ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب، وإن استطاعوا أعطاهم هو ثلاثين حلة وثلاثين قميصاً . ولم يعرف الشباب الأحجية؛ فتوسلوا إلى زوجة شمسون الشابة، فعرفت السر من شمسون وأخبرتهم به . ولما كان شمسون لا يملك الثياب والقمصان، فقام شمسون بقتل ثلاثين رجلاً من مدينة أشقلون عدواناً وظلماً، وأخذ سلبهم وأعطى الحلل لمظهري الأحجية . وحمى غضبه وصعد إلى بيت أبيه، وطرده زوجته . فقام أبوها وزوجها إلى رجل آخر .

وبعد مدة الحصاد افتقد شمسون زوجته السابقة، وأراد أن يأخذها من أبيها قسراً، فأخبره أبوها أنه قد زوجها لرجل آخر، وأنه سيزوجه ابنته الأخرى إذا أراد عوضاً عن الأولى . وهنا وبدون أي مبرر أعلن شمسون أنه سينتقم من الفلسطينيين . وقام بإحراق زروعهم ليلاً . ولما علم الفلسطينيون بذلك خافوا من شمسون، وقاموا بإحراق صهر شمسون وابنته حتى يرضى شمسون . ومع ذلك لم يرض شمسون حتى بإحراق صهره وزوجته السابقة . ويا له من شرير جبار كما تصوّره التوراة وأظهر شمسون من فنون الشجاعة وضروب القوة الخارقة ما يلحق بالأساطير . وقتل جيشاً من الفلسطينيين بلحي حمار .

ثم ذهب شمسون إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها . وهكذا تصور

التوراة المحرّفة أنبياء الله والصالحين بأنهم زناة. وتزعم التوراة أن شمسون كان رجل الله، وإذا به قاتل مجرم سفاك أثيم، زانٍ معتد باغٍ، وقام شمسون وقتل آلافاً من أهل غزة.

ثم أحب شمسون دليلة وزنى بها، وحاولت دليلة معرفة سر قوة شمسون. وبعد محاولات عديدة فاشلة عرفت أن سر قوته في شعره، فسقته خمرأً، ثم حلقت شعره فذهبت قوته، وأخذته الفلسطينيون أسيراً يلعب به الصبيان، ووضعوه في الحبس وسملوا عينيه.

ثم جاءوا به يوم العيد ليرقص أمامهم، وكان شعر شمشون قد استطال وعادت إليه قوته. واجتمع آلاف منهم في المعبد، فأمسك شمسون بساريتي المعبد، وقال قولته المشهورة: «عليّ وعلى أعدائي يا رب» فانهار المعبد وقتل في ذلك اليوم من الفلسطينيين عدة آلاف. وكان عدد الذين قتلهم شمسون في موته أكثر من الذين قتلهم أثناء حياته.

وقد قام اليهود بإخراج فيلم عالمي عن شمسون الجبار، وصوروه بصورة زاهية غير ما هو موجود في التوراة. وأبقوا على أسطورة القوة والشجاعة، وزادوا عليها من عندهم الكرم وحسن الخلق... إلخ.

ومات شمسون بعد أن قضى لإسرائيل عشرين سنة. (القضاة ١٦ : ٣١).

واضطربت أمور بني إسرائيل ولم يكن لهم ملك يحكمهم ويجمع شملهم، وكان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه (القضاة ١٧ : ٦).

وقام ميخا بصنع آلهة من الفضة غير الآلهة العديدة التي عبدها بنو إسرائيل، وأخذ له رجلاً من بيت لاوي وجعله كاهناً لمعبده الجديد وإلهه الجديد.

وارتحل عشيرة الدانيين من منطقة صرعة واشتاؤل وجاءوا إلى لايش الصيدونية الآمنة، وقتلوا من فيها واستولوا على الأرض. ثم ذهبوا وسرقوا تماثيل ميخا وأخذوا كاهنه معهم، فعبدوا التماثيل المسبوك، وكان اللاوي يكهن لهم. وقام بنودان — سبط إسرائيل — بقتل من في المدينة الصيدونية وحرقوها، ثم بنوا مدينة جديدة موضعها وأسموها دان نسبة إلى أبيهم.

انتشار عبادة الأوثان والزنى في إسرائيل حسبما تذكره التوراة المحرّفة :

تذكر التوراة المحرّفة قصص الزنى والخنا، وتفترى الكذب على أنبياء الله من لدن نوح عليه السلام، الذي شرب الخمر وتعرى، إلى إبراهيم الذي تزوج أخته سارة، إلى إسحاق الذي عرض زوجته للملك ليأخذ مالاً، إلى يعقوب الذي سرق بكورية أخيه عيسو وبركته، والذي قام أيضاً بسرقة خاله لابان وسرقة أمواله، إلى راؤبين الذي زنى بزوجة أبيه، إلى يهوذا بن يعقوب الذي زنى بثمار كتنه وزوجة ابنه... إلخ. وفي عصر القضاة انتشرت عبادة الأوثان كما أسلفنا وانتشر الزنا انتشاراً مريعاً. وتزوج رجل من بيت لاوي كما يقول سفر القضاة (الإصحاح ١٩) امرأة من بيت يهوذا، فزنت المرأة، ثم غضبت وذهبت لبيت أبيها لأنه أنكر عليها الزنى. فما كان منه إلا أن ذهب إليها لبيت أبيها يسترضيها.

وعند عودته من بيت أبيها استضافه رجل من قرية بني بليعال من سبط بنيامين ليبيت عنده، فما كان من أهل القرية إلا أن اجتمعوا وطلبوا من الشيخ أن يخرج لهم الضيف ليفعلوا به الفاحشة. وما كان من الرجل من بيت لاوي إلا أن أخرج زوجته من بيت يهوذا ليزني بها الرجال. فزنى بها جميع رجال أهل القرية، وسقطت المرأة ميتة من كثرة الزنى. فقام زوجها وقطعها إلى اثنتي عشرة قطعة وأرسلها إلى جميع تخوم إسرائيل.

واجتمع لذلك الأمر أربعمئة ألف مقاتل من إسرائيل!! وطلبوا من سبط بنيامين تسليم المجرمين ليقتلوهم. ولكن البنيامينين رفضوا ذلك، وقالوا عن إخوتهم بني بليعال – من سبط بنيامين – ف وقعت معركة قتل فيها من بني بنيامين خمسة وعشرين ألف رجل ومئة رجل. كل هؤلاء مختطفو السيف (سفر القضاة، الإصحاح ٢٠).

وحلف بنو إسرائيل ألا يزوجوا بني بنيامين. ثم ندم بنو إسرائيل على ذلك لأن أحد أسباط إسرائيل سيندثر؛ فاحتالوا على ذلك كعادتهم، وقاموا لقتال يابيش جلعاد، فقتلوا كل من كان فيها من النساء والأطفال ما عدا البنات الصغيرات اللائي لم يعرفن رجلاً، جعلوهن زوجات لبني بنيامين. ثم تآمروا مرة أخرى. واختاروا يوم عيد

حيث تخرج الفتيات للرقص، وطلبوا من بيت بنيامين أن يهجموا على الفتيات ويتخذ كل واحد منهم من أعجبه من الفتيات زوجة له من بيت شيلو.

وتعلق التوراة على ذلك قائلة: «في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل. كل واحد عمل ما حَسُنَ في عينيه».

وينتهي عصر القضاة بظهور النبي صمويل الذي يمسح شاوول ليجعله ملكاً على إسرائيل. وذلك ما سنتحدث عنه في الفصل التالي — عصر الملوك —.

ولنا هنا ملاحظة سريعة وهي: إن زمن عصر القضاة تجعله التوراة المحرّفة — سفر القضاة — يبلغ ٣٤٨ سنة كالتالي:

٨ سنوات	ملك آرام واستعباده لهم
٤٠ سنة	حرية — استراحوا منه —
١٨ سنة	ملك عجولون واستعباده لإسرائيل
٨٠ سنة	حرية
١٨ سنة	ملك حاصور واستعباده لإسرائيل
٧ سنوات	ملك مديان واستعباده لإسرائيل
٤٠ سنة	حكم جدعون الإسرائيلي
٣ سنوات	أبيمالك بن جدعون
٢٣ سنة	تولع القاضي
٢٢ سنة	يائين القاضي
١٨ سنة	العمونيون واستعباد إسرائيل
٦ سنوات	يفتاح القاضي
٧ سنوات	ابصان القاضي
١٠ سنوات	أيلوك القاضي
٨ سنوات	حبرون القاضي
٤٠ سنة	استعباد الفلسطينيين لبني إسرائيل
٣٤٨ سنة	المجموع

بينما تذكر المصادر التاريخية أن فترة حكم القضاة بعد موت يوشع حوالي أربعين ومائة سنة. حيث كان الخروج في حوالي ١٢٣٧ قبل الميلاد وبقي موسى أربعين سنة، ثم يوشع أربعين سنة أخرى بعد الخروج. وانتهى عصر القضاة حوالي ١٠٢٠ قبل الميلاد.

* * *

النبي صموئيل (عليه السلام)

شموئيل – السموع

ينتهي عصر القضاة وبنو إسرائيل في حالة من الفوضى كما يقول العهد القديم (سفر القضاة): «في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل. كل واحد عمل ما حَسَنَ في عينيه». . . وعبد بنو إسرائيل في ذلك العهد كما في كل العهود السابقة واللاحقة الأوثان، وزنوا وراءها، وذبحوا لبعليم وعشتاروت، وصنعوا لأنفسهم آلهة مسبوكة من الذهب ومن الفضة. ويذكر سفر القضاة أن ميخا قام بصناعة إله من الفضة وعبدته معه عدد من بني إسرائيل وكهن لهم رجل من بيت اللاوي. ثم جاء رجال من عشيرة الدانيين – سبط دان بن يعقوب – فأخذوا تمثال ميخا إلى المدينة التي استولوا عليها – لايش الصيدونية – وأخذوا معهم الكاهن من بيت اللاوي. فعبدوا إله الفضة الجديد بالإضافة إلى الآلهة الأخرى. . . وقد ارتد بنو إسرائيل عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان سبع مرات في زمن القضاة.

وينتهي عصر القضاة بالحرب المدمرة بين بيت بنيامين وبقية أسباط بني إسرائيل، وتنتهي الحرب بهزيمة البنيامين وقتل خمسة وعشرين ألف رجل منهم، وبمقاطعة بني بنيامين وعدم تزويجهم من الأسباط الأخرى. ثم يقوم بنو إسرائيل كما هو معتاد بالاحتيال للتخلص من هذا العهد.

وينتهي عهد القضاة بظهور نبي تدعوه أسفار العهد القديم صموئيل. ويطلب الشعب من النبي أن يجعل لهم ملكاً يلتفون حوله ويقاتلون معه. ويقوم صموئيل بترشيح شاؤل – طالوت – وينصّبه ملكاً على بني إسرائيل بعد أن يمسح رأسه بالزيت ويسميه مسيح الرب. والغريب أن لفظة مسيح الرب تطلق على كل من ملك من

بني إسرائيل . بل إن أسفار العهد القديم قد أطلقتها على قورش الفارسي أيضاً .
ويبدأ عهد الملوك الأول الذين أسسوا مملكة موحدة حوالي سنة ١٠٢٠ قبل
الميلاد بعهد شاول أول ملك لبني إسرائيل ، ويحكم بعده ابنه اشبوشث فترة قصيرة
جداً ، يظهر بعدها داود كأقوى ملك في تاريخ اليهود إلى اليوم . ويستمر حكم داود
كما تقرر دائرة المعارف البريطانية من حوالي عام ١٠١٠ ق.م . إلى عام ٩٦١ قبل
الميلاد (ج ٢ / الطبعة الخامسة عشر ١٩٨٢) . ويحكم إشبالم بن داود فترة قصيرة
أثناء حكم والده ، حيث يثور على أبيه داود ، ويُقتل في المعركة ضد والده . ثم يظهر
سليمان عليه السلام ويحكم من سنة ٩٦١ ق.م . حتى عام ٩٢٢ ق.م . كما تقرر دائرة
المعارف البريطانية ، وبموت سليمان تنقسم المملكة الموحدة إلى مملكتين هما : يهوذا
في الجنوب وإسرائيل في الشمال .

صموئيل النبي — صموئيل : أي سمع الله لي . وقد عُربَ إلى سموعل — :
يخصص العهد القديم سفرين كاملين باسم صموئيل — الأول والثاني^(١) —
ويحكي سفر صموئيل الأول — الملوك الأول عند الكاثوليك — قصة ظهور صموئيل منذ
ولادته . وكيف أن أم صموئيل نذرت أن تجعله لخدمة الرب ، وأرسلته لذلك إلى
الكاهن المشهور آنذاك الذي يدعى عالي ، وأرسلت معه للكاهن ثلاثة ثيران وإيضة
دقيق وزق خمر ، فقبلها الكاهن ، وأخذ الصبي ليخدم معه في المعبد .
وكان بنو عالي الكاهن سفلة أوغاداً . «لم يعرفوا الرب ولا حق الكهنة من
الشعب» . (صموئيل الأول ١ : ١٣) واستهانوا بتقدمة الرب — أي الذبائح التي تقدم في
المذبح — .

(١) يختلف العهد القديم في عدد أسفاره وأسمائها عند النصارى ، كما يختلف كذلك عند اليهود .
فأسفار العهد القديم عند البروتستانت (٣٩) سفرًا ، بينما يبلغ عدد الأسفار عند الكاثوليك
(٤٦) سفرًا ، بزيادة سبعة أسفار ، هي : سفر طوبيا ، ويهوديت ، والحكمة ، ويسوع بن سيراخ ،
وباروك — باروخ — ، وسفرا المكابيين الأول والثاني . وتسمى النسخة الكاثوليكية سفر
اللاويين ، سفر الأحبار . وتسمى سفر صموئيل الأول والثاني : سفر الملوك الأول والثاني .
وتجعل سفر الملوك الأول والثاني في النسخة البروتستانتية ، الثالث والرابع في النسخة
الكاثوليكية . انظر الجزء الأول من هذا الكتاب بعنوان «المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم»
لمعرفة التفاصيل .

«وشاخ عالي وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع إسرائيل، وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع – أي خيمة اجتماع الرب!! – فقال لهم: لماذا تعملون مثل هذه الأمور؟! لأنني أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب؟! ألا يا بني لأنه ليس حسناً الخبر الذي أسمع... ولم يسمعوا لصوت أبيهم لأن الرب شاء أن يميتهم. وأما الصبي صموئيل فتزايد نمواً وصلاً لدى الرب والناس أيضاً» (سفر صموئيل الأول ٢: ٢٣ – ٢٦).

ومات حفني وفنحاس في يوم واحد عقوبة من الرب لهما وذلك في حياة عالي!! والواقع أن ابني عالي ماتا في معركة ضد الفلسطينيين، وانهزم فيها بنو إسرائيل وقتل منهم ثلاثون ألفاً. وأخذ الفلسطينيون معهم تابوت الرب وبقي معهم سبعة أشهر ثم أعادوه هم بسبب الأمراض والبواسير التي سببها لهم. وتذكر القصة بعد ذلك أن الرب دعا صموئيل ثلاث مرات، وصموئيل يظن أن الذي يناديه هو أستاذه الكاهن عالي، وعالي ينفي ذلك. ومات الكاهن وتولى صموئيل بدلاً عنه. «وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه قد أوّتم صموئيل نبياً للرب. وعاد الرب يتراءى في شيلوه لأن الرب استعلن لصموئيل في شيلوه». (سفر صموئيل الأول ٣: ٢٠ – ٢١).

وحدث صموئيل بني إسرائيل للقاء الفلسطينيين وقتالهم، فخرجوا ونزلوا عند حجر المعونة. والفلسطينيون نزلوا في أفيق. واشتبكت الحرب فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين وقتل منهم أربعة آلاف مقاتل. «وقال شيوخ إسرائيل: لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين؟ لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب فيدخل في وسطنا ويخلصنا من يد أعدائنا. فأرسل الشعب إلى شيلوه وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكرسي» (صموئيل الأول ٤: ٢ – ٤)، وهتف الإسرائيليون هتافاً عظيماً عند وصول التابوت. وعلم الفلسطينيون أن تابوت الرب جاء «وقالوا: قد جاء الله إلى المحلة ليقاتل مع بني إسرائيل. ويل لنا من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين. وتشدد الفلسطينيون، وانكسر إسرائيل وهرب كل واحد إلى خيمته. وكانت الضربة عظيمة جداً. وقتل من بني إسرائيل في ذلك اليوم ثلاثين ألف رجل. وأخذ

الفلسطينيون تابوت الله معهم . . . » (سفر صموئيل الأول ٤ : ٥ - ١٠). وفي هذه المعركة قتل ابنا عالي الكاهن .

ورغم أن العهد القديم من أوله لآخره يذكر أن الله يجلس في التابوت ويقا تل أعداء اليهود إلا أنه هذه المرة هُزم كما يزعمون، رغم جلوسه على التابوت وقتاله مع بني إسرائيل!!!

وأخذ الفلسطينيون تابوت الله معهم إلى أشدود، ولكن تابوت الله ضربهم بالأمراض، وأهمها البواسير. كما أن إلههم داجون سقط على وجهه عندما دخل عليه تابوت الرب الجالس على الكروبيم. (سفر صموئيل الأول ٥ : ١ - ١٣). وبقي تابوت الله في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر، ظهرت فيها الأوبئة والأمراض والبواسير والفئران؛ فخاف الفلسطينيون وأرجعوا تابوت الله إلى بني إسرائيل مع قربان الإثم، وهو خمسة بوا سير من ذهب، وخمسة فئران من ذهب!! (سفر صموئيل الأول ٦ : ١ - ٥).

وأصعدوا التابوت على عجلة، وجعلوا بقرتين تشده. وأرسلوه إلى أهل بيت شمس - قرية إسرائيلية - وفرح أهل القرية ونظروا الله وجهاً لوجه حسب زعم العهد القديم؛ فمات منهم في ذلك اليوم خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً، لأنهم نظروا الله وجهاً لوجه - خرافات وأساطير -.

واجتمع بنو إسرائيل وناحوا وراء الرب!! وكلمهم صموئيل قائلاً: «انزعوا الآلهة الغربية والعشتاروت من وسطكم، وأعدّوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذك من الفلسطينيين».

فنزع بنو إسرائيل البعليم والعشتاروت وعبدوا الرب وحده. (سفر صموئيل الأول ٧ : ٣ - ٤). وقدم صموئيل اللحم المشوي للمحرقة - حملاً مشوياً بتمامه - للرب، فتنسم الرب رائحة المشوي فرضي على بني إسرائيل، لأن الرب كما تقرر أسفار العهد القديم يحب اللحم المشوي جداً - ألا لعنة الله على اليهود - ولذلك قام الرب بضرب الفلسطينيين وانتصر بنو إسرائيل على الفلسطينيين. والمدن التي أخذها الفلسطينيون من إسرائيل عادت إلى إسرائيل من عقرون إلى جت. وقضى صموئيل لإسرائيل طوال أيام حياته.

تعيين شاول بن قيس البنياميني — طالوت — ملكاً على بني إسرائيل :

وتتكرر قصة عالي وبنيه الفسقة مع صموئيل وبنيه :

«وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة لإسرائيل . . . ولم يسلك ابنه في طريقه، بل مالا وراء المكسب وأخذ رشوة وعوجا القضاء، فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة، وقالوا له: هوذا أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك؛ فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب». (سفر صموئيل الأول ٨: ١ - ٦).

وناح صموئيل حسب زعمهم كالنساء وكلم الرب فقال له الرب: إنهم لم يرفضوك بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم ولكن الرب سيجعل لهم ملكاً يستبد بهم، وسمع لهم صموئيل بعد تردد لأن الرب أمره بذلك. وقال لهم صموئيل: «إن الملك الذي يملك عليكم يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ولمراكبه وفرسانه. ويجعل لنفسه رؤساء ألوف، ورؤساء خماسين، فيحرثون أرضه ويحصدون حصاده ويعملون له عدة الحرب وأدوات مراكبه، ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات، ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده، ويعشر زروعكم وكرومكم ويعطي لخصيانه وعبيده، ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله، ويعشر غنمكم وأنتم تكونون له عبيداً؛ فتصرخون في ذلك اليوم من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم فلا يستجيب الرب لكم». (سفر صموئيل الأول ٨: ١٠ - ١٩).

ورغم كل هذه التهديدات المرعبة أبى الشعب إلا أن يكون لهم ملك مثل سائر الشعوب المحيطة ببني إسرائيل. فقام صموئيل بتنصيب شاول بن قيس من بني بنيامين ملكاً عليهم. وكان شاول يتميز بطول فارع ووسامة ولم يكن في بني إسرائيل أطول منه، وذهب شاول يبحث عن أتن أبيه الضائعة فذهب إلى النبي صموئيل ليتكهن له ويخبره أين يجد الأتن الضالة، فلما رآه صموئيل أكرمه وأخبره أن أباه قد وجد الأتن الضالة. وأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأس شاول وقبله وأعلنه مسيحاً على الملأ، وأخبره بعلامات وأحداث تحدث له عند خروجه من عند صموئيل:

● أولاهما: أنه يصادف رجلين يخبراه بأن أتن أبيه قد وجدت.

● وثانيها: أنه يصادف ثلاثة رجال ومعهم قرايين وخبز وخمر فيعطونه رغيف خبز.

● وثالثها: أنه يجد مجموعة من المتنبيين – يسمونهم الأنبياء في العهد القديم – ومعهم الرباب والدف والعود يرقصون ويغنون ويتنبأون، فيدخل شاول معهم ويتنبأ مثلما يتنبأون.

وأخبره صموئيل قائلاً: «إذا أتت هذه الآيات عليك فأفعل ما وجدته يدك لأن الله معك. وتنزل إلى الجلجال وهوذا أنا أصعد محرقات وأذبح ذبائح سلامة. سبعة أيام تلبث حتى آتي وأعلمك ماذا تفعل» (سفر صموئيل الأول ١٠: ٧ – ٨).

وتنبأ شاول بين الأنبياء حتى قال الشعب: «أشاول أيضاً بين الأنبياء؟» وذهبت مثلاً. وأعلن صموئيل للشعب أن يجتمعوا. فكان شاول أطول من جميع الشعب. فقال صموئيل: رأيتم الذي اختاره الرب. إنه ليس مثله في جميع الشعب. فهتف كل الشعب وقالوا: ليحيا الملك. وفرح الشعب بتعيين شاول ملكاً، ما عدا بني بليعال، حيث احتقروا شاول وقالوا: كيف يخلّصنا هذا؟! (سفر صموئيل الأول ١٠: ١٧ – ٢٦).

وتم تعيين شاول ملكاً في الجلجال. وقام صموئيل بتذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم المتعددة منذ أن أخرجهم من مصر وأنقذهم من فرعون، وكيف عبدوا العجل ثم عشتاروت وملكوم والبعليم، وكيف أن الله عاقبهم فأذلهم بيد الفلسطينيين والموابيين، ثم كيف أنقذهم من يد سيسرا قائد الفلسطينيين، ثم كيف عادوا لعبادة الأوثان، وها هو الآن قد جعل لهم شاول ملكاً.

ثم قام شاول بجمع أسباط بني إسرائيل وعشائيرهم، وتوجه بهم لحرب الفلسطينيين؛ فخرج الفلسطينيون كما تزعم التوراة (سفر صموئيل الأول ١٣: ٥ – ٨) بثلاثين ألف مركبة وستة آلاف فارس وشعب كالرمل الذي على شاطئ البحر من الكثرة، فاخترت بنو إسرائيل كعادتهم في المغاير والغياض والصخور والصروح والآبار. وبعض العبرانيين عبروا الأردن فراراً من الفلسطينيين إلى أرض جاد وجلعاد. وارتعد شاول وكل الشعب وراءه خوفاً وفرقاً من الفلسطينيين!!.

وكان صموئيل قد واعد شاول بأن يأتيه بعد سبعة أيام . فلما لم يأت قام شاول بتقديم المحرقات في الموعد، وأصعدها إلى الرب . لأن ميعاد تقديم اللحم المشوي قد جاء والرب مشتاق جداً لرائحة المشوي!!! وعندما جاء صموئيل وعلم أن شاول قدم المحرقات؛ غضب وقال له: «وأما الآن فمملكتك لا تدوم . قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه وأمره أن يترأس على شعبه» . وذلك لأن الرب لا يحب أن يأكل اللحم المشوي إلا على يد صموئيل النبي . ومن عادته أن لا يأكل اللحم المشوي إلا مع الأنبياء والكهنة!! - لعنة الله على اليهود - .

وخرج الفلسطينيون وضربوا بني إسرائيل . ولم يوجد في ذلك الزمان «صانع في كل أرض إسرائيل» . وكان في يوم الحرب أنه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب، ما عدا شاول وابنه يوناثان» (سفر صموئيل الأول ١٣ : ١٦ - ٢٣) وهو تناقض صارخ مع ما ذكر من قبل من استعداد بني إسرائيل وخروجهم لحرب الفلسطينيين وهو نوع من الاعتذار لجبن بني إسرائيل وفرقهم وخوفهم وهلعهم ودخولهم الجحور .

ثم قام يوناثان بالهجوم على الفلسطينيين وانتصر عليهم، فخرج بنو إسرائيل من المخابىء والمغارات للهجوم على الفلسطينيين المنهزمين .

وبدأت انتصارات شاول تتوالى، وانتصر على بني موآب، وبني عمّون وأدوم والفلسطينيين . وقال صموئيل لشاول: «إياي أرسل الرب لمسحك - أي جعلك مسيحاً - ملكاً على شعبه إسرائيل . والآن فاسمع صوت كلام الرب . هكذا يقول رب الجنود . إني افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر . فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً . بقرأ وغنماً حملاً وحماراً . فاستحضر شاول الشعب وعده في طلائيم مئتي ألف راجل وعشرة آلاف رجل من يهوذا» . (سفر صموئيل الأول ١٥ : ١ - ٤) .

وهو تناقض من صموئيل النبي حيث أعلن قبل فترة غضب الرب على شاول ثم عاد فأعلن تأييده له . وطلب منه كما هو معتاد من التوراة المحرّفة أن يقوم بحرب إبادة - جينو سايد - لكل الأعداء بما في ذلك الأطفال الرضع والحيوانات من البقر والغنم والحمير .

وقام شاول بقتل العماليق كما أمر الرب إله إسرائيل وحرّم جميع الشعب بحدّ السيف ولكنه عفا عن ملك العماليق أجاج . وأخذ خيار الغنم والبقر والخراف ، ولم يحرّمها بحدّ السيف ، بل أخذها غنيمة . وغضب الرب من شاول لأنه لم يقم بحرب إبادة تامة كما طلب!! وقال الرب كما تزعم التوراة المحرّفة (سفر صموئيل الأول ١٥ : ١٠) . لصموئيل : «نَدِمْتُ على أنني قد جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي» . .

والغريب حقاً أن يهوه – إله إسرائيل – سريع الغضب شديد الحقد على البشرية ، ومع هذا فهو كثير الندم . وترى العهد القديم من أوله لآخره مشحوناً بهذه الصفات المرذولة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وأعلن صموئيل لشاول أن الربّ سيمزق مملكته ، وأنه سيعطي المملكة لشخص آخر . وقام الرب وقال لصموئيل : اذهب إلى يسيّ البيت لحمي – من بيت لحم – لأنني قد رأيتُ في بنيه ملكاً . وجاء الشاب الصغير داود بن يسي الذي كان يرعى الغنم ، فلما رآه صموئيل قام بمسحه ملكاً حسب أمر الرب!!

وأصيب شاول بروح رديء من قبل الربّ . وقام داود بضرب العود ليسرّي عنه ، فسرّ بذلك شاول .

ظهور داود وقتال جليات – جالوت – :

وجمع الفلسطينيون جيوشهم لمحاربة بني إسرائيل الذين كانوا يقومون بغارات متعددة على أراضيهم فيهلكون الحرث والنسل ، وخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات – جالوت – وكان عظيم الجسم شجاعاً ، وتحدى بني إسرائيل طالباً المبارزة ، وهزأ ببني إسرائيل وعيّرهم . ولكن كما تقول التوراة (سفر صموئيل الأول ١٧ : ١١) : «لما سمع شاول وجميع إسرائيل كلام الفلسطيني هذا ارتاعوا وخافوا جداً» .

«وكان الفلسطيني يتقدم ويقف صباحاً ومساءً أربعين يوماً متحدياً طالباً المبارزة . . وجميع رجال إسرائيل لما رأوا الرجل هربوا منه وخافوا جداً» (صموئيل الأول ١٧ : ١٦ – ٢٤) .

وقام داوود الشاب الصغير عندما رأى ما فعله جليات بالإسرائيليين بالتقدم للملك شاول طالباً منه أن يسمح له بمبارزة جليات. ومانع شاول في ذلك لأن داوود غلام حدث، وجليات متمرس بالحرب منذ صباه. ولكن داوود أصرّ على ذلك وقال لشاول إنه قتل أسداً ودباً عندما كان يرعى الغنم. . ووافق شاول على مضمض. وقام بإلباس داوود عدة الحرب. ولكن داوود الراعي لم يستطع أن يمشي بهذه العدة الثقيلة، فتركها وأخذ مقلّعه وخرج للقاء جليات. فلما رآه جليات استصغره ولكن داوود تحداه، ورمى داوود الحجر من مقلّعه فأصابته جليات؛ فخر على أثرها صريعاً، وذهب داوود وأخذ السيف من جليات واحتز رأسه. وانهزم الفلسطينيون عندما رأوا جليات يسقط صريعاً بالحجر. . وهكذا حقق داوود المعجزة بقتله جليات.

والغريب حقاً أن شاول سأل بعد المعركة قائد الجيش من يكون هذا الغلام؟ ثم سأل داوود عن اسمه واسم أبيه، مع أن داوود قد تعرف على شاول من قبل كما تذكر التوراة، وضرب له بالعود وسرّ به شاول، وكذلك تقدم إليه قبل المعركة ودار بينهما حوار طويل!!!.

وهذه التناقضات في التوراة المحرّفة متكررة بشكل يسبب الضجر والضيق لشارحيها مما جعلهم يؤكدون أن مؤلفي الأسفار عدد جم غفير من الأحرار، وأن هذه الأسفار كتبت في أزمنة مختلفة، ولم تنسق تنسيقاً إلى اليوم.

وأحب يوناثان بن شاول داوود حباً شديداً منذ اللحظة التي تقدم فيها شاول لقتال جليات.

وأصبح داوود بطلاً قومياً لدى بني إسرائيل، وخرجت النساء يضربن بالدفوف ويغنين الأهازيج عندما قدم شاول برأس جليات إلى أورشليم. وحيثما ذهب داوود وجد الترحاب والأهازيج.

شاول يحقد على داوود:

وغضب شاول غضباً شديداً عندما رأى أن الشعب قد أحب داوود حباً شديداً. «وكان في الغد أن الروح الرديء من قبل الله اقتحم شاول وجُنّ في وسط البيت. وكان داوود يضرب بيده. وكان الرمح بيد شاول فأشرع شاول الرمح وقال: أضرب داوود

حتى إلى الحائط. فتحول داوود من أمامه مرتين». وهكذا باءت محاولة شاول باغتيال داوود بالفشل. «ولما رأى شاول أن داوود مفلحٌ جداً فزع منه. وكان جميع إسرائيل ويهوذا يحبون داوود لأنه كان يدخل ويخرج أمامهم» (سفر صموئيل الأول ١٨: ١-١٦).

ولم يجد شاول طريقاً أخرى لضمان ولاء داوود سوى الحيلة. فعرض عليه أن يزوجه ابنته ميراب، مع أنها قد أعطيت من قبل لعدرئيل المحولي. وعرف شاول أن ابنته الصغرى ميكال أحبت داوود، فعرضها على داوود واتفقا على أن يكون المهر مائة غلفة من الفلسطينيين - أي إن على داوود أن يقتل مائة من الفلسطينيين، ويَجُبُّ مذاكيرهم ويأتي بها مهراً لنكاح ميكال بنت شاول - وقام داوود وأتى بمائتي غلفة بدلاً من المئة. ويا لها من صورة قبيحة مزرية حيث يكون مهر الفتاة مائتي قضيب!!.

وعاد شاول يخاف داوود بعد أن توالى انتصاراته. وحاول شاول مرة أخرى أن يقتل داوود بالرمح، ففر داوود منه ونجا تلك الليلة. وأرسل شاول رسلاً إلى بيت داوود ليراقبوه ويقتلوه في الصباح عند خروجه من الدار. فأخبرت ميكال داوود وساعدته على الهرب ليلاً من كوة في الدار.

وذهب داوود إلى صموئيل في الرامة وأخبره بما فعل به شاول. وعلم شاول بذلك فأرسل جنوده إلى الرامة، فلما وصل الجنود وجدوا مجموعة يتنبأون فتنبأوا معهم. وتحولوا إلى أنبياء!! فأرسل شاول جنوداً غيرهم فتحولوا كذلك إلى أنبياء، ثم أرسل ثلاثة فتحولوا أيضاً إلى أنبياء. وجاء شاول بنفسه فحلت عليه روح الله وتعرى من ثيابه تماماً!! وتنبأ كما فعل جنوده من قبل. ولا بد في عرف التوراة أن يكون الأنبياء مجانين أو مجاذيب يتعرون من ثيابهم تماماً.

«لذلك يقولون إن شاول أيضاً بين الأنبياء» وذهبت مثلاً (سفر صموئيل الأول ١٩: ١-٢٣). واستمر شاول في محاولاته اليائسة لقتل داوود، ووقف يوناثان ابن شاول ضد أبيه في صف داوود، وتوسط يوناثان لداوود، ولكن وساطته لم تفلح. وفر داوود إلى الملك أخيش ملك جت. ولكن عبيد الملك أخبروه بما فعل داوود بالفلسطينيين؛ فتوجس الملك منه شراً. وأحس داوود بذلك فتظاهر بالجنون وأخذ

يخربش على مصاريع الباب . ويسيل ريقه على لحيته ، فلما رآه الملك كذلك قال : أطلقوه فلا حاجة بي إلى المجانين . (سفر صموئيل الأول الإصحاح ٢١) – الغاية تبرر الوسيلة . . والخداع والكذب هي أهم صفات بني إسرائيل . ولذلك وصموا بها أنبياءهم – وكوّن داوود عصاة لقطع الطريق . واجتمع معه أربعمئة رجل ، وسمع شاول بذلك وزاد حنقه وغيظه على داوود .

وتوسط أخيمالك الكاهن لدى شاول لكي يرضى عن داوود . وغضب شاول جداً ؛ فأمر جنوده بقتل جميع الكهنة الذين جاءوا مع أخيمالك . فرفض الجنود ذلك . فقال الملك لقائده الأدومي – دواغ – قم واقتل جميع الكهنة فقام دواغ وقتل ٨٥ كاهناً مع أولادهم وماشيتهم بحد السيف . (سفر صموئيل الأول ، الإصحاح ٢٢) .

وسار شاول إلى قعيّلة عندما سمع أن داوود دخلها . ولكن داوود علم بمقدم شاول ففر منه إلى بركة زيف .

داوود يعفو عن شاول بعد أن وقع تحت يده :

وسار شاول وراءه ودخل إلى أحد الكهوف ليرتاح ، فما كاد شاول ينام إلاّ وكان داوود ورجاله محيطين به . واقترح الرجال على داوود أن يقتل شاول ، فأبى داوود قائلاً : «حاشا لي من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدي مسيح الرب ، فأمد يدي إليه لأنه مسيح الرب هو» . (سفر صموئيل الأول ٢٤) . ولما أفاق شاول سجد له داوود وعاتبه فبكى شاول وعانق داوود ثم افترقا .

وقام داوود بطلب مواشي من أحد الأثرياء ويدعى نابالم ، ورفض الثري ذلك . فقرر داوود أن يغير عليه بجنوده ويقتله وجميع أسرته وأن يأخذ جميع ماله غنيمة . ولكن زوجة الرجل علمت بذلك فأخذت خبزاً وخرفاناً وعنباً وتقدمت إلى داوود وسجدت له ، وطلبت منه أن يعفو عن زوجها الأحمق .

وعفا داوود عن زوجها الأحمق الذي رفض أن يعطيه من غنمه . لأن داوود كان يعمل قاطعاً للطريق . . – هكذا تزعم التوراة المحرّفة – .

ومع هذا فقد قام الرب بالانتقام من نابالم الذي لم يصنع شراً لداوود فقتله الله جزاء رفضه إعطاء داوود الغنم .

ولما مات الرجل أخذ داوود زوجة أبيجايل زوجة له . وأخذ زوجة أخرى .
وغضبت ميكال وذهبت إلى أبيها ، فزوجها لرجل آخر يدعى فلطي بن لايش . فغضب
لذلك داوود ، ولكنه عفا مرة أخرى عن شاول عندما وقع شاول في يده . لأن شاول
مسيح الرب !!

داوود يعبر إلى أرض الفلسطينيين فراراً من شاول والفلسطينيون يكرمون داوود رغم جرائمه ضدهم :

تزعم التوراة المحرّفة أن داوود ذهب إلى الفلسطينيين فراراً من شاول (سفر
صموئيل الأول ، الإصحاح ٢٧) وأقام داوود عند أخيش بن معوك ملك جت الذي أكرم
داوود رغم جرائمه السابقة ضد الفلسطينيين ، وتقديمه مهر زوجته السابقة
ميكال مائتي غلفة من الفلسطينيين – أي إن داوود قتل مائتي فلسطيني وجبّ
مذاكيرهم وأخذ الغلف لأن الفلسطينيين غير مخنوتين – وأكرمه أخيش
وأعطاه أرض صقلع . فما كان من داوود حسب زعم التوراة المحرّفة إلا أن قام بغارات
وحرب إبادة ضد الفلسطينيين . . «وضرب داوود الأرض ولم يبق رجلاً ولا امرأة وأخذ
غنماً وبقرأً وحميراً وجمالاً وثيراً» ثم ذهب داوود إلى أخيش وكذب عليه وقال له : إنه
غزا اليهود وهو إنما غزا بعض قرى الفلسطينيين والعمالقة . ولم يبق داوود رجلاً
ولا امرأة حتى لا يخبروا ملك جت بما أجرت يداه . «وهكذا عادته كل أيام إقامته في
فلسطين . فصّدق أخيش داوود قائلاً : قد صار مكروهاً لدى شعبه إسرائيل فيكون لي
عبداً إلى الأبد» . (سفر صموئيل الأول ، الإصحاح ٢٧) . . – الغريب أن داوود قد
تظاهر قبل فترة بالجنون أمام أخيش ملك جت وصدّقه أخيش . . ثم عاد داوود ولجأ
إليه فأكرمه أخيش وجعله من خاصة فرسانه . . وصدّقه في كل ما يقول وداوود يخادعه
ويكذب عليه . .

وهكذا تصف التوراة المحرّفة داوود بأنه كذاب أشر وأنه مخادع لئيم جبان ، وأنه
إذا قدر يكون جباراً يهلك الحرث والنسل ويقتل الطفل الرضيع مع الشيخ الفاني .
ويبيد من في القرى من رجل وامرأة . .

ولا ترى داوود في التوراة المحرّفة ومثله موسى ويوشع بن نون من قبل

إلا مجرمي حرب سفاكين رؤساء عصابات قتلة وخونة وكذبة وفجرة. وهي هي صفات يهود الصقوها بالأنبياء كذباً وبهتاناً حتى يسوغوا لأنفسهم ارتكاب جميع الجرائم والموبقات.

شاول يواجه موقفاً عصيباً ويستعين

بالجان وروح صموئيل توبخه وتقرعه :

وتجتمع الفلسطينيين في جيش لجب لمحاربة شاول، وخرج داوود مع الملك أخيش مظهراً الولاء مبطناً الغدر كعادته وحسب وصف التوراة المحرّفة الكاذبة .

«ولما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جداً كعادة اليهود في كل معركة. فسأل شاول الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأنبياء. وذهب شاول متنكراً إلى امرأة صاحبة جان وطلب منها أن تحضر روح صموئيل «فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وقالت لشاول: لماذا خدعتني وأنت شاول؟ فقال لها: لا تخافي ماذا رأيت؟ فقالت المرأة: رأيت آلهة يصعدون من الأرض. فقال لها: ما هي صورته؟ فقالت: رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة. فعلم شاول أنه صموئيل. فخر على وجهه إلى الأرض وسجد» وهذه هي عادة يهود يجمعون الأساطير والأكاذيب ويعبدون الجان والأرواح والتماثيل والآلهة العديدة. ومع هذا يزعمون أنهم موحدون، وأنهم شعب الله المختار، وابنه البكر الذي لم يخلق العالم بأكمله إلا من أجل خدمتهم.

وتكلم صموئيل وعنف شاول على إصعاده من قبره، وأخبره أن الرب قد فارقه وأنه أخذ المملكة من يده وأعطاهم لداوود، وأخبره بأنه يهزم أمام الفلسطينيين. فخاف شاول جداً من كلام صموئيل، ولم يأكل طعاماً من شدة خوفه وروعته (سفر صموئيل الأول: الإصحاح ٢٨).

نهاية شاول منتحراً :

وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهزموا اليهود شر هزيمة. واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة بجرح، فارتاع شاول وقال لحامل سلاحه: استل سيفك واطعني به لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني، فلم يشأ حامل سلاحه أن يقتله. فأخذ

شاوّل السيف وسقط عليه . ومات منتحراً . وقام حامل سلاحه أيضاً بقتل نفسه . وقتل في الحرب بنو شاوّل الثلاثة . وانتهت الهزيمة بفرار بني إسرائيل من مدّهم وجاء الفلسطينيين فسكنوها . (سفر صموئيل ، الإصحاح ٣١) .

وهكذا تنتهي قصة شاوّل مسيح الرب نهاية بائسة بعد أن عاش حياة كلها حقد وغيره من داوود بن يسي .

وسرى الفرق الشاسع والبون الهائل في قصة طالوت - شاوّل - التي ترد في بضع آيات في سورة البقرة حيث نرى صورة وضيئة لرجل آتاه الله بسطة في العلم والجسم . . وهو على نقیض صفاته الحقيرة الموصوف بها في التوراة المحرّفة . وأما قصة داوود في القرآن فهي قصة نبي كريم تسبح معه الجبال والطير . وتختلف تمام الاختلاف عن الصورة القذرة الوقحة التي ترسمها التوراة المحرّفة لنبي من أنبياء الله صلواته وسلامه عليهم أجمعين .

قصة - شاوّل - طالوت في القرآن الكريم :

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِطِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ

ولكن القوم قالوا بصوت واحد: ﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله . وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا؟﴾ كل مسوغات القتال موجودة . أعداؤنا كفره، معتدون ظالمون، قد أخرجونا من ديارنا وأخذوا أبناءنا عبيداً لهم فكيف لا نقاتلهم؟! وتعقب الآية الكريمة سريعاً: ﴿فلما كُتِبَ عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم . والله عليم بالظالمين﴾ .

هي هي طبيعة يهود الخوارة الجبانة الناقضة للعهد الناكثة للمواثيق منذ أن جاءهم موسى وأنجاهم من ظلم فرعون واستعباده لهم . ثم عادوا القهقري وطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة يعبدونها من دون الله، ثم عبدوا العجل عند ذهاب موسى للقاء ربه، ثم رفضوا أن يلتزموا بما في التوراة الصحيحة الحقّة التي أنزلها الله على موسى؛ فرفع الله الجبل فوقهم كأنه ظلة، فعاهدوا الله على الالتزام بها ولكن سرعان ما نقضوا عهدهم . وقالوا لموسى أرنا الله جهرة، وآذوا موسى فبرأه الله مما قالوا، وقتلوا الأنبياء وافتروا عليهم الأكاذيب . وما يسمى العهد القديم من أوله لآخره مفتريات وأكاذيب وأباطيل صوروا الله فيها بصور حقيرة قبيحة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وجعلوا الأنبياء عليهم خونة سرقة كذبة قتلة زناة مدمني خمر لصوصاً وقطاع طرق .

فمن أظلم في الدنيا من يهودا!! ومن أفجر منهم!! ومن هوناقض للعهد مثلهم!! والغريب حقاً أن يأتي من ذراري المسلمين قوم يدعون إلى موالة يهود وعقد معاهدة سلام وصداقة معهم!!

من هو النبي الذي تحدثت عنه هذه الآيات؟

لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة اسم هذا النبي الذي أصلح عقيدة بني إسرائيل، والذي طلبوا منه أن يختار لهم ملكاً . ولكن المفسرين لم يسكتوا عن اسمه كما سكت القرآن الكريم بل حاولوا معرفته مما ورد عند أهل الكتاب .

قال ابن كثير في تفسيره: «قال وهب بن منبه - وهو أحد أحبار اليهود الذين أسلموا في عصر الصحابة - وغيره: كان بنو إسرائيل بعد موسى عليه السلام على

طريق الاستقامة مدة من الزمان ثم أحدثوا الأحداث وعبد بعضهم الأصنام . ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقيمهم على منهج التوراة إلى أن فعلوا ما فعلوا؛ فسلط الله عليهم أعداءهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا خلقاً كثيراً وأخذوا منهم بلاداً كثيرة، ولم يكن أحد يقاتلهم إلا غلبوه . وذلك أنه كانت عندهم التوراة والتابوت الذي كان في قديم الزمان . وكان ذلك موروثاً لخلفهم عن سلفهم إلى موسى الكليم عليه الصلاة والسلام . فلم يزل بهم تماديهم على الضلال حتى استلبه منهم بعض الملوك في بعض الحروب . وأخذ التوراة من أيديهم ولم يبق من يحفظها فيهم إلا القليل وانقطعت النبوة من أسباطهم . ولم يبق من سبط لاوي الذي يكون فيه الأنبياء إلا امرأة حاملاً من بعلمها وقد قتل ، فأخذوها وحبسوها في بيت واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلاماً يكون نبياً لهم . ولم تزل المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلاماً فسمع الله لها ووهبها غلاماً فسمته شمويل — صموئيل — أي سمع الله دعائي . فشب ذلك الغلام ونشأ فيهم وأنبته الله نباتاً حسناً . فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه وأمره بالدعوة إليه وتوحيده فدعا بني إسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً يقاتلون معه أعداءهم . وكان الملك أيضاً قد باد فيهم . فقال لهم النبي : فهل عسيتم إن أقام الله لكم ملكاً ألا تقاتلوا ولا تفوا بما التزمتم من القتال معه ﴿ قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ أي وقد أخذت منا البلاد وسبيت الأولاد . قال الله تعالى : ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين ﴾ أي ما وفوا بما وعدوا بل نكل عن الجهاد أكثرهم والله أعلم . (تفسير ابن كثير ٣٠٠ / ١) .

وهذه الصورة التي رسمها وهب بن منبه وغيره من أحبار يهودا الذين أسلموا والتي ينقلها عنهم المفسرون قريبة جداً في أصولها لما هو موجود في التوراة (سفر صموئيل الأول) مع اختلاف في التفاصيل .

وذكر أهل التفسير أقوالاً أخرى نجملها فيما يلي :

(١) قال قتادة^(١) : هو يوشع بن نون . وقد رد هذا القول ابن كثير قائلاً : وهذا

(١) هذا القول وما بعده من الأقوال ، ننقلها عن «تفسير ابن كثير» ٣٠٠ / ١ ، طبعة البابي الحلبي ، القاهرة .

طريق الاستقامة مدة من الزمان ثم أحدثوا الأحداث وعبد بعضهم الأصنام. ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقيمهم على منهج التوراة إلى أن فعلوا ما فعلوا؛ فسلط الله عليهم أعداءهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا خلقاً كثيراً وأخذوا منهم بلاداً كثيرة، ولم يكن أحد يقاتلهم إلا غلبوه. وذلك أنه كانت عندهم التوراة والثابت الذي كان في قديم الزمان. وكان ذلك موروثاً لخلفهم عن سلفهم إلى موسى الكليم عليه الصلاة والسلام. فلم يزل بهم تماديهم على الضلال حتى استلبه منهم بعض الملوك في بعض الحروب. وأخذ التوراة من أيديهم ولم يبق من يحفظها فيهم إلا القليل وانقطعت النبوة من أسباطهم. ولم يبق من سبط لاوي الذي يكون فيه الأنبياء إلا امرأة حاملاً من بعلها وقد قتل، فأخذوها وحبسوها في بيت واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلاماً يكون نبياً لهم. ولم تزل المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلاماً فسمع الله لها ووهبها غلاماً فسمته شمويل - صموئيل - أي سمع الله دعائي. فشب ذلك الغلام ونشأ فيهم وأنبته الله نباتاً حسناً. فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه وأمره بالدعوة إليه وتوحيده فدعا بني إسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً يقاتلون معه أعداءهم. وكان الملك أيضاً قد باد فيهم. فقال لهم النبي: فهل عسيتم إن أقام الله لكم ملكاً ألا تقاتلوا ولا تفوا بما التزمت من القتال معه ﴿قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ أي وقد أخذت منا البلاد وسبيت الأولاد. قال الله تعالى: ﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين﴾ أي ما وفوا بما وعدوا بل نكل عن الجهاد أكثرهم والله أعلم. (تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٠).

وهذه الصورة التي رسمها وهب بن منبه وغيره من أحبار يهودا الذين أسلموا والتي ينقلها عنهم المفسرون قريبة جداً في أصولها لما هو موجود في التوراة (سفر صموئيل الأول) مع اختلاف في التفاصيل.

وذكر أهل التفسير أقوالاً أخرى نجملها فيما يلي:

(١) قال قتادة^(١): هو يوشع بن نون. وقد رد هذا القول ابن كثير قائلاً: وهذا

(١) هذا القول وما بعده من الأقوال، نقلها عن «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٠٠، طبعة البابي الحلبي، القاهرة.

القول بعيد لأن هذا كان بعد موسى بدهر طويل وكان ذلك في زمن داوود عليه السلام كما هو مصرح به في القصة - أي التي أوردها القرآن الكريم - وقد كان بين داوود وموسى ما ينيف عن ألف عام. - يذكر أهل التاريخ من المحدثين أن بينهما مائتي عام فقط. فالخروج من مصر حدث في حدود سنة ١٢٣٠ قبل الميلاد واعتلاء داوود العرش كان في سنة ١٠١٠ قبل الميلاد. -

(٢) قال السدي: هو شمعون. ولم يعقب ابن كثير على هذا القول.

(٣) قال مجاهد: هو شمويل - أي صموئيل - عليه السلام، وكذا قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه - وهو من أحبار اليهود الذين أسلموا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه -.

ولما طلب بنو إسرائيل من نبيهم أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون تحت رايته أخبرهم صموئيل النبي: أن الله قد بعث لهم طالوت ملكاً. وهنا تعالت صيحات عليه القوم. من هو طالوت هذا الذي يكون ملكاً علينا؟! إنه ليس من سبط يهوذا بل هو من سبط بنيامين. ولا أحد من آبائه تولى الملك. وهو مع هذا فقير. وبنو إسرائيل لا يعبدون شيئاً كعبادتهم المال والذهب. فكان الرد من النبي الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ لم اختره أنا بحسب هواي ورغبتني ولكن الله هو الذي استجاب دعوتكم بأن يكون لكم ملك، فاصطفاه واختاره ليكون لكم ملكاً. والله يصطفي من خلقه من يشاء لما يشاء فلا حرج على ملكه ولا اعتراض على تصرفه وكان الأولى بكم أن تقولوا سمعنا وأطعنا لا أن تعترضوا. فقد كثرت اعتراضاتكم وسوء أدبكم يا بني إسرائيل مع الله الذي أكرمكم واستجاب دعاءكم. ومع هذا كله فطالوت - شاول - أحق بالملك منكم لأن الله زاده بسطة في العلم والجسم. وهما من أهم المتطلبات للقيادة السياسية الحكيمة التي تمر في ظروف القاهرة وأليمة. وخاصة مع قوم مثل بني إسرائيل يحتاجون إلى قيادة قوية وعزيمة لا تلين، مع علم موفور بطبائع النفوس ومجريات الأحداث ومعرفة بخبايا نفوس بني إسرائيل الخوارة الجبانة، التي ترتعب من أول مواجهة وتنكص عند أول معركة. ومع هذا فهي سليطة اللسان كثيرة الاعتراض.

وأضاف النبي - صموئيل - علامة أخرى يستحق بها الملك عليهم: أن يأتيهم

التابوت فيه سكينه من الله لبني إسرائيل وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، تحمله الملائكة. وتحققت الآية العجيبة وجاءت الملائكة بالتابوت ووضعتة أمام شاول - طالوت - وهم ينظرون حيث رأوا التابوت يطير في الهواء حتى وقع أمام طالوت.

وفي التابوت بقية الألواح التي كانت مع موسى عليه السلام وعصاه أو جزء من عصاه وبعض ثيابه وبعض ثياب هارون عليهما السلام.

مقارنة لصفات شاول في القرآن والتوراة:

والآية الكريمة تختلف اختلافاً تاماً عما ورد في سفر صموئيل من العهد القديم - التوراة المحرّفة - من قصة صموئيل وأخذ الفلسطينيين للتابوت معهم إلى أشدود وإصابتهم بالأمراض والأوجاع، وتحطم صنمهم الأكبر عندما أدخلوا التابوت عليه. ثم خوفهم من التابوت وإطلاقهم له على عجل تجرها بقرتين مع قرابين من الذهب - بوا سير وفئران من الذهب لأن بني إسرائيل وإلههم يحبون الذهب كما تزعم التوراة المحرّفة - . . . ووصل التابوت إلى قرية بيت شمس الإسرائيلية وفرح أهل القرية بالتابوت. ولكن الله عاقبهم على ذلك فأ مات منهم خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً لأنهم نظروا الله وجهاً لوجه - تزعم التوراة المحرّفة أن الله جالس في التابوت مقيم فيه لا يخرج منه إلا لضرورة ملجئة».

كما تختلف الآية الكريمة في معرض تنصيب طالوت - شاول - ملكاً. حيث تزعم التوراة المحرّفة - سفر صموئيل الأول - أن جميع بني إسرائيل ساروا جداً بتنصيب طالوت - شاول - ملكاً ما عدا بني بليعال (سفر صموئيل الأول ١٠: ١٧ - ٢٦)، كما تزعم التوراة المحرّفة أيضاً أن شاول تنبأ مع الأنبياء قبل مسحه ملكاً ومسيحاً للرب. كما يزعم سفر صموئيل أن هناك العديد من الأنبياء في زمنه وأن هؤلاء الأنبياء يخلعون ثيابهم ويتعرون أمام الشعب ويرقصون ويشربون الخمر وأن شاول نفسه تنبأ معهم مرتين وخلع ثيابه وتعري تماماً مثلهم - مجموعة من الأفاكين أو المجاذيب - .

وبينما نرى شاول - طالوت - جباناً رعيدياً أحرق سفيهاً تافهاً في سفر

صموئيل، نرى صورته تختلف في القرآن الكريم حيث نرى صورة قائد محنك آتاه الله بسطة في العلم والجسم وشجاعة فائقة نادرة.

ويبدأ شاول - طالوت - بامتحان جنده من بني إسرائيل لأنه يعلم أن المعركة مع العدو ينبغي أولاً أن تسبقها معركة مع النفوس الضعيفة والضمائر الملتوية والطبائع الجبانة الرعديدة، وأن تسبقها شحنات قوية من الإيمان والصبر والتقوى وخشية الله بحيث تسيطر على النفوس فلا تبقي من خشية البشر شيئاً.

وما يكاد طالوت - شاول - يخرج بالجيش اللجب من بني إسرائيل إلا ويقوم باختبارهم ليعرف مدى تحملهم وصبرهم على المشاق ﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال: إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني. ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده﴾. يخرج شاول ليعبر نهر الأردن الذي كان يعرف باسم نهر الشريعة - قال ابن عباس وغيره: وهو نهر بين الأردن وفلسطين - ويعقب على ذلك ابن كثير في تفسيره: «يعني نهر الشريعة المشهور» ويمتنح صبر القوم الذين عرف طبائعهم الخوارة، «لا تشربوا من هذا النهر» ووصل الجنود وبهم من العطش ما بهم فما كادوا يرون النهر حتى أقعوا كما تقعي الكلاب وشربوا منه كما تشرب الهيم - الإبل - العطاش.

ولم يبق مع طالوت صامداً أمام النهر رافضاً أن يشرب منه رغم العطش الشديد، إلا فئة قليلة. ذكر البراء بن عازب - أحد البدرين من الصحابة - أن عدة أصحاب طالوت كانوا كعدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً (رواه البخاري). وما جاوز النهر مع طالوت إلا مؤمن قوي الإيمان ثابت العزيمة.

وهكذا سار طالوت بالنخبة القليلة المؤمنة وترك الكثرة الكاثرة الخوارة الجبانة وراءه. فلما برزوا لجالوت ورأوا العدد الهائل والعدة العظيمة؛ ارتعب كثير من هؤلاء المؤمنين معه. وبقيت قلة القلة صامدة ثابتة ترد قول الذين قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده. حيث قالت الفئة الصابرة الصامدة الثابتة ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾.

وتشجع القوم القليل لملاقاة العدد والعدة، وتوجهوا إلى الله بذلك الدعاء

الخاشع: ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله﴾.

إنها صورة وضيئة كريمة لطالوت - شاول - والصفوة من بني إسرائيل الذين صمدوا معه وقاتلوا الكثرة الكافرة الباغية ولم يرتعوا من جالوت وجنوده.

وما أشد التناقض بين هذه الصورة الكريمة الوضيئة التي يعرضها القرآن الكريم لطالوت - شاول - والصفوة من جنده وبين الصورة الحقيرة الجبانة الرعيدة التي تعرضها التوراة المحرّفة (سفر صموئيل الأول)، حيث تقول التوراة المحرّفة (سفر صموئيل الأول، الإصحاح ١٣: ٦ - ٨): «ولما رأى رجال إسرائيل أنهم في ضنك اختبأ الشعب في المغاور والغياض والصخور والصروح والآبار. وبعض العبرانيين عبروا الأردن إلى أرض جاد وجلعاد. وكان شاول بعد في الجبلجال وكل الشعب ارتعد وراءه».

وتصف التوراة المحرّفة (سفر صموئيل الأول ١٧: ٣ - ١٠) قصة المعركة بين شاول (طالوت) وجليات (جالوت) بصورة يتقزز منها المرء من جبن شاول وجنوده:

«وكان الفلسطينيون وقوفاً على جبل من هنا، وإسرائيل وقوفاً على جبل من هناك، والوادي بينهم، فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات من جت طوله ست أذرع وشبر. وعلى رأسه خوذة من نحاس وكان لابساً درعاً حرسياً ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس. وجرموفاً من نحاس على رجله، ومزراق نحاس بين كتفيه، وقناة رمحه كنول النساجين. فوقف ونادى صفوف إسرائيل وقال لهم: اختاروا لأنفسكم رجلاً لينزل إليّ فإن قدر أن يحاربني ويقتلني نصير لكم عبيداً، وإن قدرت أنا عليه وقتلته تصيرون أنتم لنا عبيداً وتخدمونا. وقال الفلسطيني: أنا عيّرتُ صفوف إسرائيل هذا اليوم. أعطوني رجلاً فنتحارب معاً. ولمّا سمع شاول وجميع إسرائيل كلام الفلسطيني هذا ارتاعوا وخافوا جداً».

واستمر جليات في تحديه يطلب المبارزة أربعين يوماً «وكان الفلسطيني يتقدم ويقف صباحاً ومساءً أربعين يوماً» (سفر صموئيل الأول ١٧: ١٦)، ولا أحد يجيبه.

الكل قد ارتعب منه رعباً أقعده عن الحركة، حتى شاول — طالوت — الذي آتاه الله بسطة في العلم والجسم ارتعب منه كما تزعم التوراة المحرّفة رعباً شديداً. حتى تقدم شاب حدث كان يرعى الغنم يدعى داوود بن يسيّ البيت لحمي — من بيت لحم — «فقال داوود لشاول لا يسقط قلب أحد بسببه عبدك يذهب ويحارب هذا الفلسطيني. فقال شاول لداوود: لا تستطيع أن تذهب إلى هذا الفلسطيني لتحاربه لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه». (سفر صموئيل الأول ١٧: ٢٢ — ٢٣).

واغتاظ قادة الجيش من داوود وغضب منه أخوه إلياب وقال له: «لماذا نزلت؟ وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة في البرية؟ أنا علمت كبريائك وشرّ قلبك لأنك إنما نزلت لترى الحرب. وتحول داوود من عند أخيه نحو الآخرين فردّ له الشعب جواباً كالجواب الأول. (سفر صموئيل الأول ١٧: ٢٨ — ٣٠). وبعد أخذٍ وردٍ وافق شاول على إعطاء الفرصة لداوود لكي يقاتل الفلسطيني جليات، وألبسه شاول ثياب الحرب بنفسه. وبما أن داوود لم يعرف الحرب ولا لباس الحرب من قبل فإنه لم يستطع المشي بهذه العدة الثقيلة، فخلعها داوود وأخذ عصاه وأحجاراً ملساء وبرز لجليات. فاحتقره جليات ولم يرد أن يقاتله فسبّه داوود سباً مقذعاً؛ فحمى غضب الفلسطيني وتحرك ليقتضي على داوود، فضربه داوود بمقلّاعه فوقعت الحجرة في جبهته فخر على أثرها صريعاً، وأسرع داوود واختلط سيف جليات واحتزّ رأسه. فهتف بنو إسرائيل وارتعب الفلسطينيون رعباً شديداً. وأتذاك فقط تحرك شاول وجنوده للقضاء على الفلسطينيين المرعوبين. (سفر صموئيل الأول ١٧: ٣٨ — ٥٤).

وهكذا ترى الفرق شاسعاً والبون هائلاً بين صورة طالوت — شاول — والصفوة الخيرة من بني إسرائيل معه والتي يرسمها القرآن الكريم حيث نرى قوماً مخبتين متواضعين صابرين، أشداء على الكفار رحماء بينهم، شجعاناً أبطالاً فرساناً كماً. وبين الصورة الحقيرة القميئة التي تعرضها التوراة المحرّفة لطالوت — شاول — وجنوده.

وينتهي ذكر طالوت في القرآن الكريم عند هذا الحد فلا نسمع عنه شيئاً.

ولكن تبقى في أذهاننا تلك الصورة الوضيئة للرجل المؤمن القوي الشجاع الذي آتاه الله بسطة في العلم والجسم.

ثم تبدأ صورة داوود عليه السلام تبرز في بضع كلمات قليلات ﴿وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾ .

ولا تشرح الآيات الكريمة ولا الأحاديث النبوية الشريفة كيف قتل داوود جالوت . وإنما تكتفي بإبراز شجاعة داوود أنه قتل جالوت الطاغية الجبار، وأن الله قد آتى داوود المُلْك بعد طالوت - شاول - والحكمة وهي النبوة . وعلمه مما يشاء، ومن ذلك ﴿صنعة لبوس لكم﴾ كما سيأتي في آية أخرى حيث برع داوود عليه السلام في صناعة الدروع والزرود التي تتحرك ولا تكون قطعة واحدة . وهو مخترع هذه الدروع السابغة المكونة من العديد من الحلقات .

وتذكر التفاسير أن طالوت - شاول - سُرَّ بـداوود وقربهُ إليه وزوجه ابنته . فلما مات طالوت خلفه داوود في الملك وزاده الله النبوة فجمع بينهما ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ .

وبينما تنتهي قصة طالوت بهذه الآيات القليلات تستمر قصة شاول - طالوت - في سفر صموئيل الأول ونراه شخصاً حقوداً تتلبس به الروح الشريرة . ونرى جهده كله ينصب في محاربة داوود وملاحقته ليقتله ويتخلص منه . رغم ما فعله داوود من أجله من انتصار على جليات وجيشه، ورغم أن شاول وقع بيد داوود مرتين كان فيهما قادراً على قتله، ومع هذا فقد عفا عنه داوود وسجد له وتقرب إليه . ورغم كل ذلك تستمر حياة شاول البائسة في مطاردة داوود وتدبير المؤامرات للخلاص منه وقتله . وشتان بين صورة طالوت الوضيئة في القرآن الكريم وبين صورته الحقيرة الجبانة الرعيدة الحاقدة التي تمثل نفسية يهود أصدق تمثيل في أسفار العهد القديم (سفر صموئيل الأول) .

* * *

داوود (عليه السلام) (١٠١٠ - ٩٦١ قبل الميلاد)

النبي داوود عليه السلام في التوراة :

تعرض التوراة المحرّفة - سفر صموئيل الأول والثاني والملوك وأخبار الأيام - قصة داوود عليه السلام منذ صباه الباكر ورعيه الغنم، وقيام صموئيل النبي بمسح داوود ملكاً رغم حداثة ورغم وجود شاول مسيحاً للرب في ذلك الوقت، إلى أن تولى الملك، وما صاحب ذلك من أحداث، حتى ينتهي في شيخوخته الفانية حيث لم تعد تدفيه اللحف والأغطية، بل ولم تعد تدفيه فتاة صغيرة تحتضنه .

ورغم أن مملكة اليهود لم تقم إلا على يد داوود ورغم أنها بلغت أوجها في عهده وعهد ابنه سليمان، ورغم أن اليهود يفخرون بما بلغته هذه المملكة من رقي يجعلونها المثل الأعلى للدولة التي ينبغي أن تقوم في الأرض، والتي سيقيمها في آخر الزمان واحد من نسل داوود، يطلق عليه لقب المسيح - وهو بمسيح الدجال في الأحاديث النبوية^(١) - رغم ذلك كله تقوم التوراة بصوير داوود عليه السلام بصورة حقيرة مزرية . فهو كاذب مخادع أفاك كذاب، وهو قاطع ريق، وهو ملك جبار يهلك الحرث والنسل، ويضع أطفال أعدائه ونساءهم مواشيهم في الأتون ويحرقهم بالنار أحياء، وهو جبان في كثير من المواقف . رغم أن نورا تزعم أنه أشجع بني إسرائيل على مدار التاريخ . وهو بعد ذلك كله حقوق ناكراً جميلاً، يخطف امرأة قائده وحليمة جاره فيزني بها، ولا يشعر بالخجل والندم من هذه بعة النكراء الشنيعة، بل يبعث بذلك القائد الشجاع إلى ميدان المعركة، ويوصي القائد الأعلى بأن يدفعه للقتال ثم يتخلى عنه فجأة ليسقط بسيف الأعداء،

(١) سبق أن تحدثنا عن المسيح الدجال وصفاته في كتابنا «المسيح الدجال وتعاليم التلمود» لإصدار الدار السعودية - جدة .

حتى يتمكن داوود من أخذ زوجة الرجل وضمها إلى العديد العديد من نسائه ومحظياته .
تبدأ أول إشارة في التوراة المحرّفة (سفر صموئيل الأول، ١٣: ٨ - ١٥) لذكر داوود عليه السلام حيث نرى صموئيل غاضباً من شاول الملك الذي قدم القرابين واللحم المشوي للرب دون أن ينتظره - والواقع أنه انتظر صموئيل سبعة أيام حسب وعده، فلما تأخر صموئيل قام شاول بتقديم القرابين للرب إله إسرائيل - «فقال صموئيل لشاول قد انعمت لم تحفظ وصية الرب إلهك التي أمرك بها. لأن الآن كان الرب قد ثبّت مملكته على إسرائيل إلى الأبد. وأما الآن فمملكته لا تقوم. قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه. وأمره الرب أن يترأس على شعبه. لأنك لم تحفظ ما أمرك الرب به». وأعلن الرب لصموئيل أنه ندم جداً على تولية شاول وجعله ملكاً على بني إسرائيل. وكرر الرب إعلانه ذلك عدة مرات. . (سفر صموئيل الأول ١٥: ١٠ و ٣٥).

وغضب صموئيل على شاول ولم يعد لرؤيته إلى يوم موته. . «لأن صموئيل نوح على شاول والرب ندم لأنه ملك شاول على إسرائيل. فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته أن يملك على إسرائيل. املاّ قرنك دهناً وتعال أرسلك إلى يسيّ البيت لحمي - من بيت لحم - لأنني قد رأيت في بنيه ملكاً. (سفر صموئيل الأول ١٦: ١).

وقام صموئيل بتقديم ذبيحة ودعا يسيّ وبنيه. واستعرض صموئيل أبناء يسيّ حتى وقعت عينه على الغلام راعي الغنم داوود. وكان داوود أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر. فقال الرب لصموئيل: قم امسحه لأن هذا هو - أي الملك - فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته وحل روح الرب على داوود من ذلك اليوم فصاعداً». (سفر صموئيل الأول ١٦: ٥ - ١٣).

داوود يغني لشاول ليذهب عنه الروح الرديء:

وحلّ على شاول - مسيح الرب - غضبُ الرب كما تزعم التوراة المحرّفة، وأصابه روح رديء من قبل الرب، وضاق الحال بشاول وبحث عبيده عن شخص يحسن الضرب بالعود والغناء فوجدوا داوود، فأتوا به إلى شاول، فضرب له بالعود، فذهب الروح الرديء عن شاول، وعيّن داوود في حرسه الخاص وقربه إليه. (سفر صموئيل الأول ١٦: ١٤ - ٢٣).

داوود يقتل جالوت — جليات — ملك الفلسطينيين وفارسهم :

سبق أن ذكرنا قصة قتل داوود لجليات — جالوت — وكيف تقدم لمبارزته بعد أن ارتاع منه شاول وجميع بني إسرائيل، وأنه مكث أربعين يوماً يتحدى بني إسرائيل ويطلبهم للمبارزة صباح مساء دون أن يجرؤ أحد منهم للتقدم لمبارزته، حتى جاء داوود من رعي الغنم، وجاء بالطعام لإخوته الموجودين في الجيش. فتقدم وطلب أن يسمح له بقتال جليات. وسخر منه إخوته ورؤساء الجيش، ولكن شاول سمح له بالقتال بعد تردد. فقام داوود بقتل جليات بالمقلاع حيث رماه بحجرة أصابت جبهته فخر جليات على إثرها صريعاً فاخترط داوود سيف جليات وحز رأسه.

والتناقض في العهد القديم مرعبٌ ورهيب حتى أن الشراح اضطروا للاعتراف بأن أسفار العهد القديم كتبت من قبل مئات الأحبار على مدى مئات السنين دون تنسيق بينها. إذ أن سفر صموئيل الأول الإصحاح ١٦ يقول: إن داوود أصبح حامل سلاح بين يدي شاول ثم يأتي نفس سفر صموئيل الأول (الإصحاح ١٧)، ليقول: إن داوود عاد لرعي الغنم وأنه أقبل بالطعام لإخوته في الجيش وأن شاول لم يعرفه.

وبعد أن يقوم شاول بنفسه باللباس داوود لباس الحرب وعدته، يترك داوود عدة الحرب لأنه لم يتعود عليها ولا يستطيع المشي بها، فيذهب لمبارزة جليات بعصاته ومقلاعه فقط. ثم يعود نفس السفر والإصحاح إلى الزعم بأن شاول استفسر عن هذا الغلام الذي قتل جليات. وسأل من أنت؟ ومن أبوك؟... إلخ!!

وتنتهي القصة بأن داوود أصبح بطلاً قومياً لليهود وأن الفتيات أصبحن يغنين لداوود ويتمدحن بشجاعته وبطولته وجماله مما أثار حفيظة شاول وجعله يحقد عليه.

شاول يحاول اغتيال داوود عدة مرات ولكنه يفشل :

حاول شاول مراراً وتكراراً أن يقتل داوود ولكنه فشل في جميع تلك المحاولات. ووقع شاول في يد داوود مرتين ولكن داوود عفا عنه كما قد مر معنا.

شاول يستخدم الحيلة ويزوج داوود ابنته ميكال :

قام شاول بتزويج ابنته ميكال بعد أن رفض داوود أن يتزوج البنت الكبرى ميراب، لأن قلبه مال إلى الصغرى وهي مالت إليه، وكان المهر مائة غلفة من الفلسطينيين — والغلفة هي الجلدة التي تكون على القضيبي وتزال أثناء الختان —.

ويا له من مهر!! ذهب داوود وقتل مائتي فلسطيني حسبما يزعم سفر صموئيل الأول الإصحاح ١٨ . ومثل بهم وأخذ مذاكيرهم وقدمها مهراً لميكال!!! وكان غرض شاول أن يقع داوود في الفخ ويقتله الفلسطينيون، ولكن داوود ذهب برجاله وأغار على مجموعة من الفلسطينيين فجأة، وقتلهم وأتى بمذاكيرهم إلى شاول فزوجه ابنته ميكال . واستمرت بعد ذلك محاولات شاول في التخلص من داوود .

داوود يذهب إلى الملك أخيش ملك جت ويتظاهر أمامه بالجنون :

ضاق الأمر بـداوود أمام مؤامرات مسيح الرب شاول!! وفر من وجهه إلى وجه أعدائه الفلسطينيين الذين فعل بهم داوود الأفاعيل — كما تزعم التوراة — وذهب داوود إلى أخيش ملك جت . فقال عبيد الملك : أليس هذا داوود الذي فعل بنا الأفاعيل؟ فوضع داوود هذا الكلام في قلبه وخاف جداً من أخيش ملك جت . فغيّر عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم ، وأخذ يخرش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته . فقال أخيش لعبيده : هو ذا ترون الرجل مجنوناً ، فلماذا تأتون به إليّ؟ ألعلي محتاج إلى مجانين حتى أتيتم بهذا ليتجنن عليّ؟ أهذا يدخل بيتي! . (سفر صموئيل الأول ٢١ : ١٠ — ١٤) .

داوود يكون عصابة لقطع الطريق والفساد في الأرض :

فذهب داوود من هناك ونجا إلى مغارة عرلام . فلما سمع إخوته وجميع بيت أبيه نزلوا إليه إلى هناك . واجتمع إليه كل رجل متضايق وكل من كان عليه دين ، وكل رجل مُر النفس ، فكان عليهم رئيساً . وكان معه نحو أربعمئة رجل . وأخذ داوود أباه وأمه وتركهما عند ملك موآب الذي أكرم داوود وعصابته .

وخرج داوود يقطع الطريق ، وقام معه الكاهن أخيمالك وأعطاه خبزاً وسيف جليات . فلما علم شاول بذلك أخذ الكاهن وجميع من معه من الكهنة وقتلهم كما تقدم — ٨٥ كاهناً قتلهم في ذلك اليوم — وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف ، الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم بحد السيف . ونجا واحد لأخيمالك الكاهن وهرب إلى داوود . (سفر صموئيل الأول ٢٢ : ١٠ — ٢٣) .

وهكذا كان كلاً من مسيحي الرب شاول وداوود، يقتل ويسفك الدماء ويقتل

النساء والأطفال والرضع والبهائم . وكان شاول أشد جرمًا في ذلك كله حتى أنه قتل كهنة بني إسرائيل وحرّم مدينتهم بحد السيف، ولم يترك فيها طفلًا ولا رضيعًا ولا شيخًا ولا امرأة ولا بقرة ولا حميرًا ولا غنمًا... إلخ!! .

**داوود يذهب لتخليص سكان مدينة قعيلة
من الفلسطينيين وأهل قعيلة يغدرون به :**

سمع داوود أن أهل قعيلة يتعرضون لهجوم من الفلسطينيين، وأن الفلسطينيين ينهبون البيادر. فاستشار داوود الرب هل أذهب لقتال الفلسطينيين وأخلص أهل قعيلة؟ فأجابه الرب اذهب وخلص قعيلة (سفر صموئيل الأول ٢٣ : ١ - ٣) . فذهب داوود وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة، وخلص داوود سكان قعيلة .

فلما علم شاول بأن داوود دخل قعيلة؛ أسرع بالذهاب إلى قعيلة كي يقتل داوود . وسمع داوود بذلك، استشار داوود الرب قائلاً: يا رب إسرائيل إن عبدك قد سمع بأن شاول يحاول أن يأتي إلى قعيلة لكي يخرب المدينة بسبي، فهل يسلمني أهل قعيلة ليده؟ هل ينزل شاول كما سمع عبدك؟ يا رب إله إسرائيل أخبر عبدك؟ فقال الرب: ينزل، فقال داوود: هل يسلمني أهل قعيلة مع رجالي ليد شاول؟ فقال الرب: يسلمون . فقام داوود ورجاله نحو ستمائة رجل وخرجوا من قعيلة وذهبوا حيثما ذهبوا» . (سفر صموئيل الأول ٢٣ : ٩ - ١٤) .

وهكذا نجد الغدر صفة يهود في كل مكان وزمان . فكما غدر داوود بمن أكرمه من الفلسطينيين غدر أهل قعيلة بـداوود . ولكن الرب الذي تصوره التوراة بصورة رجل أشار على داوود بنوايا شاول وأهل قعيلة .

**داوود يطلب من نابالم أن يعطيه خرافاً
لجنوده ونابالم يرفض فيغضب داوود :**

وطلب داوود في البرية من نابالم أن يعطيه خرفاناً لجنوده، فأبى نابالم وقرر داوود أن يغير على نابالم ويستولي على جميع ممتلكاته ويقتله عقاباً له على فعلته تلك .

وعلمت امرأة نابالم بما حدث وكانت امرأة ذكية؛ فأخذت خبزاً وخمراً وعنباً وخرفاناً وتقدمت لداوود، وسجدت له وطلبت منه أن يعفو عن زوجها. فعفا مسيح الرب داوود عن الرجل وغضب الرب على نابالم المسكين وقتله. وقام داوود فوراً بالتزوج من امرأته أبيجابيل. (سفر صموئيل الأول: الإصحاح ٢٥).

داوود يلتجأ إلى الفلسطينيين مرة أخرى :

عندما تكررت محاولات شاول في القضاء على داوود «قال داوود في قلبه : إني سأهلك يوماً بيد شاول، فلا خير لي من أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين، فيئأس شاول مني فلا يفتش عليّ». فقام داوود وعبر هو والستمائة رجل الذين معه إلى أخيش بن معوك ملك جت. وأقام داوود عند أخيش في جت هو ورجاله». (سفر صموئيل الأول، الإصحاح ٢٧).

وقام ملك الفلسطينيين أخيش بإكرام داوود رغم كل جرائم داوود السابقة ضد الفلسطينيين ورغم أنه قتل مائتي فلسطيني وجبّ مذاكيرهم وقدمها مهراً لميكال بنت شاول مسيح الرب!!

وقام ملك جت بإعطاء داوود أرض صقلع حسب طلبه.

داوود يقوم بغارات ضد الفلسطينيين ويكذب

على ملك جت ويخدعه ويفجر ويسفك الدماء :

وتبلغ التفاهة بمؤلفي سفر صموئيل من التوراة المحرّفة أن يزعموا أن داوود قام بحرب إبادة للقرى الفلسطينية القريبة منه، ثم ذهب إلى ملك جت وكذب عليه وأخبره أنه إنما غزا أراضي بني إسرائيل وقتلهم انتقاماً من ملكهم شاول. وصدّق أخيش ملك جت أكاذيب داوود حسب زعمهم، وقال: ها هو ذا داوود قد صار مكروهاً لدى شعبه فيكون لي عبداً إلى الأبد.

والصورة التي تعرضها التوراة عن داوود قذرة حقيرة حقاً. وها هو ملك الفلسطينيين يكرم داوود رغم كل أفعاله السابقة بهم، ويعطيه أرضاً ليسكن فيها هو وجنوده. فيجازيه داوود بالإغارة على القرى وقتل جميع سكانها من الفلسطينيين. «وضرب داوود الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة، وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً

وثياباً». (سفر صموئيل الأول: ٢٧). وذهب إلى أخيش وكذب عليه. وانطلت الكذبة والخدعة الساذجة على ملك الفلسطينيين. وزعم داوود أنه أغار على أرض يهوذا وقتل من بني إسرائيل مقتلة عظيمة، فسرّ بذلك ملك جت.

ويكرر سفر صموئيل الأول أن داوود استمر في خداعه لملك جت «وهكذا عادته كل أيام إقامته في فلسطين».

ولا شك أن كل ذلك أساطير من أساطير اليهود وأن داوود عليه السلام بريء من هذه التهم الباطلة الحقيرة.

ولكن اليهود لم يكتفوا بأن يكوّنوا مثلاً للفساد والوقيعه والجبن والخداع والخسة والحقارة وبشاعة الانتقام عند القدرة، وقتل الأطفال والرضع والنساء، ولكنهم لوثوا صور الأنبياء عليهم السلام وجعلوهم جميعاً مثلاً للخسة والحقارة والندالة والخداع، وحب المال والتكالب عليه وعبادة الأوثان والسرقة والكذب والغش والاحتيال والنصب والقتل والزنى بجميع المحرمات وشرب الخمر والمتاجرة بالأعراض.

وهي هي صفات يهود عليهم لعائن الله أبد الأبد الذين ألصقوها بالأنبياء كذباً وبهتاناً. وها هي توراتهم المحرّفة التي يتعبد بها اليهود والنصارى مليئة بهذه القاذورات والأكاذيب والافتراءات على خير خلق الله وصفوته وهم الأنبياء عليهم السلام.

داوود يتظاهر بأنه سيقا تل اليهود مع الملك أخيش :

وأعد الملك أخيش حملة ضخمة لقتال بني إسرائيل وعلى رأسهم شاول، وجاء داوود ودخل في ساقة الجيش معهم، فقام رؤساء الفلسطينيين واعترضوا على وجود داوود في الجيش لأنهم عرفوا مما سلف من الأوصاف أنه سينقلب ضدهم عندما تشتد المعركة ويحمي وطيسها. أما الملك فقال: إني أرى داوود مخلصاً وفيّاً. ولكن رجال الملك جت حذروه وقالوا له: ليرجع داوود إلى مكانه ولا ينزل معنا إلى الحرب، لأننا لا نأمنه. ودعا أخيش داوود وقال له: «حي هو الرب إنك مستقيم، وخروجك ودخولك معي في الجيش صالح في عيني لأنني لم أجد فيك شراً من يوم جئت إليّ إلى اليوم،

وأما في أعين الأقطاب فلست بصالح . فالآن ارجع واذهب بسلام ولا تفعل سوءاً في أعين أقطاب الفلسطينيين . فقال داوود لأخيش : فماذا عملت؟ وماذا وجدت في عبدك من يوم صرت أمامك إلى اليوم ، حتى لا آتي وأحارب أعداء سيدي الملك؟! فأجاب أخيش وقال لداوود: علمت أنك صالح في عيني كملاك الله إلا أن رؤساء الفلسطينيين قالوا: لا يصعد معنا إلى الحرب». (سفر صموئيل الأول ٢٩: ٦ - ٩).

وهكذا كان داوود يخادع ملك الفلسطينيين ، وكان ينوي أن يذهب معه إلى المعركة ويضربه من خلفه إنقاداً لقومه بني إسرائيل . ولولا أن أقطاب الفلسطينيين أصروا على إبعاد داوود لتمت حيلته وخداعه ، ولمكر بهم مكرأ خبيثاً - حسب زعم التوراة المحرّفة - ورجع داوود ورجاله إلى صقلغ ، فوجد العمالقة قد غزوا صقلغ وأحرقوها بالنار وسبوا النساء اللواتي فيها . لم يقتلوا صغيراً ولا كبيراً بل ساقوهم ومضوا في طريقهم . وسبيت امرأتا داوود مع المسبيين . . . (سفر صموئيل الأول: ٣٠).

وترى الفرق شاسعاً في أخلاق الفلسطينيين والعمالقة وأخلاق بني إسرائيل وأنبيائهم كما تزعم التوراة المحرّفة . فالعمالق عندما يغزون أرضاً لا يقتلون صغيراً ولا كبيراً ، وأنبياء بني إسرائيل عندما يغزون أرضاً يقتلون الرضيع والشيخ والمرأة والرجل وجميع البهائم . . وترى الكرم وحسن الخلق والشجاعة في فعال الفلسطينيين ، وترى نقيضها في فعال بني إسرائيل وأنبيائهم حسب ما تزعم التوراة المحرّفة .

وقام داوود كما تزعم التوراة بملاحقة العمالق واستخلص منهم جميع الأسرى بما فيهم زوجته ، وقتل جميع العمالق رجالاً ونساءً ، شيوخاً وأطفالاً سوى أربعمئة شاب فروا من وجهه .

وينتهي سفر صموئيل الأول بهزيمة شاول أمام الفلسطينيين هزيمة منكرة وانتحاره حتى لا يقع في الأسر .

ويبدأ سفر صموئيل الثاني مباشرة بخبر مختلف تمام الاختلاف عن نهاية شاول حيث يزعم أن شاول لم ينتحر وإنما قتله رجل عماليقي حسب طلب شاول .

داوود يتظاهر بالبكاء والمناحة على شاول :

ولما سمع داوود أن شاول قد مات ، وأخبره العماليقي بأنه قتل شاول بناء على طلبه ، قال داوود: كيف لم تخف أن تمديدك لتهلك مسيح الرب . ثم دعا أحد غلمانه وأمره بقتل العماليقي الذي جاء يبشر داوود بقتل عدوه .

وقام داوود ورثى شاول ويوناثان ، وقال أن يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس . هو ذلك مكتوب في سفر ياشر – وسفر ياشر من الأسفار الضائعة التي لا وجود لها في أسفار العهد القديم – وأمسك داوود ثيابه ومزّقها وكذا فعل جميع الرجال الذين معه . وندبوا وبكوا وصاموا إلى المساء على شاول وعلى يوناثان ابنه وعلى شعب الرب وعلى بيت إسرائيل لأنهم سقطوا بالسيف . (سفر صموئيل الثاني الإصحاح الأول) .

داوود يصعد إلى يهوذا حيث يمسخ ملكاً :

وصعد داوود إلى يهوذا – منطقة في فلسطين سكنها سبط يهوذا – بعد مشاورة بينه وبين الرب إله إسرائيل . وأتى رجال يهوذا إلى حبرون – الخليل – حيث سكن داوود ، ومسحوه ملكاً على بيت يهوذا .

إيشبوشث بن شاول يُعين ملكاً على إسرائيل :

وقام رئيس الجيش اليهودي ابنير بن نير بتعيين أشبوشث بن شاول ملكاً على إسرائيل . . وهكذا انقسمت مملكة إسرائيل إلى مملكتين إحداهما في الشمال هي إسرائيل وعليها أشبوشث والأخرى في الجنوب وهي يهوذا وملك أشبوشث سنتين . وملك داوود في حبرون سبع سنوات وستة أشهر ثم قام بتوحيد المملكة وتوسيع رقعتها .

الحرب بين بيت شاول وداوود :

وتصارع رجال داوود ورجال أشبوشث – اثنا عشر من كل فريق – وقتل كل واحد صاحبه ولم ينج منهم أحد . فدعي ذلك الموضع هصوريم .

ووقعت مقتلة بعد ذلك بين رجال أشبوشث ورجال داوود . وفر أبنير قائد جيش أشبوشث وعبر الأردن إلى محنايم .

وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داوود . وكان داوود يذهب ويتقوى
وبيت شاول يذهب ويضعف (سفر صموئيل الثاني ٣ : ١ - ٢) .

وولد لداوود في حبرون ستة من البنين وبكره أمنون .

أبنير قائد الجيش يتحالف مع داوود ويترك أشبوشث :

لقد كان أبنير مخلصاً وفياً لشاول وابنه من بعده . وقام أبنير بأخذ سرية شاول
رصفة بعد موت شاول وجعلها إحدى سراريه . وقام أشبوشث ذات يوم ووبخ أبنير قائلاً
له : لماذا دخلت على سرية أبي ؟ فغضب أبنير غضباً شديداً . وأرسل من فوره إلى
داوود يعاهده ؛ فأجابه داوود لذلك ، ولكنه اشترط عليه أن يأتيه أولاً بزوجه السابقة
ميكال بنت شاول التي زوجها أبوها لداوود بمائة غلفة من الفلسطينيين ، والتي غضبت
من داوود عندما تزوج أبيجايل وأخينوعم وذهبت لوالدها شاول ، والذي بدوره زوجها
لفلطيئيل بن لايش .

وقام أشبوشث حسب نصائح أبنير بأخذ ميكال من زوجها فلطيئيل وأرسلها إلى
داوود بينما كان زوجها يمشي وراءها ويبكي .

وجاء أبنير إلى داوود ، فقبله داوود وأرسله . ولما علم قائد جيش داوود بمجيء
أبنير ذهب وراءه دون علم داوود ، ولما وصل إليه أخذ يحادثه حتى اطمأن إليه ؛ فقام
واغتاله بدم أخيه عسائيل الذي قتله أبنير .

فلما علم داوود بالخبر ناح كعادته على أبنير ومشى في جنازته ورثى أبنير بمرثاة
عظيمة .

واستطاع داوود بهذه الحيل حسبما تزعم التوراة المحرّفة أن يكتسب قلوب رجال
بني إسرائيل وخاصة رجال شاول وابنه أشبوشث . وارتعب أشبوشث لموت أبنير . وقام
بعض الرعاة باغتيال أشبوشث عندما كان نائماً في الظهيرة واحتزا رأسه وأتيا بالرأس إلى
داوود .

وقام داوود بنفس المسرحية التي قام بها عندما قتل من بشره بقتل عدوه شاول .
وقتل داوود قاتلي أشبوشث وتظاهر داوود بالحزن على أشبوشث كما تظاهر من قبل
بالحزن على قتل أبيه شاول — هكذا تزعم التوراة المحرّفة — .

داوود ملكاً على إسرائيل ويهوذا :

استطاع داوود بهذه الحيل والألاعيب كما تزعم التوراة المحرّفة أن يكسب قلوب بني إسرائيل. فلما مات أشبوشث ولم يبق من بني شاول أحد، اجتمع بنو إسرائيل على تنصيب داوود ملكاً.

وبهذا اجتمعت كلمة بني إسرائيل بجميع أسباطهم على مسح داوود ملكاً. كان داوود ابن ثلاثين سنة حين ملك. وملك أربعين سنة: في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا.

داوود يجازي الفلسطينيين على حسن صنيعهم شر الجزاء :

وسأل داوود الرب: أأصعد إلى الفلسطينيين؟ أتدفعهم ليدي؟ فقال الرب لداوود: اصعد، لأنني دفعاً أدفع الفلسطينيين ليدك. فجاء داوود إلى بعل فراصيم، وضربهم داوود هناك وقال: قد اقتحم الرب أعدائي أمامي كاقترحام المياه. لذلك دعي اسم ذلك الموضع بعل فراصيم (سفر صموئيل الثاني ٥)، ثم قام بضرب الفلسطينيين في وادي الرفائيين بعد أن اختبأ مع الرب وراء الأشجار، فلما قام الرب بضرب الفلسطينيين من وراء الأشجار تبعه داوود وجنوده فقتلهم قتلاً ذريعاً. (سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ٥).

وهكذا تصور التوراة المحرّفة الرب بصورة رجل فظ يقاتل بنفسه الفلسطينيين، كما تصور داوود ناكراً للجميل مجرمًا قاتلاً سفاكاً كذاباً أفاقاً مخادعاً مخاتلاً.

داوود يرقص ويغني والرب جالس في التابوت. ويقتل الرب رجلاً لأنه ساعده :

«وجمع داوود جميع المنتخبين في إسرائيل ثلاثين ألفاً. وقام داوود وذهب هو وجميع الشعب معه من بعل يهوذا ليصعدوا من هناك تابوت الله الذي يدعى رب الجنود الجالس على الكروبيم. فأركبوا تابوت الله على عجلة جديدة، وحملوه من بيت أبيناداب. وكان عزة وأخيو ابنا أبيناداب يسوقان العجلة الجديدة. وكان أخيو يسير أمام

التابوت . وداوود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات من خشب السرو بالعيدان والرباب وبالدفوف والجنوك وبالصنوج . ولما انتهوا إلى بيدر ناخون مدَّ عُرَّة يده إلى تابوت الله وأمسكه لأن الثيران انشمصت . فحمى غضب الرب على عُرَّة ؛ وضربه الله هناك لأجل فعله فمات هناك لدى تابوت الله . فاغتاظ داوود لأن الرب اقتحم عُرَّة اقتحاماً وسمى ذلك الموضع فارص عُرَّة إلى هذا اليوم . وخاف داوود من الرب في ذلك اليوم . وقال كيف يأتي إليَّ تابوت الله . ونقل داوود تابوت الله إلى بيت عوبيد أدوم الجتي - وهو فلسطيني من جت - . وبارك الرب عوبيد أدوم وكل بيته . فلما سمع بذلك داوود أخذ تابوت الله وأصعده إلى مدينة داوود . وكان داوود يرقص بكل قوته أمام الرب . وأشرفت ميكال بنت شاول - زوجة داوود - من الكوة ورأت الملك داوود يطفر ويرقص أمام الرب فاحتقرته في قلبها . وقالت له : ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف اليوم في أعين إماءه وعبيده كما يتكشف أحد السفهاء . (سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح السادس) .

وهكذا تصوّر التوراة المحرّفة أن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - يجلس على التابوت وتجره العجلات ، وداوود وبنو إسرائيل يغنون ويرقصون أمامه ، وهو مسرور بهذه البهلوانيات والحماقات ، حتى أن داوود تكشف أثناء رقصه العنيف أمام الرب . وفي نفس الوقت نرى هذا الرب سريع الغضب أحمق ، حيث يقتل عُرَّة الذي كان يسوق عجلة الرب . مع أن عُرَّة هذا لم يفعل شيئاً سوى أنه أمسك بالتابوت كي لا يقع على الأرض عندما انشمصت الثيران التي تجره ، حتى أن داوود اغتاظ من تصرف الرب الأحمق هذا كما تزعم التوراة المحرّفة .

ويا لها من صورة وضيعة وحقيرة ترسمها التوراة المحرّفة للرب ذي العزة والجلال . ألا لعنة الله على يهود أبد الأبد . فإذا كان يهود قد بلغت بهم الوقاحة أن يصوروا الله - تبارك اسمه وتعالى جده - بصورة حقيرة وضيعة ، فما أحراهم بعد ذلك أن يصوروا الأنبياء أيضاً بصورة حقيرة وضيعة . .

وإذا كان الرب - تعالى الله عما يصف الظالمون - سريع الغضب كثير الندم ، أحمقاً ممالئاً ابنه البكر إسرائيل ، حاقداً على البشر والكون ، وإذا كان الأنبياء

مخادعين كذبة محتالين قتلة سفاكين مجرمين أوغاداً زناً لصوصاً فجرة، فما أخرى بني إسرائيل بأن يتلبسوا بهذه الصفات الحقيرة.

وكيف يا ترى تعيش البشرية في سلام وبين برانيها يهود يأمرهم دينهم بكل نقيصه، وتتحدث إليهم توراتهم وتلمودهم بأن عليهم أن يقتلوا ويسرقوا ويكذبوا ويفجروا ويخدعوا البشر، لأن البشر لم يخلقوا إلا من أجل خدمتهم وراحتهم. فلا نجاة للبشرية إذن إلا بما ورد في الأحاديث الصحيحة (البخاري ومسلم) من أن اليهود يقاتلون المسلمين في آخر الزمان، فيقتلهم المسلمون حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله.

لا نجاة للبشرية إلا عندما يأتي ذلك اليوم وتخلص البشرية من شرهم وشر مسيحهم الدجال الذي يعيث في الأرض فساداً، والذي يقتله عيسى بن مريم عليه السلام في باب لد - بالقرب من مطار تل أبيب الحالي - كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

التوراة المحرّفة تزعم أن الرب عقد حلفاً أبدياً مع داوود وإسرائيل في مقابل أن يصنعوا له بيتاً من الأرز:

جاء في سفر صموئيل الثاني الإصحاح السابع ما يلي:

«وكان لما سكن الملك في بيته وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه، أن الملك قال لنathan النبي: انظر إني ساكن في بيت من أرز وتابوت الله ساكن داخل الشقق، فقال Nathan للملك: افعل كل ما بقلبك لأن الرب معك... وقال الرب: أأنت تبني لي بيتاً لسكنائي؟ لأنني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم، بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن. في كل ما سرت مع جميع بني إسرائيل هل تكلمت بكلمة واحدة إلى أحد قضاة إسرائيل قائلاً لماذا لم تبنيوا لي بيتاً من الأرز؟... وأعلن الرب أنه مسرور من داوود لأنه يريد أن يبني للرب بيتاً فاخراً يسكن فيه؛ ولذا فإن الرب سيجازيه بأن يثبت مملكته إلى الأبد «هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو

يكون لي ابناً. إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم. ولكن رحمتي لا تنزع منه كما نزعته من شاول الذي أزلته من أمامك. ويأمن بيتك ومملكته إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد».

صورة بشرية حقيرة وتافهة للرب – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – ومع هذا فإن وعود الرب هذا ذهبت أدراج الرياح إذ إن كرسي داود الثابت الأبدي ومملكته الدائمة انتهت بموت ابنه سليمان.

وتستمر التوراة في هذه المحاورة التافهة التي تبدو وكأنها بين رجلين عاديين مهتمين بالتحالف فيما بينهما لاقتسام المملكة.

«فدخل الملك داود وجلس أمام الرب وقال: من أنا يا سيدي الرب؟ وما هو بيتي حتى أوصلتني إلى ها هنا؟ وقل هذا أيضاً في عينيك يا سيدي الرب، فتكلمت أيضاً من جهة بيت عبدك إلى زمان طويل. وهذه عادة الإنسان يا سيدي الرب... لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك. وأية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل الذي سار الله ليفتديه لنفسه شعباً ويجعل له اسماً، ويعمل لكم العظامم والتخاويف لأرضك أمام شعبك الذي افتديته لنفسك من مصر من الشعوب وآلهتهم. وثبت لنفسك شعبك إسرائيل شعباً لنفسك إلى الأبد وأنت يا رب صرت لهم إلهاً. والآن أيها الرب الإله أقم إلى الأبد الكلام الذي تكلمت به عن عبدك وعن بيته وافعل كما نطق، ولتعظم اسمك إلى الأبد فيقال رب الجنود إله على إسرائيل. وليكن بيت عبدك داود ثابتاً أمامك».

وانتهت المقايضة بأن يبني داود للرب بيتاً فاخراً ليسكن فيه ويبني الرب بيتاً لداود يحكم به بني إسرائيل إلى الأبد، ويحكم بنو إسرائيل البشرية بأجمعها بواسطة بيته إلى أبد الأبد!!!.

داود يقوم مرة أخرى بضرب الفلسطينيين والموآبيين الذين أحسنوا إليه :
«وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذلهم، وأخذ داود زمام القصبه من يد

الفلسطينيين وضرب الموابيين وقاسهم بالحبل . أضجعهم على الأرض فقاس بحبلين للقتل وبحبل للاستحياء . وصار الموابيون عبيداً لداوود . (سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح الثامن) .

ثم قام داوود بضرب ملك صوبة الذي يدعى هود وملك دمشق . وصار الأراميون عبيداً لداوود . وأخذ داوود أتراس الذهب التي كانت مع هود وأتى بها إلى أورشليم ، وأخذ النحاس من مدن هود .

ونخاف ملك حماة من بطش داوود فأرسل له الهدايا من الذهب والفضة . واستمرت مذابح داوود فجعل كل الأدوميين عبيداً له وكذلك فعل ببني عمّون . وقُدّس داوود جميع الذهب والفضة التي أخذها من هذه الشعوب من آرام وموآب وبني عمّون والفلسطينيين والعماليق . ونصب داوود تذكراً عند رجوعه من ضربه ثمانية عشر ألفاً من آرام في وادي الملح – ما أكثر النصب التذكارية في التوراة المحرّفة – (سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح ٨) .

داوود يزني بحليلة جاره وقائد جنده أوريا الحثي – حسب زعمهم – :

وتأتي الطامة حينما تصف التوراة المحرّفة كذباً وبهتاناً وزوراً أن داوود عليه السلام اعتدى على حليلة جاره وأحد قواده أوريا الحثي وزنى بها عنوة . وهي صورة في منتهى الحقارة والسفالة . ثم لم يكتف داوود بذلك بل أرسل إلى أوريا الحثي زوج المرأة أن يأتي من ميدان المعركة حتى يغطي على حملها سفاحاً منه . ولما رفض أوريا أن يذهب لزوجته ، لأن جنده مشغولون بالجهاد فكيف يمتّع نفسه بامرأته والجيش في وسط المعركة !! فما كان من داوود إلا أن أرسل معه رسالة إلى القائد العام للجيش تطلب منا أن يدفع بأوريا مع كوكبة من الجند إلى وسط العدو ثم ينسحب الجند فجأة ويتركوه لسيوف الأعداء ، وبذلك تخلص داوود من أوريا الحثي ، وأخذ امرأته محظية من محظياته العديديات وولدت له ابنه سليمان .

وإليك القصة البشعة المرعبة كما ترونها التوراة المحرّفة (سفر صموئيل الثاني ،

الإصحاح ١١): «وكان في وقت المساء أن داوود قام يتمشى على سطح بيته فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة جداً؛ فأرسل داوود وسأل من المرأة؟ فقال واحد: أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي. فأرسل داوود وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها – يا لقدارة يهودا! ما فائدة كونها طاهرة من الطمث وهي تزني؟! إنها عقلية يهود المنكوسة الفريسية التي لعنها عيسى عليه السلام. حيث يهتمون بالقشور ويتركون الأصول. . . ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داوود وقالت: إني حبلت. فأرسل داوود إلى يوباب – قائد الجيش – يقول: أرسل إليّ أوريا الحثي. فأرسل يوباب أوريا إلى داوود. فأتى أوريا إلى داوود. وسأله داوود عن سلامة يوباب – قائد الجيش – وسلامة الشعب ونجاح الحرب – كلها خداع – وقال داوود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجلك. فخرج أوريا من بيت الملك. ونام أوريا على باب بيت الملك ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داوود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داوود لأوريا: أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا لداوود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوباب – قائد الجيش – وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لأكل وأشرب واضطجع مع امرأتي!! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر – ما أنبل هذا الرجل من بني حث!! وما أعظم الشقة والفرق بينه وبين داوود الذي تصوره التوراة حقيراً مخادعاً زانياً كاذباً فاجراً ماکراً قاتلاً مجرملاً خبيثاً!! والسبب أن أوريا ليس من بني إسرائيل ولو كان من بني إسرائيل لكانت صورته حقيرة مثلهم – فقال داوود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضاً وغداً. فأقام أوريا في اورشليم ذلك اليوم وغده. ودعاه داوود فأكل أمامه وشرب وأسكراه – داوود –.

وفي الصباح كتب داوود مكتوباً إلى يوباب – رئيس الجيش – وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول: «اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت». وبهذه المكيدة الحقيرة سقط أوريا شهيداً في ميدان الوغى مقبلاً غير مدبر. وسرّ داوود بذلك عندما أخبره يوباب بمقتل أوريا وبعض العبيد معه.

ولما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات رجلها نذبت بعلمها. ولما مضت المناحة أرسل داوود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً. (سفر صموئيل الثاني ١١: ٢٦).

وهكذا أسدل الستار على أبشع جريمة وأقذرها وأحقرها. ويا لها من جريمة بشعة حقيرة تزعم التوراة المحرّفة أن داوود عليه السلام، ارتكبها. وهو لا ريب منها بريء.

المستشرقون يهاجمون الإسلام ويتهمون الرسول صلى الله عليه وسلم بالشبقة:

إن أعجب العجب هو أن يقوم أناس يدّعون العلم ممن يسمون مستشرقين، وهم من اليهود والنصارى الذين يؤمنون بما جاء في العهد القديم من أكاذيب وأساطير، ثم يهاجمون الإسلام لأنه أباح الزواج بأربع وأباح التسري ويهاجمون رسول الإسلام محمداً صلى الله عليه وسلم لأنه تزوج بتسع نساء.

ويا له من تناقض غريب في مسلكهم حيث يؤمنون بأن ما جاء في العهد القديم من قذف وشتم لله سبحانه وتعالى، وقذف واحتقار وانتقاص للأنبياء والمرسلين، ووصمهم بكل رذيلة، يؤمنون بأن ذلك كله وحي من عند الله. وأن ما جاء في القرآن الكريم من صفات التنزيه للمولى وتشريف الأنبياء والمرسلين وتكريمهم ورفعهم إلى المستوى اللائق بهم من الطهارة والسمو وحسن الخلق والأمانة والصدق، هو من تأليف محمد بمساعدة نجار رومي لا يعرف العربية ولا يكاد يبين: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾.

وأحمق الحمق أن يقوم جهابذة الكتاب في العالم الإسلامي على مدى قرابة قرن من الزمان للرد على تخرصات وأكاذيب هؤلاء المستشرقين من اليهود والنصارى عن الإسلام دون الإشارة إلى ما هو مسجل ومكتوب في التوراة والإنجيل اللذين يتعبد بهما اليهود والنصارى.

وكيف يتهم محمد صلى الله عليه وسلم بالشبقة وداوود تهمه التوراة المحرّفة الكاذبة بالزنى بحليلة جاره وبالكذب والخداع والمكر والدس والوقيعه والقتل وسفك

الدماء!!! والتوراة المحرّفة من أولها لآخرها تتهم الأنبياء عليهم السلام بكل نقيصة، حيث تصورهم بصورة اللصوص الكذبة الخونة الفجرة المخاتلين المخادعين الزناة القتلة مدمني خمر. وذلك منذ عهد نوح الذي تصوره التوراة شارب خمر عرييد حتى يتعري، فلما رآه ابنه حام على هذه الهيئة لعنه أبوه ونسله إلى أبد الأبد، وقال ملعون كنعان - ابن حام وليس لكنعان أي دخل في القصة سوى أن الكنعانيين كانوا ساكنين في فلسطين - عبد العبيد يكون لإخوته. مبارك الرب إله سام - وسام حسب زعمهم هو جد اليهود -.

ثم تصور التوراة إبراهيم عليه السلام بأنه تزوج أخته من أبيه سارة وأنه عرضها على ملك مصر، ثم على ملك الفلسطينيين أبيمالك من أجل حفنة من المال. وبذلك صوروا إبراهيم بأنه قواد ديوث يعرض زوجته على الملوك من أجل المال. ثم يأتي إسحاق ويفعل نفس الفعل.

وأما يعقوب الذي يدعى أيضاً إسرائيل فجرائمه لا تحد ولا تعد ولا تحصى. فهو يكذب على أخيه عيسو، ويكذب على أبيه إسحاق، ويسرق بركة أخيه، ويأخذ العهد لنفسه من أبيه بدلاً من الابن البكر عيسو، ثم يسرق أموال خاله لابان، ويتزوج ابنتيه، ويسرق أموال من يسكن معهم، ثم يصارع الله حتى الفجر ولا يطلقه حتى يعطيه عهداً أبدياً له ولنسله ويجعل له أرض كنعان - فلسطين وما حولها هدية مجانية أبدية -.

ثم يقوم أبناء يعقوب بجرائم متعددة فراؤبين الابن البكر يزني بزوجة أبيه في حياة أبيه، ويهوذا سبط إسرائيل وأشجع أبنائه يزني بحليلة ابنه وهي ثمارا، ويوسف يسرق أرض المصريين ويستغل حاجتهم إلى الأكل فيجعلهم يبيعون أرضهم، ثم يبيعون أنفسهم عبيداً لفرعون.

ثم يظهر موسى عليه السلام فتصفه التوراة المحرّفة بأقذع الأوصاف وتجعله حقوداً لثيماً يبيد أهل مدين الذين أكرموه وزوجوه بتتهم، ولا يكتفي بأن يقتل قائده يوشع بن نون جميع الرجال بل يقوم بنفسه بقتل جميع الأطفال الذكور وجميع النساء.

وتجعل التوراة المحرّفة هارون صانعاً للعجل وداعياً بني إسرائيل إلى عبادته،

وتجعله ساخراً من موسى ، فيقوم هو وأخته مريم بتعريته والسخرية منه أمام بني إسرائيل!!! وكل الصفات الحقيرة المعوجة المخادعة المخاتلة تجعلها التوراة في هارون .

وأما يوشع بن نون فتى موسى ووارث أمره من بعده ، فتصفه التوراة المحرّفة بأقذع الصفات وتجعله سفاكاً مجرماً متعطشاً للدماء يبيد الأخضر واليابس ويقتل الطفل الرضيع والشيخ الفاني والمرأة والرجل ، بل إنه يبيد البهائم كذلك ، ويحرق المدن ، ويجمع الناس في الفرن ويحرقهم أحياء .

وهكذا تستمر التوراة المحرّفة في وصف الأنبياء جميعاً بالكذب والخداع والدس والوقية والاحتيال والابتزاز والجبن عند قراع الخصوم والفرار من المعارك والاختباء في الجحور كالفئران المذعورة ، فإذا جاء الرب وحارب عنهم قاموا وقتلوا النساء والأطفال وأقاموا المجازر والمذابح بما تقشعر لهوله الأبدان ، وبما تتصاغر معه جرائم حرب هولاء وجنكيز خان ، وما يدّعيه اليهود من جرائم هتلر .

وإنه لمن أحمق الحمق أن نضيّع آلاف الصفحات وجهود مئات الكتاب في محاولة تبين زيف دعاوى المستشرقين والمبشرين من اليهود والنصارى ، وزيف اتهاماتهم للإسلام ولنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم .

ويكفي للرد عليهم فضح ما هو موجود في كتابهم الأقدس وهو العهد القديم ، الذي يؤمن به اليهود والنصارى على اختلاف مللهم ونحلهم . والتلمود الذي يؤمن به اليهود ، وهو أشد خبثاً وحقارة من العهد القديم .

وللأسف نجد فريقاً آخر من الكتاب العرب وخاصة في الخمسينات والستينات الذين كتبوا عن اليهود وكتبهم ، لم يميزوا بين الزيف والكذب الموجود في كتب اليهود العهد القديم والتلمود – وبين الحقيقة الناصعة ، وهي أن الأنبياء والمرسلين الذين وصفتهم التوراة المحرّفة بأقبح الصفات هم أبرياء من كل ما ألصقه بهم يهود .

فترى هؤلاء الحمقى من الكتاب يهاجمون موسى عليه السلام لأنه قام بمذبحة ضد أهل مدين الذين أكرموه . ويهاجمون يوشع بن نون عليه السلام لأنه قام بالمذابح والمجازر في أريحا وعاي ولبنة ولخيش . . . إلخ ؛ ويهاجمون يعقوب عليه السلام لأنه

كما تصفه التوراة المحرّفة أخذ العهد من أخيه عيسو بالخداع والحيلة وسرق أموال خاله لابان. ويهاجمون الأسباط أبناء يعقوب، بما في ذلك يوسف عليه السلام لأن أوصاف التوراة المحرّفة عن هؤلاء ذميمة حقيرة.

وهكذا يستمر هؤلاء الحمقى من الكتاب في مهاجمة داوود وسليمان عليهما السلام لأن التوراة المحرّفة تصفهما بكل نقيصة.

ويدعي بعض هؤلاء الكتاب الحمقى أن إبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء ليس لهم وجود حقيقي وإنما هي أساطير اكتبها أحبار يهود وأملوها في عصور متأخرة. وهكذا ترى هؤلاء الكتاب العرب يهاجمون الأنبياء باسم القومية العربية، أو ينفون وجود هؤلاء الأنبياء. وكل ذلك من أجل مهاجمة يهود ومهاجمة إسرائيل وسياستها العنصرية.

وهو موقف ينبىء عن جهل بالإسلام وبكتاب الإسلام. وقد أدى بهم فعلاً إلى الخروج من دائرة الإسلام حيث يهاجمون أنبياء بني إسرائيل، ويعتمدون في هجومهم ذلك على ما ورد في التوراة المحرّفة، أو في التلمود. وكلاهما مكذوب على موسى عليه السلام. وكان الموقف الصحيح هو أن يوضحوا للناس زيف التوراة المحرّفة وكذبها وفجورها واتهامها الأنبياء بالردائل، بل اتهامها رب العزة بالخور والندم والحمق والغضب والطيش والحقده!!.

وعليهم أن يرثوا ساحة الأنبياء من كل ما ألصقته بهم التوراة والتلمود المحرفين الكاذبين.

الرب يغضب على داوود لفعلته الشنعاء بأوريا الحثي :

جاء في (سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح ١٢ : ٨ - ١٢) :

«هكذا قال الرب إله إسرائيل لداوود. أنا مسحك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا. وإن كان ذلك قليلاً كنتُ أزيد لك كذا وكذا. لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشرّ في عينيه؟ قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة وإياه قتلت بسيف بني عمّون. والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة. هكذا قال الرب هأنذا أقيم عليك الشرّ من بيتك وأخذ

نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس .
لأنك فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس» .

وضرب الرب الولد الذي ولدته امرأة أوريا لداوود فثقل ، ومات الولد الذي في
بطنها من زنى داوود حسب زعم التوراة المحرّفة . وعزى داوود بتشبع امرأته ودخل
إليها واضطجع معها فولدت فدعا اسمه سليمان والربُّ أحبه . (سفر صموئيل الثاني
١٢ : ١٥ - ٢٥) .

داوود يضع بني عمّون تحت المناشير ويحرقهم في الأتون :

وتتفاقم جرائم داوود حسب زعم التوراة المحرّفة (سفر صموئيل الثاني ،
الإصحاح ١٢ : ٢٦ - ٣١) : «وحارب يوّاب - قائد جيش داوود - ربّة بني عمّون وأخذ
مدينة المملكة ، وأرسل إلى داوود لكي يأتي ويدخل المدينة . فجمع داوود كل
الشعب وذهب إلى ربّة وحاربها وأخذها ، وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من
الذهب مع حجر كريم ، وكان على رأس داوود . وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً .
وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم
في أتون الأجر . وهكذا صنع بجميع مدن بني عمّون ثم رجع داوود وجميع
الشعب إلى أورشليم» .

إنها جرائم تتصاغر دونها جرائم جنكيز خان وهولاكو وهتلر وبيغن وشارون .

أمنون بن داوود البكر يزني بأخته ثمارا حسب نصيحة حكيم بني إسرائيل :

لا تكاد تنتهي من قراءة فضيحة أو جريمة في التوراة المحرّفة إلّا وتأتي بعدها
جريمة أشنع وأقذر منها . وماذا نتوقع من بيت يكون فيه سيده قاتلاً مجرماً جباناً
مخاتلاً مخادعاً زانياً بحليلة جاره قاتلاً لقائد جنده المخلص الوفي أوريا الحثي ؟

ما دام رب الدار بالطبل ضارباً فشيمة أهل الدار كلهم الرقص

وها هو ابن داوود البكر الذي يدعى أمنون يقع في غرام أخته الجميلة ثمارا .
فما كان من حكيم بني إسرائيل المسمى يوناداب بن شمعي وهو ابن أخي داوود ،

إلا أن نصيح الفتى بأن يطلب من أبيه الملك أن تأتي أخته وتمرضه وتطعمه خبزاً بيدها. وهكذا تمارض أمنون وزاره أبوه الملك، فطلب من أبيه أن يأتي له بأخته الجميلة ثمارا لكي تمرّضه وتطعمه بيدها. فأخذها إلى المخدع وزنى بها. وأخته كانت تقول له: اطلب ذلك من أبي، فإن أبي لن يمانع في إعطائك إياي، وأبي لا يمنعني منك. فلم يسمع لقولها وزنى بها، ثم أبغضها في نفس اللحظة وطردها من غرفته فحنقت عليه وأخبرت شقيقها أبشالوم.

وترد القصة بتفاصيلها القذرة في سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١٢ وتبدأ هكذا:

«وجرى بعد ذلك - أي بعد جرائم داوود المتتالية حسب زعمهم - أنه كان لأبشالوم بن داوود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داوود. وأحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء وعسر في عيني أمنون أن يفعل لها شيئاً - ولو كانت متزوجة كما كانت زوجة أوريا الحثي لفعل معها ما فعل أبوه - وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعي أخي داوود. وكان يوناداب رجلاً حكيماً جداً - ومن شدة حكمته نصيح ابن عمه أمنون أن يزني بأخته ثامار - فقال له: لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح؟ أما تخبرني؟ فقال له أمنون: إني أحب ثامار أخت أبشالوم أخي. فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض، وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دع ثامار أختي فتأتي وتطعمني خبزاً وتعمل أمامي الطعام لأرى فأكل من يدها. فاضطجع أمنون وتمارض فجاء الملك ليراه - والخداع ورائة في بني إسرائيل - فقال أمنون للملك: دع ثامار أختي فتأتي وتصنع أمامي كعكتين فأكل من يدها».

وأرسل داوود ثامار إلى أمنون وصنعت له الكعك وأبى أن يأكل إلا بعد أن يخرج كل إنسان من الغرفة. ودعاها إلى المخدع وطلب منها أن تنام معه. فقالت له: كلم أباك الملك لأنه لا يمنعني منك. - أمر غريب جداً أن تتوقع أن أباه يسمح لها بالزنى مع أخيها!! - وتمكّن منها أمنون ولم يسمع لصوتها واضطجع معها. ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جداً فجأة بعد بعد أن قضى وطره منها، وقال لها أمنون: قومي انطلقي. فقالت له: لأي سبب تطردني؟ وهذا الشر بطردك إياي هو أعظم من

الآخر الذي عملته بي . فلم يشأ أن يسمع لها ودعا غلامه وقال : اطرده عني هذه واقفل الباب وراءها . فأخرجها الخادم إلى الخارج وأقفل الباب وراءها .

فجعلت ثامار رماداً على رأسها ومزقت ثوبها الملون الذي عليها ووضعت يدها على رأسها ، وكانت تذهب صارخة ، فقال لها أبشالوم أخوها : هل كان أمنون أخوك معك؟ فالآن يا أختي اسكتي ، فأقامت ثامار عند أخيها أبشالوم . وسمع داوود بجميع هذه الأمور واغتاظ جداً ولكنه لم يكلم ابنه أمنون وتجاهل الأمر كأن لم يكن .

أبشالوم يدبر لاغتيال أخيه أمنون لأنه أذل أخته :

ودبر أبشالوم مكيدة وأقام حفلة لأمنون حتى إذا أخذت الخمر من أمنون أوعز إلى غلمانه بقتله ، وهرب أبشالوم من وجه أبيه الملك . ثم قام يوآب قائد الجيش بإرجاع أبشالوم إلى أورشليم . وأقام أبشالوم في أورشليم سنتين لم يرَ فيها وجه أبيه الملك داوود .

**أبشالوم يستلب قلوب بني إسرائيل
بالمكر ويحارب أباه ، وأبوه يمكر به :**

واستطاع أبشالوم أن يستلب قلوب بني إسرائيل كما فعل أبوه من قبل حسب زعم التوراة المحرّفة . وذهب أبشالوم إلى حبرون وأعلن نفسه ملكاً . وكانت الفتنة شديدة والشعب يتزايد مع أبشالوم . فقال داوود لجميع عبيده الذين معه في أورشليم : قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا نجاة من أبشالوم . أسرعوا للذهاب لئلا يبادرنا ويضرب المدينة بحد السيف . وهرب الملك وجميع من معه حتى جنوده من بني حث . وكانت جميع الأرض تبكي بصوت عظيم وجميع الشعب معه . وعبر الملك وادي قدرون نحو البرية فراراً من ابنه أبشالوم ، وصعد داوود جبل الزيتون باكياً .

واستعمل داوود الحيلة وأرسل جواسيس إلى ابنه أبشالوم ، وجعل حوشاي الأركي يذهب إلى أبشالوم ويتظاهر بالنصيحة له ، ثم يخدعه ويخبر أباه بجميع ما يفعل أبشالوم . وتظاهر حوشاي بالإخلاص لأبشالوم .

أبشالوم ينكح سراري أبيه :

واستشار أبشالوم أخيتوفل صاحب سره ماذا يفعل؟ فأشار عليه بأن يدخل على سراري أبيه حتى يسمع جميع بني إسرائيل بما فعلت وأنت صرت مكروهاً من أبيك فتتشدد أيدي جميع الذين معك. فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل. وكانت مشورة أخيتوفل في تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله. هكذا كانت كل مشورة أخيتوفل على داوود وعلى أبشالوم جميعاً (سفر صموئيل الثاني ١٦ : ٢٠ - ٢٣).

أخيتوفل يشير على أبشالوم بملاحقة داوود وحوشاي يبطل مشورته ويخبر داوود بذلك :

وأشار أخيتوفيل بالهجوم مباغتةً لداوود قبل أن يستريح. ولكن حوشاي استطاع أن يقنع أبشالوم بأن يجمع كل بني إسرائيل أولاً ثم يهجم على داوود. وهكذا استطاع حوشاي أن يخذل عن داوود، وأرسل جواسيسه ليخبروا داوود بما ينوي أن يفعله أبشالوم.

نهاية أبشالوم وخداع داوود حتى في حزنه حسب زعم التوراة المحرّفة :

وقامت معركة رهيبة بين أبشالوم وأبيه داوود، وقتل أبشالوم في المعركة الرهيبة. فلما قتل أبشالوم ناح عليه داوود وقام يبكي ويصرخ: يا أبشالوم يا ابني يا أبشالوم. يا ليتني مت عوضاً عنك يا أبشالوم. وخرج داوود هائماً على وجهه وهو يبكي ويصرخ من أجل ابنه. ولكنه في نفس الوقت لم ينس أن يرسل إلى صادوق وأبيثار الكاهنين قائلاً لهما: كلما شيوخ يهوذا قائلين: لماذا تكونون آخريين في إرجاع الملك إلى بيته؟! وهكذا كان داوود حسب زعم التوراة مخادعاً حتى في حزنه على ابنه أبشالوم. وتظاهر بالحزن الشديد والخروج من أورشليم وفي نفس الوقت أرسل إلى صديقيه الكاهنين أن يطلبوا من شيوخ يهوذا أن يذهبوا لإرجاع الملك.

وهكذا عاد داوود إلى عرش المملكة في أورشليم وهو متظاهر بالحزن على موت ابنه أبشالوم حسب زعم التوراة المحرّفة (سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١٩).

وفي أثناء العودة قام شبع بن بكري من بني بنيامين فضرب بالبوق وقال لبني إسرائيل: ليس لنا قسم في داوود. كل رجل إلى خيمته يا إسرائيل. فصعد كل رجال إسرائيل وراء شبع بن بكري البنياميني وتركوا داوود ولم يبق معه إلا سبط يهوذا عشيرته.

واستاء داوود وقام بالمكر والخديعة فأمر قائد جنده بأن يتظاهر بأنه منضم لشبع بن بكري فإذا تمكن منه اغتاله.

ووجد يوآب (قائد جيش داوود) عماسا - أحد رجال شبع بن بكري - فتظاهر بأنه سيقبله وأمسك بلحيته وضربه بالسيف الذي كان تحت ثيابه في بطنه.

وجمع يوآب من استطاع من رجال إسرائيل وتوجه خلف شبع بن بكري الذي تحصن في مدينة آبل بيت معكة وحاصره أياماً. فقامت امرأة ونادت يوآب من أحد الحصون وقالت له: لماذا تريد أن تميت من في المدينة جميعاً؟ فأجاب يوآب: سلمونا رأس شبع ونحن ننصرف عنكم. فقامت المرأة مع رجال من قومها فاحتزوا رأس شبع بن بكري ورموه من فوق السور ليوآب فأخذه يوآب وانصرف. وبذلك تمت السيطرة لداوود مرة أخرى وعادت له مملكته.

داوود يتخلى عن وعده بحماية من بقي من أولاد شاول ويسلمهم للجبعونيين ليقتلوهم:

وحدث جوع أيام داوود ثلاث سنين، فطلب داوود الرب، فأخبره الرب أنه ضربهم بالجوع لأن شاول قتل الجبعونيين وهم من بقايا الأموريين. - وهذا أمر غريب جداً لأن الرب كان راضياً عن شاول عندما قام بقتل الأموريين والحيثيين والموابيين... إلخ. ودائماً كما تزعم أسفار العهد القديم نجد الرب مسروراً جداً بقتل هذه الشعوب. فما الذي جعله يغضب فجأة لقتل الجبعونيين؟ - وذهب داوود للجبعونيين وقال: مهما قلتم أفعله لكم. فقالوا لداوود: الرجل الذي أفنانا فلنعط سبعة رجال من بنيهم فنصلبهم للرب. فقام داوود بتسليم الجبعونيين سبعة من أحفاد شاول، فصلبهم على الجبل أمام الرب. وأنداك سُرَّ الرب وأنزل الغيث. (سفر صموئيل

الثاني : ٢١). وهكذا غدر داوود بأحفاد شاول الذين لا ذنب لهم مع أنه حلف مراراً وتكراراً بأن يرعى بيت شاول ويكرم بنيہ.

نشيد داوود للرب :

بعد أن قام الرب بضرب جميع أعداء داوود أنشد داوود يغني للرب . وفي النشيد كلمات جميلة وأخرى تافهة حقيرة . وكلها تدور على أن الرب هو سيف داوود وحصنه وترسه والمقاتل عنه . وإليك مقطعاً منه : «الرب صخرتي وحصني ومنقذي . إله صخرتي ، به أحتمي وقرن خلاصي . . ملجئي ومناصي . . في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت فسمع من هيكله صوتي وصراخي دخل أذنيه . فارتجت الأرض وارتعشت . . لأنه غضب ، صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت . جمرأ اشتعلت منه . . . انكشفت أسس المسكونة من زجر الرب من نسمة ريح أنفه . . . مع الرحيم تكون رحيماً . مع الطاهر تكون طاهراً . ومع الأعوج تكون ملتوياً . . . تعطيني أعدائي فأهلكهم وأفنيهم وأسحقهم ، فلا يقومون بل يسقطون تحت رجلي . . . تصرع القائمين عليّ تحتي . وتعطيني أقفية أعدائي ومبغضي فأفنيهم . . . يتطلعون فليس مخلص . . . إلا الرب فلا يستجيب لهم . . . فأسحقهم كغبار الأرض . . . مثل طين الأسواق أدوسهم . . . وتنقذني من مخاصمات شعبي وتحفظني رأساً للأمم . . . الإله المنتقم لي والمخضع شعوباً تحتي . . . أنت برج خلاص لمليكه — داوود — والصانع رحمة لمسيحه ، لداوود ونسله إلى الأبد» . (سفر صموئيل الثاني : ٢٢).

غضب الرب الفجائي على بني إسرائيل :

ويدون مقدمات ولا أسباب يخبرنا سفر صموئيل الثاني (الإصحاح ٢٤) ، أن الرب حمى غضبه فجأة على إسرائيل . . . وقال الرب لداوود أحص إسرائيل ويهوذا . وإحصاء اليهود أمر مستنكر لديهم لأن الإحصاء يتبعه دائماً هلاك وعذاب . فأحصاهم داوود ووجد عدد المقاتلين من إسرائيل — جميع الأسباط ما عدا يهوذا ولاوي — ثمان مئة ألف رجل ذي بأس مستل السيف . . ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل — أما سبط لاوي فهم لا يقاتلون لأن منهم الأحبار والكهنة والأنبياء — وهذا العدد كالمعتاد مبالغ فيه جداً.

وحزن داوود بعد أن أحصى الشعب وتضرع للرب. ولكن الرب كلم النبي جاد رائي داوود - وكان لكل ملك أو حاكم من بني إسرائيل نبياً خاصاً له. . . والتوراة تتحدث عن داوود على أنه ملك وليس نبياً - وقال له: كلم داوود وخيِّره بين واحدة من ثلاث:

- (١) جوع في الأرض لمدة سبع سنين؛ أو:
- (٢) تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يهزمونك؛ أو:
- (٣) ثلاثة أيام وباء.

فاختار داوود الوباء فمات من الشعب سبعون ألف رجل. وبسط الملك يده على أورشليم ليهلكها، فندم الرب عن الشر. - دائماً يندم الرب على الشر الذي يفعله بابنه البكر إسرائيل كما تزعم أسفار العهد القديم. . . ألا لعنة الله على يهود. . . وقال الرب للملاك كفى الآن رديك عن الشعب. وقام داوود وقدم اللحم المشوي والمحرقات للرب لأن الرب اشتاق جداً لرائحة اللحم المشوي كما تزعم التوراة المحرّفة. (سفر صموئيل الثاني ٢٤).

شيخوخة داوود ووصاياه الإجرامية الحاقدة حسب زعم التوراة:

«وشاخ الملك داوود. تقدم في الأيام. وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ. فقال له عبيده: ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء، فلتقف أمام الملك، ولتكن له حاضنة، ولتضطجع في حضنك، فيدفأ سيدنا الملك. ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل فوجدوا أيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك. وكانت الفتاة جميلة جداً فكانت حاضنة الملك. وكانت تخدمه، ولكن الملك لم يعرفها» (سفر الملوك الأول ١: ٢-١).

وبدأت المعارك بين أبناء داوود لخلافته. وقام أدونيا بتعيين نفسه خليفة. وتحركت أم سليمان مع ناثان وصادوق الكاهن، وتحدثت إلى داوود حتى قام داوود وطلب من الكاهن صادوق والنبي ناثان أن يقوموا ويمسحوا سليمان ملكاً على إسرائيل.

وتمت بذلك خلافة سليمان لداوود دون إراقة دماء. وأوصى داوود سليمان

بمجموعة من الوصايا، وأن يقوم بقتل مجموعة ممن عفا عنهم داوود في السابق ولكن قلبه المليء بالحقد كما تزعم التوراة لم يسمح له أن يموت قبل أن يفنيهم!! والغريب حقاً أنه أوصاه بقتل يوآب قائد جيشه، والذي حقق له كل انتصاراته على أعدائه!! والذي أجلسه على العرش وقال له: لا تدع شيبته تنحدر بسلام إلى الهاوية بل اقتله!! وشمعي البنياميني الذي عفوت عنه.. الآن لا تبرره وأحدر شيبته بالدم إلى الهاوية.

داوود عليه السلام في القرآن الكريم:

تختلف قصة داوود في القرآن الكريم اختلافاً شاسعاً عن قصته في التوراة المحرّفة.. فبينما تقص علينا أسفار العهد القديم – صموئيل الأول والثاني وبداية سفر الملوك الأول – قصة داوود في صورة رجل يبحث عن الملك، ذي حيلة واسعة ومكر وخداع، جبان رعديد عند الشدائد والمصاعب، جبار سفاك عندما يملك، يبىد للمدن والقرى ويهلك الحرث والنسل ويحرق النساء والأطفال في الأتون وينشر الرجال بالمناشير، يفسق ويكذب ويفجر ويسرق ويزني بحليلة جاره أوريا الحثي.. ولا يترك موبقة من الموبقات ولا كبيرة من الكبائر إلا يأتيها.

بينما نرى هذه الصورة الفظة الغليظة الحقيرة لداوود حتى في ابتهالاته في التوراة المحرّفة، يعرض القرآن الكريم صورة وضيئة كلها نور لداوود عليه السلام الذي تسبح معه الجبال والطير:

(١) وأول ذكر يرد في القرآن الكريم عن داوود يأتي في قصة طالوت – شاول – حينما برزت القلة القليلة المؤمنة تحارب الكثرة الكاثرة الكافرة.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ - أي نهر الأردن - هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾

لا كما تزعم التوراة المحرّفة - سفر صموئيل الأول - أن طالوت - شاول - وبني إسرائيل معه دخلوا الجحور خوفاً من جالوت وأنهم ارتعدوا ارتعاداً عظيماً ورفضوا مبارزة جالوت وهو يتحداهم أربعين يوماً صباح مساء حتى جاء الغلام الراعي داود وضربه بمقلّعه فقتله .

ويبدو من السياق القرآني أن المعركة قامت فعلاً بين القلة المؤمنة والكثرة الكافرة، وثبت الله المؤمنين فانتصروا على الكافرين . وقتل داود جالوت في المعركة . قال تعالى بعد أن ذكر ذلك الدعاء الخاشع من القلة المؤمنة :

﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ (البقرة: ٢٥١) .

وهكذا برز داود الفتى على المسرح دون ذكر أي تفاصيل . . ويخبرنا المفسرون أن طالوت - شاول - الملك سُرب داود جداً وزوّجه ابنته فلما مات طالوت تولى الملك بعده داود . ولم تقم معارك بين داود وطالوت وحاشا أن تقوم ، فطالوت قد آتاه الله بسطة في العلم والجسم واختاره الله بنفسه ليكون ملكاً على بني إسرائيل . وداود قد جمع الله له الملك والحكمة وهي النبوة وعلمه مما يشاء .

وحاشا أن يقوم بين هذين الشخصين الكريمين صراع مرير حاقد من أجل الكرسي . وكل ما ورد في التوراة المحرّفة - سفر صموئيل الأول - من قصة الصراع المرير الحاقد بين داود وشاول - طالوت - ليس له أصل ، وهو موضوع من موضوعات بني إسرائيل وتحريفاتهم الكثيرة التي سودت صحائف الأنبياء وجعلتها في أقدر صورة حقيرة يتصورها إنسان .

(٢) ويأتي ثاني ذكر لداود في القرآن في سورة النساء في معرض الامتنان على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي كما أوحى إلى الأنبياء قبله ومنهم داود عليه السلام الذي آتاه الله الزبور .

(٤) ويأتي رابع ذكر لداود عليه السلام في القرآن الكريم في معرض الامتنان على إبراهيم عليه السلام وكيف آتاه الله الحجة والنبوة وجعل من نسله الأنبياء .

قال تعالى :

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ .

ولا يفيد الترتيب ها هنا الترتيب الزمني فداود وسليمان بعد يوسف وموسى وهارون عليهم السلام .

والآية الكريمة تربط الأنبياء جميعاً بوحدة الدين كما تربطهم بإبراهيم أبي الأنبياء بأصرة النسب عدا من سبق إبراهيم عليه السلام من الأنبياء .

(٥) ويأتي الذكر الخامس لداود في القرآن الكريم في سورة الإسراء حيث يذكر المولى سبحانه وتعالى تفضيله بعض الأنبياء على بعض ، ومنهم داود عليه السلام الذي آتاه الله الزبور .

قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (الإسراء : ٥٥) .

(٦) أما الذكر السادس فيشمل داود وسليمان ابنه حيث نراهما يحكما في قضية الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم ، فالهم الله سليمان الحكم الصواب . وسُرُّ بذلك داود حيث رأى حكمة ابنه تفوق حكمته . وكلاهما قد آتاه الله الحكمة والعلم . وسُخر مع داود الجبال يسبحن والطير ، وعلمه صنعة الزرود بطريقة فنية جديدة بحيث تكون سابعة غير ثقيلة على الجسم . قال تعالى :

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ

يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّ فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ . (الأنبياء: ٧٨ - ٨٠).

وفي هذه القصة التي قصها الله علينا نرى حكمة سليمان تفوق حكمة أبيه داود في القضاء وليس ذلك بقادح في داود عليه السلام .

روى أهل التفسير عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين: أن الغنم نفشت ليلاً في حقل كرم قد أينعت عناقيده، فجاء صاحب الحقل والغنم إلى داود ليحكم بينهما، فحكم داود عليه السلام بأن يأخذ صاحب الحقل غنم الرجل تعويضاً له . فلما علم سليمان بالحكم قال: ليس هو كذلك . فقضى بأن يدفع الغنم لصاحب الحرث، فيكون له أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها، ويدفع الأرض لصاحب الغنم فيقوم على إصلاحها حتى تعود كما كانت فإذا بلغ الحرث ما كان عليه أخذه صاحب الحرث ورد الغنم لصاحبها .

وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أصحاب المزارع أن يحفظوها نهاراً فإذا اعتدت السائمة عليها فهي هدر . وأن على أصحاب المواشي أن يحفظوا مواشيهم ليلاً فإذا انطلقت واعتدت على الحرث والزرع فهم ضامنون . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطاً - بستاناً - فأفسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل الحوائط - البساتين - حفظها بالنهار، وما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها . وخطأ الحاكم في القضية لا يفسد أجره وثوابه إن اجتهد في الأمر . قال صلى الله عليه وسلم: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» . (أخرجه البخاري عن عمرو بن العاص) .

ثم ذكر المولى سبحانه وتعالى أن الله قد وهب كلاً من داود وسليمان علماً وحكماً . وسخر مع داود الجبال والطير تسبح بتسبيحه . وكان داود عليه السلام ذا صوت رخيم جميل ، فإذا تغنى في هدأة الصبح أو عند المغيب؛ توقفت الطير عن طيرانها وترنمت معه، وأوبت الجبال بصوته وهو يترنم بالزبور الذي آتاه الله إياه .

ولم يؤت أحد من البشر من حسن الصوت وجماله ورقته وعذوبته ما أوتي داوود .
حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع أبا موسى الأشعري وهو يتلو القرآن
— وكان صوته جميلاً حسناً — قال : «لقد أوتي مزامراً من مزامير آل داوود» . وقال
أبو موسى لما علم بذلك : «يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لحبّرتك لك تحبيراً» .

وقد ورد أن داوود عليه السلام يغني لأهل الجنة بصوته العذب ويقرأ من مزاميره
بحمد الرب ، فيكون ذلك من نعيم الجنة الذي يتنعم بها المؤمنون .

وقد أفاض الله على داوود من نعمه ، وما أجمل أن تتجاوب الكائنات مع هذا
النبي الكريم في تسبيحاته وقراءته .

وأعطاه فوق ذلك علم صناعة الدروع السابغة ﴿وعلمناه صناعة لبوس لكم
لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ ، وكانت الدروع قبل داوود صفائح . وداوود
عليه السلام كان أول من سردها حلقاتاً حلقاتاً بعضها آخذ برقاب بعض . فيلبسها
المحارب فتكون خفيفة سابغة وفي نفس الوقت تحميه من النصال والسهام والرماح .
فهي من نعم الله التي أنعم بها على البشر بواسطة داوود الذي ألان الله له الحديد :
﴿والنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد﴾ .

فيا له من نبي كريم أوتي الحكمة وفصل الخطاب مع صوت شجي يوقف الطير
في كبد السماء ، وشجاعة وبسالة نادرة ، وكرم خلق ومهارة في صناعة الدروع وجمال
صوت وصورة .

والغريب أن التوراة المحرّفة لم تذكر شيئاً من هذه الصفات الرائعة الجميلة ، ولم
تحدثنا عن حكمة داوود ، ولا عن صوته الجميل ولا عن مهارته في صنع الدروع . بل
حدثتنا فقط عن ما زعمته من خداع وغش وكذب وجور وقتل وسفك دماء بدون وجه
حق ، وإفساد الحرث والنسل وقتل النساء والأطفال وحرقتهم في الأتون ونشر الرجال
بالمناشير ، ومهره الغريب لزوجته وهي ميكال التي قدم لها مائتي غلفة — مائتي
قضيبي — من الفلسطينيين . وزناه بحليلة جاره أوريا الحثي . . . إلخ . وشتان ما بين
الصورتين . صورة وضيئة كريمة لداوود في القرآن الكريم وصورة وضيعة حقيرة له في

أسفار العهد القديم . ومع هذا يزعم يهود أنهم يتولون داوود ويضعون نجمته السداسية علامة عليهم . وداوود منهم براء .

وتتكرر في القرآن الكريم صفات داوود النبيلة في سورة النمل ، قال تعالى :
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٥) .
(النمل : ١٥) .

وفي سورة سبأ . قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يٰجِبَالُ اَوْبِيْ مَعَهُ وَالطَّيْرُ اٰنَّا لَهُ الْحَدِيدُ ﴾ (١٠) اِنْ اَعْمَلَ سَبِيْغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاَعْمَلُوا صٰلِحًا اِنِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴾ (سبأ : ١٠ - ١١) .

(٧) ويأتي آخر ذكر لداوود عليه السلام في القرآن الكريم في سورة ص، حيث يقص علينا المولى قصة جديدة عن داوود عليه السلام .

قال تعالى :

﴿ اَصْبِرْ عَلٰٓى مَا يَقُوْلُوْنَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْاَيْدِ اِنَّهٗ ؕ اَوَابٌ ﴾ (١٧) اِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْاِشْرَاقِ ﴾ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُوْرَةً كُلُّ لَهٗ اَوَابٌ ﴾ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَاٰتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ (٢٠) وَهَلْ اَتٰكَ نَبُوْا الْخَصْمِ اِذْ سَوَّرُوْا الْمِحْرَابَ ﴾ (٢١) اِذْ دَخَلُوْا عَلٰٓى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوْا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغٰى بَعْضُنَا عَلٰٓى بَعْضٍ فَاَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشٰطِطْ وَاِهْدِنَا اِلٰى سَوَآءِ الصِّرَاطِ ﴾ (٢٢) اِنَّ هٰذَا اَخِيْ لَهٗ تَسَعٌ وَّتَسْعُوْنَ نَجۡةً وَّلِيْ نَجۡةً وَّاحِدَةٌ فَقَالَ اَكْفِلْنِيْهَا وَعَزَّنِيْ فِي الْخِطَابِ ﴾ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُوْاِلِ نَجۡيِكَ اِلٰى نِعَاجِهِ وَاِنْ كَثِيْرًا مِّنَ الْخُلَطَآءِ لَيَبۡغِيْ بَعْضُهُمْ عَلٰٓى بَعْضٍ اِلَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ وَقَلِيْلٌ مَّا هُمۡ وَظَنَّ دَاوُدُ اَنَّمَا فُتِنَتْهُ فَاسْتَغۡفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَاَنَابَ ﴾ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهٗ ذٰلِكَ وَاِنَّ لَهٗ عِنۡدَنَا لَازۡلَفٰى وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴾ (٢٥) يٰدَاوُدُ اِنَّا جَعَلْنٰكَ خَلِيۡفَةً فِى الْاَرْضِ فَاَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيۡدٌ يَّمَانُ سُوْا۟يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (٢٦) .

(ص : ١٧ - ٢٦)

يذكر المولى تعالى أن داوود عليه السلام كان ذا أيد، والأيد هو القوة في العلم والعمل. وقد وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة داوود وصيام داوود. كان داوود عليه السلام يقوم ثلث الليل، ويصوم يوماً ويفطر يوماً. قال صلى الله عليه وسلم: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داوود. وأحب الصيام إلى الله صيام داوود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه. وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً. ولا يفر إذا لاقى وإنه كان أواباً». (أخرجه البخاري ومسلم).

وهي صفات ربانية مشرقة على نقيض ما وصفته به التوراة المحرّفة حيث لم نسمع ولم نقرأ شيئاً عن صلاة داوود ولا صيامه، سوى أنه صام لما كانت امرأته بتشبع التي زنا بها حاملاً من زناها وأصابها طلق الإجهاض، ونزل الجنين ميتاً. وكان صيامه من أجل الجنين الذي حملت به امرأة أوريا الحثي من زناها بـداوود حسبما تزعم التوراة المحرّفة. ولم تصفه التوراة بالشجاعة بل بالجبن والخسة، يفر إذا رأى العدو قوياً، ويهجم على غرة ثم يقتل النساء والأطفال، ويضعهم في الأتون والمحارق ويتمتع بمنظرهم وهم يحترقون أحياء، كما يتمتع بمنظر الشيوخ والرجال وهم ينشرون بالمناشير.

وتستمر السورة الكريمة في عرض صفات داوود عليه السلام الجميلة وكيف أن الجبال كانت تسبح معه بالعشي والإشراق مع صوته الندي الرخي العذب الذي يمجد المولى سبحانه وتعالى فتجاوب أصدااء الكائنات بهذه الأناشيد الجميلة الرائعة، حيث يرتعش الكون تسبيحاً لخالقه. فإذا ما رفع داوود صوته الرخيم حُشرت له الطيور من السماء ينادي بعضها بعضاً: إن داوود يترنم ترنيماته المسبحة الحامدة للرب. بهذا الصوت الشجي تتجمع الطيور في كبد السماء فوق رأس داوود حتى ينتهي داوود من تسبيحاته وترنيماته.

قال تعالى:

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾.

وصلاة الضحى التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم هانئ بنت أبي طالب يوم فتح مكة هي من تسبيحات الإشراق، حيث ورد عن ابن عباس

رضي الله عنهما، أنه قال: «قد ظننت أن لهذه الساعة - أي الإشراق - صلاة. يقول الله عز وجل: ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ وما علمت صلاة الإشراق إلا الآن - أي عندما أخبرته أم هانئ بصلاة النبي وقت الإشراق عند دخوله مكة فاتحاً - . وكانت الطير تؤوب إليه إذا سمعت صوته وتطيعه فيما يقول. وذلك قوله تعالى: ﴿والطير محشورة كل له أواب﴾ وأعلن المولى سبحانه وتعالى كيف جعل لداود ملكاً شديداً مؤيداً بالحماية الربانية والهيبة النبوية والعدد والعتاد ﴿وشددنا ملكه﴾ وزاده ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ ويا له من ملك مهيب مبني على الحق والعدل والحكمة والصراحة وفصل الخطاب مع القوة والتأييد والهيبة والرغبة والشجاعة النادرة والإقدام الكامل والتواضع، وقد جمع الله له ذلك كله مع حسن الصوت وجمال الصورة وبهاء الطلعة.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۖ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۖ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ ۖ وَإِنْ كَثِيرٌ مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ۖ﴾ (ص: ٢١ - ٢٥).

أعرض ابن كثير عن التفاصيل التي أوردها بعض المفسرين وقال: إنها مأخوذة من الإسرائيليات. والأولى عنده أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله تعالى تنزيهاً لمقام النبوة عما ألصق به مما لا يليق.

وقال آخرون: بل القصة على ظاهرها حيث جاءه رجلان فجأة ودخلا عليه محرابه دون استئذان، وقصا عليه قصتهما: حيث كان لأحدهما تسع وتسعون نعجة ولأخيه نعجة واحدة، فقال صاحب النعاج الكثيرة: إنك لا تستطيع أن تقوم بمؤنتها وحاجتها، وأنا لدي المال الوفير والرعاة الذين يرعونها، ونعجتك لا تجد من يقوم برعايتها؛ فأعطني إياها حتى أرهاها لك.

فقال داوود: ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ حيث لم يكتف بما آتاه الله بل أراد أن يكمل بها المئة ويحرم أخاه من نعجته الوحيدة.

وقال المفسرون الذين أخذوا بالإسرائيليات - والتي تحرج كثير من المفسرين من أمثال ابن كثير من المتقدمين وسيد قطب من المتأخرين أن يأخذوا بها -: إن القصة مثال ضربه الله لداوود حيث أراد أن يتزوج امرأة أحد جنوده فطلب من الجندي أن يطلق زوجته لأن الجندي لا مال له وداوود سيكفل لها عيشة هائلة سعيدة. . وبما أن زوجة الجندي جميلة وذكية فما أحرأها بعيشة مع داوود النبي الملك بدلاً من أن تعيش حياة بسيطة مليئة بالمتاعب مع الجندي البسيط.

فظهر لداوود ملكان في هيئة بشر اقتحما عليه خلوته فجأة ففزع منهم قالوا: لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض. وضربا له مثلاً ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾. فقال أحدهما للآخر: لقد حكم على نفسه. فتنبه داوود واختفى الملكان فجأة كما ظهرا فجأة. ﴿وظن داوود إنما فتناه فاستغفر ربّه وخرّ راکعاً وأناب﴾. وسجد داوود سجدة طويلة، وانتحب ما شاء الله له أن ينتحب. وذكر بعضهم: أنه استمر ساجداً أربعين صباحاً. وقد سجد رسول الله هذه السجدة. تأسيّاً بداوود عليه السلام؛ لأن الله تعالى قال بعد أن ذكر الأنبياء ومنهم داوود وسليمان ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ فتأسى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. . والمسلمون من ورائه.

وهذه الصورة التي رفضها أهل التفسير على أساس أنها قاذحة في عصمة النبوة لا تقارن بما ورد في التوراة المحرّفة، حيث تزعم أن داوود عليه السلام أخذ زوجة أوريا الحثي بعد أن رآها تستحم عارية في بيتها، وأرسل جنوده لأخذها عنوة ثم زنى بها. فلما حملت دعا زوجها من جبهة القتال ليأتيها ويختفي حملها، ولكن زوجها أبى أن يدخل عليها والجيش كله في وسط المعركة. فما كان من داوود حسب زعم التوراة إلا أن أرسل معه رسالة لقائد الجيش يأمره فيها بأن يدفع بأوريا الحثي إلى الالتحام بالعدو مع كوكبة من الفرسان ثم يأمر الفرسان بأن ينسحبوا ويتركوه لسيوف الأعداء

فتنوشه وتقتله . وهكذا تخلص داوود من زوج المرأة الجميلة بتشبع التي زنى بها .
وما كاد الرجل يقتل حتى ضمها إلى نسائه .

والفارق بين الصورتين كالفارق بين السماء والأرض وبين الطهر والرذيلة . ولم
يفعل داوود المعصية حيث نبهه المولى إلى ما عزم عليه من أن يجعل جُندِيَه يطلق
زوجته فيأخذها داوود ويضيفها إلى قائمة نسائه العديدات . ﴿وظن داوود إنما فتناه
فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً وأناب﴾ .

وهكذا ترى الصورة التي يتخرج منها فضلاء المفسرين لا تقارن بما هو موجود
فعلاً في سفر صموئيل الثاني من العهد القديم الذي اتهم داوود بالزنى بحليلة جاره
وبقتل زوجها . فجمع ضغثاً على إِبَّالِه ، وزاد جريمة على جريمة ، واجتمعت له بذلك
جرائم عدة من الزنى بحليلة الجار إلى الكذب والاحتيال والخداع والخسة والندالة إلى
تدبير جريمة قتل لشخص بريء .

وحاشا داوود من ذلك كله وإنما هي قاذورات يهود وأخلاق يهود وطبائع يهود
الذين لعنهم الله ولعنهم داوود وعيسى بن مريم ، فألصقوا بالأنبياء الأصفياء الأتقياء كل
نقائصهم ورذائلهم وأخلاقهم المنحطة الذميمة ، وجعلوها مكان التوراة الحقّة التي
أضاعوها . وتعبدوا بتلاوة هذه الجرائم ليستمروا في ارتكابها دون شعور بالإثم ولا وخزة
من ضمير .

أما داوود عليه السلام فقد قال له ربه : ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ له يوم
القيامة قربى عند الله ؛ لأن داوود عليه السلام ، كان خليفة مقسطاً عادلاً رحيماً .
والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول كما جاء في الصحيح : «المقسطون على منابر
من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين . . . الذين يقسطون في أهلهم وما ولوا» .
وقال : «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل . وإن أبغض
الناس إلى الله يوم القيامة وأشدّهم عذاباً إمام جائر» (أخرجه الإمام أحمد عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه) .

وروى الترمذي بسنده قال : «يقام داوود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول :
يا داوود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا .

فيقول وكيف وقد سلبته؟! فيقول الله عز وجل إني أردته عليك اليوم. فيرفع داوود عليه السلام بصوت يستفرع نعيم أهل الجنان.

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٦).

قال ابن كثير في تفسيره: «هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله. وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد». . . . فإذا كان الله تعالى قد أوصى داوود وهو من هو بذلك، وحذره من مغبة الهوى فغيره أخرى بالوصية والتنبيه والتحذير. وقد وقف أبو زرعة أمام عبد الملك بن مروان وقال له: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أم داوود عليه السلام؟ إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعدته في كتابه فقال تعالى ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

فارتعب منها عبد الملك بن مروان.

مزَامير داوود (عليه السلام)

تنسب هذه المزَامير إلى داوود حيث نرى ٧٣ من بين ١٥٠ منسوبة إلى داوود عليه السلام. ولا شك لدينا أن داوود عليه السلام قد أنشد كثيراً من الأناشيد تمجيداً لله وحمداً وتسبيحاً له، ولكن هذه الأناشيد دخلها التحريف والإضافة والحذف والزيادة كما سنوضحه إن شاء الله تعالى.

ينقسم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام كما أسلفنا في أول الكتاب، وهي:

(١) الأسفار الخمسة: والتي يطلق عليها أحياناً اسم التوراة أو أسفار الشريعة أو أسفار موسى وهي التي تنتهي بموت موسى عليه السلام.

(٢) أسفار الأنبياء: وهي مجموعة من الأسفار تنسب إلى بعض أنبياء بني إسرائيل، وتدعى أحياناً أسفار التاريخ لما تقصه من حكايات لتاريخ بني إسرائيل. وفيها قصص ملفقة وأكاذيب كثيرة.

(٣) أسفار الشعر والحكمة: وتشمل سفر المزَامير والأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد.

وتنسب المزَامير إلى مجموعة من أنبياء بني إسرائيل وأدبائهم وشعرائهم. وتشتمل على ١٥٠ مزموراً. منها ٧٣ منسوبة إلى داوود عليه السلام، والأخرى منسوبة إلى موسى وسليمان عليهما السلام، وإلى آساف وبني قورح وراجع وهيمان وأيتان ويدوتون.

(١) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم.

ويذكر كتاب «المزامير»^(١) المأخوذ من الترجمة المسكونية للكتاب المقدس، وترجمة أورشليم الفرنسية للكتاب المقدس، والمترجم من قبل الرهبانية اليسوعية في الشرق الأدنى، أن المزامير هي مجموعة من الأناشيد الدينية المنسوبة لعدد كبير من المؤلفين على مدى أجيال طويلة، منذ عهد موسى — عليه السلام — الذي عاش في القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد. أي إنها كتبت على مدى ألف ومائة عام.

وتذكر الرهبانية اليسوعية في الشرق الأدنى في دراستها الموضوعية بين يدي كتاب المزامير: أن هناك عدة مزامير منفردة ومبعثرة في أسفار أخرى من العهد القديم، وهي غير موجودة في سفر المزامير. وترجع هذه المزامير إلى أزمنة مختلفة وبيئات مختلفة وأشخاص مختلفين. وقد يذكر المزمور الواحد مرتين في سفر المزامير. ومن ذلك المزمور ١٣، ذكر مرة أخرى تحت رقم ٥٣. أو جزء من المزمور ويكرر في مزمور آخر.

ويختلف طول المزامير، ولها عناوين غير مفهومة في معظم الأحيان، كما يذكر ذلك أصحاب الرهبانية اليسوعية في مدخل كتاب المزامير.

ويعتبر داوود عليه السلام مرثم إسرائيل ويذكر بأنه شاعر وموسيقار ومخترع آلات الطرب ومنظم الأناشيد الغنائية الجماعية — الليتورجي —.

ورغم أنه لم تثبت نسبة أي من هذه المزامير الموجودة لداوود أو غيره، إلا أنها أصبحت جزءاً من الفولكلور الشعبي اليهودي، وجزءاً هاماً من الليتورجي — الأناشيد الدينية الجماعية والطقوس — لليهود والمسيحيين على مدى القرون والأجيال. وتكتسب أهميتها بذلك من هذا الدور الذي تمثله في إغناء الحياة الروحية لدى اليهود والنصارى مهما قيل في صحة نسبتها إلى الأشخاص المنسوبة إليهم.

ورغم أن المزامير قيلت وكتبت باللغة العبرية القديمة إلا أن هذه الأصول القديمة ضاعت وبقيت الترجمة اليونانية التي كتبت في القرن الثاني قبل الميلاد

(١) كتاب «المزامير»، دار المشرق، بيروت ١٩٨٤م، جمعيات الكتاب المقدس في المشرق.

المسيح . وهي المعروفة باسم الترجمة السبعينية للعهد القديم بأكمله . ووضع سفر المزامير بين سفر أيوب وأسفار الأنبياء وكان عددها ١٥١ مزموراً .

ويذكر الذين قدموا لكتاب المزامير أن هذه المزامير قد ألفت مرة أخرى في أوقات متأخرة . «وهناك عقبات كبرى تعترض طريقنا إن أردنا إدراج القصائد في تاريخ إسرائيل وتحديد تواريخها . فقد تضمّ وثيقة متأخرة نسبياً تقاليد قديمة العهد . وقد يُقدّم مؤلفون حديثون على إعادة التأليف لما تركه أسلافهم ؛ فيتبنّون أو يكيّفون مواد قديمة ، وقد يرصّعون بمجوهرات جديدة أجزاء قديمة جداً ، وحتى من بقايا أدب الشعوب المجاورة إن أمكن الأمر . لن ينتهي الجدل بسرعة في مسألة عمر النصوص والتأثيرات الغربية التي طرأت عليها فهي من أشد المسائل تعقيداً وصعوبة ، ولكن الدقة في تاريخ مزمور من المزامير ليست — والحمد لله — من العناصر التي لا غنى عنها لإبراز معناه الجوهري ومغزاه الروحي» .

وهكذا يعترف آباء الكنيسة ومترجمو المزامير أنها محرّفة وأنها كتبت على مدى ألف عام أو تزيد ، وأنها غير معروفة المصدر على وجه الدقة ، وأن المؤلفين المتأخرين أضافوا إليها وبدلوا فيها كما شاءت لهم أهواؤهم . بل جعلوا فيها أشياء كثيرة من آثار الفراعنة والآشوريين والكلدانيين والكنعانيين والقصائد الموجهة لعبادة الشمس وعبادة البعل — البعليم — وغيرها من الأوثان والأرجاس . وقد ذكر بعض شراح الكتاب المقدس أن نشيد العاصفة مسروق من أناشيد إكرام الوثن الإله بعل ، الذي كان يعبد في لبنان وما حولها ، والذي عبده الكنعانيون بصورة خاصة^(١) . وأن مطلع المزمور رقم ١٩ يتضمن الابتهالات التي كانت تقدم لإله الشمس ، وأن نشيد الخلق رقم ١٠٤ مستلهم من الترنيمة المصرية للإله آتون ، وهو نشيد أخناتون . ويذكر هوجو جرسمان

(١) ورد ذكر البعل في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿أتدعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين ، ونبيهم إلياس عليه السلام ، الذي قيل إنه من نسل هارون عليه السلام . أرسل إلى أهل بعلبك — بعل بك — الذين كانوا يعبدون الصنم بعل في لبنان . قال تعالى : ﴿إن إلياس لمن المرسلين . إذ قال لقومه ألا تتقون . أتدعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين . الله ربكم ورب آبائكم الأولين . فكذبوه فإنهم لمحضرون إلّا عباد الله المخلصين . وتركنا عليه في الآخرين . سلام على إلياسين﴾ . (الصافات : ١٢٣ — ١٣٠) .

ود. أحمد فخري في كتابه مصر الفرعونية ود. عبد العزيز صالح في كتابه الشرق الأدنى القديم والأستاذ حسن في كتاب الأدب المصري القديم والدكتور بدران حسن بدران في كتابه التوراة العقل والعلم التاريخ : أن المزمور ١٠٤ منقول من نشيد الخلق لأخناتون.

تقسيم المزامير إلى ثلاث مجموعات :

تقسم المزامير إلى ثلاث مجموعات أساسية تدرج تحتها مجموعات أصغر. وهذه المجموعات الثلاث هي :

(١) مجموعة التساييح : وهي منتشرة في مزامير كثيرة متفرقة. ويرى معظم الباحثين من رجال اللاهوت أن «التساييح» قد ألفت للخدمة الليتورجية — أي الأناشيد الدينية الجماعية — وعزفت بمناسبة أعياد إسرائيل. وطابعها الجماعي بارز جلي يعبر عنه بترنيم الجوقة الغنائية والتهافت والتصفيق والرقص والتطواف الجماعي والتظاهر المهيب، والترديد الجماعي لمقاطع معينة أو لكلمة هلوليا^(١).

وهذه التساييح قد ترفع إلى الله أو إلى صهيون أو إلى الهيكل أو إلى الملك^(٢). وعندما توجه الأناشيد إلى الله. فإنما توجه إليه باعتباره رب العهد الذي قطعه على نفسه لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنه سيعطيهم أرض الكنعانيين وأرض الأمم الأخرى ويجعلهم عبيداً أبداً الدهر لإسرائيل. «وأرضك يا إسرائيل من النيل للفرات»، وتذكير بذلك العهد الأبدي الذي قطعه الله لابنه البكر إسرائيل. عهد لا ينقطع مهما أجرم هذا الابن وعبد الأوثان وترك عبادة إلهه. والرب كما أسلفنا في التوراة والعهد القديم وكتب الأدب والأناشيد يجعلونه رب إسرائيل فقط. فهو عندهم إله قبيلة وإن كان يتسلط على الآلهة الآخرين، فهو بمثابة زيوس رب الأرباب عند

(١) يذكرنا ذلك بعبادة المشركين من قمرش عند البيت وغيرهم من مشركي العرب الذين قال الله تعالى عن صلاتهم وعبادتهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾، أي تصفيقاً وغناء ورقصاً وضجيجاً. وهذا ما يفعله اليهود والنصارى في صلاتهم حسبما نقلناه عنهم آنفاً.

(٢) مدخل إلى المزامير، كتاب «المزامير»، دار المشرق بيروت، ص ١٥.

اليونان، وجوبتير رب الأرباب عند الرومان، مع فارق واحد، هو أن يهوه - إله إسرائيل الخاص - منحاز لشعبه وابنه البكر إسرائيل. والذي يعتبره كالأبن الحقيقي الذي خرج من صلبه. ومهما كان الابن عاقاً فإن قلب الأب معلق أبداً بابنه. وخاصة إذا جاء هذا الابن العاق وأعلن توبته وندمه أمام أبيه، وبكى أمامه بقليل من دموع التماسيح فإن قلب الأب يرق له بسرعة ويخرجه من ورطاته، ويحارب بالنيابة عنه ويشرد قاتليه، ويجعلهم تحت أقدام شعبه وابنه البكر إسرائيل!!! وهذه الأناشيد أو التسابيح تذكر الله بعهوده القديمة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وعجائب صنعته في إنقاذ ابنه البكر إسرائيل، وكيف خلّص شعبه من نير الظلم، وكيف مزّق أعداء شعبه. وكلها تذكر الرب بأن عليه أن يلتزم بهذا العهد ولا يخون شعبه وابنه البكر إسرائيل حتى ولو زاغ ابنه عن الطريق يوماً ما.

وقد توجه الأناشيد إلى الله بصفته ملك إسرائيل الجالس في بيته ومسكنه في القدس أو في جبل صهيون، والذي يعيش قاضياً وملكاً لإسرائيل ومدافعاً عنها وسيداً للشعوب كافة. ويقول مفسرو العهد القديم والمزامير: إنها تشبه أناشيد تنصيب الملوك. وكانت تنشّد في طقوس تنصيب ملوك إسرائيل.

أما أناشيد صهيون^(١) فتشيد بأورشليم وهيكلها. «وتضفي هذه الأناشيد على صهيون صفات بهية مختلفة، فهي عاصمة سلالة داود، والعاصمة الدينية وأقدس مساكن العليّ ومدينة الملك الأعظم. وتوجه هذه التسابيح آخر الأمر إلى الرب نفسه. فهو الذي اختار جبل صهيون مقراً ومكاناً لراحته»^(٢) تعالى الله عن ذلك.

وتقول دراسة الرهبانية اليسوعية في مقدمتها مدخل إلى المزامير: إن هذه الأناشيد مأخوذة من الأناشيد القديمة والمرتبطة بالأساطير الكنعانية التي كانت تضفيها

(١) صهيون: اسم لجبل من جبال مدينة القدس، يزعمون أن الرب سكن فيه كما سكن في الهيكل.

(٢) نقلاً عن دراسة الرهبانية اليسوعية في الشرق الأدنى: مدخل إلى المزامير، كتاب «المزامير»، دار المشرق بيروت، ص ١٦.

على معبودها البعل، والذي جعلت مقرّه «أقاصي الشمال». . . والتي تعتبر مدينته المدينة المثالية للبشرية وعاصمة الشعوب في المستقبل. وهكذا حولت الأناشيد المزمورية المتعلقة بصهيون والهيكل وأورشليم تلك المعاني المتعلقة بمدينة أقاصي الشمال مسكن الإله البعل إلى صهيون وأورشليم والهيكل قدس الأقداس ومسكن الرب ومحل راحته، ومدينة المستقبل والماضي لكل شعوب الأرض التي تتمجد في إسرائيل!!

وترجع مزامير المراقي إلى زمن متأخر عن عهد اليهودية حيث تمثل اللاويين الذين كانوا ينشدون هذه المزامير على درجات باب فكانور الأربع عشرة. والتي أنشدها من بعدهم «الحجاج» أثناء صعودهم إلى بيت المقدس والهيكل.

أما مزامير الملك فكانت تشيد بالملكية. وكانت الاحتفالات تقام في القصر الملكي وفي الهيكل بمناسبة التتويج والتنصيب وذكرى ارتقاء العرش وزواج الملك. أو قبل الذهاب إلى الحرب أو في ذكرى الانتصار على الأعداء. وهي بالتالي أناشيد مناسبات البلاط.

وتقول دراسة «مدخل إلى المزامير»: «وينشأ وجه الشبه بينها وبين بيثها الأصلية، أي البلاط، ومن الشخص الموجهة إليه، أي الملك. والإكرام المؤدي إلى الملك - رئيس الأمة - يعود إلى الرب الذي باسمه تحكم هذه الأمة. فالملك هو ابن الله بالتبني ووريثه بما أنه مسيح الرب، فهو جالس عن يمين الله العلي، ويستفيد من استقرار عرش داوود وخلوده، ذلك العرش الذي هو في نفس الوقت «عرش ملك الرب على إسرائيل. وكثيراً ما يبرز في هذه المزامير ذلك الوعد الذي قطع لداوود على يد - النبي - ناثان».

وهكذا يدعي مؤلفو العهد القديم والمزامير أن الملك هو ابن الله بالتبني ووريثه وأنه جالس عن يمين الله العلي. وهي صورة تشابه تماماً ما لدى الأمم السابقة حيث زعم فرعون أنه إله أو ابن الإله. وحيث زعم الأكاسرة الذين حكموا الأمبراطورية الفارسية أنهم من نسل الإله. وكذلك فعل النمرود في العراق، حيث زعم أنه إله، وأنه من نسل الإله. . . وهكذا كان يزعم أباطرة الصين وأباطرة اليابان. وبهذه

النظرة الفوقية ادعى ملوك أوروبا في العصور الوسطى بالحق الإلهي للملوك. رغم أن هؤلاء لم يبلغوا في الإسفاف ما بلغته أسفار العهد القديم المختلفة. ولا شك أنهم اتخذوا نصوص التوراة وأسفار الأنبياء والمزامير وسيلة للتمكن من الحكم المطلق، وأنهم يستمدون ذلك مباشرة من اتصال نسبهم بالله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -.

ولا شك في صدق المقولة الخبيثة التي تتهم هذا الدين الكاذب بأنه أفيون الشعوب. فقد جعل الأخبار هذا الدين مطية لأهوائهم وأهواء الملوك واستغلوه استغلالاً بشعاً حقيراً للتحكم في الشعوب.

ولا عجب إذن أن تثور الشعوب على هذه الكهنوتية التي تمتص دماءهم وتجعلهم عبيداً لحفنة من الطغاة، وتزعم أن ذلك كله قد تم بأمر الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -.

(٢) مجموعة صلوات الاستغاثة: وهذه هي المجموعة الثانية من المزامير. وهي تتحدث عن حالات الضيق الفردية أو الجماعية التي أصابت بني إسرائيل وخاصة في فترات نكوصهم، والتي أدت إلى تسليط الأمم الأخرى عليهم وتشريدهم وتحطيم هيكلهم. وهي تمثل استغاثات فردية أو جماعية تأتي بعدها صلوات الحمد عند انتهاء الأزمة والشدة. وتتميز الاستغاثات الجماعية بأن تذكر الربّ بعهوده التي قطعها على نفسه لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ولشعبه إسرائيل. وكما تقول دراسة المدخل إلى المزامير: «فالأمر في النهاية يتعلق بكرامة الله وأمانته وإخلاصه لإسرائيل. ولا فرق بين قضية الشعب وقضية الرب!!».

وهذا يوضح لنا إلى حد بعيد عقلية اليهود وعقلية النصارى الذين يتعبدون بهذه المزامير. لهذا نجد النصارى الذين يترنمون بالمزامير والذين يقرؤون العهد القديم على أساس أنه كتاب مقدس يميلون إلى اليهود ضد أعدائهم من العرب والفلسطينيين على أساس أن تعاليم الرب وعهوده قد دلت دلالة قاطعة على أنه يقف مع ابنه البكر إسرائيل ضد هذه الشعوب التي تريد أن تستولي على الأرض التي حلف الله مراراً وتكراراً أن يجعلها لابنه البكر إسرائيل.

أما الصلوات الفردية فهي تمثل حالات يأس أو مرض أو هزيمة لفرد من الأفراد

وهو يحارب أعداءه. وفي أحيان كثيرة يُقرّع الرب على عدم نجده له. وتوضح مدى تعلق المنشد بالحياة وخوفه من الموت العدو الأكبر للإنسان. «لذلك كان المرضى والمضطهدون يشكون من النزول إلى مثوى الأموات حيث يسود الظلام والصمت والنسيان. وكانوا يطلقون على مدينة الأموات هذه اسم «شئول» وهو غير الجحيم بمعنى «جهنم» كما تقول دراسة مدخل إلى المزامير الذي أعدته لجنة مسكونية قامت بالترجمة للكتاب المقدس^(١).

ويظهر في بعض الصلوات نوع من الفرح بعد استجابة الله لنداء واستغاثة المظلوم حيث يتجلى ذلك فيما يعبرون عنه بالاتحاد بالله - تعالى الله عن ذلك - وحيث يتجلى الرب في الهيكل. ويتوحد العبد والرب - أعوذ بالله -.

(٣) مجموعة التعليم: تتضمن المجموعتين السابقتين بعض التعاليم المتفرقة. ولكن هناك بعض المزامير القليلة التي تختص بنوع من التعليم حيث تذكر بعض المزامير التاريخ المقدس لليهود، وتذكر بعض المزامير الطقوس بشكل تفصيلي، وهناك مجموعة من المزامير التي تحت على فعل الخير وتنفيذ تعاليم الشريعة.

ينظر الدارسون من علماء اللاهوت للمزامير على أساس أنها مجموعة كبيرة من الأناشيد الدينية الجماعية التي تمثل ثروة شعرية وأدبية وتراثاً فكرياً لأكثر من عشرة قرون من الزمان هي التي ألّفت فيها هذه المزامير وجمعت. وهي تمثل ثقافة وتجارب الشعب اليهودي على مدى أكثر من ألف عام وعمقه الروحي...

ونظرة هؤلاء من رجال اللاهوت لا تفرق كثيراً عن نظرة الباحثين الآخرين إلا في درجة الإيمان بهذه الثروة الأدبية والشعرية والنظر إليها بتقديس أو غير تقديس.

فرجال اللاهوت والكنائس والمعابد اليهودية والنصرانية ينظرون إلى ما هو موجود في ما يسمى الكتاب المقدس شاملاً بذلك المزامير التي نتحدث عنها، على اعتبار أنها إلهام من الله لآلاف البشر الذين قاموا بكتابة هذه الكتب والأسفار. بينما ينظر الباحثون

(١) كتاب «المزامير»، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٩.

الآخرون على أساس أن هذه الكتب والأسفار تمثل ثقافات مختلفة لمجموعات كبيرة من البشر كتبت هذه الأسفار والأناشيد والأشعار في أوقات مختلفة وأزمان متباينة. ولا يجمعها إلا أنها تراث لمجموعة من الناس تدين بعقيدة تجعلها فوق البشر، وأنها الابن البكر لله وشعبه الخاص. وهي بالتالي ليست لها أي قدسية... وليس لها أي قيمة سوى قيمتها الأدبية والتاريخية — لا على أساس أنها كتب في التاريخ موثقة — والأسطورية الفولكلورية.

أما نحن فنعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله قد أوحى إلى موسى عليه السلام بالتوراة وأنه أوحى إلى الأنبياء العديدين من بني إسرائيل، وأنه أوحى إلى داوود الزبور، وأن هذه الكتب والأسفار مقدسة في أصلها، ولكنها قد حرّفت وغيّرت وبُذلت ولم يبق منها مما أنزل الله إلا شذرات تلمح هنا وهناك، تضيء مثل الجواهر والألماس ضمن ركام من المزابل والقاذورات.

ونحن نعتقد أن داوود عليه السلام قد آتاه الله صوتاً جميلاً حسناً. وكان ينشد بهذا الصوت الجميل الرخيم، فتَوَوَّبَ معه الجبال والطيور... ﴿يا جبال أوبي معه والطيور﴾... وأنه كان يسبح لله بهذه الترнимات الرائعة الفذة فتتوقف الطير في جو السماء تردد معه هذه التسابيح.

ونحن نلمح ضمن هذا الركام الموجود بين أيدينا بصيصاً من نور في هذه الترнимات التي كان داوود عليه السلام ينشدها بكرة وعشياً والتي سنستعرض شيئاً منها.

ولعل جمال هذه الترнимات والمقاطع يضيع بسبب أسلوب الترجمة الرديء. وقد حاولنا أن نصحح بعض التعابير ولكننا أثّرنا عدم التدخل فيها إلا بشكل محدود جداً حفاظاً على أمانة النقل.

أمثلة من مزامير داوود عليه السلام:

المزمور الأول:

«طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف. وفي مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج

نهاراً وليلاً . فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه .
وورقها لا يذبل . وكل ما يصنعه ينجح .

«ليس كذلك الأشرار لكنهم كالعصافاة التي تذرّيها الريح لذلك لا تقوم الأشرار
في الدين ولا الخطاة في جماعة الأبرار . لأن الرب يعلم طريق الأبرار . أما طريق
الأشرار فتهلك» .

المزمور الرابع ، لداود :

«عند دعائي استجب لي يا إله برّي . في الضيق رحّبت لي . تراءف عليّ
واسمع صلاتي . يا بني البشر حتى متى يكون مجدي عاراً . حتى متى تحبون الباطل
وتبتغون الكذب . فاعلموا أن الربّ قد ميّز تقيّة . الرب يسمع عندما أدعوه . ارتعدوا
ولا تخطئوا . تكلموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا . اذبحوا ذبائح البر . وتوكلوا
على الرب .

كثيرون يقولون من يرينا خيراً . ارفع نور وجهك يا رب . جعلتُ سروراً في
قلبي أعظم من سرورهم إذ كثرت حنطتهم وخمرهم . بسلامة اضطجعُ بل أيضاً أنا .
لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني» .

المزمور الثامن لداود :

«أيها الربّ سيدنا أمجد اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق
السموات . من أفواه الأطفال والرضع أسستُ حمداً بسبب أضدادك لتسكيت عدوّ
ومنتقم . إذا أرى سمواتك عمل أصابعك ، القمر والنجوم التي كونتها . فمن
هو الإنسان حتى تذكره . وابن آدم حتى تفتقده . وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد
وبهاء تكلله . تسلطه على أعمال يديك . جعلت كل شيء تحت قدميه . الغنم والبقر
جميعاً وبهائم البرّ أيضاً ، وطيور السماء وسمك البحر السالك في سبل المياه أيها الربّ
سيّدنا أمجد اسمك في كل الأرض» .

المزمور التاسع لداود :

«أحمدُ الربّ بكل قلبي . أحدثُ بجميع عجائبك . أفرح وأبتهج بك . أرثمُ
لاسمك أبها العلي . عند رجوع أعدائي إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدام وجهك .

لأنك أقمت حقي ودعواي . جلست على الكرسي قاضياً عادلاً . . . أهلك الشريـر،
محوت اسمهم إلى الدهر والأبد . العدو تم خرابه إلى الأبد . . أما الرب فيألي الدهر
يجلس ، ثبت للقضاء كرسيه . وهو يقضي للمسكونة بالعدل . يدين الشعوب
بالاستقامة . ويكون الرب ملجأً للمستحق . ملجأً في أزمنة الضيق . ويتكل عليك
العارفون اسمك . لأنك لم تترك طالبك . . .

رَنِّمُوا للرب الساكن في صهيون!! أخبروا الشعوب بأفعاله . . . لم ينس صراخ
المساكين . . . ارحمني يا رب . انظر مذلتي من مبغضي . يا رافعي من أبواب الموت .
لكي أحدث بكل تسابيحك .

تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها . في الشبكة التي أخفوها انتشبت
أرجلهم . معروف هو الرب قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه . الأشرار يرجعون
إلى الهاوية . كل الأمم الناسيين الله . لأنه لا ينسى المسكين إلى الأبد . رجاء البائسين
لا يخيب إلى الدهر . قم يا رب!! لا يعتز الإنسان . لتُحاكم الأمم قدامك . يا رب
اجعل عليهم رعباً . ليعلم الأمم أنهم بشر .

المزمور الثاني عشر لداود:

خلص يا رب لأنه قد انقضى التقي ، لأنه قد انقطع الأمناء من بني البشر .
يتكلمون بالكذب ، كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة . . . يقطع الرب جميع الشفاه
المِلَقة واللسان المتكلم بالعظائم . الذين قالوا بالسنتنا نتجبر . شفاهنا معنا من هو سيد
علينا؟

من اغتصاب المساكين ، من صرخة البائسين الآن أقوم . يقول الرب . أجعل في
وسع الذي ينفث فيه .

كلام الرب كلام نقي ، كفضة مصفاة في بوطه الأرض ممحوصة سبع مرات .
أنت يا رب تحفظهم ، تحرسهم من هذا الجيل إلى الدهر . الأشرار يتمشون من كل
ناحية عند ارتفاع الأردال بين الناس .

المزمور الرابع عشر لداوود:

قال الجاهل في قلبه ليس إله. فسدوا ورجسوا بأفعالهم. ليس هناك من يعمل صلاحاً. الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من إنسان فاهم يطلب الله. الكل قد زاغوا، فسدوا، ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد.

ألم يعلم كل فاعلي الإثم الذين يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز والرب لم يدعوا. هناك خافوا خوفاً لأن الله في الجيل البار. رأي المسكين ناقضتم لأن الرب ملجؤه.

المزمور الخامس عشر لداوود:

يا رب من ينزل في مسكنك، من يسكن في جبل قدسك. السالك بالكمال والعامل بالحق والمتكلم بالصدق في قلبه. الذي لا يشي بلسانه ولا يصنع شراً بصاحبه ولا يحمل تعبيراً لقريبه. والرديل محتقر في عينه ويكرم خائفي الرب. يحلف للضرر ولا يُغير. فضته لا يعطيها بالربا، ولا يأخذ الرشوة على البريء. الذي يصنع هذا لا يتزعزع إلى الدهر.

المزمور التاسع عشر لداوود:

السموات تُحدثُ بمجد الله. والفلك يُخبرُ بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً. وليل إلى ليل يبدي علماً. . . جعل للشمس مسكناً فيها. وهي مثل العروس الخارج من حجلته، مثل الجبار للسباق في الطريق من أقصى السموات خروجها ومدارها إلى أقاصيها ولا شيء يختفي من حرها.

ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تُصيرُ الجاهل حكيماً. وصايا الرب مستقيمة تفرّج القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين. خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد. أحكام الرب حق عادلة كلها. أشهى من الذهب والإبريز الكثير، وأحلى من العسل وقطر الشهاد. أيضاً عبدك يُحذّرُ بها وفي حفظها ثواب عظيم.

السهوات من يشعر بها. من الخطايا المستترة أبرئني. أيضاً من المتكبرين احفظ

عبدك فلا يتسلطوا عليّ . حينئذ أكون كاملاً وأتبرأ من ذنب عظيم . لتكون أقوال فمي
وفكر قلبي مرضية أمامك . يا رب صخرتي ووليّ .

المزمور الخامس والعشرون لداود :

إليك يا رب أرفع نفسي يا إلهي عليك توكلت فلا تدعني أخزي . لا تشمت بي
أعدائي . أيضاً كل منتظريك لا يخزوا . ليخز الغادرون بلا سبب . طرقتك يا رب
عرفني . سبلك علّمني . درّبني في حقك وعلمني . لأنك إله خلاصي . إياك انتظرت
اليوم كله . اذكر مراحمك يا رب وإحساناتك لأنها منذ الأزل هي . لا تذكر خطايا صباي
ولا معاصي . كرحمتك اذكرني أنت من أجل جودك يا رب .

الرب صالح ومستقيم . لذلك يعلم الخطاة الطريق . يدرب الودعاء في الحق .
ويعلم الودعاء طرقه كل سبل الرب رحمة وحق لحافظي عهده وشهاداته . من أجل
اسمك يا رب اغفر إثمي لأنه عظيم . من هو الإنسان الخائف الرب . يعلمه طريقاً
يختاره . نفسه في الخير تبين ونسله يرث الأرض . سر الرب لخائفيه . وعهده
لتعليمهم . عيناى دائماً إلى الرب لأنه هو يخرج رجلي من الشبكة .

التفت يا رب إليّ وارحمني لأنني واحد ومسكين أنا . افرج يا رب ضيقات قلبي
من شدائدي أخرجني . انظر إلى ذلّي وتعبي واغفر جميع خطاياي . انظر إلى أعدائي
لأنهم قد كثروا . وبغضاً ظُلماً أبغضوني . احفظ نفسي وأنقذني . لا أخزي لأنني عليك
توكلت . يحفظني الكمال والاستقامة لأنني انتظرتك .

المزمور السادس والعشرون لداود :

اقصر لي يا رب لأنني بكمالي سلكت وعلى الرب توكلت بلا تقلقل . . .
لم أجلس مع أناس السوء . ومع الماكرين لا أدخل . أبغضت جماعة الأثمة ومع
الأشرار لا أجلس . أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب . لأسمع بصوت
الحمد وأحدث بجميع عجائبك يا رب أحببت محل بيتك وموضع مسكن مجدك .

لا تجمع مع الخطاة نفسي ولا مع رجال الدماء حياتي ، الذين في أيديهم

رذيلة ويمينهم ملآنة رشوة. أما أنا فبكمالي أسلك. أفدني وارحمني. رجلي واقفة على سهل. في الجماعات أبارك الرب.

المزمور السابع والعشرون لداود:

الرب نوري وخلصي ممن أخاف. الرب حصن حياتي ممن أرتعب. عندما اقترب إليّ الأشرار ليأكلوا لحمي، مضايقيّ وأعدائي عثروا وسقطوا. إن نزل عليّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليّ حربٌ فقي ذلك أنا مطمئن... واحدة سألتُ الربّ وإياها ألتمس. أن أسكنَ في بيت الرب كل أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله. لأنه يخبئني في مظلمته يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني. والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي. أغني وأرثم للرب.

استمع يا رب. بصوتي أدعو فارحمني واستجب لي... وجهك يا رب أطلب. لا تحجب وجهك عني لا تخيب بسخطٍ عبدك. قد كنتَ عوني فلا ترفضني ولا تتركني يا إله خلاصي. إن أبي وأمي قد تركاني والربّ يضمّني علمني يا رب طريقك. واهدني في سبيل مستقيم. لا تسلمني إلى مرام مضائقي لأنه قد أقام عليّ شهود زور وناث ظلم. لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء. انتظر جود الرب... ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب.

المزمور الرابع والثلاثون لداود:

أبارك الرب في كل حين. دائماً تسبيحه في فمي، بالرب تفتخر نفسي. يسمع الودعاء فيفرحون. عظموا الرب معي ولنُعَلِّي اسمه معاً... طلبت إلى الرب فاستجاب لي ومن كل مخاوفي أنقذني. نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل. هذا المسكين صرخ والربّ استمعه ومن ضيقاته خلّصه... ذوقوا وانظروا، ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه. اتقوا الرب يا قديسيه لأنه ليس عَوَزٌ لمتّقيه. الأشبال احتاجت وجاعت وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير...

صُن لسانك عن الشر وشفيتك عن التكلم بالغش. جِدْ عن الشر واصنع الخير. اطلب السلامة واسع وراءها. عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم. وجهُ الربّ ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم... قريب هو الربّ من المنكسري

القلوب ويخلص المنسحقى الروح . كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيّه
الرب . . الشر يميّث الشرير ومبغضو الصديق يعاقبون . الرب فادي نفوس عبيده وكل
من اتكل عليه لا يُعاقب .

هذه بعض اللمحات الشفافة في ترنيمات داود عليه السلام . . ومع هذا نرى
في بعض هذه المزامير غثاء وأكاذيب وافتراءات لا يمكن لداود عليه السلام أن
يقولها . . وهي من إضافات الأخبار .

مثال ذلك ما جاء في المزمور الثاني :

«إني أخبر من جهة قضاء الرب قال لي : أنت ابني . أنا اليوم ولدتك . اسألني
فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك» . . .

وما جاء في المزمور العاشر :

«يا رب لماذا تقف بعيداً . لماذا تختفي في أزمة الضيق . في كبرياء الشرير
يحترق المسكين . يؤخذون بالمؤامرة التي فكروا بها . لأن الشرير يفتخر بشهوات
نفسه . والخاطف يجذّف . يهين الرب . الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا أطلب .
كل أفكاره أنه لا إله . . . قال في قلبه إن الله قد نسي . حجب وجهه . لا يرى إلى
الأبد . قم يا رب . . ارفع يدك . لماذا أهان الشرير الله !!

وفي المزمور (١٣) :

جاء على لسان داود كذباً : «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان . إلى متى
تخجّب وجهك عني . إلى متى أجعل هموماً في نفسي وحزناً في قلبي كل يوم . إلى
متى يرتفع عدوي عليّ !!

وفي المزمور (١٨) :

تصوير للرب بصورة غير لائقة ولا متصورة من داود عليه السلام : «في ضيقي
دعوت الرب وإلى إلهي صرخت . فسمع من هيكله صوتي . وصراخي دخل أذنيه
فارتجت الأرض وارتعشت ، أسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب . صعد دخان
من أنفه ونار من فمه أكلت . جمرأً اشتعلت منه . طأطأ السموات ونزل ضباب تحت

رجليه . ركب على كروب وطار وهفّ على أجنحة الرياح . . . أرعد الرب من السموات والعلي أعطى صوته برداً وجمراً وناراً . أرسل سهامه فشتتهم وبروقاً كثيرة فأزعجهم . فظهرت أعماق المياه وانكشفت أسس المسكونة من زجرِكَ يا رب . من نسمة ريح أنفك . . . » .

وفي المزمور (٢٢) :

«إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي ، عن كلام زفيري ، إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب ، في الليل أدعو فلا هدؤلي » .

وفي المزمور (٢٨) :

«إليك يا رب أصرخ . يا صخرتي لا تتصامم من جهتي لئلا تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب » .

وفي المزمور (٢٩) :

«قدّموا للرب يا أبناء الله . قدّموا للرب مجداً وعزاً . قدّموا للرب مجد اسمه » .

وفي المزمور (٣٥) :

«خاصم يا رب مخاصمي قاتل مقاتلي . أمسك مجناً وترساً وانهض إلى معونتي . واشرع رمحاً وصدّ تلقاء مطاردي » .

وفي المزمور (٥٠) :

«إله الآلهة الرب تكلم ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها » .

وفي المزمور (٦٩) على لسان داوود :

«خلصني يا الله لأن المياه قد دخلت إلى نفسي . غرقتُ في حمأة عميقة . وليس مقر دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرني . تعبت من صراخي . يبس حلقي . كلّت عينايا من انتظار إلهي . أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب . . . » .

وفي المزمور (٧٤) :

«لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد . لماذا يدخن غضبك على غنم مرعاك اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم وفديتها سبط ميراثك . جبل صهيون هذا الذي سكنت

فيه — مثل جبل الأولمب الذي سكن فيه زيوس — ارفع خطواتك إلى الخُرب الأبدية .
الكل قد حطم العدو في المقدس . . .

«حتى متى يا الله يُعيّر المقاوم ويهين العدو اسمك إلى الغاية . لماذا ترد يدك
ويمينك أخرجها من وسط حضنك» .

وفي المزمور (٧٦) :

«الله معروف في يهوذا اسمه عظيم في إسرائيل . كانت في ساليم مظلمته ومسكنه
في صهيون» .

وفي المزمور (٧٧) :

«هل إلى الدهور يرفض الرب ولا يعود للرضا بعد . هل انتهت إلى الأبد رحمته؟
انقطعت كلمته إلى دور فدور . هل نسي الله رأفة؟ أوقنص برجزه مراحمه؟

وفي المزمور (٨٢) :

«الله قائم في مجمع الإلهة . في وسط الآلهة يقضي» . وهي صورة زرية أخذها
اليهود من الأمم الأخرى حيث هناك كبير الآلهة يقضي بينهم . فعند اليونان زيوس
جالس في جبل الأولمب يقضي بين الآلهة الأصغر . وعند الرومان جوبيتر يقضي بين
الآلهة . . . وعند الكنعانيين البعل . . . وعند البابليين عشتروت . . . إلخ . وكما سكن
زيوس في جبل الأولمب فإن يهوه — رب إسرائيل الخاص — سكن في جبل
صهيون . . .

وبما أن العهد القديم بأكمله قد فقد نصّه العبري القديم ولم يبق منه إلا النص
اليوناني الذي ظهر في القرن الثاني قبل الميلاد، فإن تأثر كاتب العهد القديم
بالنصوص اليونانية والعقائد الرومانية واضح تمام الوضوح . وكان فيلون الإسكندري
يتزعم يهود الإسكندرية الذين أظهروا النص اليوناني للعهد القديم — التوراة وأسفار
الأنبياء والتاريخ وأسفار الأدب والحكمة والشعر — .

وفي نفس المزمور (٨٢) يقول الرب حسب زعمهم :

«أنا قلت إنكم آلهة . وبنو العلي كلكم» . وهو نفس الزعم القديم الذي ذكر في

سفر التكوين من أن هناك آلهة كثيرة وإن لها إلهاً أعظم منها هورب الأرباب، تماماً مثل ما لدى الأمم الأخرى. وهذه الآلهة من نسل الإله العظيم الأكبر بشكل من الأشكال... وهو يقضي بين هذه الآلهة المتخاصمة حيناً المتفقة حيناً آخر... وهو يقر بألوهيتها بشرط أن تكون في وضع أقل وأدنى مرتبة منه.

وهذا يوضح مدى الانحدار والشرك الذي وصل إليه بنو إسرائيل... وقد ذكرت أسفار التوراة وأسفار الأنبياء كيف عبد بنو إسرائيل الأصنام المختلفة والآلهة الكثيرة، حتى ادعوا أن هارون هو الذي صنع لهم العجل ليعبدوه، وأن سليمان عبد آلهة كثيرة مع زوجاته وسرياته اللائي بلغ عددهن ألف واحدة، كما عبد ملوك بني إسرائيل عشرات الآلهة الأخرى وأقاموا لها المعابد والمحارق وقربوا لها القرابين. وحتى في لحظات التوحيد التي تظهر بين الفينة والفينة في حياة بني إسرائيل فإن تلك اللحظات تكون مليئة بالغضب وتصوير الله في صورة إنسان حقوق كثير النسيان سريع الغضب متقلب المزاج يندم لأتفه سبب. وهو آله شعب إسرائيل فقط... ولا علاقة له ببقية البشر والكون. فهو مشغول ليل نهار بابنه البكر إسرائيل إما ليقعه في المصيدة أولكي يخلصه منها. مع اعتقاد جازم بأنهم من نسل الإله... وهذا التناسل يظهر بصور جليلة عند من يمسحهم الرب، وبصورة أقل عند الباقين... «اليهود هم أبناء الله على وجه الحقيقة لا المجاز كما يزعم بعض المفسرين!!». تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

لهذا كله نجد في المزامير بعض اللوحات النورانية الحقيقية التي صدرت عن داود عليه السلام ترين عليها مزابيل الأكاذيب التي أضافها أحبار يهود الذين تأثروا بالثقافات الأخرى وبالشعوب الأخرى، وخاصة الذين كانوا في فلسطين وما حولها، والثقافة اليونانية لأن كتب العهد القديم كلها تُرجمت إلى اليونانية ولم يبق شيء من الأصول القديمة...

المزمور (١٠٦):

ويذكر المزمور (١٠٦) بعض خطايا بني إسرائيل قائلاً: «صنعوا عجلاً في حوريب وسجدوا لتمثال مسبوك. وأبدلوا مجدهم بمثال ثور آكل عشب. نسوا الله مخلصهم الصانع عظام في مصر وعجائب في أرض حام ومخاوف على بحر سوف.

فقال بإهلاكهم لولا موسى مختاره وقف في الثغر قدامه ليصرف غضبه عن إتلافهم .
ورذلوا الأرض الشهية . لم يؤمنوا بكلمته . . . لم يسمعوا لصوت الرب . . . وتعلقوا
ببعل فغور وأكلوا ذبائح الموتى وأغاظوه بأعمالهم فاقتحمهم الوباء فوقف فينحاس ودان
فامتنع الوباء . . وأسخطوه على ماء مريبة حتى تأذى موسى بسببهم لأنهم أمروا روحه
حتى فَرَطَ شفّتيه . لم يستأصلوا الأمم الذين قال الرب عنهم ، بل اختلطوا بالأمم
وتعلموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركاً . وذبحوا بنيتهم وبناتهم للأوثان
وأهرقوا دمًا زكياً ، دم بنيتهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان . وتدنست الأرض
بالدماء وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم . فحُمي غضب الرب على شعبه وكره
ميراثه . وأسلمهم ليد الأمم وتسلط عليهم مبغضوهم . . . ثم ذكر لهم عهده وندم !!» .

وهكذا يندم الرب عندهم على أفعاله !! .

المزمور (١٠٤) :

ويعتبر المزمور (١٠٤) والمنسوب لداود من المزامير التي أثارت جدلاً واسعاً
بين علماء الآثار والتاريخ .

وقد وجد هؤلاء العلماء بعض التشابه بين نشيد الإله آتون — الشمس — الذي
وضعه الملك المصري أخناتون ، وبين هذا المزمور . وأدى ذلك إلى أن يقول هؤلاء
الكتاب : إن المزمور منقول من نشيد أخناتون .

ويبدو أن أول من نبه إلى ذلك العالم جيمس هنري برستد في كتابه فجر
الضمير^(١) وقد كتب برستد يقول^(٢) : « صار لدينا الآن الأصل الهيروغليفي الذي
ترجمت ونشرت منه فقرات كاملة في كتاب العهد القديم العبراني !! فقد تعرف الأستاذ
هوجو جرسمان ، الباحثة الضليع وصاحب الرأي الثاقب في الأدب العبراني بلا تردد ،
على المنهل المصري الذي استقي منه المزمور (١٠٤) المذكور . بل ذهب الأستاذ
جرسمان إلى أبعد من ذلك حيث يقول : إن أقدم موضوع أسطوري تناولته الأناشيد

(١) نقلاً عن كتاب د. بدران محمد بدران « التوراة » : العقل ، العلم ، التاريخ ، إصدار دار
الأنصار ، القاهرة ، ص ١٨٠ وما بعدها .

(٢) كتابه « فجر الضمير » ، ص ٣٦٢ و ٣٩٤ — ٣٩٥ ، نقلاً عن المصدر السابق .

العبرانية هو خلق العالم ، وهو أسطورة الخلق نفسها نشأ في بابل . وأما موضوع العناية الربانية بالعالم فإنها فكرة جاءت فيما بعد وشقت طريقها إلى المزامير بتأثير مصر القديمة .

«وبذلك تكشف لنا أنشودة أخناتون عن المنهل الذي استقى منه مؤلف المزمور العبراني ، إدراكه لرحمة الله في عون مخلوقاته حتى أصغرها . إن موقف العبرانيين من جهة تصورهم لعناية الخالق الرؤوف بخلقه ، وبصفته يعلم ما في الكون ، إنما يرجع إلى نشيد أخناتون وما يشبهه من الأناشيد الدينية بمصر القديمة^(١) .

ويقول الدكتور أحمد فخري في كتابه مصر الفرعونية كما ينقله عنه الدكتور بدران محمد بدران في كتابه التوراة ؛ العقل ، العلم ، التاريخ : «ليس هناك شك في أن نشيد أخناتون لإلهه كانت ذات أثر مباشر على المزامير وأن المزمور (١٠٤) يكاد يكون منقولاً عن النشيد الكبير وليس من قبيل توارد الخواطر» .

وينقل الدكتور بدران أيضاً عن عالم المصريات عبد العزيز صالح قوله : ومن حيث أناشيد الدين الجديد – أي دين أخناتون – خرجت تناجي ربها بالود والحب والتبجيل . وعرضت الأناشيد من الإله الظاهرة في حجج فطرية مقنعة ، استخدمت المقابلة فيها بين حال الأرض وأهلها حين غاب نور كوكب الرب – كان يعبد الشمس – وحين ظهوره . فكلما غاب أظلم الكون وأصبح كالموت . . . وقد ظهرت نفس الحجج ضمن ما رددته فيما بعد مزامير العبرانيين . مما دعا إلى الربط بينهما . واعتبار الأناشيد المصرية أصلاً لها» .

ويعقد الأستاذ سليم حسن في كتابه الأدب المصري القديم^(٢) مقارنة بين نشيد

(١) هذا الرأي مرفوض بالنسبة لنا نحن المسلمين لأن الله سبحانه وتعالى أرسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وهارون برسالة التوحيد النقية . . . وليس مصدرها أخناتون عابد الشمس .

(٢) ١١٠/٢ ، نقلًا عن د . بدران حسن بدران ، «التوراة : العقل ، العلم ، التاريخ» .

أخناتون الموجه للإله آتون – الشمس – والمزمور (١٠٤)، وينتهي إلى أن المزمور (١٠٤) منقول من نشيد أخناتون الكبير. . . وما أورده من دليل لا يعتبر في رأينا مقنعاً. فالمزمور (١٠٤) يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى رب الكون ورب الشمس والقمر ونشيد أخناتون يتوجه إلى الشمس فقط.

ويبدأ المزمور (١٠٤) هكذا:

باركي يا نفسي الرب. يا رب إلهي قد عظمت جداً. مجدداً وجلالاً لبست. اللابس النور كثوب الباسط السموات كشقة، المسقف علاليه بالمياه، الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح – لا نقبل نحن المسلمين هذه الأوصاف لله سبحانه وتعالى – الصانع ملائكته رياحاً وخدامه ناراً ملتهبة المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد. . .

ويستمر المزمور في ذكر الجبال والأنهار والعيون. ورحمة الله التي تسقي الحيوانات في البراري والقفار والمنبت العشب للبهائم ولخدمة الإنسان. ومنبت الأشجار. وصانع القمر والشمس ومواقيتها. ويدلّل الأستاذ سليم على التشابه فيما يلي:

المزمور (١٠٤):

نشيد أخناتون:

● تجعل ظلمة فيصير ليل. فيه يدب كل حيوان الوعر الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها.

● وعندما تغرب في الأفق – أي الشمس الإله آتون – تصبح الأرض سوداء كما لو حلّ بها الموت. ينام في حجره وقد لفّوا رؤوسهم! فلا ترى عين عيناً أخرى. ويخرج كل أسد من عرينه وجميع الزواحف – تخرج – لتلدغ ويلفّ الظلام كل شيء ويعمّ السكون الأرض، لأن الذي خلقهم يرتاح في أفقه – أي الشمس تذهب للراحة – وعندما يصبح الصباح وتطلع أنت في الأفق.

● تشرق الشمس؛ فتجتمع وفي مأويها تربض، الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء.

● وعندما تضيء النهار، تطرد الظلمة وتمنع أشعتك. فالأرضان – الدلتا والصعيد – في عيد كل يوم. ويستيقظ – الناس – ويقفون على الأقدام لأنك أنت الذي أنقذتهم.

● ما أعظم أعمالك يا رب . كلها بحكمة صنعت ملائنة الأرض من غناك . هذا البحر الكبير الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد . صغار حيوان مع كبار . هناك تجري السفن . . . كلها تترجى لترزقها قوتها في حينه . تعطيها فتلتقط . تفتح يدك فتشبع خبزاً . تحجب وجهك فترتاع . تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود . ترسل روحك فتخلق وتجدد .

● ما أعظم أعمالك التي عملت . إنها خافية على الناس يرفعون أذرعهم ابتهاًلاً عند ظهورك والناس جميعاً يؤدون أعمالهم . إنك أنت الذي يمدّهم بكل ما يحتاجون ويحصل كل شخص على طعامه عندما تبزغ في الأفق الشرقي تملأ كل الأرض بجمالك .

هذه هي المقتطفات التي أوردتها الأستاذ سليم حسن من نشيد أخناتون ومن المزمور (١٠٤) . وزعم فيها أن المزمور (١٠٤) منقول لفظاً ومعنى من نشيد أخناتون . ونحن نرى في هذه المقولة شططاً كبيراً . فأخناتون يتحدث عن الشمس الإله ، وصاحب المزمور يتحدث عن رب العالمين . وشتان ما بين المفهومين . . . ثم تختلف الصور الفنية المعروضة هنا وهناك . وأما الاتفاق في بعض الصور فهو أمر كثير الحدوث ، لاتفاق الموضوع . والناس كلهم يعلمون منذ أن خلق الله آدم أن هذه المخلوقات تتوجه إلى بارئها ، وأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وأنه هو الذي يدبر شؤونها . فما هو الجديد في هذا الأمر إذا كان آدم عليه السلام وبنوه قد قالوا هذا الكلام بشكل من الأشكال!!؟

فإذا جاء أخناتون وانحرف بذلك ووجه عبادته إلى الشمس فأى ضلال أكبر من هذا الضلال!!؟ أو يسمى هذا الضلال توحيداً . . . ويقال عن أخناتون أنه أول موحد في تاريخ البشرية!!؟ يا لها من قولة مليئة بالكذب والبهتان .

صحيح أن أخناتون دعا إلى عبادة الشمس وحدها وإنكار جميع الآلهة الأخرى التي كانت تعبد في مصر . . . ولكن هذا لا يجعله أول موحد في تاريخ البشرية حتى لو كانت دعوته إلى الله العلي القدير خالق الشمس والقمر . فقبله كان آدم وشيث وأبناء آدم وأخنوخ – إدريس – ونوح وعدد لا يعلمه إلا الله من الموحدين .

فكيف يمكن أن يقال إذن إن أخناتون هو أول من دعا إلى توحيد الإله في العالم؟! .
وكيف يمكن أن يقال: إن مزمور داوود عليه السلام منقول لفظاً ومعنى من نشيد
أخناتون؟!؟ وشتان ما بينهما. أحدهما يمجّد الله سبحانه وتعالى والثاني يمجّد الشمس!!
الأول يذكر الشمس كمخلوق لله أنعم بها على الكون، والثاني — أخناتون — يذكر
الشمس باعتبارها الإله الذي خلق الكون وأنعم عليه بالحياة.

* * *

سليمان (عليه السلام) (٩٦١ – ٩٢٢ قبل الميلاد)

زمن سليمان عليه السلام:

تقول دائرة المعارف البريطانية – الطبعة ١٥ ج ٢/٨٧٩ وما بعدها -: إن فترة حكم سليمان امتدت حوالي أربعين عاماً. وتقول إنه تسنم عرش المملكة عام ٩٦١ قبل الميلاد، وتوفي سنة ٩٢٢ قبل الميلاد.

وهي نفس المدة التي حكمها داوود عليه السلام. وتختلف المصادر الأخرى في تحديد المدة وبدايتها ونهايتها، فيجعلها بعض الكتاب من سنة ٩٦٣ حتى سنة ٩٢٣. وتذكر مصادر أخرى أن نهاية عهد سليمان كانت عام ٩١٠ قبل الميلاد. بينما تذكر بعض المصادر أن وفاة سليمان كانت عام ٩٠٠ قبل الميلاد.

ومما تقدم يتضح أن تحديد التاريخ على وجه الدقة لزمن سليمان تحفة الاضطرابات والشكوك مثلما تحف تحديد زمن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون ويوشع بن نون وشاول وداوود.

إذ إن جميع التحديدات الزمنية تختلف من مصدر لآخر، ولكن الشيء الجيد هو أنها جميعها تتفق تقريباً في القرن الذي عاشوا فيه. وإن كانت هناك اختلافات شديدة بين ما يرد في التوراة – المحرّفة – وبين ما يرد في المصادر التاريخية الأخرى حول زمن إبراهيم وزمن يوسف وزمن موسى عليهم السلام.

ومهما كان من أمر فإنه من المتفق عليه أن سليمان عليه السلام حكم فلسطين وما حولها في القرن العاشر قبل الميلاد، وبالذات في النصف الأخير منه. وأن عصره

كان أزهى العصور بالنسبة لبني إسرائيل . وأن مملكته نعمت بسلام ورخاء في عهده لم يسبق له نظير ولا أتى بعده مثله ولا قريب منه .

ومع هذا فإن التوراة المحرّفة عبثت بسيرة سليمان عليه السلام وشوهت صورته كما شوهت صورة أبيه داود عليه السلام من قبل ، وكما شوهت صور الأنبياء عليهم السلام من لدن نوح عليه السلام إلى إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب والأسباط ، ولم تترك موسى وهارون ويوشع بن نون فلوثت صورتهم ووصفتهم بأقبح الأوصاف والصفات ، وألصقت بهم كل رذائل بني إسرائيل وهم منها أبرياء .

سليمان في التوراة المحرّفة :

تأتي سيرة سليمان عليه السلام في التوراة المحرّفة في سفر الملوك الأول — النسخة البروتستانتية — وهو ما يوازي سفر الملوك الثالث عند الكاثوليك من الإصحاح الثاني إلى الإصحاح الحادي عشر، ثم تأتي في سفر أخبار الأيام الثاني من الإصحاح الأول إلى التاسع .

ويكتنف هذه السيرة تناقضات وغلو وخيال وأكاذيب واتهامات باطلة على نبي الله سليمان عليه السلام .

جلوس سليمان على العرش :

عندما شاخ الملك داود قام ابنه أدونيا بتنصيب نفسه ملكاً بالاتفاق مع قائد الجيش يوأب بن صرويه والكاهن أياثار . وكان أدونيا شقيقاً لأبشالوم الذي قتل في المعركة ضد والده داود في الصراع على السلطة .

وكانت حركة أدونيا أشبه بانقلاب عسكري إلا أن الحرس الخاص لداود لم ينضم له ، وكذلك لم ينضم لحركته صادوق الكاهن وبنياهو بن يهويا داع وشمعي وناثان النبي .

وقام أدونيا بدعوة القادة والشعب للاحتفال بتنصيبه ملكاً وذبح لهم الذبائح ووزع عليهم العطايا . وأسرع ناثان إلى أم سليمان بتشبع يخبرها الخبر ويشير عليها بأن تذهب إلى الملك داود وتقول له : «أما حلفت يا سيدي الملك لأمتك قائلاً : إن

سليمان يملك بعدي وهو يجلس على كرسيي ، فلماذا صار أدونيا ملكاً؟ فدخلت بتشبع وقالت له ما أشار به عليها ناثان. ثم تبعها ناثان وحرّض داوود على أدونيا، فغضب داوود، ودعى صادوق الكاهن وناثان النبي وبنياهو بن يهويا داع وقال لهم: «خذوا معكم عبيد سيدكم — الحرس الخاص لداوود — وأركبوا سليمان ابني على البغلة، وانزلوا به إلى جيحون. وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكاً على إسرائيل واضربوا بالبوق وقولوا: ليحيا سليمان. وهو يملك عوضاً عني وإياه قد أوصيت أن يكون رئيساً على إسرائيل ويهوذا. فأجاب بنياهو: «هكذا يقول الرب إله سيدي الملك. كما كان الرب مع سيدي الملك كذلك ليكن مع سليمان ويجعل كرسيه أعظم من كرسي سيدي الملك داوود». (سفر الملوك الأول ١: ٥ - ٣٧).

«وأخذ صادوق الدهن ومسح سليمان ملكاً وضربوا بالبوق. وقال جميع الشعب ليحيا الملك سليمان. وصعد جميع الشعب وراءه. وكان الشعب يضربون بالناي فرحين مهللين حتى انشقت الأرض من أصواتهم». (سفر الملوك الأول ١: ٣٩ - ٤١).

واضطرب أدونيا اضطراباً شديداً عندما علم بالخبر وارتعد. . . وخاف خوفاً شديداً وانطلق «وتمسك بقرون المذبح قائلاً: ليحلف لي اليوم الملك سليمان أنه لا يقتل عبده بالسيف. فقال سليمان: إن كان ذا فضيلة لا يسقط من شعره إلى الأرض ولكن إن وجد به شرٌّ فإنه يموت. فأرسل الملك سليمان فأنزلوه عن المذبح، فأتى وسجد لسليمان، وأطلقه سليمان قائلاً: اذهب إلى بيتك». (سفر الملوك الأول ١: ٤٢ - ٥٢).

وصية داوود لسليمان عند احتضاره :

وأوصى داوود ابنه سليمان عند احتضاره بأن يحفظ وصايا الرب وفرائضه وأحكامه، وأن ينفذ شريعة موسى، وأن يقيم ملكه على العدل والأمانة، ثم قام داوود بتوصية سليمان بقتل مجموعة من الرجال أحسنوا إلى داوود طوال حياتهم، أو أشخاصاً أخطأوا خطايا تافهة وعفا عنهم داوود في حياته. وجعل بذلك ختام حياته كبدايتها قتلاً

وسفكاً وظلماً كما تزعم التوراة المحرّفة . وداوود براء من ذلك كله . وأمر داوود سليمان بأن يقتل :

(١) يوآب بن صُرويه : القائد الأعلى للجيش والذي مكّن لداوود في الأرض وحقق له معظم انتصاراته ، وقتل له معظم أعدائه ، قائلاً له : « لا تدع شيبته تنحدر بسلام إلى الهاوية » .

وكان لسليمان غرض آخر في قتله إذ كان يوآب أيضاً هو مدبر انقلاب أدونيا بن داوود وساعده الأيمن حينما نصب نفسه ملكاً .

(٢) شمعي بن جيرا البنياميني : الذي شتم داوود ثم عفا عنه داوود ورفض أن يقتله عندما تمكن منه ، وذلك ليكسب عشيرته بني بنيامين . . . ولكن الحق في قلب داوود لم يذهب كما تزعم أسفار العهد القديم بل بقي ذلك الحق حتى لحظة الوفاة ؛ فقام وأوصى ابنه سليمان بقتل شمعي لأنه « لعني لعنة شديدة يوم انطلقت إلى محنايم ، وقد نزل للقائي إلى الأردن ، فحلفت له بالرب قائلاً : إني لا أमितك بالسيف . والآن فلا تبرره . وأحدر شيبته بالدم إلى الهاوية » . (سفر الملوك الأول ٢ : ٨ - ٩) .

**أدونيا يذهب إلى والدته سليمان ويتشفع بها
لكي يزوجه أبشج امرأة أبيه داوود :**

ذهب أدونيا إلى والدته سليمان بتشبع وطلب منها أن تشفع له عند سليمان وأن يزوجه أبشج الشونمية - الفتاة الصغيرة الجميلة التي أتوا بها إلى داوود في شيخوخته لكي تحضنه وتدفيه - فقامت والدته سليمان وقالت له : لتعط أبشج الشونمية لأدونيا أخيك امرأة . وقال سليمان لأمه : لماذا أنت تسألين أبشج الشونمية لأدونيا؟ فأسألي له الملك لأنه أخي الأكبر » .

سليمان يغتال أخاه أدونيا :

وكنتم سليمان طلب أدونيا في نفسه ، وقال لعل أدونيا يطلب الملك لنفسه . فأرسل الملك سليمان بنياهو بن يهوياذاً قائداً جيشه وأمره أن يبطش بأخيه أدونيا ؛ فبطش به . (سفر الملوك الأول ٢ : ٢٣ - ٢٥) .

وهكذا قام سليمان كما تزعم التوراة المحرّفة باغتيال أخيه أدونيا بعد أن أمّنه على نفسه وبدون أي مبرر. أما طلب زواج أدونيا من امرأة أبيه فيبدو أنه كان أمراً عادياً عند بني إسرائيل لأن الابن الأكبر ليعقوب، راؤيين نكح سرية أبيه في حياة أبيه، وكذلك فعل أبشالوم بسراري أبيه. وكان الدافع كما تزعم التوراة المحرّفة لعملية الاغتيال هذه أن سليمان توهم أن طلب أدونيا ليس إلا مقدمة لطلب الملك. وبناء على هذا الوهم الذي لا أساس له من الصحة قام باغتيال أخيه.

سليمان يقوم بمجموعة من التصفيات الجسدية :

وما كاد سليمان يبطش بأخيه أدونيا حتى تذكر أولئك النفس الذين ساعدوا أدونيا ونصّبوه ملكاً على إسرائيل والذين كان تظاهر بالعفو عنهم، وهم :

(١) أبياثار الكاهن : ولم يقتله سليمان فوراً بل طرده أولاً من الكهانة ثم قضى عليه .

(٢) يوآب بن صرويه : قائد الجيش وصاحب الفضل على داوود. وهو الذي مكّن له في الأرض وحقق له معظم انتصاراته، وقضى له على معظم أعدائه، بما فيهم أبشالوم بن داوود الذي ثار على أبيه واستولى على الملك بانقلاب عسكري .

وهرب يوآب عندما سمع بقتل أدونيا وطرد أبياثار الكاهن، هرب إلى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح . وهو أقدس بقعة عند بني إسرائيل. فذهب بناياهو إلى سليمان وأخبره أن يوآب قد التجأ إلى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح . فقال سليمان : ولو . . ابطش به . فبطش به بناياهو .

(٣) شمعي بن جيرا البنياميني : وكان لشمعي ذنبان، الأول أنه شتم داوود ذات مرة وعفا عنه داوود آنذاك ظاهرياً، ولكن داوود أوصى عند موته بقتل شمعي انتقاماً من تلك الشتيمة التي مضى عليها ربع قرن من الزمان . — وبإلها من صورة حاكمة لثيمة تصور بها التوراة المحرّفة داوود عليه السلام، إذ يظل طوال هذه المدة يكنّ الحقد والغل في قلبه رغم أنه تظاهر بالعفو — والثاني أن شمعي كان من الملأ الذين مسحوا أدونيا ملكاً. لذا قام سليمان بالتخلص من شمعي وإرسال شيبته إلى الهاوية بالدم كما أمر داوود .

سليمان يقوم بسياسة جديدة ويتزوج من كل الجنسيات :

رغم أن التوراة المحرّفة تعلن مراراً وتكراراً عدم جواز التزوج من غير الإسرائيليات، وعدم جواز تزوج الإسرائيليات من غير اليهود، إلا أن داوود وكثيراً من الآباء، تزوجوا غير إسرائيليات، وأما سليمان فقد تزوج حسب زعم التوراة المحرّفة سبعمائة امرأة من كل جنس ولون. وتسرى بثلاثمائة أخرى.

وصاهر سليمان فرعون مصر وأخذ بنت فرعون، ووطد علاقاته بملك مصر وبالملوك من حوله فأصهر إليهم.

وظهرت حكمة سليمان وخبرته في القضاء بهذه القصة التي يرويها سفر الملوك الأول ٣: ١٦ - ٢٧: «أتت امرأتان زانيتان إلى الملك ووقفتا بين يديه. فقالت إحداهما: استمع يا سيدي. إني وهذه المرأة ساكتتان في بيت واحد وقد ولدت معها في البيت. وفي اليوم الثالث بعد ولادتي ولدت هذه المرأة أيضاً. ولم يكن معنا غريب في البيت. فمات ابن هذه في الليل لأنها اضطجعت عليه فقامت في وسط الليل وأخذت ابني من جانبي وأمتك نائمة وأضجعتني في حضنها واضجعت ابنها الميت في حضني.

وكانت المرأة الأخرى تقول: كلا بل ابني هو الحي وابنك الميت. وهذه تقول: لا بل ابنك الميت وابني الحي. وتلاحيا أمام الملك. فقال الملك: إيتوني بسيف. ثم قال: اشطروا الولد الحي اثنتين وأعطوا نصفاً للواحدة ونصفاً للأخرى. فصرخت الأم الحقيقية آنذاك: أعطوها الولد حياً ولا تميتوه. وقالت الأخرى: بل اشطروه. فعرف الملك الأم الحقيقية وأعطها الولد».

ولما سمع بنو إسرائيل بالقصة تعجبوا من حكمة سليمان وخافوا منه.

وكان سليمان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر. وكان الملوك يقدمون له الهدايا. «وكان له صلح من جميع جوانبه». وسكن يهوذا وإسرائيل آمنين كل واحد تحت كرمته وتحت تينته من دان إلى بئر سبع كل أيام سليمان». (سفر الملوك الأول ٤: ٢١ - ٢٤).

«وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر... . وتكلم بثلاثة آلاف مثل وكانت نشأته ألفاً وخمساً. وتكلم عن الأشجار من الأرز الذي في لبنان إلى الزوفا النبات في الحائط. وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك... . وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان». (سفر الملوك الأول ٤ : ٢٩ - ٣٤).

ولا تحدثنا التوراة - المحرّفة - عما إذا كان سليمان قد علمه الله منطق الطير وأنه كلم النمل، بل تتحدث التوراة عن علم سليمان الواسع بالنبات والحيوان وعن حكمته التي اشتهرت في الآفاق.

بناء الهيكل :

وعزم سليمان على بناء هيكل للرب، لأن الرب ساكن وسط الخيمة كما تزعم التوراة المحرّفة. فبعث سليمان وأتى بالأرز من لبنان وأتى بالصنّاع من كل البلاد، لأن الصنّاع من بني إسرائيل قليل وخبرتهم محدودة.

وفي سنة ٤٨٠ من الخروج من مصر كما تزعم التوراة، بني سليمان هيكلًا فخماً ضخماً للرب ليسكن فيه بدلاً عن الخيمة التي كان ينتقل فيها مع بني إسرائيل أثناء رحلاتهم وتجوّالهم، وبقيت الخيمة في المرتفعات عندما سكن بنو إسرائيل المدن.

وتختلف المصادر التاريخية حول السنة التي بني فيها سليمان الهيكل، ولكنها جميعاً لا تقر أن ذلك وقع سنة ٤٨٠ بعد الخروج، لأن الخروج وقع حوالي سنة ١٢٣٧ قبل الميلاد وسليمان تولى الملك حوالي سنة ٩٦١. (دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥، ١٩٨٢، ج ٢/٨٧٩ وما بعدها).

وتطلب التوراة المحرّفة في وصف بناء الهيكل وأعمدته وغرفته، وكيف غشاها سليمان بالذهب... . وأن الهيكل بأكمله لم يكن فيه حجر، بل كان البناء كله من خشب الأرز اللبناني. وأما المحراب والمذبح فكان من خشب شجر الزيتون.

وبنى سليمان لنفسه قصرًا بعد بناء الهيكل. واستغرق بناء قصر سليمان مدة أطول بكثير من بناء الهيكل، لأن قصره جعله أفخم وأعظم من الهيكل كما تزعم

التوراة المحرّفة . وأن القصر لم يتم بناؤه سوى في ثلاثة عشرة سنة بينما استغرق بناء الهيكل سبع سنين .

ووضع سليمان تابوت الرب في محراب الهيكل في قدس الأقداس تحت جناحي الكرويين ، لأن الكرويين بسطا أجنحتهما على موضع التابوت الذي يسكن فيه الرب – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – وملاً السحاب بيت الرب ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب . حينئذ تكلم سليمان : قال الرب إنه يسكن في الضباب . إني قد بنيت لك بيت سُكنى مكاناً لسكنائك إلى الأبد» . (سفر الملوك الأول ٨ : ٦ – ١٣) .

وهكذا تصور التوراة المحرّفة أن الرب يسكن في تابوت ، وأن التابوت الذي فيه الرب كان ينتقل مع بني إسرائيل من مكان إلى آخر ، وأن الأعداء الفلسطينيين استولوا عليه ثم أعادوه لبني إسرائيل عندما ضربهم بالفئران والبواسير ، ثم عزم سليمان على أن يجعل له مسكناً أبدياً بدلاً من التثتت والسكن في الخيمة ، لأن عصر البداوة قد انتهى وأن للرب أن يستريح ويسكن في قصر ، فجعل له الهيكل . ألا لعنة الله على اليهود . لكنما الله سبحانه وتعالى بشر ، ينتقل من طور البداوة والسكن في الخيام إلى السكن في القصور .

ووقف سليمان بعد أن وضع تابوت الرب في المحراب في قدس الأقداس حيث يكون السكن الأبدي للرب – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – كما تزعم التوراة المحرّفة وقال للرب القابع في التابوت أمامه :

«يا أيها الرب إله إسرائيل ليس إله مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل ، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم» – كلام طيب حسن مخالف لكون الرب ساكناً في التابوت – ثم واصل سليمان كلامه قائلاً : «والآن أيها الرب إله إسرائيل احفظ لعبدك داوود ما كلمته به قائلاً : لا يعدم لك أمامي رجل يجلس على كرسي إسرائيل . . . والآن يا إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داوود أبي . لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض . هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت» . (سفر الملوك الأول ٨ : ٢٢ – ٢٩) .

هيكل سليمان :

يعتبر هيكل سليمان لدى اليهود بمثابة الكعبة لدى المسلمين فهو محط أحلامهم وآمالهم . . وهو الذي بُني ليسكن فيه الرب (تعالى الله عن ذلك) . . وفي آخر الزمان يزعمون أن الرب المسيح (المسيح الدجال) سيظهر فيه .

ويذكر سفر الملوك الأول (عند الكاثوليك، صموئيل الأول عند البروتستانت) أن داود عزم على أن يبني بيتاً للرب يرتاح فيه من التجوال والسكن في الخيام حيث تزعم التوراة أن الرب كان يسكن في خيمة الاجتماع . . وكان يسير مع بني إسرائيل في مرحلة التيه في الصحراء . جاء في سفر الخروج (الإصحاح : ٢٠ - ٢١) : « وارتحلوا من سكوت ونزلوا في أيثام في طرف البرية . وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود من سحب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهاراً وليلاً . لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب» .

ولما عرف الرب ما ينويه داود قال له : «أأنت تبني لي بيتاً لسكنائي؟ لأنني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم، بل كنت أسير في خيمة!!» .

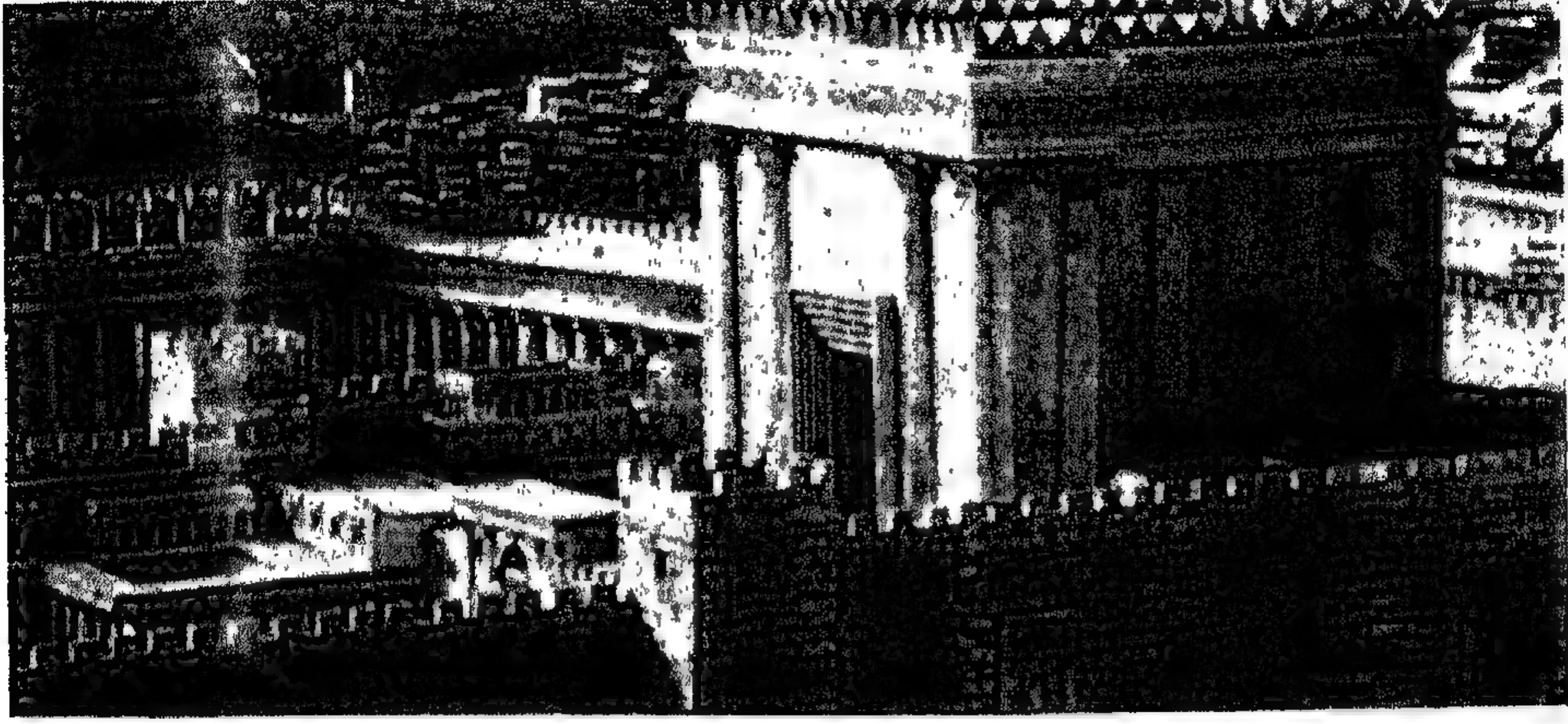
وأعلن الرب أنه مسرور جداً وأن بركاته ستحل على داود وبيته من أجل ذلك . وتمت المقايضة حسب زعم كاتب سفر الملوك، بين داود والرب، حيث قال الرب : هوذا يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد . أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً .

ولم يستطع داود أن يبني بيت الرب، وإنما قام سليمان ابنه ببنائه . وقد استغرق البناء سبع سنوات (٩٦٠ - ٩٥٣ قبل الميلاد) .

ويشبه الهيكل في تصميمه الهياكل الكنعانية المنتشرة في فلسطين وسوريا ولبنان والأردن . . وهو مقسم إلى صالة (المدخل) ثم البهو المقدس ثم قدس الأقداس وهو المذبح ومكان التابوت الذي يجلس فيه رب الجنود الجالس على الكروبيم!!

وقد بنى سليمان عليه السلام قصره الفخم بجوار الهيكل . واستغرق بناء القصر

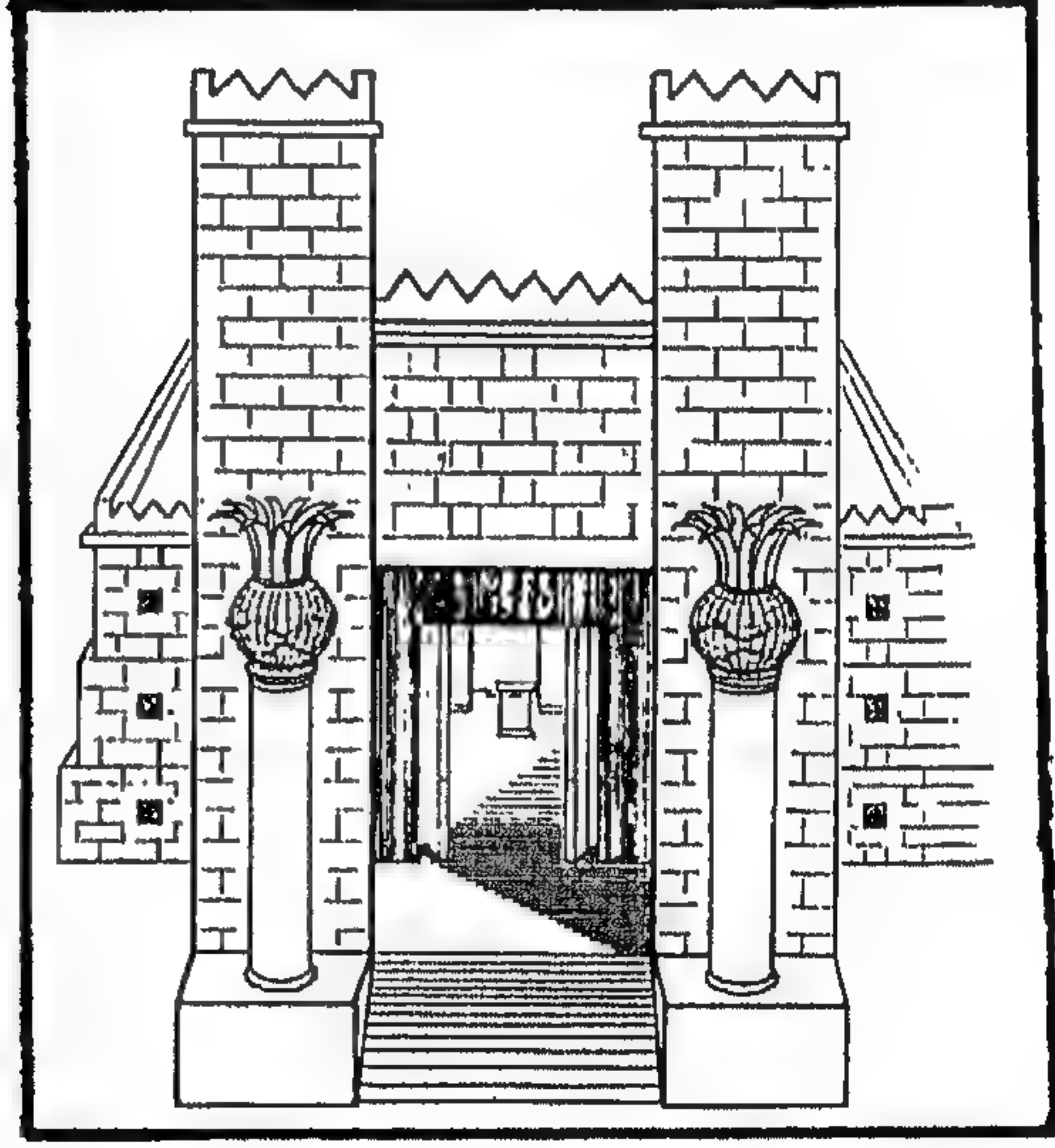
ثلاثة عشر عاماً. كما يحيط بالهيكل أبنية أخرى مثل المحكمة العليا وقاعة الاجتماعات ومراكز قيادة الجند. . . إلخ.



● صورة لهيكل سليمان كما تخيله علماء الآثار.



● المنورة (الشمعدان المستخدم للإضاءة).



● مدخل هيكل سليمان.

بقي هيكل سليمان حتى الغزو البابلي حيث تمّ تحطيمه على يد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ قبل الميلاد الذي حمل كنوزه معه إلى بابل. وقد أعيد بناء الهيكل مرة أخرى بإذن من الملك داريوس الفارسي وعلى يد جماعة من الكهنة أشهرهم زربابل وعزرا ونحميا وقد تم بناؤه فيما بين عامي ٥٢٠ - ٥١٥ قبل الميلاد.

وبطبيعة الحال كان هذا الهيكل أقل روعة من هيكل سليمان ويذكر لنا سفر حجي أن اليهود كانوا يكون على تواضع بناء الهيكل الجديد بالمقارنة مع البناء السابق الذي بناه سليمان. . وزعم لهم حجي أن مجد البناء الجديد الذي سيبنه المسيح (الدجال) سيكون أعظم من هيكل سليمان وستنحني له كل الجباه في الأرض. . وسيحطم كل الممالك وبذل كل الشعوب وتأتي الأمم كلها ساجدة لملكوته وتتوجه إليه بالعبادة. . وتتمجد الشعوب بخدمة شعب الله المختار. . الشعب المقدس الذي جعله الله أخص من كل الشعوب!! ويحكم شعب الرب المقدس كل شعوب الأرض. . وتتمجد هذه الشعوب بلعق حذاء إسرائيل!!

وتحطم الهيكل مرة أخرى على يد القائد الروماني بومبي سنة ٦٣ قبل الميلاد ، ومع هذا بقيت آثار من الهيكل يتعبد فيها اليهود ويعمل فيه عدد من الكهان.

وفي عام ٢٠ - ١٩ قبل الميلاد بدأ هيروود بناء الهيكل مرة أخرى، ولكنه مات قبل أن يتم بناءه. . وظل كذلك فترة طويلة حتى عام ٦٤ بعد الميلاد عندما أتمه أجريبا.

وفي عام ٧٠ بعد الميلاد هدمه القائد الروماني تيتوس للمرة الأخيرة. . ولم تقم للهيكل قائمة حتى اليوم. . ومُنِع اليهود من دخول أورشليم (القدس) وكان من شروط العهد مع عمر رضي الله عنه أن لا يسمح لليهود بدخول إيليا (القدس).

ولم يسمح لليهود بدخولها منذ ذلك الوقت حتى عهد صلاح الدين الأيوبي

الذي اعتبر العهد لاغياً بسبب ما فعله الصليبيون بالمسلمين في القدس وما حولها عندما استولوا عليها.

وقد سمح صلاح الدين لأسر يهودية معدودة بدخول القدس تحت تأثير طبيبه الخاص موسى بن ميمون المشهور لدى العرب باسم أبو عمران ولدى الغربيين باسم ميمونيد (Miamonides)، والذي كانت له حظوة خاصة عند صلاح الدين الذي اتسم بالصفاء ونقاء السريرة والطيبة.

وقد ذكرت أسفار العهد القديم أن المسيح المنتظر (الدجال) سيقوم ببناء الهيكل مرة أخرى.. . وستخضع لابن يسي كل الشعوب وتتمجد فيه كل الأرض.. . ويخضع الجميع لإسرائيل.. . ويتمجدون بخدمة شعب الرب المقدس إسرائيل.. . (يعرف داود بابن يسي.. . وسيكون المسيح المنتظر من نسل داود).

والغريب حقاً أن في الولايات المتحدة اليوم أكثر من أربعين مليون شخص يدينون بهذه العقيدة.. . ويتظنون مجيء مسيح الرب الذي سيبنى الهيكل.. . وعلى رأس هؤلاء الرئيس السابق كارتر والرئيس السابق ريچان.. . وهم يجمعون الملايين استعداداً لبناء الهيكل.

وبطبيعة الحال لن يقوم الهيكل إلا على أنقاض المسجد الأقصى لأنهم يدعون أن المسجد مقام على أرض الهيكل.. . وأن حائط البراق الذي يسمونه حائط المبكى هو جزء من حائط الهيكل.

ويعتقد هؤلاء أن المسيح لن يأتي إلا بعد أن يتم بناء الهيكل.

لذلك كله ترى الدعم المستمر لليهود من ملايين النصارى في الولايات المتحدة وأوروبا والذين يتخذون الخطوات المتتالية لإزالة المسجد الأقصى وبناء الهيكل حتى يتمكن الرب (المسيح الدجال) من النزول إلى هيكل قدسه.

ثم يتحدث سليمان عن مرحلة السبي التي لم تقع إلا بعد قرون طويلة من وفاته حيث حدثت وفاة سليمان سنة ٩٢٠ قبل الميلاد. وحدث السبي على يد نبوخذ نصر سنة ٥٨٥ قبل الميلاد. أي أن بين عصر سليمان وعصر السبي أربعة قرون تقريباً... وذلك يدل دلالة قاطعة على أن هذا الكلام منحول، وأنه قيل بعد مرحلة السبي أو أثناءها أي بعد وفاة سليمان بأكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن من الزمان.

يقول سليمان حسب زعم سفر الملوك: «إذا أخطأوا إليك لأنه ليس إنسان لا يخطيء وغضبت عليهم ودفعتهم أمام العدو وسباهم سابوهم إلى أرض بعيدة أو قرية. فإذا ردوا إلى قلوبهم في الأرض التي يسبون فيها ورجعوا وتضرعوا إليك في أرض سبيهم قائلين قد أخطأنا... ورجعوا إليك من كل قلوبهم في أرض أعدائهم الذين سبواهم وصلوا إليك نحو أرضهم التي أعطيت لأبائهم، نحو المدينة التي اخترت - بيت المقدس: أورشليم - والبيت الذي بنيت لاسمك - الهيكل - فاسمع في السماء مكان سكنائك صلاتهم وتضرعهم... وأعطيهم رحمة أمام الذين سبواهم فيرحمهم لأنهم شعبك وميراثك الذين أخرجت من مصر من وسط كور الحديد. لتكون عينك مفتوحة نحو تضرع عبدك وتضرع شعبك إسرائيل فتصغي إليهم في كل ما يدعونك. لأنك أنت أفرزتهم ميراثاً لك من جميع شعوب الأرض». (سفر الملوك الأول ٨: ٤٤ - ٥٣).

وهكذا ترى التناقض في الأدعية المزعومة لسليمان، وفيها كلام رباني وكلام غث تافه، جمعها الأخبار وأضافوا إليها ما أضافوا من ترهات وتفاهات وشنشنة بأنهم شعب الله المختار، وأن الله جعلهم ميراثه من الشعوب وأنه لا ينظر إلى سواهم إلا بعين الحقد والمكر.

وتزعم التوراة أن الرب سُرَّ جداً ببناء الهيكل وتراءى لسليمان وأخبره بأنه سيسكن في ذلك البيت إلى الأبد، وأنه سيقوم كرسي ملكه إلى الأبد إذا عبدوا الله وحده، وأما إن عبدوا معه آلهة أخرى فإنه سيقطع إسرائيل من وجه الأرض.

سليمان يفرض أعمال السخرة:

ويتهم سفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الثاني أن سليمان فرض أعمال

السخرة على بني إسرائيل وغيرهم من الشعوب لبني الهيكل والقصر وليبي القلعة وسور أورشليم وحاصور وجازر.

وكان فرعون قد قدم مدينة جازر مهراً لزواج ابنته من سليمان — والمهر يقدم عندهم من المرأة للرجل — فقام فرعون بالهجوم على جازر وقتل أهلها الكنعانيين وأحرق المدينة بالنار وقدمها محروقة خالية من السكان مهراً لسليمان. فقام سليمان بإعادة بناء مدينة جازر وأسكن فيها جنوده من مختلف الشعوب.

وجعل سليمان جميع الشعوب من الأموريين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرّموهم — أي أن يقتلوهم ويبيدوهم — جعلهم سليمان عبيداً وسخرة لأعمال البناء (سفر الملوك الأول ٩: ٢٠ — ٢٢).

ملكة سبأ وسليمان:

«وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان وحكمته فأتت لثمتحنه بمسائل، فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً، بجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً وحجارة كريمة، وأتت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها. فأخبرها سليمان بكل كلامها — أي بجواب كل أسئلتها — . فلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان، والبيت الذي بناه وطعام مائدتته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقاته ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب، لم يبق فيها روح بعد. فقالت للملك: صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن حكمتك. . . ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيني فإذا هو النصف مما أخبرت به. طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً السامعين حكمتك». (سفر الملوك الأول ١٠: ١ — ٨).

وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهباً وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة وكذلك أرسل الملك حيرام هدايا وذهباً كثيراً. وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة مائة وستة وستين وزنة ذهب ما عدا الذي من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض.

وعادت ملكة سبأ إلى بلادها في اليمن بعد أن أكرمها «وأعطى الملك سليمان

لملكة سبأ كل مشتهاها الذي طلبت عدا ما أعطاه إياه حسب كرم الملك سليمان .
فانصرفت وذهبت إلى أرضها هي وعبيدها» . (سفر الملوك الأول ١٠ : ١٣) .

وسنستعرض الفوارق الشاسعة بين قصة بلقيس مع سليمان في القرآن الكريم
وقصتها في سفر الملوك عند الحديث عن سليمان عليه السلام في القرآن الكريم .

سليمان يعبد الأوثان ويصنع لها المعابد :

بعد أن سمعنا شيئاً من دعوات سليمان وأناشيد المليئة بالتوحيد وتمجيد الله مع
ما فيها من إضافات حول إسرائيل شعب الله المختار، تتحول التوراة المحرّفة فجأة إلى
شتم سليمان عليه السلام وأنه صنع التماثيل والمعابد لزوجاته ونسائه الألف، وأنه عبد
معهن البعل والعشثروت وملكوم وغيرها من الأوثان .

ولا شك أن ذلك افتراء على نبي الله سليمان وحاشاه أن يفعل ذلك ولكنها
أحقاد يهود على الأنبياء بحيث يلوثون صورتهم ويجعلونهم في أحقر صورة وأبغضها،
لكي يفعلوا ما شاءوا من الموبقات ومن عبادة الأوثان .

وإليك ما ذكره سفر الملوك الأول (الإصحاح ١١ : ١ - ١٢) ، ليوضح لك مدى
حقده هؤلاء اليهود حتى على أنبيائهم بدءاً من إبراهيم وانهاء بعيسى بن مريم مروراً
بموسى وهارون وداوود وسليمان عليهم السلام .

قال مؤلف سفر الملوك الأول :

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون . موآبيات وعمونيات
وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل :
لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق
سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري
فأملت نساؤه قلبه .

«وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم
يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داوود، فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة
الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم

يتبع الرب تماماً كداوود أبيه . حيثئذ بنى سليمان مرتفعة — معبدًا — لكموش رجس الموابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم . ولمولك رجس بني عمّون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغربيات اللواتي كنَّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الربُّ على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب . فقال الرب لسليمان : من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإنني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك» . (سفر الملوك الأول ١١ : ١ — ١٢) .

هكذا يزعم مؤلف سفر الملوك الأول أن سليمان عليه السلام تحول إلى عابد للأوثان من أجل نسائه اللائي بلغن ألفاً . ويا لها من صورة قميئة حقيرة تنتهي بها شيخوخة سليمان حيث يتحول إلى عابد للأصنام مع زوجاته العديداً . فيغضب عليه الرب — حاشاه بل غضب الله ولعناته على اليهود الذين افتروا على الله وعلى أنبيائه الكذب والبهتان — . وقد نفى الله تعالى في القرآن الكريم تهمة السحر والكفر التي ألصقها به يهود فقال تعالى : ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ ، وسنستعرض ذلك بتفصيل عند الحديث عن سليمان عليه السلام في القرآن الكريم .

وتزعم التوراة المحرّفة أن الرب أقام خصماً لسليمان هو هود الأدومي . ثم أقام له خصوماً آخرين منهم رزون بن أليداع وكان في دمشق وصار ملكاً عليها ، وملك على أرام ، وحارب سليمان عليه السلام كما تزعم التوراة ولم يستطع سليمان أن ينتصر عليه بل حقق رزون عدة انتصارات عليه .

ومنهم يربعام بن ناباط — من نسل أفرايم بن يوسف عليه السلام — وكان عبداً لسليمان وجعله سليمان رئيساً للعمال ومسؤولاً عن جميع بيت يوسف . وفي ذات يوم كان يربعام خارج أورشليم فوجده أحد أنبياء بني إسرائيل ويدعى أخيا الشيلوني ، فقام ذلك النبي بتمزيق رداء كان يلبسه إلى اثني عشر قطعة وأعطى يربعام عشرة قطع ثم قال حسب زعم (سفر الملوك الأول ١١ : ٣١ — ٣٢) : «لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل هاأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط ويكون له سبط

واحد من أجل عبدي داوود ومن أجل أورشليم المدينة التي اخترتها من كل أسباط إسرائيل . لأنهم تركوني وسجدوا لعشثروت إلهة الصيغونيين ولكموش إله الموابيين ولملكوم إله بني عمون ، ولم يسلكوا في طريقي ليعملوا المستقيم في عيني وفرائضي وأحكامي كداوود أبيه» .

وطلب سليمان قتل يربعام . ففر يربعام إلى مصر وبقي بها إلى وفاة سليمان ، ولم يستطع يربعام أن يفعل شيئاً طوال أيام سليمان . فلما مات سليمان وملك ابنه رجبام قام كل جماعة بني إسرائيل وقالوا له : إن أباك سليمان قسى نيرنا — أي اضطهدنا بأعمال السخرة — وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك . . . فأجاب الملك رجبام الشعب بقساوة قائلاً : أبي ثقل نيركم . وأنا أزيد على نيركم . أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب» . (سفر الملوك الأول ١٢ : ٤ — ١٤) .

وتحول بنو إسرائيل إلى يربعام ما عدا سبط يهوذا . وبهذا انقسمت مملكة داوود إلى مملكتين متنافستين أشد التنافس هما مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم — القدس — ومملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها شكيم — نابلس في الضفة الغربية اليوم — .

وقد تحطمت مملكة إسرائيل وانتهت على يد الآشوريين سنة ٧٢٠ قبل الميلاد بينما بقيت مملكة يهوذا إلى عام ٥٨٧ قبل الميلاد عندما قام نبوخذ نصر — بختنصر — بالهجوم عليها وتحطيم بيت المقدس ونفي اليهود إلى بابل .

وهكذا انتهت مملكة داوود والتي لم تدم سوى ثمانين عاماً . وقد حكم داوود عليه السلام أربعين عاماً سبعة منها كان فيها حاكماً على سبط يهوذا فقط ثم وحد بني إسرائيل تحت حكمه لمدة ثلاثة وثلاثين عاماً . . . — من سنة ١٠١٠ إلى سنة ٩٦١ قبل الميلاد — . وامتد حكم سليمان عليه السلام من سنة ٩٦١ قبل الميلاد حتى عام ٩٢١ قبل الميلاد أي أربعين عاماً أخرى .

وأما حكم رجبام بن سليمان فلم يدم حكمه على كل إسرائيل سوى بضعة أيام

حيث قام في وجهه يربعام ومعه عشرة من أسباط بني إسرائيل . وأقام يربعام مملكة إسرائيل في الشمال .

ومنذ ذلك اليوم لم تتوحد إسرائيل قط . وسرعان ما انتهت دويلة الشمال على يد الآشوريين سنة ٧٢٠ قبل الميلاد . وأما دويلة الجنوب — يهوذا — فقد استمرت حتى عام ٥٨٧ قبل الميلاد عندما قضى عليها نبوخذ نصر قضاء مبرماً .

ولم تظهر إسرائيل كدولة واحدة إلا عام ١٩٤٨ م ، وها هي اليوم تبسط سلطانها على أراضي لم تمتلكها حتى في أيام داوود وسليمان عليهما السلام .

سليمان عليه السلام في القرآن الكريم :

تتناقض الصورة التي ترسمها التوراة المحرّفة (سفر الملوك الأول ، وسفر الأخبار الثاني) مع الصورة المشرقة المتألّثة التي يرسمها القرآن الكريم لسليمان عليه السلام .

وتتحدث التوراة المحرّفة عن سليمان عليه السلام وتصوره بصورة ملك ذو أبهة وعظمة ، وفي نفس الوقت تصوره بأنه رجل خائن للعهد حيث قام بقتل أخيه أدونيا بعد أن أمّنه على نفسه . وكذلك قام بقتل أباثار الكاهن وشمعي ويوآب بن صرويه بعد أن أمّنه على أنفسهم وتتهم التوراة المحرّفة سليمان عليه السلام بأنه كان يقيم أعمال السخرة لتشيد المباني الفخمة ومنها هيكل سليمان وقصره . حتى إن بني إسرائيل تقدموا إلى رجبام بن سليمان عند توليه العرش وقالوا له : «إن أباك سليمان قسى نيرنا وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك» . (سفر الملوك الأول ١٢ : ٤) .

وما هو أفظح من ذلك كله أن يزعم مؤلف سفر الملوك الأول والأخبار الثاني أن سليمان عليه السلام عبد الأوثان والأصنام مع زوجاته ونسائه اللائي بلغ عددهن ألفاً ، وأنه قام بإنشاء المعابد لهذه الأصنام على المرتفعات في أورشليم وغيرها ، كما تقدم معنا .

ألا لعنة الله وغضب الله على يهود الذين افتروا على الله وأنبيائه الكذب والبهتان .

وأما القرآن الكريم فيتحدث عن سليمان عليه السلام في صورة نبي كريم أنعم الله عليه بالنبوة والملك والحكمة وعلمه مما يشاء، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، وجعل له الجن تأتمر بأمره، وجعل في جيشه الجن والإنس والطير فهم يوزعون، وعلمه منطق الطير، وفهمه لغة النمل وآتاه من الملك ما لا ينبغي لأحد بعده . قال المولى : ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب . وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ .

ويأتي ذكر سليمان مقترناً مع ذكر أبيه داود عليهما السلام في معظم المواضع والآيات التي جاء فيها ذكر سليمان في القرآن الكريم .

وقد جاء ذكره في سورة البقرة (١٠٢)، وسورة النساء (١٦٣)، وسورة الأنعام (٨٤) وسورة الأنبياء (٧٨-٨٢) وسورة النمل (١٥-٤٤) وسورة سبأ (١٢-١٤) وسورة ص (٣٠-٤٠) . وأطول ذكر لقصة سليمان عليه السلام يرد في القرآن الكريم هو في سورة النمل تليها سورة ص ثم تليها سورة سبأ فسورة الأنبياء .

وكل مقطع من هذه السور يعرض لجانب جديد من حياة سليمان عليه السلام الحافلة بجلال الأعمال وغرائب الحكمة والأحداث .

قصة سليمان عليه السلام في سورة البقرة :

قال تعالى :

﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ۖ ﴾ (البقرة: ١٠٢) .

تحدث هذه الآية الكريمة والآية التي قبلها عن اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وبدلاً من ذلك اتبعوا الشياطين التي كانت تعلم الناس السحر.

قال تعالى :

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴿١٠٢﴾﴾ (البقرة: ١٠١ - ١٠٢).

وقد ذكر أهل التفسير - ابن جرير، ابن كثير، القرطبي... إلخ - أن اليهود لما سمعوا أن القرآن يذكر سليمان في الأنبياء والمرسلين سخروا وضجوا بالضحك وقالوا: ما هو إلا ملك ساحر. وقال بعض أحبارهم: يزعم محمد أن ابن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً. فأنزل الله تعالى قرآناً يتلى ينفي هذه الفرية عن عبده سليمان: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ وذكر أهل التفسير أن سليمان ابتلاه الله ونزع منه ملكه. وفي هذه الفترة قامت الشياطين وكتبت كتباً للسحر وأخفتها تحت كرسي سليمان حيث دفنت هناك. فلما مات سليمان أوحى الشياطين إلى أوليائها أن يستخرجوا الكتب وعليها ختم سليمان. فقالوا: إنما ملككم سليمان بهذا السحر.

وقال القرطبي في تفسيره: «والشياطين هنا قيل: هم شياطين الجن، وهو المفهوم من هذا الاسم. وقيل: المراد شياطين الإنس المتمردون في الضلال».

وقد برأ الله تعالى سليمان من تهمة السحر. والسحر قرين الكفر قال تعالى: ﴿وما كفر سليمان﴾ وقد ذكر المفسرون أن اليهود نسبوا سليمان إلى السحر ولم ينسبوه إلى الكفر، وبما أن السحر قرين الكفر صار بمنزلته.

ولكن التوراة المحرّفة الموجودة بين أيدينا - سفر الملوك الأول وسفر الأخبار الثاني - مليئة بالافتراءات التي تدّعي أن سليمان عبد الأوثان وشيد لها المعابد وقد

تقدم ذكرها - سفر الملوك الأول الإصحاح ١١: ١ - ١٢ - ومن ذلك قول مؤلف سفر الملوك: «وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب داوود. فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيغونيين وملكهم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر في عيني الرب... إلخ».

وهذا يدل على واحد من الأمور التالية:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى نفى عن سليمان الكفر وعبادة الأوثان كما نفى عنه السحر في صورة مجملة. وأن أهل التفسير لم يطلعوا على سفر الملوك الأول وسفر الأخبار الثاني الذي فيه التهم الواضحة بعبادة سليمان للأوثان.

الثاني: أن التهمة الموجودة في سفر الملوك الأول وسفر الأخبار الثاني حول عبادة سليمان لم تكن موجودة حين نزول القرآن، بل كتبت وألصقت بسليمان زوراً وبهتاناً بعد نزول القرآن.

وليس ذلك مستغرباً فالتوراة المحرّفة لا تزال تحرف وتغير وتبدل باستمرار إلى اليوم.

الثالث: أن اليهود الموجودين في المدينة لم يكونوا يتهمون سليمان عليه السلام بالكفر وعبادة الأوثان بل كان يتهمونهم بالسحر. ومعنى ذلك أنه كانت هناك أكثر من نسخة من التوراة مختلفة في أقوالها.

والتوراة الموجودة بين أيدينا اليوم لا تذكر تهمة السحر بل تذكر تهمة الكفر وعبادة الأوثان.

وهذا يؤكد أن هناك نسخاً مختلفة من هذه الكتب التي تدعى الكتاب المقدس.

ويكفيها هذا القدر حيث نرى القرآن الكريم يبريء سليمان عليه السلام من تهمتي
السحر والكفر بلفظة واحدة.

موضوع السحر :

ولا يعني أن ندخل في تفاصيل السحر وكيفية تعلمه ، وقصة الملكين بابل
هاروت وماروت لأن ذلك خارج أساساً عن موضوعنا . وكتب التفسير مختلفة فيه أشد
الاختلاف والروايات الواردة كلها أو أغلبها من الإسرائيليات التي لم يصح منها شيء .

ويكفيها هنا أن نثبت حقيقة السحر كما أثبتها القرآن الكريم وأن له تأثيراً سيئاً
على النفوس . وقد ذكر الله تعالى في قصة سحرة فرعون :

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ۝ ﴾ (الأعراف: ١١٦ - ١١٨) .

وقال تعالى :

﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ
وَعَصِيُّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ
حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ۝ ﴾ (طه: ٦٥ - ٦٩) .

وعلى هذا ذهب المعتزلة وطائفة من أهل السنة أن السحر لا حقيقة له بل
هو تخيل وإلقاء في الروع .

ولا يمنع أن يؤثر هذا التخيل في نفس الشخص المسحور .

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ
مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

(البقرة: ١٠٢).

وقد قسم الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»^(١) القول في السحر إلى ما يلي:

(١) السحر: أصله التمويه والتخييل وذكر على ذلك أمثلة من كلام العرب وشعرهم ومن القرآن الكريم في قصة سحرة فرعون ما يثبت أنه تخييل.

(٢) السحر عند المعتزلة وطائفة من العلماء: لا أصل له وهو نوع من الخداع والشعبذة - الشعوذة - وخفة اليد.

(٣) السحر عند أغلب أهل السنة: حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء. والسحر على هذا الوجه أنواع:

(أ) خفة اليد كالشعوذة.

(ب) إن من البيان لسحراً.

(ج) إن الساحر يستطيع أن يغيّر حقائق الأشياء فيقلب الحيوان من صورة إلى صورة ويجعل الإنسان حماراً ونحوه. واختلف الفقهاء في قبول هذا الكلام، فمنهم من نفاه ومنهم من قال به. ومن قبل ذلك قال بقتل الساحر. ومن قال: إن السحر تمويهات وتخيلات لم يقل بقتل الساحر.

(د) إن السحر حقيقة ويمكن تعلمه كما جاء في سورة البقرة (آية ١٠٢) وأنه يفرّق بين المرء وزوجه.

(هـ) إن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في مشط ومشاطة وطلعة جف ذكر، فكان يخيل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتين. ثم نزل جبريل ورفاه بالمعوذتين فأنحلّ السحر. وقد أخرج الحديث الإمامان البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها.

(١) ج ٢، سورة البقرة: آية ١٠٢، ص ٤٣ - ٥٠.

(و) يظهر الساحر خرق العادات مما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق بين زوجين وزوال عقل ، ولكنها جميعاً دون المعجزة ولا تحدث إلا بإذن الله وليس لها قاعدة . فأحياناً يستطيع الساحر أن يحدثها وأحياناً لا يستطيع .

(ز) الفرق بين السحر والمعجزة : السحر يوجد من الساحر وغيره ويمكن تعلمه والتدرب عليه ، والمعجزة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها أو معارضتها ، لأن من شروط المعجزة التحدي بها .

(ح) الحكم في الساحر : ذهب أغلب أهل الفقه - مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد - إلى قتل الساحر إذا سحر بكلام فيه كفر . ولا تقبل توبته عند بعضهم وتقبل عند الآخرين .

وقال بعض الفقهاء : إن كان السحر من التخيل فعليه التعزير . وقال الشافعي في رواية عنه : لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره ، ويقول تعمّد القتل . وإن قال لم أتعلمه لم يقتل وكانت فيه الدية كقتل الخطأ . وإن أضرب بالمسحور أدب الساحر على قدر الضرر الذي ألحقه بالمسحور .

القول في الملكين :

قال تعالى :

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيَسْ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝١٠٢﴾ .

قال القرطبي في تفسيره : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ : « ما » نفى ، والواو للعطف على قوله وما كفر سليمان . وذلك أن اليهود قالوا : إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر

فنفى الله ذلك. وفي الكلام تقديم وتأخير: التقدير وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله: ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها، ولا يلتفت إلى سواء. فالسحر من استخراج الشياطين للطاقة جوهرهم ودقة أفهامهم».

وذكر القرطبي أن هاروت وماروت هما من الشياطين بل من أقطابهم الذين قاموا بتعليم الناس السحر. وقد وافقه على ذلك ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر مختلف الأقوال، وأنه لم يصح في ذلك شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم. وأن الرواية التي تذكر عن عبد الله بن عمر صححت عنه إلى كعب الأحبار وليس إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وكعب الأحبار نقل كثيراً من الإسرائيليات وقد طعن في إسلامه، ووثقه بعضهم. ومع حسن النية فيه فإنه نقل كثيراً من الإسرائيليات التي تصادم النصوص في بعض الأحيان أو التي سكت عنها القرآن الكريم وأحاديث المصطفى فينبغي السكوت عنها.

وخلاصة القول: إن ما ذهب إليه القرطبي وابن كثير هو الذي ينبغي القول به في هذه المسألة. وأن لا يلتفت إلى الأقاويل الكثيرة التي لم يصح منها شيء عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

ذكر سليمان عليه السلام من جملة الرسل ووحدة الرسالة:

يذكر المولى سبحانه وتعالى أنه أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى النبيين من قبل قال تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ (النساء: ١٦٣ - ١٦٥).

وقدّم المولى ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء أن ذلك من دلالة أفضليته على الأنبياء والمرسلين جميعاً صلوات الله عليهم أجمعين .

وقد ذكر المولى سبحانه وتعالى سليمان عليه السلام في هذه السلسلة الكريمة التي أتت برسالة التوحيد من لدن آدم عليه السلام إلى محمد - صلوات الله وسلامه عليه - خاتم الأنبياء والمرسلين .

سليمان عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام :

قال تعالى :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .
(الأنعام : ٨٣ - ٨٤) .

وقد مدح الله سليمان عليه السلام ضمن قائمة الأنبياء المنتسبة إلى إبراهيم عليهم السلام جميعاً وقال عنهم :

﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

(الأنعام : ٨٦ - ٨٨) .

وهكذا نجد القرآن الكريم يصف سليمان عليه السلام بالهدى والنبوة والإحسان وإخلاص العبودية لله ، وأنه أفضل أهل زمانه . بينما تصفه التوراة المحرّفة بالغش والخداع وعبادة الأوثان والاستبداد وأعمال السخرة ، ووصفه اليهود بالسحر وأنه ما كان نبياً بل ساحراً كذاباً أفاقاً .

سليمان في سورة الأنبياء عليهم السلام:

بعد أن نفى الله عن سليمان تهمة الكفر وتهمة السحر التي ألصقتها به يهود عليهم لعائن الله من سورة البقرة، وذكره في قائمة الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام، وجعله ضمن خيرة خلق الله المصطفين المجتبيين، وأن كلاً منهم هو أفضل أهل زمانه، يأتي ذكر سليمان وأباه داوود بشيء من التفصيل في سورة الأنبياء، حيث يقص علينا المولى جانباً من حكمة سليمان التي فاقت حكمة أبيه داوود، وكلاهما قد آتاه الله حكماً وعلماً.

قال تعالى:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُّونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

وهكذا ترد تفاصيل جديدة عن سليمان وأبيه داوود عليهما السلام. ويبدأ المشهد بمجموعة من الأغنام ترعى ليلاً حرث رجل أجهد نفسه في ذلك الحرث، حتى إذا استوت عناقيد الكرم فيه جاءت الأغنام ونفشت فيه فأفسدته وأكلته. فذهب صاحب الحرث وخصمه صاحب الغنم إلى داوود ليحكم بينهما. فحكم داوود بعد تأمل أن يأخذ صاحب الحرث الغنم تعويضاً له على ما أفسدته من حرثه.

ويأتي المشهد الثاني حيث يخرج الخصمان فيجدان سليمان فيسألهما: بم قضى بينكما نبي الله داوود؟ فقالا: قضى بالغنم لصاحب الحرث. فقال: لعل الحكم غير هذا، انصرفا معي. فأتى أباه فقال: يا نبي الله إنك حكمت بكذا وكذا وإنني رأيت ما هو أرفق بالجميع قال: وما هو؟ قال: ينبغي أن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث

فينتفع بالبانها وأصوافها، وتدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم على إصلاحه. فإذا عاد الزرع إلى حاله ردّ كل واحد منهما مال الآخر لصاحبه. فقال داوود: وفقت يا بني. وقضى بما قضى به سليمان.

﴿وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾ ولقد كان حكم داوود عدلاً، ولكن حكم سليمان كان أرفق وأوفق. وفضيلة الولد على أبيه تسر أباه لأنها راجعة في النهاية إليه. وحتى لو قلنا: إن حكم داوود عليه السلام لم يكن صواباً، فهو اجتهاد منه عليه السلام وقد صح عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» رواه مسلم واللفظ له.

وقال الحسن البصري: «لولا هذه الآية لرأيت القضاة هلكوا ولكنه تعالى أثنى على سليمان بصوابه وعذر داوود باجتهاده».

وقد استنبط العلماء عدة مسائل من هذه القصة ذكرها القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن. منها جواز الاجتهاد للأنبياء وأنهم لا يقرون على خطأ وقعوا فيه اجتهاداً. وقال بعض العلماء: إن جميع الأنبياء معصومون عن الخطأ في اجتهادهم. وخالفهم في ذلك مجموعة أخرى جوزوا الخطأ عليهم لكنهم لا يقرون عليه، بل يأتيهم الوحي ليصحح لهم ذلك. ومنها أن للقاضي أن يرجع عن حكمه في القضية إذا تبين له الخطأ فيها، كما فعل داوود حيث نفذ حكم سليمان. وأن القاضي المجتهد له أجر إذا أخطأ وأجران إذا أصاب بشرط أن يكون أهلاً للاجتهاد في المسألة. أما من لم يكن أهلاً لذلك فهو مأزور غير مأجور. وأنه يجوز الاستئناف في القضية بحيث ينظر فيها قاض آخر أعلى رتبة من الأول، أو أن يوجه القاضي الثاني القاضي الأول ويعرفه خطأه. على خلاف بين العلماء في هذا الموضوع، حيث اعتبر بعضهم أن حكم سليمان كان فتياً، لأن الحاكم والقاضي في ذلك الوقت كان داوود. . . وأن الحكم لم يصدر إلا من داوود عندما فهم القضية من سليمان عليهما السلام.

وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل الحوائط — أي البساتين والزرع — حفظها بالنهار. فإذا دخلتها الأغنام أو الإبل أو غيرها من الأنعام فأكلت منها

وأفسدتها بالنهار فلا شيء على صاحب الأنعام. وأن على أصحاب المواشي حفظها ليلاً فإن خرجت المواشي وأتلفت الزرع فصاحب المواشي ضامن. وقد روى الإمام مالك أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدت فيه. فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن على أهل الحوائط بالنهار ضمان وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها (أي أن الضمان على أهل الحوائط بالنهار لأن عليهم حراستها وأن الضمان يقع على أصحاب المواشي بالليل لأن عليهم حفظ مواشيهم ليلاً).

ورغم أن هذا الحديث مرسل إلا أن العلماء قد أخذوا به ما عدا الإمام أبو حنيفة الذي ذهب إلى أن هذا الحكم منسوخ بقوله: «جرح العجماء جبار» أي أن الجرح الذي تسببه البهيمة هدر ولا ضمان فيه. وذهب الليث بن سعد إلى وجوب الضمان على أصحاب الماشية بالليل والنهار.

ثم أثنى الله على داود ثناءً عاطراً، حيث تسبح معه الطير والجبال وتتجاوب مع ترنيماته وتسبيحاته وصوته الرخيم الذي يهز الجماد والطير والحيوان.

قال تعالى: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير. وكنا فاعلين﴾.

وعلمه الله صنعة لبوس من الحديد حيث كانت الدروع تصنع قطعة واحدة فلا يكاد يتحرك فيها المقاتل، فجاء داود عليه السلام وجعلها حلقاتاً حلقاتاً أخذ بعضها برقاب بعض. فجعل فيها المرونة ليتحرك فيها المقاتل بيسر وسهولة ومع ذلك تعطيه الحماية والوقاية. وكان داود أول من اخترع ذلك، وألان الله له الحديد كما قد مر معنا في قصة داود عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾.

ثم ذكر فضله العظيم على سليمان حيث سخر له الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي بارك الله فيها.

قال تعالى: ﴿وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره، إلى الأرض التي باركنا فيها. وكنا بكل شيء عالمين﴾.

وقد أعطاه الله ملكاً لم يعطه أحداً من البشر في هذه الدنيا. ومن ضمن ذلك تسخير الرياح له تأتمر بأمره وتحمل جنده. وتعصف على أعدائه، وتكون رخاء تحمل السحاب والمطر كما جاء في صورة (ص): ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾. وتحمل جنده وأثقاله في يوم مسيرة شهر ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾ أي أن مقدار غدوها مسيرة شهر ومقدار رواحها مسيرة شهر فباغت سليمان الكفار المعاندين، حيث لا يتوقعون وصوله إليهم لبعده المسافة فإذا هو قد صبحهم أو مساهم.

والجدير بالذكر أن التوراة المحرّفة لا تذكر شيئاً عن جهاد سليمان عليه السلام ولا غزواته. ولا عن تسخير الريح والجن له. بل كلما في القرآن الكريم من ذكر عاطر لسليمان عليه السلام غير موجود البتة في العهد القديم – التوراة –.

سليمان ولغة الطير والنمل :

يأتي أطول ذكر في القرآن لسليمان عليه السلام في سورة النمل (آيات ١٥ – ٤٤): حيث ترد قصة سليمان شبه كاملة. منذ وراثته لداود وتسمنه العرش وفضل الله عليه بالملك والنبوة والحكمة، ومعرفة لغة الطير وخضوع الإنس والجن له، وقصته مع النملة التي أنذرت قومها بأن يدخلوا مساكنهم قبل أن يحطمهم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. ثم قصته مع الهدد وما تبعها من قصة ملكة سبأ بلقيس التي أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم. وكيف كانت وقومها تعبد الشمس من دون الله ثم كيف أسلمت في نهاية المطاف مع سليمان لله رب العالمين.

وتظهر هذه الآيات الكريمة نعم الله السابعة على داود وسليمان وأولها نعمة العلم. العلم اللدني الرباني قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ .

يمن الله سبحانه وتعالى على عبديه المنيين داود وسليمان بنعمة العلم فيقبلان

هذه النعمة بشكر المنعم الذي آتاهما هذا العلم وفضلهما على كثير من عباده المؤمنين ولقد علّم الله داوود من العلم اللدني وأعطاه الزبور وجعل له الصوت الحسن الرخيم الذي يسبح به بكرة وعشياً فتجاوبه الجبال والطيور. وعلمه الله صنعة لبوس ﴿وَأَن أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ﴾ فصنع الدروع لأول مرة بطريقة الحلق المتصلة، فكانت واقية في الحرب خفيفة في اللبس سابغة على الجسم. ﴿وَعَلَّمَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾. وأما سليمان فقد أورثه الله علم داوود ونبوته وملكه، وعلمه لغة الطير والنمل وسخر له الريح والجن. ورث سليمان عليه السلام ذلك كله من دون بقية إخوته وهم كثير، فضلاً من الله ونعمة فتحدث سليمان عليه السلام إلى الناس في عصره وزمنه مخبراً لهم بأنعم الله عليه، ومن أعجبها وأغربها فهمه لمنطق الطير وكلامه. وهو أمر لم تصل إليه البشرية بعد إلى يومنا هذا مع كثرة ما فتح الله به من العلوم الكونية في هذه القرون الأخيرة. ثم يذكر لهم أن الله قد آتاه من كل شيء بدون تحديد لتبدو ضخامة هذه النعم وتعددتها بحيث لا يمكن حصرها كثرة.

ويأتي المشهد التالي مهيباً جليلاً حيث يحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطيور فهم يوزعون. ويجمع أوله على آخره حتى لا يتفرق هذا الموكب المهيب الذي لم تشهد له البشرية مثيلاً ولن تشهد. ذلك أن الله استجاب لسليمان عليه السلام وآتاه من الملك ما لا ينبغي لأحد من بعده.

قال تعالى :

﴿وَحِشْرَ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودَهُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

يسير هذا الموكب المهيب الذي لم تعرف له البشرية نظيراً، جيش عرمرم من الجن والإنس والطيور!! حتى إذا اقترب هذا الموكب المهيب من وادي النمل ظهرت معجزة أخرى وخارقة لم نعرف لها نظيراً. قالت نملة :

﴿يَكْأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

ما هي هذه النملة الذكية المدركة لعواقب الأمور!! . وقفت هذه النملة الأمرة توجه أمة النمل الموجودة في ذلك الوادي إلى الخطر القادم . أمرتهم بدخول جحورهم ومساكنهم حتى لا تحطمهم أقدام سليمان وجنوده . ثم تعتذر لهذا الجيش الذي على رأسه نبي كريم فتقول : ﴿وهم لا يشعرون﴾ . لأنه لا يليق بهذا الجيش الذي على رأسه نبي أن يظلم مثقال ذرة وأن يدوس بأقدامه نملاً وهو يشعر . فتبسم سليمان ضاحكاً من قولها . . . وحق له أن يتبسم تعجباً وسروراً بما قالت ، فقد رأى لها من العقل والحكمة ما يفتقده كثير من البشر ، وآها تعتذر له ولجيشه فإنهم لا يقدمون على وطء نملة إلا وهم لا يشعرون . مما يدل على عظيم حرصهم على إقامة العدل والبعد عن الحيف والجور والظلم مهما كان هذا الظلم والتعدي تافهاً في نظر الناس .

وقد سرَّ سليمان عليه السلام بذلك سروراً مضاعفاً لأنه صدر عن هذا المخلوق الضعيف الضئيل الذي لا يكاد يرى ، وأن هذه النملة قالت له وهي لا تشعر بأن سليمان يسمعها ويدرك مقالها . فهي مقالة حق وصدق وليس فيها ما قد يكون في كلام البشر من تملق أو رياء أو طلب منفعة أو دفع مضرة . تلك كلمة خالصة وشهادة أقامها الله لنبيه على لسان هذه النملة الفذة العجيبة . وبهذا يخبرنا القرآن الكريم أن جميع المخلوقات تسبح لله وتعبد له بلغة لا نفهمها ولا ندركها ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ وأن الحيوانات المختلفة والطيور المتباينة ليست إلا أمماً تسبح خالقها ولها لغات تتفاهم فيها على إدراك حاجاتها .

والعلم الحديث بدأ يدرك شيئاً يسيراً من هذه الحقائق التي لا تزال غيباً من الغيب الذي لا يدركه إلا الله ومن شاء من خلقه . فالطير له لغة والنمل لها لغة والنحل لها لغة وكل حيوان من الحيوانات المختلفة له لغة يتفاهم بها ويدرك بها ما يحتاجه .

وقد تمكن الإنسان منذ أزمان وعهود طويلة من تعليم الخيل والكلاب والذئبة وكثير من الحيوانات الأخرى مثل الدولفين والقروذ والقطط والفئران والثعابين ، فهي تأتمر بأمر مدربها وتفعل حسب ما يصدره لها من أوامر .

ومن أعظم ممالك الحيوان مملكة النحل ومملكة النمل وهي تنظم أمورهما وشؤونهما في دقة باهرة، ولها ملك أو ملكة وجنود وحرس وعمال، ولكل فرد منها عمل معين منوط به يؤديه على أحسن وجه دون كلل أو ملل.

وقد ورد في الحديث أن بغيراً اشتكى إلى النبي سوء معاملة صاحبه له. كما ورد أنه تكلم مع الغزالة، وأن الحمام المروع اشتكى له عندما أخذت فراخها. وفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث هذه الحيوانات والطيور بل فهم حنين الجذع وتسبيح الأحجار وسلامها عليه.

لهذا كله تبسم سليمان عليه السلام ضاحكاً من كلام النملة الذكية العاقلة اللببية، وضحك الأنبياء تبسم، وامتلاً قلبه شكراً وحمداً لله الذي أنعم عليه بهذه النعم التي لا تعد ولا تحصى.

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٩)

لقد طلب سليمان أن يجعله الله شاكراً حامداً لأنعمه وأن يزداد من عمل الصالحات التي ترضي ربه، وأن يدخله الله برحمته في عداد العباد الصالحين، فذلك هو الفوز المبين.

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هَذَا أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ (٢٠) لَا عَذَابَ لَهُ
عَذَابٌ شَدِيدٌ أَوَّلًا أَذْبَحْنَاهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢١)

التفت سليمان عليه السلام فلم يجد الهدد. وقد قيل إن سليمان كان يستخدم الهدد ليدله على وجود الماء تحت الأرض كما تفعل الأقمار الصناعية اليوم، حيث تصور الأرض بالأشعة تحت الحمراء فتبدو المناطق التي تحتها الماء أقل في درجة حرارتها من المناطق المجاورة التي بدون ماء. جعل الله للهدد تلك الخاصية. وبحث سليمان عن هذا الطير المقرب إليه فلم يجده. وغضب لأنه لم يستأذن في ذهابه، وتوعد بتعذيبه وبتفريشه أو ذبحه أو أن يأتي بحجة واضحة وعذر مقبول.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾
 إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا
 يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا
 يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
 تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ .

فمكث سليمان فترة وجيزة بعد تفقده للهدهد وإذا بالهدهد يصل ومعه خبر
 جديد، ويقول لسليمان الذي كان أعلم أهل زمانه: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ في ثقة
 وقوة ﴿وجئتك من سبأ نبأ يقين﴾، ويخبره أنه وجد امرأة تملك قوم سبأ وقد آتاها الله
 ملكاً كبيراً واسعاً وعرشاً عظيماً. ولكن ويا للأسف، وجدتها وقومها يسجدون للشمس
 من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم فراوها حسنة؛ فلم يهتدوا إلى الحق ولم
 يروا ما هم فيه من ضلال مبين، حيث تركوا عبادة الله الواحد الأحد الذي يخرج كل
 مخبوء في السماء والأرض، ويعلم سرهم وجهرهم، فيا لهم من حمقى ضلوا السبيل
 وتاهوا في أودية الضلال المبين.

انزعج سليمان عليه السلام لهذا النبأ فهو قد نشر الإسلام في ربوع مملكته وفي
 الممالك المجاورة عن طريق الحرب حيناً، وعن طريق الزواج والمصاهرة حيناً آخر،
 وعن طريق الدعوة إلى الله في كل وقت وحين. قال للهدهد:

﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ
 تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ .

وينتقل المشهد فإذا نحن في اليمن في صنعاء في مدينة الملكة العظيمة بلقيس
 وإذا بالهدهد يتسلل إليها ويلقي كتاب سليمان عليه السلام في مخدعها. تنظر بلقيس
 يمناً ويسرة فلا تجد أحداً تتعجب من ذلك، تفتح الخطاب فإذا هو مكتوب بلغتها
 اللغة الحميرية - اليمنية القديمة - . . . الكتاب موجز قوي العبارة:

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَوْنَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ .

خطاب في منتهى البلاغة والإيجاز والقوة، والغموض في طريقة وصوله إليها

وطريقة عرضه مما جعلها تصفه بأنه كتاب كريم .

﴿ قَالَتْ يَأْيُهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ بِالْكُتُبِ كَرِِيمٌ ۖ ﴾ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٣٠ ۖ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنُؤِنِّي مُسْلِمِينَ ﴾ (٣١) قَالَتْ يَأْيُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣٥) .

تبدو شخصية هذه الملكة اليمينية قوية ساحرة لها مهابة الملك وحصافة الرأي ، لقد تعجبت من طريقة وصول خطاب سليمان لها . وتعجبت من لهجة الخطاب وقوته ، وأدركت أن لهذا الرجل شأنًا وشأواً غير شأن الملوك والعظماء الذين تعاملت معهم من قبل . احتاطت للأمر ودعت عليه القوم وأخبرتهم الخبر وطلبت مشورتهم . فإذا هي تجد قوماً يفتخرون بقوتهم وبأسهم وانتصاراتهم في الحروب ولم يدركوا مغزى رسالة سليمان ولا قوتها ، واعترفوا بأنهم لا رأي لهم فالرأي رأيها والمشورة مشورتها ، فإليها يرجعون وعن رأيها يصدرن ولما اتصفت به من الحكمة والأناة وحصافة الرأي جعلوها ملكتهم التي لا يخالفون لها قولاً . حينئذ أفهمتهم أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون . . . ولا يحسن بهم أن يردوا على سليمان بشيء من الجفاء ، بل عليهم أن يلاطفوه ويبعثوا إليه بهدية . فإن كان ملكاً قبل الهدية ، وإن كان نبياً يدعو إلى دين جديد فلن يقبل الهدية . وعلى ضوء موقفه من الهدية ستحدد خطواتها التالية .

وينتقل المشهد القرآني فجأة من صنعاء باليمن إلى بيت المقدس في فلسطين ليعرض لنا موقف سليمان عليه السلام من الهدية التي وصلتته . وهي هدية وصفها المؤرخون وأهل التفسير بكثير من المبالغات وأن فيها كمية كبيرة من الذهب والفضة ومجموعة من الوصائف والغلمان ، وأشياء ثمينة أخرى . فأمر سليمان بوضع سبائك الذهب والفضة لمسافة تسع فراسخ ، ووضع دواب البحر والبر العجيبة ، وأتى بغرائب في مملكته حتى ينبهر الوفد اليمني ويستصغر ما قدّم من هدايا . ومهما كان من أمر فإن القرآن الكريم لا يذكر لنا شيئاً من هذه التفاصيل ، وإنما يذكر أن سليمان عليه

السلام قال :

﴿ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَاءَ آتَنِ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُم ۖ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ نَفَرَحُونَ ﴾ (٣٦) أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٣٧) .

ونحن ندرك مدى الحرج والضيق والصغار الذي أحسه رئيس الوفد بعد هذا التعنيف الشديد . ولعله حاول أن يستعطف سليمان عليه السلام وأنه سيحاول أن يقنع الملكة بأن تأتي بنفسها إليه .

ونفاجأ في المقطع الثاني بأن الملكة قد أقبلت بوفدها الكبير من اليمن إلى سليمان مستسلمة طائعة بعد أن أخبرها الوفد بغنى مملكة سليمان وقوته الرهيبة .

وإذا هي تقترب من بيت المقدس ويشعر سليمان بقرب مقدمها ، فيتحدث إلى الملاء من رجال بلاطه وحاشيته التي تضم الإنس والجن والطير والوحوش .

﴿ قال : يا أيها الملاء أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ﴾ سمع سليمان بوصف عرشها وعظمته ودقته ، فأراد أن يمتحنها ويرى رباطة جأشها وقوة عقلها وشدة فطنتها التي سمع عنها الكثير عندما يفاجأها بعرشها الذي خلّفته في اليمن ، وأقفلت عليه الأبواب ووضعت في حرز حريز لا يمكن الوصول إليه .

﴿ قَالَ عَفَرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ (٣٩) .

قال سليمان عليه السلام أريد أعجل من ذلك . فقال آصف بن برخيا ، وهو رجل صديق آتاه الله علماً يستخدم فيه الاسم الأعظم :

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ ﴾ (٤٠) .

في لحظات كان العرش قد نبع أمام سليمان . معجزة لنبي الله سليمان وكرامة لولي الله آصف بن برخيا . خفض سليمان رأسه عندما رأى العرش مستقراً عنده تواضعاً لله وشكراً له وقال : ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر؟ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ . وإن سليمان عليه السلام ليعلم أن

الغنى والثروة والملك والجاه والسلطان نوع من الابتلاء، قد يكون في بعض الأحيان أعظم وأشد من الفقر والمسكنة وضيق ذات اليد، ذلك لأن الإنسان في وقت الشدة والضيق غالباً ما يلتفت إلى مولاه وخالفه لينقذه ويفرج همه، أما في حالات السعة والرخاء فإنه ميال بطبعه إلى البطر والأشر والطغيان، إلّا من رحم ربك. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾. ولذا اختلف العلماء في أيهم أفضل: الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟ . . . وكل ذلك ابتلاء من الله وامتحان ﴿وَنَبْلُوكُم بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِتْنَةً﴾، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾. وليس في الغنى والسعة كرامة وليس في الفقر وضيق ذات اليد مهانة. بل الأمر كله نوع من الابتلاء لينظر المولى سبحانه وتعالى، وهو أعلم بعباده، من يشكر ومن يكفر عند الرخاء، ومن يصبر ومن يقنط عند الشدة.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

أمر سليمان عليه السلام الصنّاع المهرة بأن يغيروا في العرش ويبدلوا لينظر رباطة جأش هذه المرأة وهل تهتدي إلى معرفة عرشها الذي خلفته باليمن في حرز حريز؟ ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك؟﴾ لم يقل لها: أهذا عرشك؟ زيادة في التجهيل، فأجابت دون تلجلج: ﴿كأنه هو﴾ وهو جواب حصيف يدل على أنها أدركت أن الذي أمامها هو عرشها قد تمكن سليمان من إحضاره، فتماسكت ولم تفغر فاهاً دهشة. ولم تنفجر باكية أو صائحة: كيف جثتم بعوشي؟ أو من جاء بعوشي إلى بيت المقدس؟

أجابت بكل دقة وهدوء وثبات ورباطة جأش ﴿كأنه هو﴾ ولو سألها أهذا عرشك؟ ل قالت: نعم. فلما غمّي عليها غمت عليهم. وأدرك سليمان عليه السلام رجاحة عقل هذه المرأة وثباتها وحسن تصرفها في الملمات. فأدرك أنها ستتهتدي بإذن الله على يديه إلى الإسلام فقال: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ. وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾. ولقد منعها من الهدى وعبادة الله ما كانت تعبد من دون الله وهي عبادة الشمس. وسبب ذلك أنها نشأت في بيئة

وثنية وقوم كافرين. فلما رفعت عنها الغشاوة، وهي ذات العقل الراجح والرأي
الحصيف، أدركت ما كانت عليه من الضلال. ورتب سليمان عليه السلام لها موقفاً
آخر يجعلها تتنازل عن كبريائها وتسرع بإعلان إسلامها. أعد لها صرحاً عظيماً ممهداً
من قوارير وزجاج رقيق يشف ما تحته من الماء والحيتان والنباتات البحرية
والطحالب. وجلس سليمان في نهاية الصرح على عرشه المهيب تحفه الطير والجن
والإنس.

﴿قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة﴾ حسبته ماء. إذ لم تتصور قط
هذا الماء الذي يجري وفيه من الأسماك الصغيرة أنه مغطى بطبقة شفافة وقوية من
الزجاج البلوري الرائق. تماكنت نفسها من الدهشة وجمعت أطراف ثوبها ورفعته
لتخوض هذه اللجة بكل شجاعة وثبات وقد كشفت عن ساقها ﴿قال - أي سليمان -
إنه صرح ممرد من قوارير﴾ والممرد المملس الممهد، ومنه الأمر الذي ليس له لحية.
عند ذلك سقطت كل الأغشية والأقنعة التي كانت ترين على عقلها. . . سقطت
الكبرياء وعزة الملك وعدم الخضوع لأجنبي ولو كان سليمان عليه السلام. سقط كل
ذلك في لحظة وانجلى لها الحق. ﴿قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان
لله رب العالمين﴾. أسلمت لله واعترفت بظلمها حين أشركت بالله وعبدت الشمس:
﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ وأسلمت مع سليمان نبي الله حيث يجمع الإسلام الكل
في إطار واحد، في أخوة الإسلام. أسلمت معه الله رب العالمين. فهي لم تخضع
لملك من الملوك ولا لجبار من جبابرة الأرض، وإنما أسلمت لله رب العالمين مع
نبي كريم، هو نبي الله سليمان عليه السلام.

وهكذا ينتهي السياق القرآني عند هذه النهاية الرائعة ولا يخوض فيما خاض فيه
أهل التفسير والروايات والقصص والأخبار عن ساقها التي هي مثل الماعز. ولا عن
زواج سليمان بها ومن أنجب منها. . . إلخ، لأن ذلك كله خارج عن مقصد ومغزى هذه
القصة العظيمة. فقد سعى سليمان عليه السلام إلى دعوة الأمم والملوك إلى دين الله
القيوم الحنيف. ولما أخبره الهدد بملكة سبأ وعبادتها وقومها الشمس دعاهم إلى
الله. ودبر لهذه الملكة التي اشتهرت بالحكمة ورجاحة العقل ورباطة الجأش مع الثراء

الواسع والملك العريض ما يدهشها ويبهرها ويحيرها ويخضعها، فيزيل عنها العُجب والكبرياء اللتان تمنعانها عن إدراك دعوة سليمان عليه السلام، وإنه لا مطمع له في دنيا ولا في ملك مع ما آتاه الله من ذلك الملك العريض، ولكنه يسعى لجعل ذلك كله في خدمة الدعوة إلى الله، وتسخير ذلك كله في سبيل الله وجذب الناس كافة في عصره إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد.

وقد نجح سليمان عليه السلام في ذلك نجاحاً باهراً. وربط مملكته القوية والواسعة بمصاهرات مع مجموعة من الملوك الأقوياء المحيطين به، وأبقاهم على ملكهم بعد أن دخلوا في دين الله أفواجاً.

سليمان عليه السلام في سورة ص:

تعرض سورة «ص» لأحداث في حياة سليمان عليه السلام وابتلاءات لم تتعرض لها السور الأخرى التي ذكرت سليمان، مثل سورة البقرة والنساء والأنعام والأنبياء والنمل وسبأ. وقد سبق أن استعرضنا ما جاء في هذه السور من ذكر لسيدنا سليمان ما عدا سورة سبأ التي سنرجى ذكرها إلى الختام لأن فيها قصة موت سليمان عليه السلام. ولهذا سنجعلها في الختام رغم أنها متقدمة في ترتيب المصحف على سورة ص.

بعد أن ذكر الله ابتلاء داوود عليه السلام^(١) يأتي ذكر سليمان وما ابتلي به عليه السلام. قال تعالى:

﴿وَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾.

مدح الله داوود ثم مدح سليمان، وكان سليمان من نعم الله الكبرى على داوود — عليهما السلام — ووصفه بأنه أواب كثير العودة والأوبة إلى الله. واستعرض سليمان عليه السلام خيلاً كان يعدّها للجهاد في سبيل الله. وكانت من كرام الخيل وأجودها،

(١) انظر ص ٣٧١ وما بعدها.

وصفها الله تعالى بقوله: ﴿الصافنات الجياد﴾ والصافنة هي التي تقوم على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر. وهو دلالة على قوة هذه الخيل ونفاستها. والجياد جمع جواد وهو السابق. فهي خيل كريمة تطيع أمر راکبها إن استوقفت وقفت، وإن أركضت سبقت. وكانت ألف جواد. وقد بدأ سليمان باستعراضها بعد الزوال وانشغل سليمان بها تماماً حتى توارت الشمس وغابت، ولم يصل سليمان صلاة العصر، وكانت من أحب الصلوات إليه، كما كانت لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فيما بعد. حزن سليمان وندم على ذلك فقال: ﴿إني أحببت حب الخير - أي الخيل - عن ذكر ربي حتى توارت - الشمس - بالحجاب. ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾. ردوا عليه الخيل فضربها بالسيف وعرقبها لأنها شغلته عن الصلاة وتصدق بلحمها. وقيل بل مسح أعناقها وسوقها بيده إذ لا ذنب لها فيما حدث. وترك سليمان الخيل، فأبدله الله خيراً منها وهي الريح ﴿تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾، ﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾ فتروح وتؤوب فيما يقطعه المسافر شهراً في ذهابه وشهراً في إياه وعودته بوسائل النقل المتاحة في ذلك الزمان. وهي تنقل سليمان وجنوده فيفاجيء بها الأعداء وتنهار بذلك مقاومتهم فيسلمون معه الله رب العالمين.

ويأتي الابتلاء الثاني في صورة جسد ألقى على كرسي سليمان. قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَبْغِي لِي أَحَدٌ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾.

ولقد روى البخاري بسنده في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قال سليمان: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة. كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. ولم يقل إن شاء الله. فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. والذي نفسي بيده، لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

وهناك روايات وإسرائيليات لم يصح منها شيء فنضرب عنها صفحاً وإن ملأت كتب أهل التفسير. وتكفي رواية البخاري في صحيحه. فقد أراد سليمان عليه السلام أن يطوف على سبعين امرأة. كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولكنه لم يقل

إن شاء الله . . . وظن أن ذلك في مقدوره . فعاقبه الله على نسيانه وعدم استثنائه للمشيمة فلم تلد إلا امرأة واحدة، جاءت بمسوخ القوه على كرسي سليمان .

ولا داعي لإنكار هذه الرواية الصحيحة أو التشكيك فيها كما فعل سيد قطب رحمه الله في الظلال أو أحمد بهجت في كتابه القيم أنبياء الله . فقد كانت نية سليمان عليه السلام واضحة في الطواف على زوجاته وسراريه . وهي نية خالصة لله تعالى حيث أعلن عن رغبته في خروج سبعين فارساً من صلبه يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . وكونه قادر على إتيان سبعين امرأة في ليلة واحدة أمر ليس غريباً على قدرة الله تعالى ، فهو له معجزة وكم له ولأنبياء عليهم صلوات الله من معجزات !! وكم لأولياء الله الصالحين من كرامات !! والزمن نسبي تتوقف دورته عندما يأمر الله بذلك تماماً كما توقف لأهل الكهف في نومتهم الطويلة التي بلغت ثلاثمائة عام وازدادوا تسعاً . وكما توقفت في موتة عزيز عندما أماته الله مائة عام ثم بعثه ﴿قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ . وكما توقفت الشمس عن المغيب ليوشع بن نون .

ولا شك أن الله قادر على أن يعطي نبيه أو وليه كرامة توقف دورة الزمن فيفعل في خلال دقائق ما لا يعمل إلا في أيام . ويكفي أن آصف بن برخيا قد أتى بعرش بلقيس من صنعاء إلى بيت المقدس في لمح البصر، وهو أمر لا يمكن أن يتحقق بأحدث الوسائل لدينا اليوم . وكما توقفت الشمس عن المغيب ليوشع بن نون .

وقد أدرك سليمان عليه السلام ما وقع فيه من خطأ إذ لم يقل إن شاء الله عندما هم بالتطواف على نسائه . فاستغفر ربه ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ طلب سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، لا حياً في الملك والأبهة والسلطان، بل من أجل تدعيم الدعوة إلى الله ونشر كلمة الله وإعلائها في الخافقين ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾ فاستخدمها في نشر الدعوة ومعرفة أخبار العدو ونقل جيشه حتى يفاجيء الأعداء فيبغتهم ويجعلهم يستسلمون وينقادون . ﴿والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ . وسخر الله لسليمان شياطين الجن ومردتهم، فكانوا لا يستطيعون أن يزيغوا عن أمره فمنهم من يبني له القصور والتماثيل والجفان والقصور الراسيات، ومنهم من يغوص

أعماق البحر ويأتي له بالدر والمرجان، وأما من تمرد وعصى فإنه ينكل به ويعذب ويوضع في الأصفاد مغلولاً مذموماً. ﴿هذا عطاؤنا﴾ نعم هذا عطاء الله الذي لا نظير له. هذا عطاء الله الواسع ﴿فامنن﴾ يا سليمان وأعط من شئت - أو أمسك ﴿عن العطاء عمن شئت فليس عليك حرج ولا حساب في ذلك كله، فقد جعلك الله خليفة في الأرض كما جعل أباك من قبل﴾ ﴿فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ ليس ذلك فحسب وإنما له عند الله الزلفى والقربى والمآب الحسن الذي تتضاءل معه كل خيرات الدنيا وكنوزها. ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾. وبالله من كرامة يفوز بها سليمان عليه السلام في الدنيا والآخرة!! وهو بها جدير منذ وصفه الله بقوله: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾. وهو كثير الأوبة والتوبة جم الاستغفار كثير الشكر لله تعالى حتى أصبحت سكناته وحركاته وأعماله كلها شكراً لله. ﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾ وكان داود وسليمان عليهما السلام من هذا القليل. ألحقنا الله بهم بمنه وكرمه آمين.

ذكر سليمان عليه السلام في سورة سبأ:

يرتبط ذكر سليمان عليه السلام في القرآن الكريم بذكر أبيه داود صلوات الله وسلامه عليه. قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوَّي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صُلْحًا إِنِّي بِمَاتَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

وقد تقدم ذكر هذه الآيات عند الحديث عن داود عليه السلام في القرآن الكريم. ثم يقول المولى تبارك وتعالى معدداً النعم على آل داود:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاجُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

يذكر المولى نَعَمه المتتالية على داوود وسليمان . فبعد أن ذكر ما لداوود من النعم جاء ذكر سليمان عليه السلام وكيف سخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وأراد، وهي تسير في يوم ما يقطعه المسافر في ذلك الزمان في شهر ذهاباً وشهر إياباً . وبهذه الريح التي جعلها الله لسليمان بدلاً من الخيل التي ضايقته بسبب تركه لصلاة العصر يوماً أثناء استعراضه لها . كان سليمان يفاجئ أعداءه ويبغتهم فيستسلمون في أغلب الأحيان دون قتال . وسخر الله له الجن يعملون بين يديه ويأتون له بالدر والمرجان من أعماق البحار ويبنون له المعابد والهيكل والقصور والمحاريب – والمحراب هو كل مكان مرتفع مخصص للصلاة – ، والجفان – جمع جفنة – وهي الصفحة الكبيرة التي تشبه الجوابي . والجابية هي البركة الكبيرة التي يجتمع فيها الماء . ولا يزال لفظ الجابية يستخدم في حضرموت إلى اليوم ويقصدون به مجمع المياه، ومنه الجباية وجمع الأموال . والجابية بركة كبيرة يجتمع فيها ماء المطر . وتصنع الجن لسليمان هذه الجفان الضخمة والقذور الكبيرة الراسية التي لا تتحرك لثقلها وضخامتها، وقيل : إنها نحتت في الصخور والجبال، وتوضع فيها الأطعمة ليأكل منها آلاف العمال الذين كانوا يعملون في بناء الهيكل في بيت المقدس . وكانوا يصنعون لسليمان التماثيل الرائعة الجميلة ولم تكن محرمة في شرعه . وقيل إنها لم تكن للحيوانات وقيل غير ذلك، وذكر بعضهم أنها كانت صوراً للأنبياء والصالحين توضع في المسجد حتى يذكر الناس اجتهادهم في العبادة فيجتهدون مثلهم ويتأسون بهم . واستدلوا على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : «إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور» . وقد حرم الإسلام التصوير لكل ما له روح ؛ لأنها كانت تعبد، فكانت الحكمة منعها البتة . وقد أباح الفقهاء لعب البنات لما ثبت عن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوجها وهي صغيرة كانت تلعب بالعرائس، وأنه كان بعضها على هيئة خيل لها أجنحة، فلما سألها النبي عن هذه الخيل ذوات الأجنحة أجابت : بأن خيل سليمان كان لها أجنحة فضحك النبي من جوابها .

قال القرطبي في تفسيره : إن العلماء قد استثنوا هذه اللعب من التصوير وكذلك

ما يصنع من الحلاوة أو العجين وما لا بقاء له . كما استثنى بعض العلماء ما كان رقماً في ثوب وما كان يوطأ بالأقدام لمهانتة .

وقد جعل الله لسليمان الريح في خدمته والجن تحت إمرته وأسأل له عين القطر . والقطر هو النحاس . فكما ألان الله لداود الحديد وجعله يصنع منه الدروع السابغة ، ولم يكن ذلك لأحد قبله ، أذاب الله النحاس لسليمان ، وكان سليمان عليه السلام أول من فعل ذلك وخلط النحاس بالحديد فصنع منه البرونز ، وصنع من البرونز الأسلحة المتفوقة . فكان جيش سليمان عليه السلام متفوقاً تفوقاً كبيراً على جيوش أعدائه من جهة السلاح ومن جهة العدد ومن جهة العدة ومن جهة التنظيم ودقته ، ومن استخدام قوى مذخورة مثل الجن والريح والطير . واستخدم سيدنا سليمان النحاس في الصناعة الحربية وفي الصناعة المدنية . وكان من ذلك عجائب لم يعرفها البشر من قبل .

لذلك كله صارت أعمال آل داود كلها شكراً لله . قال داود : « يا رب كيف أطيق شكرك على نعمك . وإلهامي وقدرتي على شكرك نعمة لك تستوجب الشكر » . تحولت كل ذرة في كيان داود وسليمان عليهما السلام إلى تمجيد وشكر لله تعالى على هذه النعم المتتالية . لم يكن شكراً باللسان فحسب ولا شكراً بالجنان فحسب ، وإنما تحولت الأعمال كلها لتكون مظهراً لهذا الشكر . الصلاة شكر ، والصوم شكر ، والصدقة شكر ، والجهد شكر ، والإحسان إلى الناس شكر ، والقضاء بينهم بشرع الله شكر ، وتنفيذ أوامر الله شكر . ﴿اعملوا آل داود شكراً . وقليل من عبادي الشكور﴾ وما أقل الذين تتحول حياتهم كلها إلى شكر متصل لله بالليل والنهار ، بالسر والعلانية ، باللسان والجنان . بهذا كان رجل يطوف بالبيت ويقول : « اللهم اجعلني من القليل » وعمر بن الخطاب يتعجب والرجل يكرر الدعاء العجيب ، فسأله عمر عن ذلك فقال الرجل : « قال الله تعالى : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ » فقال عمر : كل الناس أعلم منك يا عمر .

ويسدل الستار على قصة سيدنا سليمان بمشهد موته . وكما كانت حياته مليئة بالغرائب والعجائب والحكمة كذلك كان موته قال تعالى :

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ .

تخيّل بعض الناس في عهد سليمان وفي مختلف الأزمنة أنّ الجن بما لديهم من القدرات الهائلة التي تتضاءل معها قدرات البشر، أنهم يعلمون الغيب فأراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل في موت سليمان آية تدل على أن هؤلاء الجن لا يعلمون الغيب، ولو علموه لأنقذوا أنفسهم. فقد مات سليمان وبقي واقفاً على عصاته وظن الإنس والجن أنه مستغرق في صلاته. ولبثوا أياماً طويلاً قيل إنها بلغت عاماً، وهم على حالهم تلك يعملون الأعمال الشاقة وسليمان في مكانه لا يريم.

وقد كان سليمان يدخل في صلوات طويلة فلا يجرؤ أحد على مخاطبته حتى ينتهي من تلك الصلاة. بقي سليمان أياماً وهو على تلك الحال، والكل مروع وخائف لا يتجرأ على أن يكلم سليمان. والكل دائب في عمله. فسليمان يرقبه من مكانه المغطى من كل جهة بالزجاج.

استمر الإنس والجن يعملون ويكملون بناء بيت المقدس فلما تم البناء أو كاد جاءت الأرضة وأكلت من عصا سليمان ولم تعد العصا تتحمل هذا الجسم فمالت وخرّ الجسم القوي المتين إلى الأرض. سمع الكل صوت سقوط سليمان. ركضوا جميعاً فإذا بسليمان قد فارق الروح منذ وقت طويل. في تلك اللحظة قالت الجن: لو كنا نعلم الغيب ما لبثنا في هذا العذاب المهين، وهذا العمل المستمر، ولن نستطيع أحدٌ بعد سليمان أن يقهرنا ويسخرنا فقد جعل الله ذلك لسليمان خاصة.

وهكذا يسدل الستار على نهاية سليمان عليه السلام. . وكانت خاتمة حياته عبرة وحكمة مثلما كانت حياته كلها.

* * *

أسفار الحكمة والشعر

حكمة سليمان (عليه السلام)

في أسفار العهد القديم

لقد اشتهر سيدنا سليمان عليه السلام بالحكمة كما اشتهر بها أبوه من قبل . وقد قصَّ الله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء جانباً من حكمة سليمان عليه السلام ، وهو شاب حدث . قال عزَّ من قال : ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾ ، وقد استعرضنا ذلك في الفصل السابق فليرجع إليه القارئ الكريم . كما اشتهرت قصة المرأتين اللتين ادَّعت كل واحدة منهما الغلام ولم تكن هناك بيِّنة لأي منهما ، فقال سليمان : نشطر الولد بينكما ، فقالت الأم الحقيقية : لا تفعلوا ذلك وأعطوه لها ، ووافقت الأخرى ، فعلم سليمان من تكون الأم ومن هي المدَّعية ، ثم أقرَّت بذلك المدَّعية .

وقد قصَّ القرآن الكريم جانباً من حكمة سليمان وحصافة رأيه في قصته مع بلقيس في سورة النمل ، التي سبق استعراضها .

وقد زعم مؤلفو العهد القديم أنهم جمعوا ما قاله سليمان وجعلوه في ثلاثة أسفار ، وهي : سفر الأمثال وسفر الجامعة ونشيد الأنشاد ، ونسبوا كلها لسليمان عليه السلام . وتكوّن هذه الأسفار الثلاثة ، مع سفر المزامير ، مجموعة أسفار الحكمة والشعر والأدب في كتاب العهد القديم . وقد يُضم إليها سفر أيوب الذي يُعتبر قطعة أدبية رائعة . ورغم أن هذه الأسفار تمثل الشعر والحكمة والأدب ، إلا أن ترجمتها ركيكة في اللغة العربية ، مما يفقدها كثيراً من رونقها الشعري والأدبي .

وكما أسلفنا في حديثنا عن سفر المزامير المنسوب لداود عليه السلام ، فقد

أوضحنا أن ذلك السفر ضمَّ شيئاً مما قاله داود عليه السلام مع ما أضيف إليه من ترهات الأخبار وكفرهم وبهتانهم. والشيء ذاته يقال عن هذه الأسفار الثلاثة المنسوبة لسليمان عليه السلام حيث نرى جواهر تلمع من بين الركام والمزابل المحيطة بها.

ويحوي سفر الأمثال مقدمة في امتداح العقل والحكمة والتحذير من أنواع الرذيلة (من الإصحاح الأول: ٧ إلى الإصحاح التاسع: ١٨). ويبدأ الإصحاح العاشر بقوله: أمثال سليمان: «الابن الحكيم يسر أباه والابن الجاهل غم لأمه». ويستمر ذلك إلى الإصحاح (٢٢: ١٦). ثم يذكر أقوال الحكماء بدون تحديد أي اسم بقوله: «أملُ أذنك واسمع كلام الحكماء»، وذلك من الإصحاح (٢٢: ١٧) إلى الإصحاح (٢٤: ٣٤). ثم تبدأ مجموعة جديدة من الأمثال المنسوبة لسليمان عليه السلام من الإصحاح (٢٥: ١) إلى الإصحاح (٢٩: ٢٧) وفيها أمثال تدل على أنها كُتبت بعد عهد سليمان بعدة قرون لأن فيها إشارة إلى السبي البابلي، كما أن هذا القسم يبدأ بقوله: «هذه أيضاً أمثال سليمان التي نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا». وحزقيا عاش بعد سليمان بأكثر من ثلاثة قرون. يبدأ الإصحاح الثلاثون بكلام آجور بن ياقة ويستمر إلى نهاية الإصحاح. ويبدأ الإصحاح ٣١ بقوله: «كلام لموئيل الملك. قول بليغ أدبته به أمه»، وهذا الملك مجهول. وينتهي هذا السفر بالحديث عن المرأة الفاضلة وصفاتها.

سفر الأمثال وهل هو منقول من حكم أمنموبي المصري؟

يعتقد كثير من الباحثين الغربيين وتابعهم في ذلك كثير من الباحثين المسلمين، في أن الذين كتبوا أسفار العهد القديم تأثروا تأثراً شديداً بما وجدوه من الأمم الأخرى. ويذكرون أن نشيد أخناتون الكبير قد نقله كاتب المزامير وغير قليل من ألفاظه وسماء المزمور ١٠٤، وقد سبق استعراضنا لذلك في فصل: مزامير داود. وسنستعرض هنا موقف الباحثين من كتاب الأمثال المنسوب لسليمان عليه السلام. يذكر هؤلاء الباحثين أن سفر الأمثال منقول مع تحريفات بسيطة من كتاب «٣٠ فصلاً في الحكمة» لأمنموبي المصري. وقد عقد العلامة هوجو جرسمان (١٩٢٤م) مقارنة بين كتاب أمنموبي وبين كتاب الأمثال المنسوب لسليمان، وانتهى إلى القول بأن

أفكار أمنموبي سُرقت وظهرت في ثوب جديد حسبما تقتضيه الحاجة في سفر الأمثال.

ويذكر عالم الآثار المصرية (أرمان) والعالم (برستد) أن سفر الأمثال يعتمد اعتماداً كبيراً على كتاب «الحكم» لأمنموبي المصري. وقد قسم أمنموبي كتابه إلى ثلاثين فصلاً واشتهر كتابه باسم «ثلاثون فصلاً من الحكمة»، وأحياناً باسم «الثلاثون» فقط.

وقد نقل كاتب سفر الأمثال العبري كثيراً مما كتبه أمنموبي بعد تغيير طفيف في الألفاظ مع بقاء المعنى. وقد ذكر كاتب سفر الأمثال بعض النصوص المنقولة حرفياً من كتاب أمنموبي أنه كتب ثلاثين فصلاً في الحكمة تماماً مثلما فعل أمنموبي.

ويحتوي سفر الأمثال على ٣١ إصحاحاً - فصلاً - ، ثلاثون منها منسوبة لسليمان عليه السلام، وواحد منسوب لموئيل ملك مسّا الذي علّمته إياه أمه، وقد عقد العالم (برستد) مقارنة بين ما ورد في سفر الأمثال وكتاب «الحكمة» لأمنموبي المصري^(١). وينقل سفر الأمثال أيضاً بعض الحكم المكتوبة على التوابيت المصرية. ونقل سفر أرميا شيئاً من حكم أمنموبي، كما أن المزمور الأول من المزامير المنسوبة لداوود ينقل عن حكم أمنموبي^(٢).

ونحن لا نشك أن سليمان عليه السلام كان حكيماً، فقد شهد له القرآن الكريم بذلك، قال تعالى: ﴿وَكَلَّآ آتِينَا حَكْمًا وَعِلْمًا﴾، أي داوود وسليمان. وورث سليمان داوود وكان مما ورثه عنه الحكمة وفصل الخطاب.

وإذا تشابهت بعض الأمثال لدى الأمم فهو أمر غير مُستغرب. فإننا اليوم نجد كثيراً من الأمثال من الأمم المختلفة ذات الثقافات المتباينة جداً تتشابه في مقصد من المقاصد أو في صيغة من الصيغ.

وعند التدقيق في المقارنة التي وضعها (برستد) بين سفر الأمثال وكتاب

(١) و(٢) د. بدران محمد بدران: «التوراة العقل، العلم، التاريخ»، دار الأنصار، القاهرة، ص ١٨٠ وما بعدها.

«الحكمة» لأمنوبي، نجد أن التشابه بينهما لا يزيد عما هو موجود بين الأمثال الإنجليزية، والأمثال العامية المصرية، والأمثال الصينية. وهناك قاسم مشترك بين الإنسانية كلها تجعل شيئاً غير يسير من تراثها يتشابه في بعض الملامح.

ولا يصحّ أبداً أن نقول مثلاً إن عقيدة التوحيد لدى بني إسرائيل مأخوذة من عقيدة التوحيد عند أختاتون المصري، وهذا ما فعله كثير من الكتاب والباحثين الغربيين، وتابعهم فيه كثير من الكتاب المسلمين!!.

فالعقيدة التوحيد هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي دين آدم عليه السلام ودين أبنائه. وقد بعث الله آدم نبياً ورسولاً إلى أبنائه كما صحّ في الحديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم. وكذلك بعث الله شيث بن آدم برسالة التوحيد إلى إخوته بعد وفاة والده وتناسل أبناء آدم، ثم ظهر إدريس وأخنوخ عليه السلام بعقيدة التوحيد، وهو أحد أحفاد شيث، وقد تقدّم ذكره في فصل آدم (عليه السلام)^(١). ثم جاء نوح عليه السلام ثم تتالت الأنبياء والرسل، وما من أمة إلا خلا فيها نذير.

وأما أختاتون فقد كان عابداً للشمس حسبما هو موجود في أناشيده المترجمة. ولا يصحّ أبداً أن يقال إن أختاتون هو أول من جاء برسالة التوحيد. فهو أولاً لم يعبد الله وإنما عبّد الشمس، وعلى فرض أنه لم يعبد الشمس وإنما عبّد الله فلا يكون أول موحد في تاريخ البشرية، إذ إن أول موحد بكل تأكيد هو آدم عليه السلام.

وأما بنو إسرائيل فقد كانوا موحدين، وكان إبراهيم وبنوه عليهم السلام يعبدون الله وحده على أنقى صور التوحيد، وكذلك كان يعقوب - إسرائيل - وبنوه، وجاءت رسالة موسى وهارون والأنبياء من بني إسرائيل برسالة واحدة هي رسالة التوحيد، ولم يكن ذلك نقلاً عن أختاتون المصري أو الآشوريين والبابليين كما يزعم علماء الآثار ومن تابعهم من الكتاب المسلمين.

لهذا، فإن محاولة اتهام بني إسرائيل بأنهم سرقوا ميراث الأمم الأخرى ونسبوها لأنفسهم أمر لا يقوم عليه دليل. والقرآن الكريم ينقضه. صحيح أن بني إسرائيل

(١) انظر الفصل الثاني (آدم عليه السلام)، ص ٣٩ وما بعدها.

تأثروا بالأمم الأخرى حولهم وعبدوا معهم العجل والبعليم وعشثروت وملكوم وغيرها من الأرجاس . . . إلا أن التوراة والعهد القديم ذاتهما ينددان ببني إسرائيل على تلك الخصال والجرائم .

ونحن لا نشك أبداً في أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل موسى بالتوراة، ولكننا نقول إن هذه التوراة قد أصابها التحريف والتبديل والتغيير على أيدي أحبار يهود مع تطاول الأيام وضياع نسخ التوراة الأصلية .

ومع هذا فإننا ننفي ما يزعمه بعض الباحثين من أن التوراة لم توجد أصلاً في عهد موسى . وأنها أُلِّفت وُجِّمعت بعد وفاة موسى بمئات السنين ، وأنها ضمت أساطير الأمم الأخرى ، ومن ذلك الأساطير البابلية في خلق العالم وقصة الطوفان . . . إلخ .

نحن نرفض ذلك رفضاً مطلقاً لأننا نؤمن بأن القرآن الكريم أنزله الله سبحانه وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم . وقد شهد القرآن الكريم بأن الله سبحانه وتعالى أنزل التوراة هدى ونور يحكم بها النبيون ، وأنه أنزلها على موسى عليه السلام مكتوبة في الألواح ، وأن كل ما ورد في التوراة الحقّة هو من عند الله ، وأن قصة خلق الكون وخلق آدم ليست أساطير ، وأن قصة الطوفان ليس أسطورة بابلية ، بل هي حق وصدق . وذكر البابليين له لا يعني أنه أسطورة ، بل يعني دليلاً إضافياً على صدقه ووقوعه . وأما اختلاف التفاصيل فهو أمر متوقع مع الإضافات والتحريفات التي تقع بتطاول الأزمنة .

من ذلك كله نخلص إلى أن الأمثال المنسوبة إلى سليمان عليه السلام ليست كلها مكذوبة ، وليست كلها من حكم أمنموبي المصري . ولا شك أن جزءاً منها على الأقل هو من كلام سليمان عليه السلام حقاً .

نماذج من سفر الأمثال :

يقول سليمان ، الذي اتهمته التوراة المحرفة بأنه عبد الأوثان وسجد لها وأقام لها المعابد والمذابح ، في سفر الأمثال : تأتي الكبرياء فيأتي الهوان . ومع المتواضعين تأتي الحكمة . لا ينفع الغنى في يوم السخط . وخنزيرة هي المرأة الجميلة العديمة العقل .

شهوة الأبرار هي للخير فقط . من يشتغل بحقله يشبع خبزاً . الكسل لا يمسك صيداً . ثروة العاطلين إلى نقص وغنى المجتهدين إلى زيادة . الحكماء يتشاورون والمتكبرون يختصمون . صلاة المستقيمين أفضل من ذبيحة الأشرار - أي أفضل مما يقدم من القرابين التي يقدسها بنو إسرائيل - . الأحق الساكت يحسب مع الحكماء . اسم الرب حصن حصين . لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام . من سب أباه أو أمه ينطفئ سراجُه في حدقة الظلام . الزارع إنما يحصد بلية . أعد فرسك ليوم الحرب ، أما النصر فمن الرب .

الصيت أفضل من الغنى . امرأة فاضلة من يجدها ، إن ثمنها يفوق اللآلئ . . . هي تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين ، هي كسفن التجار تجلب طعامها من بعيد ، وبثمر يديها تغرس كرماً ، سراجها لا ينطفئ في الليل ، تمد يدها إلى المغزل ، تبسط كفها للفقير ، وتمد يديها للمسكين . ما أحسن امرأة متقية الرب ! أعطوها من ثمر يديها ، أما الجمال والحسن فهما غش وباطل .

مخافة الرب رأس المعرفة أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب .

اسمع يا بني تأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمك ؛ لأنهما إكليل نعمة لرأسك وقلائد لعنقك . إذا دخلت الحكمة قلبك ولذت المعرفة لنفسك ، فالعقل يحفظك والفهم ينصرك ، لإنقاذك من طريق الشرير ومن الإنسان المتكلم بالكاذب ، التاركين سبل الاستقامة للسلوك في مسالك الظلمة ، الفرحين بفعل السوء ، المبتهجين بكاذب الشر ، الذين طرقهم معوجة وهم ملتون في سبلهم .

لإنقاذك من المرأة الأجنبية ، من الغريبة المتملقة بكلامها ، التاركة أليق صباها والناسية عهد إلهها لأن بيتها يسوخ إلى الموت وسبلها إلى الأخيلة . كل من دخل إليها لا يؤوب ، ولا يبلغون سبل النجاة . حتى تسلك في طريق الصالحين ، وتحفظ سبل الصديقين ، لأن المستقيمين يسكنون الأرض والكاملين يبقون فيها . أما الأشرار فينقرضون من الأرض . والغادرون يُستأصلون . . . فم الصديق ينبوع حياة وفم الأشرار يغشاه ظلم . . موازين غشٍ مكرهة الرب ، والوزن الصحيح رضاه . تأتي الكبرياء فيأتي الهوان . ومع المتواضعين حكمة .

لا تكن حكيماً في عيني نفسك. اتق الرب وابعد عن الشر.

يا بني لا تحتقر تأديب الرب ولا تكره توبيخه لأن الذي يحبه الرب يؤدبه وكأبٍ بابن يسرُّ به. طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة وللرجل الذي ينال الفهم. لأن تجارتها خير من تجارة الفضة، وربحها خير من الذهب الخالص، هي أثمن من اللآلئ، وكل جواهرك لا تساويها. . . طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام. هي شجرة حياة لممسكيها، والتمسكُ بها مغبوط.

الربُّ بالحكمة أسَّس الأرض. أثبت السموات بالفهم. بعلمه انشقت اللجج وتقطر السحاب ندى.

لا تمنع الخير عن أهله حين يكون في طاقة يدك أن تفعله، لا تقل لصاحبك اذهب فأعطيك غداً وموجود عندك. لا تخترع شراً على صاحبك وهو ساكن لديك آمناً. لا تخاصم إنساناً بدون سبب، إن لم يكن قد صنع معك شراً.

لا تحسد الظالم ولا تختتر شيئاً من طرقه لأن الملتوي رجس عند الرب.

اذهب إلى النملة أيها الكسلان تأمل طرقها وكن حكيماً. مخافة الرب بغض الشر. من يوبخ مستهزئاً يكسب لنفسه هواناً، ومن ينذر شريراً يكسب عيباً. لا توبخ مستهزئاً لئلا يبغضك. وبخ حكيماً فيحبك أعط حكيماً فيكون أوفر حكمة. بدء الحكمة مخافة الرب.

هذه الستة يبغضها الرب وسبعة هي مكروهة نفسه: عيون متعالية، لسان كاذب، أيدي سافكة دماً بريئاً، قلب ينشئ أفكاراً رديئة، أرجل سريعة الجريان إلى السوء، شاهد زور يفوه بالأكاذيب، وزارع خصومات بين إخوة.

وتتحدث الأمثال عن المرأة الساقطة والمرأة الفاضلة. ويعتبر المرأة الفاضلة نادرة الوجود جداً. . ربما لأن الزنى كان قد انتشر كما نعلم في بني إسرائيل بصورة فظيعة. ولهذا كررت الأمثال المنسوبة إلى سليمان عليه السلام التحذير من المرأة الساقطة. ومن ذلك قوله: «لحفظك من المرأة الشريرة من ملق لسان الأجنبية، لا تشتهين جمالها بقلبك ولا تأخذك بهُدبها. لأنه بسبب امرأة زانية يفتقر المرء إلى رغيف خبز. وامرأة

رجل آخر تقتنص النفس الكريمة. يأخذ إنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابه، أو يمشي إنسان على الجمر ولا تكتوي رجلاه. هكذا كل من يدخل على امرأة صاحبه...».

ولنا ملاحظة سريعة: وهي أن المتحدث يركّز القول على المرأة الأجنبية، أي غير اليهودية. مع العلم بأن سليمان عليه السلام تزوّج، كما تقول التوراة، من جميع الأجنيات حيث جاء في سفر الملوك الأول ما يلي: «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون. موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلوا إليهم ولا يدخلون إليكم. لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمئة من النساء السيدات وثلاثمئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه...»، واتهموا سليمان بأنه عبّد الأوثان وبنى لها المعابد والمرتفعات والمحارق وذبح لهذه الآلهة حتى زعموا أن الرب غضب عليه وطرده من رحمته.

أَوَيْحَذُرُ سليمان من الأجنيات ثم يتمرغ في أعتابهن ويقوم بعد ذلك بعبادة آلهتهن؟! حاشا لله... ما فعل سليمان ذلك ولا عبّد أوثاناً، بل كان كما وصفه ربه بقوله: «نعم العبد إنه أواب»، وهو نبي كريم ابن نبي كريم، بعيد كل البعد عن الرذائل والخنا وعبادة الأوثان. وقد تزوّج سليمان عليه السلام من الأمم المجاورة حتى يقربهم إلى الإسلام، وقد أسلمت زوجاته معه، وأسلم أقوامهنّ. وكان بلاط سليمان، كما كان بلاط أبيه من قبل، يحفل بالأمم الأخرى ويقربهم إليه ويجعل كثيراً من قواده ومستشاريه ممن صلح منهم... فلم يكن داود عليه السلام ولا سليمان عنصرياً ولا كان حاقداً مثل يهود... حاشاهم من ذلك، كانت الرحمة والرافة والمحبة في الله ولله صفاتهم وأخلاقهم ودينهم... لهذا انجذبت إليهم الأمم الأخرى واشتركوا في خدمة بلاط داود وسليمان عليهما السلام.

ونجد في أمثال سليمان عليه السلام تحذير الرجل من الوقوع في الزنى وإثارة النخوة التي ماتت في قلوب أكثر بني إسرائيل... وتنبيه غيره الرجال وحميتهم التي تمرغت في الوحل حتى استمروا الزنى والخنا.

تقول الأمثال: «أما الزاني بامرأة فعديم العقل. المهلك نفسه هو يفعله. ضرباً وخزياً يجد وعاره لا يُمحي، لأن الغيرة هي حمية الرجل فلا يشفق في يوم الانتقام. لا ينظر إلى فدية ما ولا يرضى ولو أكثرت الرشوة»، وقد كان الرجال في بني إسرائيل يسكتون على زنى زوجاتهم وبناتهم. . . وكانوا يكتفون من الزاني حين افتضاحه بأن يدفع مبلغاً من المال تعويضاً عن شرفهم الملوّث. . . ونبّههم سليمان وقرّعهم على هذا السلوك المشين: «الغيرة هي حمية الرجل فلا يشفق في يوم الانتقام»، ولا بد له من المطالبة بتنفيذ الحد، وعليه ألا ينظر إلى فدية ما ولا يرضى بالمال والرشوة لإسكاته عن الجريمة التي ارتكبت.

وفي مقطع آخر من الأمثال يقول: «قل للحكمة أنتِ أختي وادع الفهم ذا قرابة، لتحفظك من المرأة الأجنبية، من الغريبة الملقّة بكلامها». ثم يصف غلاماً عديم الفهم يذهب إلى المرأة الزانية. . . صخابة هي وجامحة. . . في بيتها لا تستقر قدمها. . . تارة في الخارج وأخرى في الشارع. وعند كل زاوية تكمن، فأمسكته وقبلته. أوقحت وجهها وقالت له: على ذبائح السلامة اليوم أوفيت نذوري — يبدو أنها نذرت إن وجدته أن تذبح ذبائح وتقربها للكاهن — بالديباج فرشت سريرى، بموشى كتان من مصر. عطّرت فراشي بمرّ وعود وقرفة. هلمّ نرتد إلى الصباح نثلذ بالحب، لأن الرجل ليس في البيت، ذهب في طريق بعيدة. أخذ صرة الفضة بيده. يوم الهلال يأتي إلى بيته، أغوته بكثرة فنونها، بملّث شفتيها طوّحته. . . ذهب وراءها لوقته كثور يذهب إلى الذبح أو كالغبيّ إلى قيد القصاص، حتى يشقّ سهم كبده. كطير يسرع إلى الفخ ولا يدري أنه لنفسه».

«لا يمل قلبك إلى طرقها ولا تشرد في مسالكها، لأنها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء. طرق الهاوية بيتها هابطة إلى خدور الموت».

خنزيرة هي المرأة الجميلة العديمة العقل!!
المرأة الجاهلة صخابة حمقاء ولا تدري شيئاً.
المرأة الفاضلة تاج لبعْلِها. أما المُخزية فكَنُخِر في عظامه.
امرأة فاضلة من يجدها، إن ثمنها يفوق اللآلىء.

حكمة المرأة تبني بيتها والحماسة تهدمه بيدها.
فم الأجنبية هوة عميقة. ممقوت الرب يسقط فيها.
المرأة المتقية الرب فهي تمدح.
أمر من الموت المرأة التي هي شبك وقلبها أشراك ويدها قيود.
رجلاً واحداً بين ألف وجدت. أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد.
(من سفر الجامعة الإصحاح ٧).

وفي سفر أشعيا (٥ : ١١ ، ١٢) وصف لحالة بني إسرائيل وتنفير من الخمر
واللهو: «ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر، للمتأخرين في العتمة تلهيهم الخمر.
وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم. وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل
يديه لا يرون».

ويقول سفر الأمثال المنسوب لسليمان عليه السلام عن الخمر: «ليس للملوك أن
يشربوا الخمر ولا للعظماء أن يحتسوا المسكر».

«الخمر مستهزئة. المسكر عجاج ومن يترنح فليس بحكيم».

«لمن الويل؟! لمن الشقاوة؟ لمن المخاصمات؟ لمن الكرب؟ لمن الجروح
بلا سبب؟ لمن ازمهراؤ العيين؟ للذين يدمنون الخمر، الذين يدخلون في طلب
الشراب الممزوج. لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر جبابها في الكأس،
وساغت مرققة. في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان. عينك تنظران الأجنبية
وقلبك ينطق بأمور ملتوية، وتكون كمضطجع في قلب البحر أو كمضطجع على رأس
سارية. يقول اضربوني ولم أتوجع. لقد لكأوني ولم أعرف. متى أستيقظ، أعود
أطلبها بعد؟!»، وهو وصف جيد للخمر وآثارها الاجتماعية والنفسية وما يحدث عنها
من مخاصمات ومعارك وجروح وما تؤدي إليه من ارتكاب الشرور والموبقات وجرائم
الزنى. . ويحس شاربها كأنه في قلب البحر بسبب الرأفة والترنح أو كأنه على رأس
سارية فيشعر بالدوار. . وسرعان ما يقع من أعلى السارية. . ثم هو يتبلد إحساسه
فلا يشعر بالضرب واللكمات. . وينام في سكره ولا يكاد يفيق. . وإذا ما أفاق عاد
يطلبها ثانية لأنه أدمن شربها.

هناك كنوز كثيرة في سفر الأمثال: يدعوك لأن تجتنب الشر وتجتنب الأشرار ومطاعمهم وأطايبهم: «إذا جلست تأكل مع متسلط فتأمل ما هو أمامك تأملاً. وضع سكيناً لحنجرتك إن كنت شرهاً. لا تشتت أطايبه لأنها خبز أكاذيب. لا تتعب لكي تصير غنياً. كف عن فطنتك. لا تأكل خبز ذي عين شريرة ولا تشتت أطايبه. اللقمة التي أكلتها تتقيؤها وتخسر كلماتك الحلوة. لا تتكلم في أذني الجاهل بالحكمة لأنه يحتقر حكمة كلامك. لا تدخل حقول الأيتام لأن وليهم قوي وهو يقيم دعواهم عليك».

«لا يحسدن قلبك الخاطئين، بل كن في مخافة الرب اليوم كله لأنه لا بد من ثواب ورجاؤك لا يخيب. لا تحسد أهل الشر ولا تشتت أن تكون معهم لأن قلبهم يلهج بالاغتصاب وشفاههم تتكلم بالمشقة».

«لا تغر من الأشرار ولا تحسد الأئمة لأنه لا يكون ثواب للأشرار. سراج الأئمة ينطفئ، يا بني اخش الرب والملك. لا تخالط المتقلبين لأن بليتهم تقوم بغتة».

«محاباة الوجوه في الحكم ليست صالحة. من يقول للشرير أنت صديق تلغنه الشعوب وتسببه العامة».

ويبدو في بعضها التناقض، مثل قوله: «لا تجاوب الجاهل حسب حماقته لئلا تعدله أنت. جاوب الجاهل حسب حماقته لئلا يكون حكيماً في عيني نفسه». وهو أمر متناقض.

وفي بعضها كلام ملتبس غامض وفيه ادعاء بأنه أزلي خالد كان منذ الأزل مع الله!! يقول صاحب الأمثال على لسان سليمان: الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم. منذ الأزل مُسِيحٌ - أي صرت مسيحاً وهو الممسوح بالزيت. وللمسيح مكانة خاصة، إذ يقف على يمين الرب - منذ البدء، منذ أوائل الأرض. إذ لم يكن غمر أبديت، إذ لم تكن ينابيع كثيرة المياه. من قبل أن قررت الجبال، قبل التلال أبديت. إذ لم يكن قد صنع الأرض بعد ولا البراري ولا أول أعفار المسكونة. لما ثبتت السماوات كنت هناك أنا. لما رسم دائرة على وجه القمر، لما أثبت السحب من فوق، لما تشددت ينابيع الغمر. لما وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه ثخمة، لما

رسم أسس الأرض، كنتُ عنده صانعاً وكنتُ كل يوم لذّته، فرحة دائماً قدامه، فرحة في مسكونة أرضه، ولذّاتي مع بني آدم».

ما معنى هذا الكلام الغامض؟! أيقصد المتكلم باسم سليمان أنه كان منذ الأزل قبل خلق الأرض والسماء.. قبل السحاب والماء.. قبل أن تقرّ الجبال وتبدأ التلال، قبل أن تتحدد للبحار تخومها وللأرض أسسها!! وعندما وضع الله ذلك كله كان المتحدث يشاركه في خلقه «كنت عنده صانعاً!!» وكان المتحدث هو لذة الله وفرحته!!! ولولاه لما خلق هذا الكون، بل كان هو يشاركه في صنعه!!!

سفر الجامعة :

يُنسب سفر الجامعة إلى سليمان عليه السلام أيضاً، وهو يتميز بأسلوب أدبي قوي، رغم ضعف الترجمة في كثير من الأحيان.

يبتدئ السفر هكذا: «باطل الأباطيل، الكل باطل. ما الفائدة للإنسان من كل تعب الذي يتعبه تحت الشمس. دور يمضي ودور يجيء والأرض قائمة إلى الأبد. والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق. الريح تذهب إلى الجنوب وتدور إلى الشمال. تذهب دائرة دوراناً وإلى مداراتها ترجع الريح. كل الأنهار تجري والبحر ليس بملاًن.. كل الكلام يقصر، لا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل. العين لا تشبع من النظر والأذن لا تمتلئ من السمع. ما كان فهو يكون والذي صُنِعَ فهو الذي يُصنع فليس تحت الشمس جديد.. ليس ذكر للأولين. والآخرين أيضاً الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم..»

«أنا الجامعة كنت ملكاً على إسرائيل في أورشليم. ووجّهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات. هو عناء رديء جعلها الله لبني البشر ليعنوا - أي ليتعبوا - فيه. رأيت كل الأعمال التي عملت الشمس فإذا الكل باطل وقبض الريح. الأعوج لا يمكن أن يقوم والنقص لا يمكن أن يجبر. أنا ناجيت قلبي قائلاً: ها أنا قد عظمتُ وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلي على أورشليم.. ووجّهت قلبي لمعرفة الحكمة ولمعرفة حماقة والجهل، فعرفت أن هذا أيضاً قبض الريح لأن في كثرة الحكمة كثرة الغم والذي يزيد علماً يزيد حُزناً».

الرجل الذي يتحدث في هذا السفر شديد التشاؤم مظلم النفس . . لا يؤمن بالحياة الأخرى ولا بالجنة والنار ولا بالثواب والعقاب . . لهذا كل ما في الكون باطل الأباطيل . . لا يرى حكمة الله في الإيجاد ولا حكمته في الموت والحياة ولا حكمته في خلق السموات والأرض . . ولا حكمته في خلق الأكوان وتعريفها . . فالكل باطل وقبض الريح .

«ما الفائدة للإنسان من كل تعب الذي يتعبه تحت الشمس؟» . هكذا يتساءل الجامعة، إذ لا بعث ولا نشور . . وكل ما يجمعه يتركه ويموت . . «كل الأنهار تجري إلى البحر والبحر ليس بملآن» . . «في كثرة الحكمة كثرة الغم والذي يزيد علماً يزيد حزناً» . . دعوة لعدم الازدياد من العلم والحكمة مع أن العاقل يقول: «رب زدني علماً»، وسفر الأمثال السابق ذكره يدعو الإنسان لمزيد من طلب العلم والحكمة .

بعد أن يئأس الجامعة من الحكمة ذهب يجرب اللهو والفرح والخمر لعله يرتاح من القلق المروع الذي أنشب أظفاره في قلبه، فإذا هو يكتشف أن الفرح والسرور أيضاً باطل وقبض الريح . «قلت في قلبي هلم أمتحنك بالفرح فترى خيراً . وإذا هذا أيضاً باطل . . افكرت في قلبي أن أعلل جسدي بالخمر، - حاشا لسليمان عليه السلام أن يسكر ويشرب الخمر هروباً من إحساسه بالقلق - وأن آخذ بالحماسة - يا للغرابة!! أترك الحكمة وآخذ بالحماسة!! - حتى أرى ما هو الخير لبني البشر حتى يفعلوه تحت السموات مدة أيام حياتهم، فعظمت عملي، بنيت لنفسي بيوتاً، غرست لنفسي كروماً، عملت لنفسي جنات وفراDIS . . عملت لنفسي برك مياه . . قنيت عبيداً وجوارٍ وكان لي ولدان البيت . . وكانت لي أيضاً قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا في اورشليم قبلي . جمعت لنفسي أيضاً فضة وذهباً وخصوصيات الملوك والبلدان . اتخذت لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات . فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلي في اورشليم وبقيت أيضاً حكمت معي . ومما اشتتهه عيناى لم أمسكه عنها، لم أمنع قلبي من كل فرح لأن قلبي فرح بكل تعبى، وهذا كان نصيبي من كل تعبى - وهكذا انطلق الجامعة يعب من الشهوات عباً، وحاشا لسليمان عليه السلام أن يكون كذلك - . ثم التفت أنا إلى كل أعمالي

التي عملتها يداي وإلى التعب الذي تعبته فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس».

إن هذا الإنسان القلق التائه الضائع الذي جرّب كل شيء ولم يقنع بشيء، يشبه إلى حد كبير (ألبير كامى) و(سارتر) و(همنچواي)... مجموعة الأدباء المحدثين الذين رأوا الكل باطل... الحياة باطل والموت باطل... لا إله ولا حق ولا خير ولا آخرة ولا حساب ولا عقاب... الكل باطل الأباطيل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس، فأنهوا حياتهم بالانتحار، وأعلنوا قرفهم وضيقهم من هذه الحياة التي يمزغ الإنسان فيها التفاهة... ويجترّ الآلام...

إنها فلسفة العدم والحيرة والشك تمثلها في العربية قصيدة إيليا أبوماضي التي غناها محمد عبد الوهاب «لست أدري»:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيتُ
كيف جئت؟ كيف أبصرتُ طريقي؟ لست أدري

لقد كان الشاعر لبيد في جاهليته خيراً من الجامعة. فقد أدرك لبيد أن كل شيء ما خلا الله باطل، أما الجامعة فالكل باطل الأباطيل وقبض الريح... وعندما أنشد لبيد قصيدته في مكة والرسول صلى الله عليه وسلم يسمع ووصل لبيد إلى قوله:

«ألا كل شيء ما خلا الله باطل»، قال الرسول صلوات الله عليه: صدقت. فلما قال: «وكل نعيم لا محالة زائل»، قال: كذبت فنعيم الجنة لا يزول.

وأما الجامعة - الذي يدّعون أنه سليمان عليه السلام - فليس لديه حق أبداً... الكل باطل وقبض الريح وليس هناك جنة ولا نار «ما الفائدة للإنسان من كل تعب الذي يتعبه تحت الشمس».

والله يقول: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾، و﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره

ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره*، و﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾،
و﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾.

إن الثواب والعقاب والجزاء والحساب لا يدخل ضمن مفاهيم الجامعة مطلقاً .
ولإلا لعلم أن من يعمل خيراً يجازى بالخير ومن يعمل شراً يجازى بالشر وليس الأمر
كما توهم باطل الأباطيل وقبض الريح .

لقد بلغ الأمر بيأس الجامعة أن يرى الحكمة سبيلاً للغم والعلم طريقاً للحزن .
فجرب الشهوات وانغمس فيها وأخذ من كل أطايب الدنيا . نساء، خمر، عبيد،
أموال، أنعام، ذهب وفضة، حرث، كلها أخذ منها بحظ وافر لم يسبقه إليه أحد ممن
ملك أورشليم . . ومع هذا انتهى إلى أن الكل باطل . .

رأى الحكيم والجاهل والغني والفقير والملك والصلعوك ينتهيان إلى نهاية واحدة
محزنة . . هي الموت والعدم . . العدم النهائي الذي لا حياة بعده؛ فانقبضت نفسه
وأظلمت، وقال: «كما يحدث للجاهل كذلك يحدث أيضاً لي أنا . وإذ ذاك فلماذا أنا
أوفر حكمة؟ فقلت في قلبي: هذا أيضاً باطل . لأنه ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل إلى
الأبد . كما منذ زمان كذا الأيام الآتية . الكل يُنسى . وكيف يموت الحكيم كالجاهل؟
فكرهت الحياة لأنه رديء عندي العمل الذي عُمل تحت الشمس، لأن الكل باطل
وقبض الريح فكرهت كل تعبى الذي تعبت فيه تحت الشمس حيث أتركه للإنسان
الذي يكون بعدي» .

إنها صورة قاتمة مظلمة . . تدفع بالإنسان إلى أن يتقيأ نفسه كما يقول (ألبير
كامي) . إنها حياة القلق والضيق والتعاسة التي يعيشها أدباء أوروبا عندما فقدوا الإيمان
بالله . والتي يمثلها أصدق تمثيل كتابات (ألبير كامي) و(سارتر) و(صموئيل بيكت)
و(همنجواي) . . وقد انتهت حياة معظم هؤلاء الأدباء بالانتحار . إذ الكل باطل وقبض
الريح . فما الفائدة إذن من هذه الحياة الكريهة .

إن مصدر هذا الأدب القاتم المظلم هو كتاب الجامعة وسفر أيوب . . وكلاهما
مليء بالكفر والتجديف، واليأس والقنوط ﴿ومن يقنط من رحمة الله إلا القوم
الكافرون﴾ .

يقول الجامعة : «فتحولتُ لكي أجعل قلبي يئأس من كل التعب الذي تعبْتُ فيه تحت الشمس . لأنه قد يكون إنسان تعبهُ بالحكمة والمعرفة وبالفلاح فيتركه لإنسان لم يتعب فيه . هذا أيضاً باطل وشر عظيم لأنه ماذا للإنسان من كل تعبهِ ومن اجتهاد قلبه الذي تعب فيه تحت الشمس . لأن كل أيامه أحزان وعمله غم . أيضاً بالليل لا يستريح قلبه . هذا أيضاً باطل هو» .

إن الجامعة لا يريد لأحد أن يستفيد مما ترك ، لا مال ولا حرث ، ولا علم ولا حكمة . إنه شخص أناني جداً . يريد كل شيء لنفسه ، ويريد لنفسه الخلود الأبدي . وبما أنه لم يسمع بالآخرة ولم يؤمن بها . . ويرى الموت في كل لحظة يخترم النفوس : غنيها وفقيرها ، جاهلها وحكيمها ، تأكد أنه ميت ولا مفر من الموت ؛ فامتلات نفسه غمّاً ، ولم يستطع أن يتمتع بما جمع من مال وأثاث ورياش ونساء وأولاد وأنعام وحرث . . . امتلات نفسه حزناً ومات قبل أن يموت . .

وازداد همّاً وغمّاً عندما رأى موضع الحق ظلم وموضع العدل جور . وبما أن الإنسان يموت كالبهيمة فلا فرق بين ظلم وعدل وبين حق وباطل . يقول الجامعة : «لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم . موت هذا كموت ذاك . وقسمة واحدة لكل . فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل . كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعودون» .

هل هناك كفر أشد من هذا؟ أيعقل أن يقول نبي أرسله الله لهداية البشر هذا الغناء؟! لا حساب لا عقاب ، العدل مثل الجور ، والحق مثل الباطل!! الكل باطل وقبض الريح ، لأن الموت يسوي بين الظالم والمظلوم ، والخير والشرير ، ينتهيان جميعاً إلى التراب كما تنتهي البهيمة ، وتنتهي القضية!!؟ وأي فائدة تُرجى من عمل الخير إذا كانت نهايته التراب . ولماذا يتساوى الجميع؟ الظالم والمظلوم ، العادل والقاسط ، المستقيم والجائر؟! الكل يذهب ويصير تراباً . . لا بعث ولا نشور ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ ، فكما تموت البهيمة يموت الإنسان . . وليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل!!

ويستمر الجامعة في كل إصحاحات هذا السفر على هذا المنوال حتى امتلات

نفسه غمماً وحزناً وغبط الأموات . قال : « فغبطت أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان أكثر من الأحياء الذين هم عائشون بعد . وخير من كليهما الذي لم يولد بعد .

إذا لم يكن هناك بعث ولا نشور ولا حساب ولا عقاب ، فكيف يمضي الظالم في الدنيا دون أن يقتصّ منه ؟ حينئذٍ يشعر الجامعة بأن الموت خير من الحياة وأن باطن الأرض خير من ظاهرها .

إن نفس الجامعة قلقة حائرة . . وهي لا تقبل الظلم . . ولكنها ترى أن النهاية واحدة للبار والشرير . . كلاهما يموت . فاعل الخير وفاعل الشر كلاهما يواريه التراب ويصبح هو تراب . وإذا كل الذي فوق التراب تراب . فيزداد يأساً وحيرة وانقباضاً وغمماً وهماً فيصيح ويصرخ : الكل باطل الأباطيل وقبض الريح . « من يحب الفضة لا يشبع من الفضة ، ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل . هذا أيضاً باطل » .

الغريب حقاً أن الجامعة يذكر الله ولكن ما يؤرقه ويقض مضجعه هو أن الكل يموت موتاً أبدياً لا حياة بعده فيتفكر في الدنيا وأحوالها ، وكلما تفكر ازداد تشاؤماً وغمماً وهماً . « رجل أعطاه الله غنى ومالاً وكرامة وليس لنفسه عوز من كل ما يشتهي ، ولم يعطه الله استطاعة على أن يأكل منه بل يأكله إنسان غريب . هذا باطل ومصيبة رديئة هو » . إنه يرى نفسه في هذه الصورة وقد أعطاه الله مُلكاً لا حدود له ، غنى ومال وكرامة . ونفسه قد فقدت كل رغبة وشهوة في كل هذا المال . . ولا بد أن يأكله الغرباء . . إذن هذا العطاء والكرامة باطل ومصيبة رديئة !!

الإنسان يولد ويموت ولو عاش مئة سنة . . « في الباطل يجيء ، وفي الظلام يذهب ، اسمه يغطى بالظلام !! وإن عاش ألف سنة مضاعفة ولم يرَ خيراً أليس إلى موضع واحد يذهب الجميع ؟ . كل تعب الإنسان لغمّه ومع ذلك فالنفس لا تمتلئ . . لأنه ماذا يبقى للحكيم أكثر من الجاهل ؟ إذن الكل باطل الأباطيل وقبض الريح . . فيوم الممات خير من الولادة . الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب . . لا تكن باراً كثيراً ولا تكن حكيماً بزيادة !! لماذا تُخرب نفسك ؟ لا تكن شريراً كثيراً ولا تكن جاهلاً . لماذا تموت في غير وقتك . حسن أن تتمسك بهذا وأيضاً أن لا ترخي يدك عن ذاك » .

أمر في منتهى الغرابة. أن يدعو سليمان عليه السلام — وهذا كذب لا ريب فيه — إلى أن يعتدل الإنسان في عمل الخير وفي عمل الشر، وأن يعتدل في أمر الحكمة، لأن الحكمة تورث الغم. . وبما أن الإنسان لا يعيش إلا مرة واحدة، فعليه أن يتمتع بهذه الحياة قدر استطاعته. لماذا يموت في غير وقته؟! عليه أن يأخذ من كل مُتَمَع الدنيا. . من الخير والشر. . المهم أن يتمتع بالدنيا لأنه لا آخرة هناك.

وهذا الكلام يمثل فلسفة أحبار يهود أصدق تمثيل، كما يمثل فلسفة الغرب اليوم. . تمتع بالحياة قدر ما تستطيع، فالموت سيحصد الكل. . ولكن لا تجعل هذه المتع سبباً في هلاكك وموتك قبل الأوان. فليس لك إلا حياة واحدة.

«غداً يظهر الغيب واليوم لي. وكم يخيب الظن بالمقبل». كما يقول الخيام. . فعليك إذن أن تمتّع عينيك ونفسك بكل متع الدنيا حلالها وحرامها، بشرط واحد فقط هو أن لا تؤدي بك إلى الموت قبل الأوان. افعل الخير وافعل الشر كلاهما يزيد في متع الدنيا!! إنَّ من أراد أن يعرف فلسفة الغرب اليوم الذي يسيطر عليه اليهود بأرجاسهم فليقرأ ما كتبه أحبار يهود ونسبوه إلى سليمان عليه السلام وهو منه براء.

ومما يزيد في حيرة الجامعة أنه يرى الأشرار يُدفنون في الهيكل والأماكن المقدسة، بينما الذين عملوا بالحق ذهبوا ونُسوا في المدينة. ويصرخ قائلًا: هذا أيضاً باطل. يوجد باطل يجري على الأرض. أن يوجد صديقون يصيبهم مثل عمل الأشرار ويوجد أشرار يصيبهم مثل عمل الصديقين، فقلت: «إن هذا أيضاً باطل. فمدحت الفرح لأنه ليس للإنسان خير تحت الشمس إلا أن يأكل ويشرب ويفرح». «إن هم إلا كالأنعام» يأكلون ويشربون ويمرحون. هذا هو آخر ما توصل إليه الجامعة حسب زعمهم. . على الإنسان أن يكون مثل البهائم تأكل وتشرب ولا تفكر، إذ أنَّ الفكر هو سبب الغم والحكمة هي سبب الهلاك. . لا حياة ولا بعث ولا نشور، فالكل باطل الأباطيل. الصالح كالخاطيء، والصديق كالشرير، والطاهر كالنجس، والذي يذبح — أي يقدم القرابين لله — كالذي لا يذبح. حادثة واحدة للجميع. تضمهم جميعاً يأتيهم الموت جميعاً. هذا أشرُّ كل ما عمل تحت الشمس أن حادثة واحدة للجميع. . لكل الأحياء يوجد رجاء، فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت. لأن الأحياء يعلمون

أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نُسي ومحبتهم وبغضتهم وحسدُهم هلكت منذ زمان، ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد في كل ما عمل تحت الشمس».

يرتعد الجامعة ويصرخ من هذه النتيجة الحتمية التي يصل إليها: الكل باطل الأباطيل وقبض الريح. لأنه لا يؤمن ببعث ولا نشور ولا حساب ولا عقاب. والواقع أن كل من كان له فكر وروية وحكمة، ولم يكن قد آمن بيوم الحساب فلا شك أنه سينتهي إلى ما انتهى إليه الجامعة. قلق وضيق وكرب وغم. الكل باطل وقبض الريح، ولا منقذ من هذه النهاية الحزينة التي قذفت بمفكري الغرب اليوم إلى الانتحار إلا الإيمان بالله وباليوم الآخر.

إن عقيدة اليوم الآخر والجزاء أساسية للإنسان. . وإلا فالموت خير له من الحياة والذين لم يولدوا بعد هم السعداء.

يصرخ الجامعة ما دام الأمر كذلك. وما دامت الهاوية ستأخذ الجميع: «اذهب كُلْ خبزك وفرح واشرب خمرك بقلب طيب. . التذّ عيشاً مع المرأة التي أحببتها كل أيام حياة باطلك التي أعطاك إياها تحت الشمس، كل أيام باطلك لأن ذلك نصيبك في الحياة وفي تعبك الذي تتعبه تحت الشمس. كل ما تجده يدك لتفعله فافعل بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها».

من أراد أن يعرف فلسفة البلاد الشيوعية فليقرأ سفر الجامعة. . من أراد أن يعرف فلسفة اليهود الذين يحكمون العالم والذين جعلوا معظم الناس في الغرب والشرق يسيرون على منهجهم في التفكير وضلالاتهم فليقرأ سفر الجامعة.

من أراد أن يعرف مصادر الفكر الحديث. . فكر (كامي) و (سارتر) و (بيكيت) و (همنچواي) فليقرأ سفر الجامعة، فإنه مصدر إلهام لكل هؤلاء بما فيهم إيليا أبو ماضي وبعض محاولات المازني حين يقلدهم.

بعد أن يثس الجامعة من كل ما رأى اتخذ مذهب (أبيقور) الفيلسوف اليوناني. . صاحب مذهب اللذة. السعادة هي في اكتساب اللذة. إن كانت اللذة في المال فعليك

(١) انظر كتاب عبد القادر المازني: قبض الريح.

بجمعه، إن كانت اللذة في المرأة التي تحبها فلماذا تمنع نفسك عنها باسم العفة؟! إن كانت اللذة في الخمر فلماذا تصفها بأقبح الأوصاف وتقول الخمر عجاج.. الخمر مستهزئة ومن يترنح فليس بحكيم..

افعل ما شئت طالما أن فيه لذة، ولكن اعلم أن الإسراف في كل شيء يؤدي إلى الألم وإلى الهلاك.. فلماذا تريد أنت أن تقوِّض حياتك؟ وليس لك إلا حياة واحدة؟ لماذا تموت في غير وقتك؟!

لهذا كله يدعوك الجامعة إلى أن تمتع نفسك بالطعام الهني والخمر المعتقة والفتاة الجميلة.. وإن احتجت لفعل الشر وظلم الآخرين فافعل.. لا تكن شريراً كثيراً لأن التماذي في الشر يضر القلب ويهلك النفس ويذهب متع الحياة. الخمر تفرح العيش لكن التماذي فيها يذهب لذة الحياة..

هذه هي خلاصة فلسفة الأحبار التي وضعوها في سفر الجامعة ونسبوها زوراً وبهتاناً وكذباً لسليمان عليه السلام، وهو منها براء.

سفر نشيد الإنشاد:

سفر نشيد الإنشاد، وهو السفر الثالث في العهد القديم المنسوب لسليمان عليه السلام، ويمثل مع سفر الأمثال وسفر الجامعة وسفر المزامير — المنسوبة لداوود — أسفار الأدب والشعر والحكمة، والتي قد يضاف إليها أيضاً سفر أيوب.

ونشيد الإنشاد هو نشيد يتغنى به اليهود في أعيادهم وكنائسهم وبيعهم.. وهو شعر غزلي جنسي غليظ.. ليس بينه وبين الدين أي علاقة. إنه يمثل سياسة أحبار يهود نحو الجنس.. ونحن نعلم من حديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.. وأنهم لفرط حبهم للنساء والزنى جعلوا الأنبياء كلهم زناة والعياذ بالله، أوقوادين.. ومنهم من لا يكتفي بكل ذلك بل يعتدي على ابنته أو أخته.

فإبراهيم حسب زعمهم تزوج سارة أخته، ثم عرضها على ملك مصر وعلى ملك

الفلسطينيين أبيمالك ليكسب من ذلك ذهباً وفضة. . والشيء ذاته فعله إسحاق حسب زعمهم.

ويعقوب تزوج راحيل وأختها ليئة. وغازل يعقوب راحيل وقبّلها قبل أن يخطبها وقبل أن يتزوجها. . وكان يحب راحيل الجميلة ويبغض ليئة السمينة. وكانت راحيل تذكر له الفروق بينها وبين شقيقتها التي فتح الله رحمها فولدت له أولاداً كثيرين، . تقول راحيل: «كيف تمضي ليلة كاملة مع أختي هذه دون أن تلاحظ الفرق بيننا ولا مرة واحدة؟! ألم تلمس شعرها الخشن؟ ألم تشعر بيديها السمينتين الثقيلتين حولك. وعندما قبّلت حلمتيها، كما اتفقنا، ألم تدرك مباشرة أنها لم تكن أنا، وأنه كان عليك أن تفتش عنهما على بطنها أو على الوسادة إلى جانبها»، لكبر ثدييها بدرجة مقرفة.

وأما أبناء يعقوب فزُناة على مستوى حقير. راؤيين زنى بامرأة أبيه بلهة في حياة أبيه. ويهوذا أسد إسرائيل زنى بحليلة ابنه ثمارا. . ولوط تتهمة التوراة المحرفة بأنه زنى بابنتيه. . ويوشع تزوج الزانية راحاب وأنجب منها مجموعة من الأنبياء. . وداوود من نسل فارص بن يهوذا من الزنى من كتته، زوجة ابنه، ثمارا، وداوود نفسه يزني بحليلة جاره وقائد جنده أوريا الحثي، ثم يدبر مكيدة للتخلص منه واغتياله. وسليمان هو ابنه من تلك الزانية. وأمنون بن داوود يزني بأخته. وأدونيا بن داوود يزني بحليلة أبيه أبيشح ثم يطلب من سليمان أن يزوجه إياها بعد وفاة أبيهما داوود.

وبنو إسرائيل، قادة وجنوداً، يتركون القتال ويذهبون للزنى مع نساء الفلسطينيين في عهد موسى ويوشع بن نون، ويكررون ذلك في مناسبات كثيرة. وأما عهد القضاة الذي استمر لعدة قرون فهو عهد الزنى وعبادة الأوثان في حياة بني إسرائيل.

«وكان بعد موت جدعون بن يواش أن بني إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعلِيم وجعلوا لهم بعل بريث إلهاً. (سفر القضاة، الإصحاح ٨) «وكان يفتاح الجلعاوي أحد قادة بني إسرائيل — جبار بأس وهو ابن امرأة زانية» سفر القضاة، الإصحاح ١١. . «ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب» يعبدون الأوثان ويزنون وراءها في كل مكان»، فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة».

وشمسون الجبار الذي أنقذهم من الفلسطينيين – حسب زعمهم – كان زانياً .
جاء في سفر القضاة (الإصحاح ١٦) :

«ثم ذهب شمسون إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل عليها». «وكان بعد ذلك أنه – أي شمسون – أحب امرأة في وادي سورك اسمها دليلة» وزنى بها أيضاً . .
وتاريخ بني إسرائيل كما تقصه أسفار العهد القديم تاريخ ملوث بالدماء والاعتداء وشرب الخمر والزنى ، واللواط في بعض الأحيان ، وعبادة التماثيل والأصنام في كل حين وآن . حيث إن كبار الكهنة كانوا لا يستحون من مضاجعة النساء علناً . يقول سفر صموئيل الأول (الإصحاح ٢) : «وشاخ عالي جداً – وكان كبير الكهنة وجعل بنيه كهنة معه – وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع إسرائيل وأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع» ، وخيمة الاجتماع هذه قدس الأقداس ، وهي سكن الله حسب زعمهم قبل أن يبني سليمان الهيكل . هناك يسكن وينام ويأكل ويشرب حسب زعمهم ، ومع هذا كان الكهنة يضاجعون النساء اللائي كن يذهبن للصلاة والبركة إلى خيمة الاجتماع . . . والرب حسب زعمهم يأمر النبي هوشع بأن يتزوج زانية .

بعد هذه المقدمة الطويلة نستطيع أن نفهم لماذا يكون أهم نشيد ديني عند اليهود قصيدة غزل فاضح .

يبدأ السفر هكذا : نشيد الإنشاد الذي لسليمان – كذباً وزوراً وبهتاناً – :

ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر . . . نذكر حبك أكثر من الخمر – جماعة سكارى مدمنين لا يستطيعون أن يتركوا الخمر – .

أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار ، كشقق سليمان . . حرة المُرلي بين ثديي بيت . طاقة فاغيه حبيبي لي في كروم . .

كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين . تحت ظله اشتيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقي . أدخلني إلى بيت الخمر وعلمه فوقى محبة . أسندوني بأقراص الزبيب ، أنعشوني بالتفاح فإني مريضة حباً . شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني . .

أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألا تُيقظن ولا تُنبّهن الحبيب حتى يشاء. . في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي فما وجدته. إني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته. . . وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أُمي وحجرة من حبلت بي. — نامت معه في تلك الغرفة وقامت في الصباح وحبيبها لا يزال نائماً — أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألا تُيقظن ولا تُنبّهن الحبيب حتى يشاء.

ثم ينتقل الغزل، ويتحدث الرجل هذه المرة عن حبيبته الجميلة :
ها أنت جميلة يا حبيبتى ها أنت جميلة. . عيناك حمامتان من تحت نقابك، شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد. . شفتاك كسلسلة من القرمز وفمك حلو. خذّك كفلة رمانة تحت نقابك. عنقك كبرج داود المبني للأسلحة!! ثدياك كخشفتي ظبية، توأمين يرعيان بين السوسن، إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال أذهب إلى جبل المُرّ وإلى تل اللبان. كلك جميل يا حبيبتى ليس فيك عيبة.

شفتاك يا عروس تقطران شهداً. تحت لسانك عسل ولبن، ورائحة ثيابك كرائحة لبنان. قد دخلتُ جنتي. قطفت مُرّي مع طيبي. أكلت شهدي مع عسلي. . شربت خمري مع لبني. كلوا أيها الأصحاب واسكروا أيها الأحباء.

ما أجمل رجلِك بالنعلين يا بنت الكريم. دوائر فخذك مثل الحلّي صنعة يدي صنّاع. سُرّتك كأس مدوّرة لا يعوزها شراب ممزوج. بطنك صبرة حنطة مسيّجة بالسوسن (يا للوقح يصف شعر العانة) —. ثدياك كخشفتين، توأمي ظبية، عنقك كبرج من عاج. عيناك كالبرك في حشبون عن باب بثّ ربيم — لأن مياها عميقة — ، أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق. رأسك عليك مثل الكرمل وشعر رأسك كأرجوان مُلك قد أسر بالخُصل. ما أجملك وأحلاك أيتها الحبيبة باللذات. قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد. قلت إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها. وتكون ثدياك كعناقيد الكرم، ورائحة أنفك كالتفاح. وحنكك كأجود الخمر. . لحبيبي السائغة المرققة السائحة على شفاه النائمين.

وهكذا يمضي هذا السفر الوقح، الذي يسمّونه نشيد الإنشاد وينسبونه لسليمان

عليه السلام وهو منه براء . . ويتغنون به في الكنائس والمعابد والأعياد، . . أي دين هذا الذي وضعه أحبار بني إسرائيل وملأوه بالبهتان والرجس وشرب الخمر والزنى . . السفر كله من أوله لآخره غزل من المرأة بحبيبها . . وغزل غليظ من الرجل بفتاته . .

وينتهي الإصحاح الثامن بالعشيقه وهي تدعو عشيقها ليدخل بيتها وتسقيه من الخمر السلاف، وأن تنام معه الليل كله، فإذا أصبح الصباح طلبت من بنات إسرائيل أن لا يوقطن حبيبها حتى يستيقظ متى شاء. وتحلفهن كما مرّ بالظباء وبنات أيل. وتتمدح بثدياها، تقول: أنا سور وثدياي كبرجين . . لكن المشكلة معها أن أختها الصغيرة ليس لها ثديان. فماذا نصنع لأختنا في يوم تخطب؟! هذه هي المشكلة الوحيدة التي تؤرقها أن ثديي أختها صغيران جداً . . على عكس مشكلة راحيل حيث كانت ثديا أختها ليثة تصل إلى الوسادة بجانبها عندما تنام أو تنزل إلى أسفل بطنها عندما تقف.

هذه هي المشكلة الوحيدة أمام إسرائيل. ولا بدّ من تدبير الحل؟! وعلى سليمان الحكيم أن يفكر بحكمته كيف يحل هذه المشكلة العويصة!!

* * *

أيوب (عليه السلام)

أيوب عليه السلام يُضرب به المثل في الصبر، فيقال: صَبَرَ أيوب. قال تعالى:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

وقال عنه عز من قائل:

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

(ص: ٤١ - ٤٤).

من هو أيوب عليه السلام؟

اشتهرت قصة أيوب وصبره على البلايا، والرزايا، فَقَدَ ماله فحمد الله، وفقد أولاده وأهله فحمد الله، وفقد صحته فحمد الله، وبقي في البلواء سنين طويلاً لا يتضجر ولا يتبرم قائلاً: الله أعطى... الله أخذ. ولم يشكو لأحد من الخلق، واكتفى بعلم خالقه، حتى إذا بلغ السيل الزبى توجه إلى ربه بالدعاء والضراعة فأنقذه وأكرمه وأعاد له صحته وأهله ومثلهم معهم وضاعف له ثروته وماله.

لهذا كله اشتهرت قصة أيوب بين الأمم وأدعته كل أمة لنفسها. ومن أشهر من ادَّعاه المصريون، حتى قيل: أيوب المصري.

والحق أنه ليس مصرياً، بل هو من نسل إبراهيم عليه السلام. قال تعالى :
﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ - أي إبراهيم - دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى
وَهَارُونَ ﴾ (٨٤) . (الأنعام : ٨٤) .

وقال تعالى :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ ﴾ (١٦٣) . (النساء : ١٦٣) .

ونحن نعلم أن الأنبياء الذين جاءوا من بعد إبراهيم عليه السلام وقصصهم الله على
رسوله في القرآن الكريم هم من نسل إبراهيم. ولذا سُمِّي إبراهيم أبو الأنبياء. ولكن
ليس معنى ذلك أن كل الأنبياء الذين جاءوا من بعد إبراهيم ولم يقصصهم الله علينا هم
من نسل إبراهيم عليه السلام. قال تعالى : ﴿ومنها من قصصنا عليك ومنها من
لم نقصص عليك﴾. ويذكر أن عدد الأنبياء أكثر من مائة ألف، وأن عدد الرسل أكثر من
ثلاثمائة^(١) - مع أن المذكورين في القرآن الكريم عدد محدود، وهو ٢٥ نبياً رسولاً.

ويذكر المؤرخون نسباً لأيوب. قال ابن إسحاق : هو أيوب بن موص بن رازح بن
العيص - وهو عيسو - بن إسحاق بن إبراهيم الخليل.

قال ابن كثير في كتابه «قصص الأنبياء» : «وقال غيره - أي غير ابن إسحاق - هو
أيوب بن موص بن رعويل بن العيص - عيسو - بن إسحاق بن إبراهيم الخليل».

وها هنا شبه اتفاق في نسبة أيوب عليه السلام إلى العيص - عيسو - بن
إسحاق بن إبراهيم. والعيص هو عيسو شقيق يعقوب التوأم والذي نزل قبله، وتبعه
يعقوب ماسكاً بعقبه كما ترويه التوراة في سفر التكوين - وقد مر معنا ذلك في قصة يعقوب - .

قال ابن كثير : «فالصحيح أنه من سلالة العيص - عيسو - بن إسحاق» . . وقد
ذكر المؤرخون الأوروبيون، ومنهم (بنيامين جرمين) والأديب الفرنسي (فولتير) : أن
أيوب أقدم من موسى - عليهما السلام - وأن أيوب عاش في حدود ١٥٢٠ قبل

(١) ورد أن عدد الأنبياء (١٠٤) ألف، وأن عدد الرسل على عدة أهل بدر (٣١٣) .

الميلاد. وأن سفر أيوب كُتب قبل التوراة بقرون عدة، وأنه كُتب باللغة الكلدانية أصلاً. وأن السفر يوضح تنافس الشيطان والرب على أيوب. وذلك راجع إلى عقائد الثنوية الفارسية - إله الخير وإله الشر - .

وقد استغرب بعض الباحثين الأوروبيين ورود قصة أيوب وقصة يونس في العهد القديم وكلاهما لا علاقة له ببني إسرائيل . . وقد تابع هؤلاء الغربيين بعض الباحثين من العرب ونقلوا كلامهم مؤيدين لقولهم ذاك، ومنهم الدكتور حسن ظاظا في كتابه القيم «الفكر الديني اليهودي».

والحق أن أيوب ويونس - عليهما السلام - كلاهما من ذرية إبراهيم كما ذكره المولى سبحانه وتعالى في سورة الأنعام (٨٣ - ٨٦) على أرجح القولين^(١)؛ وقد ذكر أهل التاريخ أن أيوب عليه السلام كان من نسل العيص - عيسو - بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. أما يونس عليه السلام فهو يونس بن متى. وقد أخرج البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد قوله صلى الله عليه وسلم: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى»، وزاد البخاري: ونسبه إلى أبيه.

وقد جاء في كتاب «النبوة والأنبياء»، للأستاذ محمد علي الصابوني: أن متى هي أم يونس. وأنه لم ينسب إلى أمه من الرسل إلا عيسى بن مريم ويونس بن متى. وهو مخالف لحديث البخاري المتقدم ذكره.

قال الصابوني: «ويتصل نسبه - أي يونس - بنيامين أحد أولاد يعقوب وهو أخو يوسف الشقيق».

ومهما يكن من أمر فإن يونس وأيوب كلاهما من نسل إبراهيم. وذكرهما في العهد القديم أمر ليس بمستغرب إذاً. وكون أيوب من نسل عيسو - العيص - وليس من نسل يعقوب لا يؤثر كثيراً، إذ أن التوراة أوردت أيضاً قصة لوط وهو ابن أخ إبراهيم عليه السلام وليس ولده. . وأما تفاصيل القصة المذكورة فلا شك أنها محرّفة وأنها

(١) قال تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب. كلا هدينا، ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون﴾. . قال أهل العلم والضمير في ذريته يعود إلى إبراهيم، وقال بعضهم: بل إلى نوح لأنه أقرب مذكور.

ليست قصة أيوب الحقيقية . وأن إضافات وتغييرات كثيرة قد حدثت فيها .
والأدباء والباحثون الغربيون مغرمون جداً بهذا السفر المليء بالشك والبهتان
والكفر الصريح .

قصة أيوب في العهد القديم :

ترد قصة أيوب عليه السلام في سفر كامل هو سفر أيوب ، ويدخله الباحثون في
الأسفار الأدبية لما فيه من وصف بليغ للآلام التي كان يعانيها أيوب . والسفر مليء
بالكفر والبهتان من أوله لآخره . . وهو صورة وضيفة لنبي كريم من أنبياء الله .
ويظهر أيوب في هذا السفر على صورة رجل ناظم على الله تعالى كافر بأنعمه شديد
اللوم والعتاب له إلى حد التقريع والتوبيخ . . وحاشا لأيوب عليه السلام أن يفعل
ذلك .

يبدأ السِّفْرُ هكذا : «كان رجل من أرض عوص اسمه أيوب» ، ويذكر بعد ذلك أن
الرجل كان كاملاً . ويعدد ذكر أولاده وثروته من الغنم والبقر والجمال والأتان والخدم
والأراضي المزروعة ، وكان أيوب كما يزعم العهد القديم يقدم المحارق للرب
باستمرار . وكان مقابل اللحم المشوي الذي يحبه الرب جداً حسب زعمهم ، يستلم
أيوب ثروات جديدة وأموالاً وضياعاً وذهباً وفضة .

«وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضاً في
وسطهم . فقال الرب للشيطان : من أين جئت؟ فأجاب الشيطان الرب وقال : من
الجولان في الأرض ومن التمشي فيها . فقال الرب للشيطان : هل جعلت قلبك على
عبي أيوب؟ لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويعيد عن
الشر . فأجاب الشيطان الرب وقال : هل مجاناً يتقي الله أيوب؟ أليس إنك سيّجت
— أي وضعت سياجاً — حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية؟ باركت أعمال
يديه فانتشرت مواشيه في الأرض!!؟ ولكن ابسط يدك الآن ومُس كل ماله فإنه في
وجهك يجذّف عليك . فقال الرب للشيطان : هوذا كل ماله في يدك . وإنما إليه لا تمد
يدك : . ثم خرج الشيطان» .

«وكان ذات يوم وأبناؤه وبناته يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهم الأكبر أن رسولاً جاء أيوب وقال: البقر والأتن ترعى بجانبها، فسقط عليها السبئيون وأخذوها... وبينما هو يتكلم جاء آخر وقال: نار الله سقطت من السماء فأحرقت الغنم والغلمان... وجاء آخر وقال: الكلدانيون هجموا على الجمال وأخذوها... وجاء رابع وقال: بنوك وبناتك كانوا يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهم الأكبر، وإذا ريح شديدة جاءت من عبر القفر وصدمت زوايا البيت الأربع فسقط على الغلمان فماتوا، ونجوت أنا وحدي لأخبرك... فقام أيوب ومزق جبته، وجز شعر رأسه، وخر على الأرض وقال: عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً». (سفر أيوب، الإصحاح الأول).

هكذا تبدأ قصة أيوب في العهد القديم، سفر أيوب، صورة نلمح فيها بعض الشفافية ولكن سرعان ما تغلفها أكاذيب يهود وغلظتهم وماديتهم. تبدأ بذكر ثروة أيوب وصلاحه. وعلامة صلاحه وكماله أنه كان يقدم المحارق واللحم المشوي الذي يحبه الرب جداً حسب زعمهم، والذي يقدم في سبيله كل شيء. فقد أعطى إبراهيم وإسحاق ويعقوب العهد في مقابل رائحة الشواء الذي يسر به كثيراً حسب مزاعم مؤلفي العهد القديم.

ويرفع الستار، فإذا نحن بمشهد غريب أبناء الله مجتمعون مع الرب... وقد أسلفنا القول في أبناء الله هؤلاء وأنهم حسب مفهوم أحبار اليهود الذين حرفوا التوراة وألفوا أسفار العهد القديم هم: أبناء آدم من حواء، وآدم هو ابن الله. تعالى الله عن ذلك... خلقه على صورة الله وشبهه تماماً!! — أعوذ بالله — وبما أن آدم كان له عشيقة من الجن اسمها ليليت عاشرها ١٣٠ سنة وأنجب منها أولاداً، وبما أن حواء كانت لها عشاقاً كثيرين من الجن وأنجبت منهم أولاداً أيضاً، فإن أولاد الجن من حواء وآدم ليسوا أبناء الله... وحدث أن أبناء الله — أي آدم وحواء — تزوجوا من بنات الناس — أي بنات الجن من حواء وآدم — فولد لهم الجبابرة الذين هم منذ الدهر ذوو اسم، كما يقول سفر التكوين من التوراة المحرّفة. ثم جاء الطوفان وتركزت بنوة الله في سام بن نوح لأنه غطى أباه عندما سكر — لعنة الله على اليهود — وبقيت اللعنة والطرْد لكنعان

لأن حام لم يغطّ نوحاً عندما سكر. ثم انتقلت النبوة إلى إبراهيم ومن إبراهيم إلى إسحاق ومن إسحاق إلى يعقوب ومن يعقوب إلى الأسباط. بنو إسرائيل هم بنو الله على الحقيقة لا على المجاز كما يظن بعض الكتاب!! هكذا يعتقدون، وهكذا تقول أسفارهم... وتطلق أسفار العهد القديم أحياناً لقب بنو الله أو بنات الله على الملائكة!!؟

المهم نحن في مشهد غريب: أبناء الله مجتمعون يتشاورون مع الرب. وإذا نحن نفاجأ بالشيطان في وسطهم!! ويبدأ الرب بالسؤال: من أين جئت؟ فيجيب الشيطان: بأنه كان يتجول في الأرض. فيحذّره الرب من أن يمسّ عبده الكامل أيوب. ويقول له الشيطان: هل مجاناً يتقي الله؟ إنه يعبدك ويقرب لك القرابين في مقابل ما تعطيه وتباركه وتحرسه... فيعطيه الرب الإذن بأخذ ماله وأولاده... فقط يمنعه من أن يمسّ أيوب في نفسه.

في لحظات، الأنعام والأموال والأولاد يذهبون، وإذا بنا في منظر متناقض «فقام أيوب ومزّق جبّته وجزّ شعر رأسه». موقف يدلّ على الجزع وعدم الصبر. لماذا يمزّق أيوب جبّته؟ لماذا يجرّ شعر رأسه؟! ثم يأتي بعدها كلام نبي، كلام نوراني لا شك أن أيوب قاله حقاً: «عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً». يا له من كلام نوراني شفاف. أنوار النبوة تطلّله وهو مناقض تماماً لما سبق ولكثير مما سيأتي.

ويرتفع الستار مرة أخرى في الإصحاح الثاني عن اجتماع مماثل للاجتماع الأول: بنو الله مجتمعون مع الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم!! ويتكلم الرب حسب زعمهم، مخاطباً الشيطان وموبخاً له: «هل جعلت قلبك على عبيدي أيوب؟ لأنه ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عنه الشر. وقد هيّجتني عليه لأبتلعه بلا سبب». أعوذ بالله كيف يمكن أن يتصور إنسان له ذرة من إيمان أن يقول الرب مثل هذا الكلام؟! كيف يستطيع الشيطان أن يهيج الرب على أتقى عبد من عباده في ذلك الزمان!! ولماذا هذا الرب يلعب به الشيطان ويوجهه حيثما أراد؟! إنها صورة فظيعة حقيرة قميئة للرب — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً — وبينما الرب

ندمان على ما فعل بأيوب، يهيج الشيطان مرة أخرى على أيوب؛ فيسمح له الرب بأن يبسط يده عليه ويمس عظمه ولحمه. فخرج الشيطان مبتهجاً وضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته. . فقالت له امرأته: أنت متمسك بعد بكمالك. بارك الله ومُت!! فرد عليها رداً فيه أنوار النبوة تتلألأ: «تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. آخبر نقبل من عند الله والشر لا نقبل!!».

وذهب أصحاب أيوب الثلاثة إليه ليعزوه؛ فرفعوا أصواتهم وبكوا، ومزق كل واحد جبته، وذرّوا تراباً فوق رؤوسهم، وقعدوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليال ولم يكلمه أحد بكلمة، لأنهم رأوا أن كآبته كانت عظيمة جداً. بعد هذا فتح أيوب فاه وسب يومه وقال: ليت هلك اليوم الذي ولدت فيه، والليل الذي قال قد حبل برجل. ليكون ذلك اليوم ظلاماً. لا يعتن به الله من فوق ولا يُشرق عليه نهار. ليملكه الظلام وظل الموت. . أما ذلك الليل فليمسكه الدجى ولا يفرح بين أيام السنة ولا يدخلن في عدد الشهور. هوذا ذلك الليل ليكن عاقراً. لا يسمع فيه هتاف. ليلعنه لاعنو اليوم المستعدون لإيقاظ التين. لتظلم نجوم عشائه. . لأنه لم يغلق أبواب بطن أمي ولم يستر الشقاوة عن عيني، لِمَ لَمْ أُمّت من الرحم؟ عندما خرجت من البطن لِمَ لَمْ أسلم الروح؟! لماذا أعانتني الركب ولِمَ الثدي ختى أرضع؟!.

ويبدأ أيوب حسب زعمهم بالتجديف، ويستمر فيه طوال السفر الخبيث الذي ألفه أحبار يهود.

يقول: «لِمَ يعطى لشقي – أي أيوب – نور وحياة لمُري النفس. الذين ينتظرون الموت وليس هو. ويحفرون عليه أكثر من الكنوز. . . لأنه مثل خبزي يأتي أنيني ومثل المياه تنسكب زفرتي. لأنني ارتعاباً ارتعبت فأتاني، والذي فزعْتُ منه جاء عليّ، لم أطمئن ولم أسكن ولم أسترح وقد جاء الرجز».

حاشا حاشا لأيوب الصابر الشاكر أن يقول هذا الكلام الذي لا يقوله إلا من قنط من رحمة الله وأبلس منها. .

حاول أصحاب أيوب واحداً بعد الآخر أن يردوه إلى إيمانه وإلى ثباته ولكن

هيهات . فالأخبار الذين صنّفوا هذا السفر مصرّون على تلويث صورة أيوب كما لوّثوا الأنبياء من قبل .

يقول أليفاز التيماني لأيوب :

«إن امتحن أحد كلمة معك فهل تستاء؟ ها أنت قد أرشدت كثيرين . . قد أقام كلامك العاثر، وثبتَّ الركبَ المرتعشة . والآن إذ جاء عليك ضجرت . إذ مسَّك ارتعت؟ أليست تقواك هي معتمدك ورجاؤك؟! الإنسان أبرُّ من الله؟! أم الرجل أظهر من خالقه؟! هوذا عبيده لا يأتئمنهم وإلى ملائكته ينسب حماقة — ما هي يا ترى حماقة الملائكة في نظر الأخبار مؤلفي هذه الأسفار — فكم بالحريّ سكان بيوت من طين الذين أساسهم في التراب، ويُسحقون مثل العثّ . بين الصباح والمساء يُحطمون . بدون منتبه إليهم يبيدون . . يموتون بلا حكمة» .

ويواصل أليفاز كلامه لأيوب :

«ادع الآن فهل لك من مجيب؟ وإلى أي القديسين تلتفت؟ لأن الغيظ يقتل الغبي والغيرة تميت الأحمق . . . إن البلية لا تخرج من التراب والشقاوة لا تنبت من الأرض، ولكن الإنسان مولود للمشقة، كما أن الجوارح لارتفاع الجناح؟!» .

يوبخ أليفاز أيوب ويقول له : ادع فليس لك من مجيب، وتلفّت إلى القديسين هل ينقذك منهم أحد؟ ليس هناك أحد إلا الله «طوبى لرجل يؤدبه الله فلا ترفض تأديب القدير . لأنه هو يجرح ويعصب . يسحق ويداه تشفيان . في ست شدائد ينجّيك وفي سبع لا يمسّك سوء . في الجوع يفديك من الموت، وفي الحرب من حدّ السيف» . ويحاول جاهداً أن يطمئن أيوب ويبعث فيه الأمل، وأن الله سيعيد عليه ما فقد من المال والصحة : «وأن خيمتك آمنة، وتتعهد مريضك ولا تفقد شيئاً، وتعلم أن زرعك كثير وذريتك كعشب الأرض ، وأنتك ستموت في شيخوخة صالحة في أوان الموت .

بعد هذه الموعظة الجيدة من رجل قوي الإيمان يردّ أيوب بردّ متبرم ساخط . قال أيوب حسب زعمهم : «ليت كربى وزن . ومصيبتى رُفعت في الموازين جميعها لأنها الآن أثقل من رمل البحر . لأن سهام القدير فيّ ، وحُمته شاربة روحي . . أهوال الله مصطفة ضدي . . .

«يا ليت طلبتي تأتي ويعطيني الله رجائي . أن يرضى الله بأن يسحقني ويطلق فيقطعني . . ما هي قوتي حتى أنتظر؟ وما هي نهايتي حتى أصبر نفسي؟ هل قوتي قوة الحجارة؟ هل لحمي نحاس؟ ألا أنه ليست في معونتي والمساعدة مطرودة عني . . .» .

ويستمر أيوب في تقريع صاحبه الذي أمره بالصبر . ويقول له : حتى متى أصبر؟ «إذا اضطجعت أقول متى أقوم؟! الليل يطول وأشبع قلقاً حتى الصبح . لبس لحمي الدود مع مدر التراب . جلدي كرش وساخ . أيامي أسرع من الوشيعة وتنتهي بغير رجاء» ، أعوذ بالله من هذا القنوط والكفر!! ويواصل أيوب حسب زعمهم كلامه قائلاً : «اذكرُ أنما حياتي هي ريح وعيني لا تعود ترى خيراً . . عيناك عليّ ولست أنا . السحاب يضمحل ويزول ، هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد» . أيعقل أن يقول النبي الكريم أيوب عليه السلام عن نفسه : أنه ينزل إلى الهاوية؟! ويواصل الحديث : «أنا أيضاً لا أمنع فمي – من التجديف والشكوى الغير لائقة – أتكلم بضيق روحي . أشكو بمرارة نفسي . . إن قلتُ فراشي يعزيني ، مضجعي ينزع كربتي ، تريعني الأحلام وترهبني برؤى فاختارت نفسي الخنق ، الموت على عظامي هذه . . .» ويوجه أيوب صرخة نحو الرب حسب زعمهم قائلاً : «ما هو الإنسان حتى تعتبره وحتى تضع قلبك عليه؟! وتتعهده صباح وكل لحظة تمنحه؟! متى لا تلتفت عني ، ولا تُرخيني ريثما أبلع ريقِي؟! أأخطأت؟ ماذا أفعل لك يا رقيب الناس؟ لماذا جعلتني عاثوراً لنفسك حتى أكون على نفسي حملاً؟ ولماذا لا تغفر ذنبي ولا تزيل إثمِي؟ لأنني الآن اضطجع في التراب تطلبني فلا أكون!!! قريباً سأهرب منك بالموت . . ستطلبني فلا تجدني . . .» . أعوذ بالله . أهكذا يقول النبي أيوب؟ حاشاه حاشاه!! إنهم الأخبار الذين لا يؤمنون بالآخرة . . ولا بالله .

وانزعج صاحب أيوب الثاني وهو يلد الشوحي لهذا الكلام والتجديف . وحاول كما حاول صاحبه أليفاز أن يرد أيوب إلى الإيمان بالله والرضا بقضائه ، ولكن هيهات . . مؤلف هذا السفر مصرّ على تلويث أيوب ، وأن يخرج سخائم نفسه كلها وينسبها لأيوب ، تماماً كما فعل الأخبار الذين لوّثوا سيرة الأنبياء جميعاً من لدن آدم إلى عيسى عليهم صلوات الله جميعاً .

يقول يلدد الشوحي لأيوب: «إلى متى تقول هذا؟! هل الله يعوّج القضاء أو القدر يعكس الحق؟! إن كنت أنت زكياً مستقيماً فإنه الآن يتبّه لك ويسلم مسكن برك. وإن تكن أولاك صغيرة فأخرتك تكثر جداً — المقصود مبتدأ أمرك في الدنيا ومنتهاه أيضاً في الدنيا، لأن ليس في العهد القديم كله ذكر للقيامة والآخرة — .

ويستمر صاحب أيوب يذكره بالأُمم الخالية وبرحمة الله وبغضب الله على من يكفر نعمته. ولكن أيوب يرد عليه رداً مليئاً بالتمرد والعصيان والضيق والتبرم من ابتلاء الله، يقول: «لودعوت فاستجاب لي لما آمنتُ بأنه سمع صوتي، ذاك الذي يسحقني بالعاصفة ويكثرُ جروحي بلا سبب. لا يدعني آخذ نفسي ولكن يشبعني مرائر. إن كان من جهة قوة القوي يقول هأنذا!! وإن كان من جهة القضاء يقول من يحاكمني!! إن تبرّرت يحكم عليّ فمي. وإن كنت كاملاً يستدنبني».

كلام فظيع.. كله كفر وتجديف ومخاصمة لله الذي يدّعي أنه يسحقه ويكثرُ جروحه بلا سبب، ولا يسمح له حتى يأخذ نفسه، ويشبعه مرائر ومصائب وآلام.

«أيفعل ذلك لأنه قوي وأنا ضعيف؟ ويتبجح بقوته ويقول من يحاكمني!! وإن أردت أن أتكلم إليه أحكم فمي وأقفله بالرتاج.. ويعاملني كمذنب مع أنني كامل وبار. أين عدله؟! أين رحمته؟». كفر كامل بالله وثورة عليه وعلى قضائه.. «ألأنّه قوي وأنا ضعيف يُظهر جبروته عليّ!!».

ويواصل أيوب كلامه حسب زعمهم: «كامل أنا. لا أبالي بنفسي. رذلت حياتي.. أيامي أسرع من عداءٍ — سريع الجري — تفرُّ ولا ترى خيراً.. أخاف من كل أوجاعي، عالم أنك لا تبرّيني. أنا مستدنب فلماذا أتعب عبثاً؟ ولو اغتسلتُ في الثلج ونظّفتُ يديّ بالأشنان فإنك في النقع تغمسني حتى تكرهني ثيابي. لأنه ليس هو إنساناً مثلي فأجاوبه فنأتي جميعاً إلى المحاكمة. ليس بيننا مُصالح — يُصلح بيننا — يضع يده على كلينا. ليرفع عني عصاه ولا ييغتنني رعبه. إذاً أتكلم ولا أخافه. لست هكذا عند نفسي». ينتهي إلى الكفر الصريح يثور علناً على الرب «ليرفع عني عصاه ولا ييغتنني رعبه إذاً أتكلم ولا أخاف الرب!!». أعوذ بالله، أعوذ بالله، أهكذا يزعم الأحبار المجرمون أن أيوب يقول للرب!!؟

ويستمر أيوب حسب زعمهم في هذا التجديف والكفر الصريح :
«قد كرهت نفسي حياتي . أتكلّم في قرارة نفسي قائلاً لله : لا تستذنبني . فهمني لماذا تخاصمني؟ أحسنّ عندك أن تظلم؟ - الله ظالم حسب زعمهم - أن ترذل عمل يديك وتشرق على مشورة الأشرار؟ - الرب استمع لمشورة الشيطان وأصبح تابعاً له - ألك عينا بشر؟ أم كنظر الإنسان تنظر؟ أيامك كأيام الإنسان؟ أم سنوك كأيام الرجل حتى تبحث عن إثمي وتفتش على خطيئتي؟ في علمك أني لست مذنّباً ولا مُنقذ من يدك» .

وهكذا يزعم كاتب هذا السفر أن أيوب كفر بالله وقرّعه ووبّخه لأنه ظلمه وعذّبه بالفقر وموت الأبناء والمرض . مع أن أيوب ليس له ذنب وهو كامل يقْدّم الذبائح والقربان واللحم المشوي في ميعاده كل عام . . فلماذا إذن يعذّبه الرب؟ إن الرب ظالم طاغي متجبر يؤذي الرجل الكامل ويترك الأشرار ويستمع لنصيحة الشيطان!!! أعود بالله من هذا الكلام الذي لا يقوله إلاّ الفسقة الفجرة الكفرة من بني إسرائيل . لهذا لا نستغرب أن تأتي كل الدعوات الهدامة الكافرة منهم فهم ينبوع الشر في هذه الأرض وهم حَمَلة رايات الكفر .

إن قراءة هذه الأسفار الملوثة تعطينا بعداً وفهماً لعقائد هؤلاء اليهود ومن تبعهم من النصارى الذين يرون أن هذه الكتب مقدّسة . . وأن الأنبياء كلهم قد اقترفوا هذه الجرائم الكبرى والكفر الصراح .
يواصل أيوب كلامه مع الله :

«يداك كوّنَتاني وصنعتاني أفتبتلّعني؟ اذكر أنك جبلتني كالطين . أفتعيدني إلى التراب؟! منحنتني حياة ورحمة وحَفِظْتَ عنايتك روحي . لكنك كتمت هذه في قلبك . . إن أخطأتُ تلاحظني ولا تبريني من إثمي . إن أذنبت فويل لي . وإن تبرّرت - وصرت باراً - لا أرفع رأسي . إني شبعان هواناً وناظر مذلّي . وإن أرتفع تصطادني كأسد ثم تعود وتتجبر عليّ . . فلماذا أخرجتني من الرحم؟ كنت قد أسلمت الروح ولم ترني عين . فكنت كأني لم أكن فأقأد من الرحم إلى القبر . أليست أيامي قليلة . اترك . كُفّ عني فأبتلج قليلاً . قبل أن أذهب ولا أعود . إلى أرض ظلمة وظل الموت . أرض ظلام مثل دجى ، ظل الموت . وبلا ترتيب وإشراقها كالدجى» .

كفر صريح ووقاحة متناهية وقلة أدب في خطاب الرب وتهديد: اترك. كف عني قبل أن أذهب ولا أعود. سأموت ولن تقدر علي. سأذهب إلى الظلام. إلى الهاوية؟ هكذا هي عقائد يهود. لا بعث ولا نشور ولا حساب. الموت هو الظلام هو النهاية التي ليس بعدها نهاية. هو الهاوية التي ليس لها قرار. لهذا هم يرتعون من الموت ﴿يُودُّ أَحَدَهُمْ لَوْ يَعْمُرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْمُرَ﴾. (البقرة: ٩٦).

ويرد صوفر النعماني، صاحب الثالث لأيوب، مستنكراً هذا الكفر وهذه الثثرة الفارغة: أو تظن يا أيوب أن كثرة الكلام تفحم الناس عن الرد عليك؟! أصلك يفحم الناس أم تلج وليس من يخزيك؟ لا بد من الرد عليك، وليت الله يتكلم ويعلن لك خفيات الحكمة. إنها مضاعفة الفهم فتعلم أن الله يغرقك بأقل من إثمك. . . عُد إلى ربك يا أيوب وابسط إليه يديك فإنه قريب مجيب رؤوف ودود. . . كثير الرحمة. أبعد الإثم عن قلبك ويدك؛ حينئذ ترفع وجهك بلا عيب، وتكون ثابتاً ولا تخاف لأنك تنسى المشقة، كمياه عبرت تذكرها. وفوق الظهيرة يقوم حظك. . . الظلام يتحول صباحاً وتطمئن لأنه يوجد رجاء، تضطجع آمناً وتربض وليس من يزعج. ويتضرع إلى وجهك كثيرون. أما عيون الأشرار فتتلف ومناصهم يبيد ورجاؤهم تسليم النفس - أي الموت - .

ويا له من كلام مؤمن عظيم الرجاء لله سبحانه وتعالى!! لكن كلام صوفر النعماني يذهب أدراج الرياح كما ذهب كلام يلود الشوحي وأليفاز التيماني، ولا يقبل أيوب النصيح منهم بل يستمر في شكاته وفي ثورته العارمة ضد الرب الذي ابتلاه. والغريب حقاً أن هؤلاء الثلاثة الذين ملأهم الله إيماناً لم يكونوا من بني إسرائيل، بل من الأمم الأخرى المجاورة لليهود. وكلامهم نوراني. . . أما كلام أيوب حسب زعمهم فكلام يغشاه الكفر والظلمة، والاعتراض على الله وقدره.

يرد أيوب على صاحبه الأخير ويقول له: إن الحكمة التي معه تفوق الحكمة التي عند أصحابه. . . ولكن أصحابه يتكلمون وهم معافون من البلاء. . . لذا هم يتكلمون بالحكمة. . . أما هو فيتكلم بمرارة نفس لأنه مبتلى. . . وقد دعا الله فلم يجبه بل زاده هواناً وعذاباً. فأين الله إذن؟ وأين رحمته؟ وأما كلامكم أيها الأصدقاء فإنه

يزيد في عذابي وآلامي . «سخرة هو الصديق الكامل . للمبتلى هوانٌ في أفكار المطمئن . . خيام المخربين مستريحة والذين يغيظون الله مطمئنون . . الذين يأتون بإلههم في يدهم» . أعوذ بالله . يغبط أيوب — حسب زعمهم — المشركين والكفرة الذين يعبدون الأوثان ويحملون آلهتهم بأيديهم . . إنهم يعيشون مطمئين في سلام وعافية . خيرهم كثير ورزقهم وافر . . أين هو الرب إذن؟!!!

يقول أيوب حسب زعمهم : أريد أن أكلم القدير وأن أحاكم الله . أما أنتم — أي أصحابه الذين نصحوه — فملفكو كذب . أطباء بظالون كلكم . ليتكم تصمتون صمتاً . يكون ذلك حكمة . اسمعوا الآن حجتي واصغوا إلى دعاوي شفتي . أتقولون لأجل الله ظلماً وتكلمون بغش لأجله؟ أتحابون وجهه أم عن الله تخاصمون؟ .

ويستمر أيوب في تقرير أصحابه لأنهم وبّخوه على أقواله الفاسدة وأرشدوه إلى حكمة الله ، وهو يرد عليهم بعنف ويقول لهم : أين هذه الحكمة؟ لماذا يعذبني أنا البار والكامل ويغدقُ النعم على عبّاد الأوثان والأصنام؟! أتدافعون عن الله وقد ظلمني؟! أتحابون عنه وأنتم تعلمون أنه أذنب إليّ؟!! كفر كفر رهيب . يدّعي كاتب هذا السفر — عليه لعنات الله الأبدية — أن أيوب قاله لأصحابه . يصرخ أيوب قائلاً : اسكتوا عني فأتكلم أنا وليصيبني مهما أصاب — فهو لم يعد يخاف من الله — لماذا آخذ لحمي بأسناني وأضع نفسي في كفي . هوذا يقتلني . لا أنتظر شيئاً — هكذا يعلن بكل وقاحة أنه لم يعد يخاف شيئاً . . أليس أقصى ما يمكن أن يفعله الربُّ هو أن يميته ، فليمته إذن وليرحه . . فهو لا يخاف الرب . . ولم يعد يحتمل أن يسكت على إهاناته له وتعذيبه إياه . . وما دام الأمر هكذا فالكفر والإيمان سيان والخير والشر واحد . وهو لا يخشى أن يقول لله : إنه قد ظلمه دون جريرة ، وعذبه دون ذنب . .

صورة بشعة وقحة . . يهدّد الربُّ ويخاصمه قائلاً : «كم لي من الآثام والخطايا؟ أعلمني ذنبي وخطيئتي . لماذا تحجب وجهك وتحسبني عدواً لك؟ أترعبُ ورقة مندفعة وتطارد قشاً يابساً؟ لأنك كتبت عليّ أموراً مرة وورثتني آثام صباي . فجعلت رجلي في المقطرة . . وعلى رجلي نبشت . . وأنا كمتسوس ييلى ، كثوب أكلته العُثُّ» .

ويطلب من ربه أن لا يُظهر جبروته عليه . . فهو مخلوق ضعيف . . ولكن لماذا

لا يريد أن يريحه؟! لماذا يعذّبه بالباطل والظلم!!؟ إذا كان لا بدّ من ذلك فليُرحه.. .
فليُمتّه.. . ليركه للظلام.. . للهاوية.. . فهي أرحم من هذا العذاب!!! «لماذا تحصي
عليّ خطواتي.. . معصيتي مختوم عليها في صرة وتلقّ عليّ فوق إثمي».

يستمر أيوب في كلامه للربّ: «إن الجبل الساقط ينتثر والصخر يزحزح من
مكانه. الحجارة تبليها المياه وتجرف سيولها تراب الأرض. وكذلك أنت تبید رجاء
الإنسان، تتجبر عليه أبداً فيذهب. تغيّر وجهه وتطرده».

ويعود أليفاز التيماني إلى الحديث وإلى محاولة ردّ أيوب إلى حظيرة الإيمان
بعد أن كَفَرَ حسب زعم مؤلف هذا السفر. . ويرد أيوب ويسخر من تلك الحكمة
ويقول: «قد سمعت كثيراً مثل هذا الكلام. معزّون متعبون كلكم. هل من نهاية لكلام
فارغ؟ أو ماذا يهيّجك حتى تجاوب». لو كنت مكانكم في عافية لاستطعت أن أقول
مثل كلامكم وأحسن وأحكم. ولكن ما الفائدة الآن «إن تكلمت لم تمتنع كأبتي. وإن
سكتُ فماذا يذهب عني. إنه الآن ضجّرني. خرّب كلّ جماعتي.. . قبض عليّ.. . قام
عليّ هُزالي يجاوبُ في وجهه.. . غضبه افترسني واضطهدني.. . دفعني الله إلى الظالم
وفي أيدي الأشرار طرحني. كنت مستريحاً فزعزعني. وأمسك بقفائي فحطّمني،
ونصبني له غرضاً. أحاطت بي رمأته. شقّ كليتي ولم يشفق. سفك مرارتي على
الأرض. يعدو عليّ كجبار.. . احمرّ وجهي من البكاء. وعلى هُدبي ظلّ الموت. مع
أنه لا ظلم في يدي وصلاتي خالصة»، فقد كنت باراً وكاملاً، ومع ذلك فإن الله
— تعالى الله عن ذلك — ظلمني وعذّبني وعدا عليّ كجبار.. . لم يشفق عليّ
ولم يرحمني».

ويستمر أيوب في هذه المناحة وهذا التجديف والكفر الصريح حسب
زعمهم.. . ويعلن: «رجوت الهاوية بيتاً لي. وفي الظلام مهّدت فراشي. وقلتُ للقبر
أنت أبي، وللدود أنتِ أمي وأختي. فأين إذاً آمالي؟ من يعاينها؟ من يهبط إلى مغاليق
الهاوية إذ نرتاحُ معاً في التراب؟!».

ويتكلم يلدّد الشوحي مرة أخرى يحاول أن يردّ أيوب إلى الجادة وإلى طريق الله
وإلى الثقة بالله والأمل فيه والبعد عن اليأس والقنوط ويرجّيه رحمة الله ويخوّفه من

عذابه، فلا يزداد أيوب حسب زعم مؤلف هذا السفر إلا عتواً ونفوراً وبأساً وظلمة واعتراضاً على الله، وكفراً به واتهاماً له بالظلم والجهل والاعتزاز بقوته وجبروته.. وأنه يسمع كلام الشيطان ويتبعه في نصائحه المردولة، ويستمع إلى الأشرار الذين يغرونه بأن ينكل بعبده البار الكامل أيوب!!!!

يرد أيوب على أصحابه ويقول: «اعلموا إذن أن الله قد عوجني ولف علي أحبولته. ها إني أصرخ ظلماً فلا أستجاب. أدعو وليس حاكم. قد حوَّط طريقي فلا أعبر، وعلى سُبلي جعل ظلاماً. أزال عني كرامتي ونزع تاج رأسي.. هدمني من كل جهة فذهبت، وقلع شجرة رجائي وأضرم علي غضبه وحسبني كأعدائه. معاً جاءت غزواته.. قد أبعد عني إخوتي. ومعارفي زاغوا عني. أقاربي قد خذلوني، والذين عرفوني نسوني. نزلاء بيتي وإمائي يحسبونني أجنبياً. صرت في أعينهم غريباً — ألم يهلكهم الله حسبما مر معنا من قبل؟! — عبيدي دعوت فلم يجب. بضمي تضرعت إليه. نكھتي مكروهة عند امرأتي، وخممت — أي صرت خاماً منتناً — عند أبناء أحشائي، — المفروض أنهم قد ماتوا — الأولاد أيضاً قد رذلوني. إذا قمت يتكلمون علي. كرهني كل رجالي، والذين أحببتهم انقلبوا علي. عظمي قد لصق بجلدي ولحمي.. ونجوت بجلد لساني!!».

ويرد صوفر النعماني للمرة الثالثة ليعيد أيوب إلى رشده وإيمانه. ولكن هيهات، فكاتب هذا السفر — عليه اللعنات — مصمم على تلويث أيوب كما لو ث أسلافه الأنبياء الآخرين من قبل.

يرد أيوب ويقول: «لماذا تحيا الأشرار ويشيخون ويتجبرون؟ قوة نسلهم قائم أمامهم معهم وذريتهم في أعينهم. بيوتهم آمنة من الخوف وليس عليهم عصا الله.. الله يخزن إثمه لبنيه.. لتنظر عيناه هلاكه، ومن حمة القدير يشرب. فما هي مسرته في بيته بعده وقد تعين عدد شهوده؟!»

«الله يعلم معرفة وهو يقضي على العالمين؟ هذا يموت في عين كماله. كله مطمئن ساكن. أحواضه ملائنة لبناً ومخ عظامه طري. وذلك يموت بنفس مرة ولم يذق خيراً. كلاهما يضطجعان معاً في التراب والدود يغشاهما».

أعوذ بالله : إنكار لعلم الله وحكمته، وكفر صريح حيث لا يرى المتحدّث الكافر في قدر الله عدلاً . هذا يموت وأحواضه ملائنة لبناً، والآخر يموت بنفس مرّة ولم يذق خيراً قط . وكلاهما ينتهي والدود يأكلهما!! لأنه لا قيامة ولا بعث في تصوّر هذا الحبر اليهودي الذي كتّب هذا السفر ونسّبه إلى أيوب .

ويعود أليفاز التيماني إلى مجاوبة أيوب بكلام قيّم . قال : «هل ينفع الإنسان الله؟ بل ينفع نفسه الفطن . هل من مسرةً للقدير إذا تبرّرت أو من فائدة إذا قومت طرقت؟ هل على تقواك يوبّخك أو يدخل معك في المحاكمة؟ ألأنك ارتهنت أخاك بلا سبب وسلبت ثياب العراة! .

ماء لم تسقي العطشان وعن الجوعان منعت خبزاً؟! الأرامل أرسلت خاليات . . وذراع اليتامى انسحقت . لأجل ذلك حوالياك فخاخ ويريعك رعبٌ بغتة، أو ظلمة فلا ترى وفيض الماء يغطيكَ .

«هوذا الله في علوّ السماوات . وانظر رأس الكوكب ما أعلاه . فقلت كيف يعلمُ الله . هل من وراء الضباب يقضي؟ السحاب ستر له فلا يرى . . . تعرّف به وأسلم . بذلك يأتيك خير . اقبل الشريعة من فيه، وضع كلامه في قلبك . إن رجعت إلى القدير تُبنى . . . يكون القدير تَبْرُك وفضة أتعاب لك، لأنك حينئذٍ تتلذذ بالقدير وترفع إلى الله وجهك تصلي له فيستمع لك وندورك توفّيها . وتجزم أمراً فيثبت لك وعلى طرقت يضيء نوره» .

كلام جميل من أليفاز التيماني يذكر أيوب بالله وبقدرته وبرحمته . . ويصفع المسمى أيوب — وهو قطعاً ليس النبي أيوب عليه السلام — صفعات قوية لكفره ويذكره بأثامه ورجسه، وكيف جَمَعَ الأموال من حرام، ومن أموال الأيتام، وكيف لم يشفق على الأرملة والمسكين، وكيف سلّب العراة ثيابهم ليزيد في ثروته، وارتهن إخوته في الإنسانية وجعلهم عبيداً لدرهيمات سلّفها لهم . «ماء لم تسقي عطشان، الجوعان منعت خبزاً» .

فأين هو البرّ والكمال الذي يتحدثون عنه؟! أين هو برّك وكمالك يا من يسمى

أيوب؟! أفتحسب أنك عندما تقدّم بعض المحارق وشيئاً من اللحم المشوي الذي يحبه الرب!! أنك بذلك اكتسبت رضاه. لا لا، ذلك لا يكفي.

ويردّ أيوب بحرقة وقسوة على صاحبه أليفاً قائلاً:

«اليوم أيضاً شكواي تمرّد. ضربتني أثقل من تنهّدي. من يعطيني أن أجده - أي الرب - فأتي إلى كرسيّه،. أحسنُ الدعوى أمامه وأملأُ فمي حججاً فأعرف الأقوال التي بها يجيبني وأفهم ما يقوله لي؟ أبكثرة قوة يخاصمني؟! كلا. ولكنه كان ينتبه إليّ. هنالك كان يُحاجّهُ المستقيم، وكنتُ أنجو إلى الأبد من قاضي. هأنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً فلا أشعرُ به، شمالاً حيث عمله فلا أنظرُهُ. يتعطفُ الجنوب فلا أراه».

يعترف أيوب بأنّ شكواه تمرّد وثورة.. ويسأل من يدلّني على الرب حتى أجده وأرفع قضيتي أمامه وأسمع ما يقوله لي.. أو يستطيع أن يخاصمني؟! كلا لو وجدته لحججته وكنتُ أنجو إلى الأبد من قاضي.. ولكنني لم أجده.. ذهبت شرقاً فلم أجده.. ذهبت غرباً فلم أشعر به.. شمالاً فلم أره.. جنوباً فليس هو هناك.. إذن لا إله». هذا هو الإلحاد والكفر.. أصبح أيوب حسب قولهم وجودياً شيعياً كافراً حتى بوجود الله.. ويسخر أيوب من هذا القدير الذي لا يرى عارفوه يومه.. ويرى هو الأشرار يغتصبون ويسرقون أموال اليتامى، ويرتهنون ثور الأرملة، ويصدّون الفقراء عن الطريق، فلا يتحرّك ولا يغضب ولا يفعل بهؤلاء الأشرار الأفاعيل بل يزيدهم قوة إلى قوة، وثراء إلى ثراء، ومنعة إلى منعة. تفيض حياتهم لبناً وعسلاً. أما مساكين الأرض فيختبثون جميعاً.. ويعملون ويكدحون ليزداد الشرير غنى.. يبيتون عراة بلا لبس، جوعاً بلا طعام، والأشرار يخطفون اليتيم عن الشدي، ومن المساكين يرتهنون. عراة يذهبون بلا لبس وجائعين يحملون حزماء.. يدوسون المعاصر ويعطشون. من الوجع أناس يثنون ونفس الجرحى تستغيث. والله لا ينتبه إلى الظلم.

أولئك يكونون بين المتمردين على النور، لا يعرفون طرقه ولا يلبثون في سبله. مع النور يقوم القاتل يقتل المسكين والفقير، وفي الليل يكون كاللص. وعين الزاني

تلاحظ العشاء. يقول لا تراقبني عين فيجعل سترأ على وجهه».

ويستمر كاتب هذا السفر في هرائه وكفره وجحوده ويتحدث على لسان أيوب :
أين العدل؟ أين الرب؟ لماذا يعطي الأشرار ويمنع الأخيار؟ لماذا يقف مع
المتمردين على النور؟ ويسمح للقاتل أن يقتل المسكين والفقير؟ أين ذهب عينه
عندما يكون المجرم كاللص يأخذ مال الفقير واليتيم؟ أين ذهب نور بصره عندما يزني
الزاني ويسرق السارق؟ أين عدله إذا كانت نهايتهم واحدة وهي الموت؟ هذا ينزل
إلى الهاوية ويموت وهو راضي النفس قرير العين معه اللبن والعسل والأولاد
والأموال. ويموت الفقير والمسكين بمرارة نفس وخيراً لم ير في حياته. الجميع
يكتنفهم صمت مطبق وظلام تام. . ولا عدل يقوم ولا يبرّ البار ولا يعذب الشرير
والآثم والقاتل.

وهذا كله نتيجة حتمية ومنطقية لعدم الإيمان بالبعث والنشور والجزاء والحساب.
فإذا لم يكن هناك يوم آخر وجزاء وحساب، فكيف يمكن أن تُبرّر غلبة الشر في الدنيا
ونرى الأشرار يتنعمون بالأموال والبنين والذهب والفضة، ونرى الأخيار يتعذبون
ويعيشون حياة المذلة والفقير والمهانة؟! ولا بد إذن من يوم آخر للجزاء. .

الفراعنة خير من هذا الحبر اليهودي كاتب سفر أيوب وأولئك الأحبار من اليهود
الذين وضعوا أسفار العهد القديم. . فالفراعنة يؤمنون باليوم الآخر والجزاء. وهؤلاء
لا يؤمنون. . وتكون النتيجة الحتمية أنهم أيضاً يكفرون بوجود الله. . يقول مؤلف سفر
أيوب على لسان أيوب: «ها أنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً فلا أشعر به.
شمالاً حيث عمله فلا أنظره. يتعطف الجنوب فلا أراه». أي أنه ذهب في الجهات
الأربع كلها فلم يجد لله أثراً.

وبعد هذا كله يدّعي كاتب السفر أن أيوب عاد وقال: «حي هو الله الذي نزع
حقي، والقدير الذي أمر نفسي. إنه ما دامت نسمتي فيّ ونفخة الله في أنفي لن تتكلم
شفتاي إثماً ولا يلفظ لساني بغش». وأي إثم أكبر من هذا الإثم وأي كلام أوقح من
هذا الكلام الذي نقلنا جانباً منه. . ويعود بذلك أيوب - حسب زعمهم - إلى تقريع
الله على إهماله الأشرار، ومعاقبته الأخيار، وتعذيبه هو بالذات بدون جريرة ارتكبتها

يداه، ولا جرم اجترحتها جوارحه . ويذكره كيف كان به رحيماً وكان يغدق عليه العطايا والنعم . . أما الآن فقد تحولت وتغيرت وتبدلت، فأصبحت قاسياً عليّ يا رب متجبراً عليّ . . تضطهدني دون ظلم ولا جريرة . . تسحق عظامي، تشر لحمي، وإلى الموت تعيدني . . إلخ . لقد فعلتُ الخير كله وساعدتُ الأرملة والمسكين وقدمتُ المحارق واللحم المشوي للرب، ومع هذا يعذبني الرب كل هذا العذاب دون ذنب ولا جريرة . .

ويستمر في ذلك التقرير والتوبيخ إصحاحاً وراء إصحاح - ٣٢ إصحاحاً - حتى ملّ أصحابه الثلاثة من نصحه وتركوا مجاوبة أيوب لكونه باراً في عيني نفسه . وغضب إلهوبن برخئيل من عشيرة (رام) على أيوب، لأنه حسب نفسه أبرّ من الله (الإصحاح ٣٣)، وحمي غضبه على أيوب للكفر الذي قاله وبدأ يرد على أيوب ويتحداه ويوبخه: لماذا يخاصم الله؟ لأن الله أعظم من الإنسان . . وبدأ يردد أقوال أيوب ويرد عليها ويفنّدها . . ويقول حاشا لله من الشر، وللقدير من الظلم، ويورد كلاماً جيداً. ولكن في ذلك كله لا يورد موضوع اليوم الآخر والجزاء والحساب والبعث والجنة والنار. . الجزاء عنده في الدنيا إذ إن الله يغضب على الشرير فيميته ويذله. كل ذلك في الدنيا أما الآخرة فلا ذكر لها البتة في العهد القديم بأكمله لا في سفر أيوب فقط - عدد صفحات العهد القديم ١٣٥٨ صفحة، طبعة دار الكتاب المقدس، القاهرة - . . وأخذ إلهو يذكر أيوب بقدرته الله وبمخلوقاته وبسمائه وأرضه وبمعجائب الله في مخلوقاته . . ولكنه لم يذكره أبداً بالآخرة لأن مؤلف أو مؤلفي العهد القديم منكرون للبعث. فلا جزاء في الدنيا . . ثم موت وهاوية وظلام ونسيان تام لكل شيء .

وأخيراً في السفر ٣٨ أجاب الرب أيوب وقال: «من هذا الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة. اشدّد الآن حقوك كرجل. فإني أسألك فتعلّمني. أين كنت حين أسست الأرض؟ أخبر إن كان عندك فهم؟ من وضع قياسها؟ أو من مدّها عليها سطماراً؟ على أي شيء قرّرت قواعدها؟ أو من وضع حجر زاويتها عندما ترنّمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بني الله؟!

ومن حجز البحر بمصاريح حين اندفق فخرج من الرحم، إذ جعلتُ السحاب

لباسه والضباب قماطه، وجزمتُ عليه حدّي، وأقمتُ له مصاريح ومغاليق، وقلتُ إلى هنا تأتي ولا تتعدّ. وهنا تتختم كبرياء لججك؟».

ويستمر في توضيح آيات الصبح.. الليل.. ينابيع البحر.. سكن النور والظلمة والشمس والقمر.. خزائن الثلج ومخازن البرد، ومواقع النجوم وعقد الثريا، وربط الجبار، ومنازل النعش مع بناته، وسنن السموات، والسحب والبروق والرعد، ومن كيف لهذه المخلوقات أمورها وهيّا لها معيشتها؟؟

أتعرف وقت ولادة وعول الصخور؟ أو تلاحظ مخاض الأيائل؟. جناح النعامة.. الفرس.. الوحوش... إلخ. إلخ.

ولا يرد في كلام الرب حسب زعمهم، على ما فيه من لفت نظر لآيات الله وعجائب مخلوقاته، أي ذكر لليوم الآخر.

وأخيراً يجيب أيوب ويقول: «ها أنا حقير فماذا أجابك. وضعت يدي على فمي. مرة تكلمتُ فلا أجيبُ ومرتين فلا أزيد. فأجاب الرب من العاصفة: «لعلك تناقض حكمي.. تستذنبني لكي تبرّر أنت. هل لك ذراع كما الله وبصوت مثل صوته ترعد؟ واستمر في استعراض قوته ويحدثه عن بهيموث – الثور الذي على قرنه ترسو الأرض –^(١)، ولويathan – وهو حيوان مائي هائل خلقه الله يمرح في البحر وقد يقصد به التمساح – وقد قتل الله التنانين – جمع تنين – ورضّ رؤوس لويathan وتركه طعاماً لأهل البرية..

أأنت اصطدت لويathan هذا وقتلته؟ أم أن الرب هو الذي اصطاده وقتله؟! ويستعرض الرب مخلوقاته المهولة ويتحدى أيوب أن يمسك بزمامها. فيخضع أيوب في آخر الأمر ويقول: «قد علمتُ أنك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر، فمن ذا

(١) جاء في قاموس الكتاب المقدس: بهيموث: كلمة مصرية قديمة معناها ثور الماء. وبناء على ذلك فبهيموث هو فرس البحر الموجود قديماً في أرض مصر، والآن في أعالي النيل.. وأما علماء اليهود فيزعمون أن بهيموث حيوان كبير الحجم جداً ذو قدرة عظيمة ومنظره هائل، ومن شأنه أنه كان ولا يزال يسمن منذ ابتداء الخليقة إلى مجيء المسيح فإذا جاء قُدّم عندها وليمة للمؤمنين.

الذي يخفي قضاء بلا معرفة؟ ولكني قد نطقت بما لم أفهم، بعجائب فوقى لم أعرفها، اسمع الآن وأنا أتكلم. أسألك فتعلمني. بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأيتك عيني. لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد».

والغريب حقاً أن الرب حَمِي غضبه على أليفاز التيماني وصحبه لأنهم وبَّخوا أيوب ومنعوه من الكفر ومن شتم الله عز وجل.

«وكان بعدما تكلم الرب مع أيوب بهذا الكلام. أن الرب قال لأليفاز التيماني: قد احتمى غضبي عليك وعلى صاحبك لأنكم لم تقولوا في الصواب كعبي أيوب. يا منتهى العجب!! ما قال هؤلاء إلا الحق ولقد وبَّخوا أيوب لما سمعوه منه من كلام رديء وساخط على الله ومتبرم بقضائه. . وهو كله من تأليف الأحبار. والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش واذهبوا إلى عبي أيوب وأصعدوا محرقة لأجل أنفسكم. وعبي أيوب يصلي من أجلكم. المسألة كلها أن الرب، حسب زعمهم، اشتاق للمحارق واللحم المشوي ورائحة الشوي، فلا بد من عذر لإيجاد سبعة ثيران وسبعة كباش وحرقتهم حتى يتنسم الرب نسيم الرضا. وبما أن أيوب مريض وقد فقد كل ثروته فلا بد أن يفعل ذلك أصحاب أيوب بحجة تافهة وهي أنهم أغضبوا أيوب. لأنني أرفع وجهه لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم. لأنكم لم تقولوا في الصواب كعبي أيوب. قد رأينا أنهم ما قالوا إلا الصواب وما قال أيوب إلا الفحش والافتراء على الله. فذهب أليفاز التيماني ويلدد الشوحي وصوفر النعماني وفعلوا كما قال الرب لهم. ورفع الرب وجه أيوب. ورد الرب سبي أيوب لما صلى لأجل أصحابه، وزاد الرب على ما كان لأيوب ضعفاً. السبب أنه شم رائحة المشويات. . سبعة ثيران وسبعة كباش. . فجاء إليه إخوته وكل أخواته وكل معارفه من قبل وأكلوا معه خبزاً في بيته ورثوا له وعزّوه عن كل الشر الذي جلبه الرب عليه. وأعطاه كل واحد منهم قسيطة وكل واحد قرطاً من ذهب. وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه. وكان له أربعة عشر ألفاً من الغنم وستة آلاف من الإبل وألف فدان من البقر وألف أتان. . وكان له سبعة بنين وثلاث بنات. . ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب في كل الأرض، وأعطاهن أبوهن ميراثاً بين إخوتهن. وعاش أيوب بعد هذا مئة وأربعين سنة. ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال. ثم مات أيوب شيخاً وشبعان أياماً!!

هذه هي الصورة التي يرسمها سفر أيوب للنبي الكريم أيوب . . صورة بشعة مقززة . . كلها كفر وتجديف وصراخ . . تماماً مثل أخلاق اليهود . لا صبر على البلاء، ولا قدرة على التحمل . . مع وقاحة متناهية ومخاصمة لله ذاته . .

ويعلن مؤلف هذا السفر كفره مراراً على لسان أيوب . . ولا نجد ذكراً لليوم الآخر على الإطلاق . ويصل الكفر إلى درجة إنكار وجود الله . . ثم يعود ويؤمن بالله بعدما يظهر له الربُّ ذاته، ويكلِّمه ويوبخه . . ويوضح له عجائب صنعه فيقرُّ أيوب ويعترف بذنبه . . وها هنا يستغل الرب الفرصة - تعالى الله عن ذلك - فيوجِّه لأصحاب أيوب - وهم من غير اليهود - تهمة إيذاء أيوب وشتيم الرب، ويطلب منهم سبعة ثيران وسبعة كباش يصعدونها محرقة . . لأن له مدة طويلة من رائحة الشواء . . وأيوب مريض طوال هذه المدة ولم يقدم له محارق . ولا أحد في الوادي كله يقدم له المحارق . . إذن على هؤلاء أصحاب أيوب، أن يتحمَّلوا ذلك يصعدوا له بالثيران والكباش ويحرقوها حتى يتنسَّم نسيم الرضا، وإلا أنزل غضبه بهم وسحقهم . . فلما فعلوا ذلك أعلن رضاه عن أيوب وضاعف له ثروته وأمواله كلها، وأعطاه بنين وبنات وعاش مئة وأربعين سنة أخرى حتى مات وهو شعبان أياماً . .

هذه أهم نقطة في العهد القديم كله منذ إبراهيم إلى آخر ملوكهم وأنبيائهم أن يتنعموا في الدنيا بأكبر قدر مستطاع من المتع وأن تطول حياتهم بأقصى مدة ممكنة وأن يموتوا وقد شبعوا من الدنيا ومن متعتها . . إذ ليس بعد ذلك إلا الهاوية والظلام والنسيان التام .

وإذا فهمنا أسفار العهد القديم فإننا نكون قد فهمنا العقلية اليهودية فهماً جيداً . كما إننا سنفهم تماماً تأثيراتها على الغرب ومدى تغلغل هذا الفكر اليهودي فيها . والواقع أن مصدر كثير من هذه الأفكار اليهودية عقائد الأمم السابقة على اليهود، مثل قدماء المصريين والبابليين والفرس والآشوريين واليونان . . ولليونان تأثير خاص، لأن أسفار العهد القديم نُقلت من العبرية القديمة إلى اليونانية . . وضاعت كل تلك الأسفار، ثم تُرجمت من اليونانية إلى العبرية وإلى غيرها من اللغات . . لهذا دخل

الفكر اليوناني بكثافة إلى الفكر اليهودي . وسيطر الفكر اليوناني واليهودي على الفكر الأوروبي المسيحي وعلى الفكر الحديث سيطرة كاملة . .

ولا يستطيع الإنسان أن يفهم الفكر الأوروبي الحديث وفلسفاته إلا إذا فهم الفكر اليوناني ودرس دراسة وافية أسفار العهد القديم ففيها مفتاح العقلية الأوروبية الحديثة .

* * *

النبي يونس - يونان - (عليه السلام) في القرآن الكريم

يونس بن متى عليه السلام نبيّ كريم، وَصَفَهُ اللهُ سبحانه وتعالى بقوله:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات: ١٣٩).

ثم قص الله سبحانه وتعالى علينا قصته العجيبة في سورة يونس وفي سورة الأنبياء وفي سورة الصافات وفي سورة القلم.

ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى». أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده. وفي رواية للبخاري: «ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى».

وقد فُسِّرَ ذلك بأنه «لا ينبغي لشخص أن يقول: أنا أفضل من يونس بن متى» على ظاهر الحديث، بحيث لا يتحدث هذا الشخص عن فضله. والقول الثاني: هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ذلك من باب التواضع وهضم النفس. ولا شك أنه أفضل خلق الله أجمعين. والقول الثالث: إنه قال ذلك قبل أن يعلمه الله بأنه صلى الله عليه وسلم أفضل الكائنات طراً.

وعندما ذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله بعد أن كذّبه قريش وزاد أذاهم له بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة، لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حائط لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة. فلما رأياه على تلك الحالة بعث له بقطف من عنب مع خادمهما عدّاس. فلما وضع عدّاس العنب قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قبل أن يأكل؛ فاستغرب ذلك عدّاس وقال: لم أسمع أحداً يقول ذلك في هذه البلاد. فسأله النبي:

«من أي البلاد أنت؟» فقال: من نينوى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من بلد العبد الصالح يونس؟» فقال عدّاس: وما أدراك من يونس؟ فقال: «ذاك نبي وأنا نبي». فأكبّ عدّاس على قدمي النبي يقبلهما.

وقد وصف المولى سبحانه وتعالى قصة يونس، حيث قال:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَكَادِي فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ (الأنبياء: ٨٧، ٨٨).

بعث الله يونس عليه السلام إلى أهل «نينوى» من أرض الموصل في العراق، فدعاهم إلى الله عز وجل فكذبوه وتمردوا. وطال به وبهم الأمر، وهويكرر الدعوة لهم باللين حيناً والشدة حيناً آخر، وبالتبشير تارة وبالإنذار تارة أخرى، وبالسر وقتاً وبالعلانية وقتاً آخر، ولم يجد ذلك فتيلًا. لم يؤمن به أحد. استمرت الأيام وضاعت نفس يونس عليه السلام. لا أنيس ولا صديق. بلد بكامله يرفض الدعوة ويصرّ على هذا الرفض. قوم غلاظ شدداد غُتاة القلوب عُمي الأبصار صُمّ الأذان، غلف القلوب.

ويش يونس عليه السلام، هؤلاء قوم لا أمل فيهم. وخرج يونس من تلك القرية الظالمة. ولكنه خرج بدون أمر من الله!! لم ينتظر هذا الأمر الصريح. ظنّ أن الله سبحانه وتعالى سيعذره في انسحابه من الدعوة وتركه لهؤلاء القوم. فهو لم يتركهم إلا بعد أن بذل جهده كله، واستفرغه من دعوتهم بكافة الوسائل. ﴿وظن أن لن نقدر عليه﴾، أي ظن أننا لن نقدر عليه لوماً بتركهم، لأنهم قوم فاسقون ظالمون جاحدون كافرون.

وما أن خرج يونس من «نينوى» إلا وقذف الله في قلوبهم خوفه ورجاءه. أحسوا بجريرتهم. بحثوا عن يونس فلم يجدوه. كرّروا البحث فلم يعثروا ليونس على أثر. كأنما الأرض انشقت وبلعت يونس. وأحس هؤلاء القوم بالندم يعتصرهم لما فعلوه بنبي الله الكريم الذي كان بين أظهرهم، وعزموا على ترك آلهتهم والعودة لعبادة الله.

ولكن أين يونس ليدلهم عليها؟! وكان العذاب قد أوشك أن يصيبهم؛ فنفعهم ذلك الإيمان:

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَمَتَّ عَنْهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (يونس: ٩٨).

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة، كما يرويه عنهم ابن كثير في كتابه «قصص الأنبياء»^(١): «فلما خرج من بين ظهرائهم وتحققوا نزول العذاب بهم، قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم، فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عَجَّوا إلى الله عز وجل، وصرخوا وتضرَّعوا إليه وتمسكوا لديه، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب المواشي، ورَغَت الإبل وفصيلاتها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملاتها، وكانت ساعة عظيمة هائلة».

«فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم». وقد نفعهم بهذا الإيمان في الدنيا والآخرة.

«وقد كانوا مائة ألف أو يزيدون»، قيل: إنهم كانوا أكثر من ذلك بعشرين ألفاً، وقال بعضهم: بضعة وثلاثون ألفاً. . وهم دون ريب قد زادوا عن هذه المائة ألف.

ومن جهة ثانية ما إن خرج يونس عليه السلام من «نينوى» إلّا وأحسَّ بكآبة وضيق يكتنفانه دون أن يعرف لهما سبباً في أول الأمر. ثم بدأ الشك يراوده: هل كان محقاً عندما ترك قريته؟ لقد كان هؤلاء القوم يرفضون دعوته بإصرار وعناد. . لقد مضت سنوات وسنوات وهو يدعوهم. . ولم يؤمن به شخص واحد! ولكنك يا يونس قد خرجت من قريتك دون أن يأتيك الإذن من الله صريحاً. .

استمر القلق والأفكار المشوشة يسيطران على يونس عليه السلام في هذه

(١) «قصص الأنبياء» لابن كثير الدمشقي، ص ٢٨٦، دار القلم، بيروت.

اللحظة ، وهو يحاول أن يهدّئ من روع نفسه وقلقها ، ويقول : إن الله سيعذره في تركهم . فهو لم يتركهم إلّا بعد أن بلغ غاية الجهد في دعوتهم إلى الله ، وكم من الأنبياء قبله قد تركوا أقوامهم لمّا أعلنوا كفرهم وعنادهم . . ثم يعود يونس ويقول لنفسه : لكنهم لم يتركوا هؤلاء الأقوام إلّا بعد أمر صريح من رب العزة والجلال . أما أنا فلم أستلم أمراً بتركهم !! ولكنك أيضاً لم تستلم أمراً بعدم المغادرة وإلّا لمّا فعلت . .

قادته قدماه إلى شاطئ البحر ، فوجد سفينة توشك أن ترحل ، فدفع ما معه من نقود ليركب معهم . . رأى القبطان والنوتية في يونس شخصية مهيبة جليلة يكسوها النور والجلال . . أفسحوا له في سفينتهم بعد أن امتلأت من البضائع والركاب . . وأحسنوا معاملته .

ولكن ما أن أبحرت السفينة وبعدت عن الشواطئ حتى تحوّل النسيم العليل إلى رياح عاتية ، وتحوّل البحر الهادئ إلى بحر ثائر مغتلم شديد الموج . واجتمع القبطان والنوتية وقرّروا إلقاء الحمولات والأثقال في البحر فألقوها ، ولكن الأمر ازداد سوءاً فقالوا : ها هنا رجل سوء أفسد علينا رحلتنا وأثار غضب الرب .

وأجروا القرعة بينهم لمعرفة هذا الرجل الخبيث الذي أغضب رب السموات والأرض وأثار البحر عليهم في وقت لم يكن البحر فيه ليثور . . وجاءت القرعة على يونس . . وتعجب القوم . . وقالوا : لعلّ هذا الرجل الذي يبدو في ظاهره الصلاح والتقوى خبيث النفس سيّئ الطوية مظلم السريرة . ولكنهم لم يتعجّلوا أمرهم ؛ فأعادوا القرعة ثانية وثالثة . وتحوّل الشك إلى يقين . . إنه هو الذي جرّ عليهم غضب الجبار . فألقوه في البحر الهائج المضطرب . وسرعان ما هذأت الأمواج وسكن عصف الرياح وسارت السفينة في هواء منعش جميل يدفع الأشرعة ويسير بالسفينة نحو غايتها وخطتها المرسومة .

كان الوقت ليلاً ، وأمر الله حوتاً من الحيتان الضخمة (Whales) أن تتبع السفينة . . وما أن ألقى القوم بيونس في لجج البحر إلّا والتقفه الحوت ، فغرفاه ، واندفع يونس مع المياه إلى بطن الحوت . لم يمضغه الحوت ، لم يطحنه . توقفت إفرازات المعدة الهاضمة عن عملها بأمر الله . واشتد الكرب على يونس .

ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، ظلمات بعضها فوق بعض. إنه يتكَّور ويتنفس بطريقة عجيبة جداً لا تخطر على بال بشر، طريقة لم يعرفها البشر ولن يعرفوها. لأنها طريقة خاصة بيونس جعلها الله له وحده.

ومع كل نفس من أنفاس يونس كان صوته الخافت يقول: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

لا ندري كم من الزمن مضى ويونس في هذه الظلمات وهذا الكرب العظيم. على أية حال ما فائدة الزمن؟ الدقيقة ها هنا تساوي عمراً بأكمله. والساعة تعدل دهوراً.

ولكن يونس لم يقنط من رحمة ربه. وأنى له أن يقنط!! استمر في تسبيحه. والله العلي القدير يسمعه من فوق سبع سماواته فيرحمه ويتعطف عليه؛ ويأمر الحوت بأن يلقيه على الشاطئ. ويأمر الله نبتة من اليقطين – من القرع – أن تنمو على يونس وتظلله بأوراقها على غير عادة القرع الذي يحبو على الأرض دون ساق.

وسخر الله له وعلة أو ظبية يشرب من لبنها حتى قوي بدنه فتحرك إلى قومه نادماً على تركه لهم. فإذا المدينة بأكملها تخرج فرحة هزجة عندما سمعت نبأ قدومه. مائة ألف أو يزيدون، يسلّمون عليه بالنبوة ويعلنون إسلامهم وتوبتهم.

وتمتلىء العيون والمآقي بدموع الفرح، ويبكي يونس وقومه بكاء تتخلله الابتسامات. ها قد منّ الله علينا – أنجاني من بطن الحوت وظلمات البحر – وأنجاكم من ظلمات الكفر والضلال.

وسجّل الله ذلك كله في آيات تتلى في جنبات الكون وتتردد أصداؤها بين أهل الأرض وأهل السماء.

قال تعالى:

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ۝ ﴾

(يونس ٩٨).

وقال تعالى :

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ۞ ﴾

(الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨).

وقال عز من قال :

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ۞ ﴾

(الصافات : ١٣٩ – ١٤٨).

وقال تعالى :

﴿ فَأَصْبَرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ ۖ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ ﴾

(القلم : ٤٨ – ٥٠).

يونان — يونس بن متى — في العهد القديم :

يرد سفر صغير مكوّن من أربعة إصحاحات — فصول — باسم يونان — أي يونس عليه السلام — ضمن أسفار العهد القديم المعروف باسم الأسفار النبوية.

ويبدأ السفر هكذا : «وصار قول الرب إلى يونان بن أمتاي قائلاً : قم اذهب إلى نينوى، المدينة العظيمة، وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامي».

ويذكر الأستاذ زكي شنوده في كتابه «المجتمع اليهودي» : أن يونان بن أمتاي

كان من سبط زبولون من أهالي مدينة «جت حافر» التي تبعد ثلاثة أميال فقط عن مدينة الناصرة — المدينة التي ينسب إليها عيسى فيقال يسوع الناصري — . وقد عاش في القرن الثامن للميلاد في عهد يربعام الثاني ملك مملكة الشمال — إسرائيل — . وبذلك كان معاصراً للأنبياء عاموس وهوشع في مملكة الشمال — إسرائيل — وأشعيا وميخا في مملكة الجنوب — يهوذا — .

ولا يذكر العهد القديم هذه المعلومات، ولست أدري من أين أتى الأستاذ شنوده بهذه المعلومات ومدى مصداقيتها.

بالنسبة لنا، ليس لدينا من مصدر تاريخي في قصة يونس سوى ما ذكره القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم. وهي جميعها لم تعين زمنه وإن عُنيت مكانه. وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه لا يرسل إلى قوم إلا نبياً منهم — أوله صلة قرابة ومصاهرة معهم — فيحدثهم بلسانهم ليفهموا عنه ويكون أقرب إلى الإعذار والإنذار.

وَزَعَمُ الأستاذ شنوده بأن يونان (يونس) بن أمتاي (متى) من نسل زبولون بن يعقوب، فيه نظر لدينا، لأن يونس بعثه الله إلى نينوى بالموصل في العراق، وأهل نينوى كانوا من الكلدانيين ولم يكونوا من بني إسرائيل. وكانت لهم لغة تختلف عن اللغة العبرية التي كان يتكلم بها بنو إسرائيل، والتي كانت سائدة فيهم في ذلك الزمان — القرن الثامن قبل الميلاد — .

على أية حال تختلف القصتان: تلك الواردة في القرآن الكريم وتلك الموجودة في العهد القديم، اختلافاً كبيراً في كثير من التفاصيل. وإن كانت هناك نقاط التقاء ليست بالقليلة.

تبدأ القصة في سفر يونان ببدء من الله ليونان ليذهب من بلده إلى نينوى، لأن شرهم قد صعد إلى السماء.

وهرب يونان من أمر الرب وذهب إلى يافا وركب سفينة متجهة إلى ترشيش — في أسبانيا — فأرسل الرب ريحاً شديدة كادت تكسر السفينة، فخاف الملاحون

وصرخوا كل واحد إلى إلهه. وطرحوا الأمتعة التي في السفينة إلى البحر ليخففوا عنها. وكان يونان - يونس - نائماً نوماً ثقيلاً في وسط هذه العاصفة. فجاء إليه رئيس النوتية وأيقظه قائلاً: «قم اصرخ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فلا نهلك». . . وألقوا القرعة فوقعت القرعة على يونان. فسألوه عن أمره فأخبرهم أنه عبراني وأنه هارب من وجه الرب، ولذا فهو خائف من الرب إله السماء الذي صنع البر والبحر. ولما زاد البحر اغتلاماً طلب منهم أن يلقوه في البحر ليسكن، فلما ألقوه سَكَنَ على الفور «فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً وذبحوا ذبيحة للرب».

وما أن أُلقيَ يونان حتى التقمه الحوت وبقيَ في بطنه ثلاثة أيام بلياليها. . وفي جوف الحوت دعا يونان ربه وناداه بصلاة خاشعة متبتلة. فأمر الرب الحوت فقفز يونان إلى البر.

وأمر الرب يونان أن يذهب إلى نينوى، فذهب إليها وآمن أهل نينوى «ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم»، وخلع الملك رداءه وتغطى بمسح وجلس على الرماد. . ونادوا بصوم للجميع وصرخوا إلى الله بشدة وأعلنوا توبتهم وندمهم وبكوا بكاءً شديداً. «لعلَّ الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه»!! (سفر يونان ٣ : ٩)، «فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه». (سفر يونان ٣ : ١٠) .

ونفاجأ بموقف غريب جداً من يونان. فبدلاً من أن يفرح بتوبة أهل نينوى ورجوعهم إلى الله نراه يغتم غماً شديداً ويغتاظ!! «فغم ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ وصلى إلى الرب. وقال: آه يا رب أليس هذا كلامي إذ كنتُ بعدُ في أرضي. لذلك بادرتُ إلى الهرب إلى ترشيش لأنني علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة، ونادم على الشر. فالآن يا رب خذ نفسي مني لأن موتي خير من حياتي. فقال الرب: هل اغتظت بالصواب؟!». (سفر يونان ٤ : ١ - ٤).

وهو موقف في منتهى الغباء والتعقيد ولا يمكن أن يخطر على بال بشر سوى أن يكون حبراً من أحبار اليهود الذين كتبوا هذا السفر.

الموقف الطبيعي أن يُسرَّ هذا النبي الكريم بقبول قوم نينوى دعوته وبإنابتهم إلى

الله، واعترفهم بذنوبهم، وطلبهم المغفرة من الله. وسيزداد فرحه وسروره بتوبة الله عليهم. ولكننا هنا نفاجأ بموقف في منتهى الغرابة. إنَّ النبي الكريم يغتم غمّاً شديداً لأن القوم آمنوا وندموا على ما قدّموا وتابوا إلى الله توبة نصوحاً. . وزاد غمّه وغيظه لأن الله تاب عليهم!! ولا يفعل ذلك إلاّ حبر من أحبار اليهود – عليهم لعائن الله – ويونس بريء من ذلك ولا ريب.

ثم طلب يونس من الله أن يُميتّه ويُريحه من هذا العذاب حتى لا يرى رحمة الله تنزل على قوم نينوى. ويعاتب الله قائلاً له: أليس من الأفضل أنك كنت تركتني لأذهب إلى ترشيش بعيداً عن هؤلاء القوم الذين بمجرد أن وصلت إليهم تابوا إلى الله ولم تُنزل بهم عقابك؟!

وغضب يونان – حسب زعمهم – جداً، وخرج من المدينة المؤمنة وصنع لنفسه مظلة، لعل الله يغيّر كلامه فيُنزل عقابه بهؤلاء القوم على جرائمهم السابقة، ولعله يرفض توبتهم. ولكن الله أنبت له يقطينة وسرعان ما أظلت رأسه في خلال لحظات. وفرح يونان باليقطينة فرحاً عظيماً. وعندما طلع فجر اليوم التالي وجد دودة قد أكلت اليقطينة وقضت عليها؛ فاغتمَّ يونس غمّاً شديداً. فناداه الرب قائلاً: «أنت شفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها، أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس – لعل الربوة هي عشرة آلاف – الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة». (سفر يونان ٤ : ٥ – ١١). وتنتهي القصة هكذا..

وفي القصة مواقف متشابهة لما في القرآن الكريم، وخاصة مناجاة يونس لربه وهو في بطن الحوت. ولكن الموقف المتناقض هو غيظ يونس وغمه لأن مدينة نينوى آمنت ولم ينزل الله عقابه عليها. «وندم الرب على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم!!»، والتوراة والعهد القديم مليئة بذكر ندم الله على الشر الذي فعله أو سيفعله!! وهو تعبير وقح من حاخام وقح.

الأنبياء المتأخرون

يقسم أهل الكتاب الأنبياء الذين ظهوروا في كتب العهد القديم إلى قسمين:

● الأنبياء المتقدمون: وترد قصصهم في الأسفار الخمسة (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية)، وسفر يشوع وصموئيل الأول والثاني. والملوك الأول والثاني – رغم أن سفر الملوك يذكر عدداً من الأنبياء والمتأخرين بعد وفاة سليمان وانقسام المملكة إلى مملكتين صغيرتين هما مملكة إسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب –.

● الأنبياء المتأخرون: وهم عدد كبير جداً من الأنبياء الذين يرد ذكر بعضهم في سفرَي الملوك، كما أن عدداً من هؤلاء الأنبياء قام بتأليف سفر خاص باسمه، أو قام تلاميذه أو الأحياء من بعده ونسبوا إليه سفرأ. وهؤلاء هم أشعيا وأرميا وباروخ وحزقيال ودانيال وهوشع ويوثيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقون وصفينا وحجي وزكريا وملاخي. . . ومنهم أنبياء كثيرون آخرون لم تكن لهم أسفار خاصة أو كانت لهم أسفار ولم تدخل ضمن أسفار العهد القديم.

وقد استعرضنا في فصول خاصة قصص الأنبياء الكبار الذين ورد ذكرهم في أسفار التوراة والعهد القديم ابتداء من آدم عليه السلام إلى سليمان عليه السلام. . . وقارنا سيرتهم الملوثة في هذه الأسفار بسيرتهم الناصعة النقية في القرآن الكريم.

وسنستعرض هنا الأنبياء الذين لم نتعرض لهم هناك بإيجاز شديد لأن دورهم، وإن كان مهماً في تاريخ بني إسرائيل، إلا أنه أقل أهمية ممن سلف. . . ثم إن القرآن الكريم لم يذكرهم، سوى اثنين منهم هما إلياس وإليشع، وكذلك الأحاديث

النبوية إلا على صورة إجمالية. . ولهذا فليس لدينا من مرجع موثوق به نستطيع أن نزن به أقوال أسفار العهد القديم في هؤلاء الأنبياء، وهل هذه الأقوال ملفقة أم لا؟ ولكننا نسترشد بما ينبغي أن يكون للأنبياء من عصمة. وننزههم أن يرتكبوا الموبقات مثل الزنى أو الكذب أو عبادة الأوثان، بل إننا ننزه هؤلاء الأنبياء أن يرتكبوا الصغائر فضلاً عن الكفر والكبائر.

وأما الأمور التي ليس فيها مساس بدين وأخلاق هؤلاء الأنبياء فهي أمور تحتل الوقوع ونشبتها كما هي. . وليس لدينا دليل لإثباتها أو نفيها سوى ما يذكره علماء التاريخ والآثار.

إيليا - إلياس - عليه السلام في القرآن الكريم :

قال تعالى في سورة الصافات :

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَالَأَنْتُمْ أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٤﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٨﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ ﴿١٢٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾ (الصافات : ١٢٣ - ١٣٢).

أورد ابن كثير الدمشقي في كتاب «قصص الأنبياء» قصة إلياس عليه السلام، وقال : هو إيليا أو إلياس التشبي وإنه من نسل هارون عليه السلام من بني لاوي.

وقد أرسل إلى قومه وكانوا قد تركوا عبادة الله واتخذوا عبادة البعل - في عهد الملك آخاب بن عمري ملك إسرائيل وزوجته الصيدونية إيزابيل التي نشرت عبادة البعل في مملكة الشمال - إسرائيل. . وكذبه قومه، وهرب منهم واختفى في كهف جبل أربعين ليلة تأتيه الغربان برزقه.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن إلياس - إيليا - قال عنها ابن كثير : إنها كلها ضعيفة أو موضوعة. وذكر مكحول عن كعب الأحبار : أربعة أنبياء أحياء اثنان في الأرض : إلياس والخضر، واثنان في السماء : إدريس وعيسى عليهم السلام.

وذكر وهب بن منبه - أيضاً من أحبار اليهود الذين أسلموا في زمن الصحابة - :
أنه لما كذبه قومه دعا الله سبحانه وتعالى أن يقبضه؛ فجاءته دابة لونها لون النار
فركبها. وجعل الله له ريشاً وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكياً
بشرياً، سماوياً أرضياً، وأوصى اليسع - اليسع - بن أخطوب. قال ابن كثير: ففي هذا نظر.
وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة - وهي
موجودة بكاملها في سفر الملوك الثاني (٢ : ١ - ١٨) كما سيأتي معنا - .

وذكر ابن كثير اجتماع إلياس بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه البيهقي .
وقد قال البيهقي عنه : هذا حديث ضعيف بمرة. وقد أخرجه الحاكم النيسابوري في
المستدرک على الصحيحين، وأنكر ذلك عليه ابن كثير، وقال : هذا حديث موضوع
وهو مما يستدرک على المستدرک. وقد ساق ابن عساكر أيضاً هذا الحديث من طرق
أخرى واعترف بضعفها. وقد أورد ابن عساكر طرقات فيمن اجتمع بإلياس من العباد
وكلها، كما يقول ابن كثير، لا يفرح بها لضعف إسنادها أول جهالة المسند إليه فيها.

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على إلياس - إيليا - . وقال تعالى : ﴿وتركنا عليه
في الآخرين...﴾ ، أي أبقينا بعده ذكراً حسناً له في العالمين فلا يذكر إلا بخير.
ولهذا قال تعالى : ﴿سلام على إلياسين﴾ ، أي سلام على إلياس. والعرب تلحق النون
من أسماء كثيرة مثل إسماعيل وإسماعين وإسرائيل وإسرائيلين. وقرأ بعضهم : ﴿سلام على
آل ياسين﴾ ، أي على آل محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية عن ابن مسعود أن إلياس هو إدريس، حكى هذا القول ابن إسحاق
وقتادة. وقال ابن كثير: والصحيح أنه غيره كما تقدم.

وقد أورد الأستاذ أحمد بهجت في كتابه «أنبياء الله» بعضاً من نصائح إيليا نقلاً
عن إنجيل برنابا جاء فيه : «إيليا عبد الله يكتب هذا لجميع الذين يتغنون أن يسيروا
مع الله خالقهم... إن من يطلب كلاماً مزوقاً لا يطلب الله... على من يشتهون أن
يطلبوا الله أن يحكموا إغلاق بيوتهم ونوافذه لأن السيد لا يرضى أن يوجد خارج بيته،
حيث لا يحب، فاحرسوا مشاعركم واحرسوا قلوبكم، لأن لا يوجد خارجاً عنا في هذا
العالم الذي يكرهه...»

على من يريدون أن يعملوا أعمالاً صالحة أن يلاحظوا أنفسهم، لأنه لا يجدي المرء نفعاً أن يربح كل العالم ويخسر نفسه .

على من يريدون تعليم الآخرين أن يعيشوا أفضل من الآخرين، لأنه لا يُستفاد بشيء ممن يعرف أقل منا نحن، فكيف إذن يصلح الخاطئ حياته، وهو يسمع من هو شرُّ منه يعلمه!!

على من يطلبون الله أن يخرجوا مرة كل ثلاثين يوماً إلى حيث يكون أهل العالم، لأنه يمكن أن يعمل في يوم واحد أعمال سنتين من خصوص شغل الذي يطلب إليه . .

عليه متى تكلم أن لا ينظر إلا إلى قدميه . . وأن لا يقول إلا ما كان ضرورياً . . وعليهم متى أكلوا أن يقوموا عن المائدة وهم دون الشعب . . مفكرين كل يوم أنهم لا يبلغون اليوم التالي . . وصارفين وقتهم كما يتنفس المرء - أي يحافظون على أوقاتهم - . .

ليكن ثوب واحد من جلد الحيوانات كافياً . . على كتلة التراب أن تنام على الأديم . . لتكف كل ليلة ساعتان من النوم . . وعليه ألا يبغض أحداً إلا نفسه . . وعليهم أن يكونوا واقفين أثناء الصلاة بخوف كأنهم أمام الدينونة الآتية . . فافعلوا هذا في خدمة الله مع الشريعة التي أعطاكم إياها الله على يد موسى . . لأنه بهذه الطريقة تجدون الله، وإنكم ستشعرون في كل زمان ومكان أنكم في الله وأن الله فيكم» .

إيليا كما يصوره العهد القديم :

يعتبر النبي إيليا من أعظم أنبياء بني إسرائيل، وقد عاش في القرن التاسع قبل الميلاد. ويسمى إيليا التشبي نسبة إلى مدينة «تشبة» التي قيل إنه وُلد ونشأ فيها.

وأمضى إيليا حياته في البراري، مرتدياً ثوباً من الشعر ومتمنطقاً بمنطقة من الجلد، زاهداً في مباحج الحياة الدنيا.

وانتقل إلى مملكة إسرائيل في الشمال حيث كان يحكمها الملك آخاب بن عمري ملك إسرائيل وزوجته الصيدونية الوثنية إيزابيل التي نشرت عبادة البعل والأوثان

الأخرى في إسرائيل . وكان زوجها مطيعاً لها في ذلك . . وقد قامت بقتل مئآت من أنبياء بني إسرائيل ، حتى أن أحد قواد آخاب ، ويدعى ذلك القائد عوبديا ، خبأ مائة من هؤلاء الأنبياء سرّاً في أحد الكهوف وكان يتعاهدهم سرّاً بالطعام ثم سهل لهم أمر الفرار من وجه إيزابيل .

وتحدى إيلياء آخاب بن عمري وإيزابيل وجميع الأنبياء الكذبة وهم ٤٥٠ نبياً للبعل و ٤٠٠ نبي للسواري . وقد أوردنا قصة تحدّيه لهم ، ووضع ثوراً بعد ذبحه على المحرقة دون إيقاد نار ، فيدعون الرب ، فأيهم أتت نار فأكلت الثور فهو الصادق . وقد فشل الأنبياء الكذبة ونجح إيلياء . وأدّى ذلك إلى أن يقوم إيلياء والشعب بقتل أولئك الأنبياء الكذبة .

وحصلت لإيلياء معجزات كثيرة ، منها : أنه أقام عند امرأة من بلاد الصيدونيين فباركها ولم ينفذ من بيتها الدقيق والزيت طوال مدة القحط . كما أن ابنها مرض ومات ، فقام إيلياء ودعا الله فعادت الروح إلى الصبي . . وبعد أن قتل إيلياء الأنبياء الكذبة دعا الله فنزل المطر وارتفع القحط .

وهرب إيلياء من وجه إيزابيل التي غضبت لأن إيليا قتل أنبياءها ؛ فهرب إلى الجنوب حتى وصل إلى بثر سبع في مملكة يهوذا ، ثم ارتحل أربعين يوماً إلى جبل حوريب - جبل سيناء كما يقولون - وهناك تراءى الله له وأرسله ليمسح ياهو ملكاً على إسرائيل ويقضي على آخاب وإيزابيل . وليمسح حزائيل ملكاً على الآراميين - خروج عن دائرة إسرائيل لأول مرة - ويمسح إيشع نبياً يخلفه .

ورغم أن آخاب بن عمري كان يعبد الأوثان ، إلا أن سفر الملوك الأول (٢٠ : ١ - ٣٤) يزعم أن الرب وقف مع آخاب ضد ملك الآراميين بن هود . ومات مائة ألف رجل من جيش بن هود في يوم واحد !!

وازداد ظلم آخاب واستولى على مزرعة نابوت اليزراعيلى ، واحتال في قتله بتهمة الكفر والزندقة . . .

وغضب الرب لذلك وأرسل إيلياء التشبي يهدده ويقول له : «قال الرب في

المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أيضاً»، فاتضع آخاب وشق ثيابه وجعل مسحاً على جسده، وسرعان ما تراجع الرب عن تهديده، وكلّم إيليا قائلاً: «هل رأيت كيف اتضع آخاب أمامي. فمن أجل أنه اتضع أمامي لا أجلب الشر في أيامه، بل في أيام ابنه أجلب الشر على بيته». (سفر الملوك الأول ٢١ : ٢٧ - ٢٩).

ومع هذا رجع الرب مرة أخرى وغير كلامه وغضب على آخاب وجعله يهزم في راموت جلعاد، بعد أن جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبياء آخاب!!! ومات آخاب في المعركة، وأدخل السامرة ودفن فيها. وغُسلت المركبة التي كان يركبها وعليها دم آخاب في بركة السامرة؛ فلحست الكلاب دمه حسب كلام الرب الذي تكلم به إيليا. (سفر الملوك الأول ٢٢ : ١ - ٤٠).

وملك أخزيا بن آخاب بعد أبيه في مملكة إسرائيل ولم تحدث نبوءة إيليا. . ومرض الملك أخزيا فأرسل رسلاً إلى كهنة الآلهة بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبراً من مرضي هذا. (سفر الملوك الثاني ١ : ٢)، وغضب إيليا وصرخ في الرسل: أليس هناك رب إسرائيل!! لماذا تذهبون إلى البعل. . وأخبرهم أن الرب قد غضب على أخزيا وأنه يموت في مرضه ذاك. فمات حسب كلام الرب الذي تكلم به إيليا. (سفر الملوك الثاني ١ : ٣ - ١٧).

وتولى الملك بعد أخزيا بن آخاب يهورام، ولم تصدق أيضاً نبوءة إيليا في أن يتولى الملك ياهو الذي مسحه إيلياء ملكاً في أيام آخاب، ووعدته بالملك وبالقضاء على آخاب وزوجته ولكن ذلك كله لم يحدث. ولا يتحدث السفر عن ياهو وما آل إليه مصيره.

وجاء في سفر الملوك الثاني (٢ : ١ - ١٨). أن إيليا ذهب مع تلميذه الإشع إلى نهر الأردن «وأخذ إيليا رداءه ولفه وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك فعبرا كلاهما في اليبس. . وبينما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيلياء في العاصفة إلى السماء، وكان الإشع يرى وهو يصرخ: يا أبي! يا أبي! مركبة إسرائيل وفرسانها ولم يره بعد. فأمسك ثيابه ومزقها قطعتين. . فأخذ رداء

إيليا الذي سقط عنه وضرب الماء وقال: أين هو الرب إله إيلياء؟ — فلم ينفلق الماء — ثم ضرب الماء أيضاً فانفلق إلى هنا وهناك فعبّر اليشع. ولما رآه بنو الأنبياء الذين في أريحا قبالة قالوا: قد استقرت روح إيليا على اليشع، فجاءوا للقاءه وسجدوا له إلى الأرض.

ويعتقد اليهود أن إيلياء سيعود في آخر الزمان. ويقول بعضهم: إنه هو المسيح المنتظر في آخر الزمان.

وقد جاء في سفر ملاخي (٤ : ٥): «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم. لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن».

وقد أصبح من التقاليد المرعية لدى اليهود أن تترك كل أسرة وهي تحتفل بعيد الفصح مقعداً خالياً من أجل إيليا، ويضعون أمامه الطعام وكأس النبيذ ليأتي ويأكل ويشرب من النبيذ.

ويعتبر إيلياء من أعظم أنبياء بني إسرائيل مكانة لديهم. . بل إن مكانته لا يضاهيها إلا موسى.

النبي اليشع — اليسع — عليه السلام في القرآن الكريم :

قال تعالى في سورة ص (٤٥ — ٤٨):

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾.

وقال تعالى في صورة الأنعام (٨٦):

﴿وإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوتًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

ذكر ابن كثير في كتابه «قصص الأنبياء» عن الحسن البصري أن اليسع ظهر بعد

إلياس — وهو تلميذ إلياس (إيليا) كما قد مر معنا — فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل. ثم خلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الأحداث والخطايا وكثرت الجبابة وقتلوا الأنبياء، وكان فيهم ملك عنيد طاغ، ويقال إنه الذي تكفل له ذو الكفل إن هوتاب ورجع دخل الجنة فسمي ذا الكفل. — لعل ذلك الملك هو جوشياهو الذي تاب وحطم الأوثان وعبادة البعل وعشثروت وغيرها، وأعاد بني إسرائيل إلى عبادة الله. وقد بدأ إصلاحه الديني عام ٦٢٠ قبل الميلاد عندما عثر الكاهن حلقيا على نسخة من التوراة أثناء ترميم الهيكل —.

وقال محمد بن إسحاق: هو اليسع بن أخطوب^(١)، وهو من سبط أفرائيم بن يوسف عليه السلام. وكان مستخفياً مع إلياس — إيليا — بجبل قاسيون من ملك بعلبك ثم ذهب معه — أي مع إيليا — فلما رُفع إيليا إلى السماء خلفه اليسع في قومه. ويُقرأ اليسع بالتخفيف والتشديد. ومنهم من قرأ اليسع.

وتنسب إلى اليسع — اليسع — معجزات كثيرة، منها: أنه أقام من الموت إنساناً.

النبي اليسع — اليسع — في العهد القديم:

اليسع بن شافاط هو تلميذ إيليا وخليفته. وقد عاش في مملكة إسرائيل أيضاً. وهو من سبط يساكر بن يعقوب. وكان يقيم في آبل محولة بوادي الأردن. وهو من أسرة ثرية تملك حقلاً كبيراً.

وكانت بداية نبوته عندما وجده إيلياء في الحقل فطرح رداءه عليه ومسحه نبياً. وتبعه اليسع في رحلته إلى نهر الأردن وشاهد معجزاته وارتفاعه إلى السماء كما أسلفنا.

(١) في سفر الملوك الثاني من العهد القديم أن اسمه اليسع بن شافاط، وأن والده كان صاحب زرع. وكان هو في حقل أبيه فمر به إيلياء وطرح رداءه فتبعه اليسع وترك والده الحقل.

وكان اليشع يتجول في المدن والقرى في مملكة إسرائيل يدعوهم لترك عبادة الأوثان والعودة لعبادة الله .

وقام اليشع بكثير من المعجزات . ومن ذلك أنه كان يأوي بعد رحلاته وتجوّاله إلى بيت امرأة شونمية كانت تُكرمه وتقدّم له الطعام وتخدمه . وذات يوم مات ابنها فتضرّع إلى الله وأعاد الحياة إلى ابنها . (سفر الملوك الثاني ٤ : ٨ - ٣٧) . . وأطعم مائة رجل بخبز قليل . (سفر الملوك الثاني ٤ : ٤٢ - ٤٤) . . وأبرأ نعمان السرياني من البرص بعد أن دعا الله له بالشفاء . (سفر الملوك الثاني ٥ : ١ - ١٩) . . ويزعمون أن وضع جثة في قبر اليشع كفيلة بإعادة الحياة إلى تلك الجثة . ويذكر سفر الملوك الثاني (١٣ : ٢٠ و ٢١) أن ذلك قد حدث بالفعل .

النبى ميخا بن يملة :

وهو معاصر أيضاً لإيليا واليشع . . وعاش في زمن آخاب ملك إسرائيل وزوجته إيزابيل . . وهو الذي أنذر آخاب بأنه إذا خرج للقتال في راموت جلعاد لمحاربة الآراميين فإنه يُقتل ويُهزم ، مندداً بنبوءات الأنبياء الذين زعموا لآخاب أنه ينتصر . وأخبر آخاب أن الرب قد أعلمه أنه قد جعل روح كذب في أفواه أنبياء آخاب . فغضب آخاب ورماه في السجن وانطلق للحرب فانهزم وقُتل . (سفر الملوك الأول ٢٢ : ١ - ٣٩) .

النبى ميخا المورشتي :

وهو يختلف عن ميخا بن يملة الذي عاصر إيليا واليشع الذين عاشوا في زمن الملك آخاب بن عمري ملك إسرائيل .

أما ميخا المورشتي فقد ظهر في مملكة الجنوب يهوذا وعاصر من ملوكها يوثام وأحاز وحزقيا . وقد لُقّب بالمورشتي نسبة إلى القرية التي ولد فيها والتي تسمى (مورشة) ، وقد عاصر ميخا النبي أشعيا . وقد كتب سفرًا من أسفار العهد القديم - سفر ميخا - وقد تضمن نبوءات عن خراب السامرة وأورشليم وسبي اليهود كما تضمن نبوءات بخراب مدن الوثنيين أيضاً . وتنبأ بمجيء المسيح المنتظر .

ويبدأ السفر بنداء يوجهه ميخا إلى جميع الشعوب قائلاً:

«اسمعوا أيها الشعوب جميعكم. اصغي أيتها الأرض وملؤها. وليكن السيد الرب شاهداً عليكم. السيد من هيكل قدسه. فإنه هوذا الرب يخرج من مكانه وينزل ويمشي على شوامخ الأرض فتذوب الجبال تحته وتنشق الوديان كالشمع قدام النار، كالماء المنصب في منحدر، كل هذا من أجل إثم يعقوب - يقصد أبناء يعقوب اليهود - ومن أجل خطيئة بيت إسرائيل. ما هو ذنب يعقوب؟ أليس هو السامرة - عاصمة مملكة إسرائيل في الشمال - وما هي مرتفعات يهوذا؟ أليست هي أورشليم. فاجعل السامرة خربة في البرية مغارس للكروم. . . وجميع تماثيلها المنحوتة تُحطَّم وكل أعقارها تُحرق بالنار، وجميع أصنامها أجعلها خراباً لأنه من عُقْرِ الزانية جُمعَتْها وإلى عُقْرِ الزانية تعود» .

«من أجل ذلك أنوح، أمشي حافياً وعرياناً أصنع نحيباً كبنات آوى ونوحاً كرجال النعام. لأن جراحاتها عديمة الشفاء، لأنها قد أتت إلى يهوذا، وصلت إلى شعبي. . . إلى أورشليم!!» .

ويستمر ميخا يوبّخ بني إسرائيل على فجورهم وعلى عبادتهم الأوثان، وعلى «الظلمة الذين يصنعون الشر ويغتصبون الحقول والبيوت من الضعفاء، والذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم» . . . ويتحدث عن «الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم. رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلمون بالأجرة وأنبيائها يعرفون بالفضة. . . لذلك بسببكم تُفْلَحُ صهيون، كحقل، وتصير أورشليم خرباً وجبل البيت شوامخ وعر» .

وبعد هذه الإنذارات بخراب مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا، سيأتي في آخر الزمان المسيح فينشر السلام والعدل في الأرض، ومع هذا «فجميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه ونحن نسلك باسم الرب إلهنا» .

فالرب ليس رب العالمين بل هو رب إسرائيل ولا يريد أحداً غيرها أن يعبد. أما الشعوب الأخرى فعليها حسب هذا القول أن تدعو آلهتها الأخرى. . . ولا يغضب الرب لذلك. فهو رب شعب إسرائيل فقط، وما دامت إسرائيل معه فليذهب الآخرون لأربابهم الكثيرين. . . وليكن سلام في الأرض!!

ثم يعود بعد ذلك ليتحدث عن بقية يعقوب «فتكون كالأسد بين وحوش الوعر وكشبيل الأسد بين قطعان الغنم فيفترسها جميعاً وليس من ينقذ»، ويقصد من ذلك أن إسرائيل تفترس جميع شعوب الأرض من أجل بقية يعقوب!!

ويتحدث ميخا أن الرب لا يريد كثرة محارق فقد أصابه الغثيان من كثرة المحارق واللحم المشوي. . ولأول مرة نسمع نبياً يطلب من بني إسرائيل أن يتقدموا للرب بالحب والرحمة والتواضع، ومحبة الحق والخير بدلاً من أن يتقدموا له بالمحارق. فالرب لا يريد آلاف الكباش ولا أنهار الزيت، وإنما يريد محبة الخير والتواضع لله، وصنع المعروف والبعد عن الرذيلة. (الإصحاح السادس من سفر ميخا).

ويستمر بعد ذلك ميخا في تأنيب إسرائيل ويهوذا على الفجور الذي فعلته كل واحدة منهما. . وعلى عبادة الأوثان ويهددها بالخراب والسبي والهلاك. . ثم يذكر لهم أن بعد ذلك الخراب ستبنى أورشليم وستأتي آشور ومدن مصر وبابل وسكان الأرض من البحر إلى البحر، ومن الجبل إلى الجبل، كلهم سيأتون إلى أورشليم خاضعين مستسلمين منقادين لشعب إسرائيل. الشعب المقدس!! الشعب الذي حل فيه روح الله!! شعب الله المختار!!

النبى أشعيا بن آموص

يُعتبر أشعيا بن آموص من أنبياء بني إسرائيل المشتهورين، وقد عاش في مملكة يهوذا، وعاصر من ملوكها عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا. . وكان في عصر أشعيا أيضاً عدد من الأنبياء مثل ميخا المورشتي.

وعندما بلغ الأربعين أعلن الله له ذاته - أي صار نبياً - في السنة التي توفي فيها الملك عزيا. وتنبأ أشعيا للملك آحاز بفشل الهجوم الذي سيثبته على مملكته ملك مملكة إسرائيل وملك الآشوريين، وكانا قد تحالفا ضده. . ولكنه تنبأ أيضاً بأن الآشوريين سيجتاحون مملكة يهوذا. وغضب الملك آحاز على أشعيا الذي اضطر

للهرب والاختفاء. . ولم يظهر أشعيا إلا بعد وفاة آحاز عندما وصل الملك حزقيا إلى الملك.

وتوطدت الصلات بين أشعيا النبي وحزقيا الملك، وأصبح مستشاره. وقد نصحه بمهادنة سنحاريب ملك آشور، ولكن حزقيا لم يعمل بمشورته، وأدى ذلك إلى أن يقوم سنحاريب بالهجوم على مملكة يهوذا والاستيلاء على معظم مدنها ومحاصرة أورشليم. .

ولما تولى الملك منسيّ قام هذا الملك الطاغية بنشر جسد أشعيا بالمنشار.

وقد أورد ابن كثير في كتابه «قصص الأنبياء» (ص ٥٢٠) قصة النبي أشعيا، وقال عنه: إنه ممن بشر بعيسى وبمحمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين. وأورد قصة عن الملك حزقيا وهو أنه استشار أشعيا عندما هجم سنحاريب على مملكة يهوذا فأخبره أشعيا بأنه سيموت. . فبكى الملك حزقيا وصلى للرب فاستجاب الله للملك وأوحى إلى أشعيا أن يبشّره بأنه زاد من أجله خمس عشرة سنة. وأنجاه من عدوه سنحاريب. . وشفي الملك حزقيا من قرحته عندما وضع عليها ماء التين كما أمره أشعيا. وانهزم جيش سنحاريب، ومات منهم ألوف دون قتال!!

ولما مات حزقيا ارتدّ بنو إسرائيل وعبدوا الأوثان وكثر شرّهم؛ فقام إليهم أشعيا فوعظهم ووبخهم، فأمسكوا به ونشروه بالمنشار.

وقد كُتب سفر أشعيا بعد وفاته. وقد تضمّن هذا السفر توبيخاً قاسياً لليهود بسبب عبادتهم الأوثان وفسقهم وفجورهم وقسوتهم على الضعيف. كما تضمّن نبوءات كثيرة مثل سقوط دمشق والسامرة وامتداد سلطان دولة آشور إلى كل البلاد المحيطة بها. . ثم قيام دولة بابل واستيلائها على كثير من الممالك، ومنها مملكة يهوذا وحدث السبي. . ثم تنبأ بعودتهم من السبي على يد ملوك فارس وبالذات الملك قورش. ويذكر الباحثون أن هذا كله دليل على أن السفر قد كُتب بعد النفي إلى بابل وبعد العودة إلى أورشليم.

وقد تنبأ أشعيا بظهور المسيح ووصف في نبوءاته شيئاً كثيراً من صفات

المسيح عليه السلام . ولكنه يحدد أنه سيكون من نسل داوود بن يسي «ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب. ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض. ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفعية. ويكون البرُّ منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه» . . ويعتقد النصارى أن هذه النبوءة واضحة جداً في المسيح عيسى بن مريم . أما اليهود فيقولون: إنها صفات المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان وإنه لم يأت بعد، وعندما يظهر سيحكم اليهود العالم . وأن يسوع الناصري كذاب - عليهم لعنات الله - وأنه في لجات الجحيم . وأن معجزاته هي نوع من السحر الذي تعلّمه في مصر . ويستدلّون على أن صفات المسيح غير منطبقة على يسوع بقول أشعيا: بأن السيد الرب يجمع إسرائيل ويهوذا من أربعة أطراف الأرض إلى اورشليم . . وأن اليهود ينقضون على أكتاف الفلسطينيين غرباً وينهبون بني المشرق . يكون على آدوم وموآب - في الأردن - امتداد يدهما وبنو عمون - في الأردن أيضاً - طاعتهما . ويبعد الرب لسان بحر مصر ويهز يده على النهر بقوة ريحه، ويضربه إلى سبع سواقي، ويجيز فيها بالأحذية . . وتكون سكة لبقية شعبه التي بقيت من آشور، كما كان لإسرائيل يوم صعوده من مصر (أرميا ١١ : ١ - ١٦) .

وهكذا حتى عند ظهور المسيح في آخر الزمان، وحدوث السلام في الأرض، حتى أن الذئب يسكن مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي . . والبقرة والدابة ترعيان معاً . . والأسد كالبقر يأكل تبناً، ويلعب الرضيع على سرب الصل - الثعبان - ويمدّ الفطيم يده على حجر الأفجوان . يقول سفر أشعيا: إن إسرائيل ويهوذا ستدمّر الفلسطينين وتبيد الكنعانيين وتهلك لسان مصر وتحطّم الآراميين والموآبيين والعمونيين . . إلخ .

شيء في منتهى الغرابة أن لا ينسى كاتب السفر أحقاداه وغلّه، حتى في اللحظة التي يسود فيها السلام بين وحوش الغاب، وبين الأفاعي والإنسان . ولا بد إذن أن يبيد

شعب إسرائيل شعوب الأرض قاطبة، وعلى وجه الخصوص الشعوب المحيطة بإسرائيل.

ويتكرر هذا الكلام في جميع النبوءات: أشعيا وأرميا وميخا... إلخ، كلهم يذكر المسيح وصفاته، والسلام الذي يسود البشرية، بل والعالم أجمع، ثم فجأة يتذكر كاتب السفر أن عليه أن يغرز أحقادَه وأضغانه فيعلن لعناته على الكنعانيين والفلسطينيين والمصريين... إلخ... جميع شعوب الأرض ويدمرها تدميراً.

ثم يأتي كاتب آخر ويقرر أن لا داعي للإبادة فإن شعوب الأرض كلها ستأتي طائعة، لتلحق حذاء إسرائيل وتتمجد بخدمة شعب الله، لأن الله نفسه سيتجلى في هذا الشعب الذي هو أخص من جميع الشعوب، وابن الله على الحقيقة والمجاز.

النبى أرميا :

يُعتبر أرميا أيضاً من أنبياء بني إسرائيل المشهورين... وهو أرميا بن حلقيا الكاهن الذي ادعى أنه وجد التوراة في عهد الملك يوشيا سنة ٦٢٠ قبل الميلاد.

ويرجع الباحثون سفر التثنية إلى حلقيا الكاهن. ويقولون: إنه هو الذي بدأ كتابته، وعلى أسس هذا السفر قام الملك يوشيا بإصلاحه الديني وحطّم عبادة الأوثان، وأعاد عبادة الله - يهوه - رب إسرائيل... وقد أتمّ الأحرار من بعد عهد حلقيا كتابة سفر التثنية...

وقد ظهر أرميا في القرن السابع قبل الميلاد وعاصر ثلاثة من ملوك مملكة يهوذا، وهم: يوشيا ويهوياقيم وصدقيا.

وأرسله الله إلى قومه وهو صغير السن، فأبدى أرميا خوفه من ذلك، ولكن الرب طمأنه قائلاً: «جعلتك نبياً للشعوب فقلت: آه ياسيدي الرب، إني لا أعرف أن أتكلم لأنني ولد... فقال الرب لي: لا تقل إني ولد، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما أمرك به. لا تخف من وجوههم لأنني أنا معك. ومد الرب يده ولمس فمي. وقال الرب لي: ها قد جعلت كلامي في فمك». (أرميا ١ : ١ - ١٠).

ولعل القارئ الكريم قد لاحظ أن أسفار التوراة والعهد القديم كلها تجسم الرب وتجعله في صورة بشر يظهر للأشخاص ويكلمهم ويضع يده عليهم وأحياناً يعاركهم كما فعل مع يعقوب . .

وقد كتب أرميا نبوءاته على يد الكاتب باروخ، ووقع السفر في يد الملك يهوياقيم فأمر بإحراقه . . ولكن أرميا أعاد كتابته مرة أخرى.

وحين حاصر البابليون أورشليم راح أرميا يوبخ اليهود على معاصيهم وينذرهم بالهزيمة ودمار أورشليم، فأمر الملك بأن يوضع في السجن فبقي كذلك حتى جاء نبوخذ نصر ودمّر أورشليم وقتل ثلث سكانها وسبى الثلث الآخر وترك ثلثاً.

وسمع نبوخذ نصر نبوءة أرميا، وأنه قد أخبر قومه بأنهم سيهلكون على يده وأنه سيدمر أورشليم وينتصر عليهم انتصاراً ساحقاً . فتعجب من ذلك وأطلق سراحه وعرض عليه أن يأتي معه . ولكن أرميا فضّل أن يبقى في أورشليم . . وجعل نبوخذ نصر حاكماً محلياً لمن بقي من اليهود في أورشليم هو جدليا . فلما مات جدليا قام من بقي من أشراف اليهود بأخذ أرميا معهم إلى مصر، حيث لاقى حتفه هناك .

وقد كتب أرميا سفره المشهور بالإضافة، إلى المراثي التي بكى فيها أورشليم وما حلّ بها من خراب ودمار، وما حلّ بأهلها من أهوال مروعة جزاء ما ارتكبوا من معاصي وآثام، وعبادة للأوثان وتجبر وطغيان، وقتل للأنبياء وانتشار للفاحشة، وظلم للضعيف والمسكين .

وكتب أرميا أيضاً رسالة معروفة باسمه وردت في الترجمة السبعينية ولكنها حُذفت من الأسفار المعترف بها . وقد ندّد أرميا في هذه الرسالة بعبادة الأوثان بصورة خاصة .

وقد ذكر ابن كثير قصة أرميا في كتابه «قصص الأنبياء»، وذكر مطلع سورة الإسراء ومنها قوله تعالى :

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئَرُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّؤُا مَا عُلُّوا تَبِيرًا ﴿٧﴾﴾.

وذكر ابن كثير قصة أرميا نقلاً عن وهب بن منبه — من أحبار اليهود الذين أسلموا — وفيها شبه كبير لما أوردناه مع اختلاف في بعض التفاصيل وأسلوب جيد أفضل بكثير مما هو موجود في سفر أرميا ضمن ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية. ومن ذلك قوله: «أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرميا حين ظهرت فيهم المعاصي: أن قم بين ظهرائي قومك فأخبرهم أن لهم قلوباً ولا يفقهون، وأعيناً ولا يبصرون، وأذاناً ولا يسمعون، وأني تذكرت صلاح آبائهم فعطفتني ذلك على آبائهم. فسلهم كيف وجدوا غيب طاعتي؟ وهل سعد أحد ممن عصاني بمعصيتي؟ وهل شقي أحد ممن أطاعني بطاعتي؟ إن الدواب تذكر أوطانها فتتزع إليها، وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه آباءهم والتمسوا الكرامة من غير وجهها. أما أحبارهم فأنكروا حقي، وأما قراؤهم فعبدوا غيري، وأما نساكهم فلم ينتفعوا بما علموا، وأما ولاتهم فكذبوا عليّ وعلى رُسلي. خزنوا المكر في قلوبهم وعودوا الكذب ألسنتهم. وإني أقسم بجلالي وعزتي لأهيجنّ عليهم جيولاً لا يفقهون ألسنتهم ولا يعرفون وجوههم ولا يرحمون بكاءهم، ولأبعثنّ فيهم ملكاً جباراً قاسياً له عساكر كقطع السحاب، ومواكب كأمثال الفجاج، كأن خفقان راياته طيران النسور، وكأن حمل فرسانه كثر العقبان، يعيدون العمران خراباً، ويتركون القرى وحشة. فيا ويل إيلياء — القدس — وسكانها كيف أذلّهم للقتل وأسلط عليهم السبا، وأعيد بعد لجب الأعراس صراخاً، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب، وبعد شرفات القصور مساكن السباع، وبعد ضوء السرج وهج العجاج، وبالعز الذل، وبالنعمة العبودية، وأبدلنّ نساءهم بعد الطيب التراب، وبالمشي على الزرابي الخبب، ولأجعلنّ أجسادهم زبلاً

للأرض وعظامهم ضاحية للشمس، ولأدوسنهم بألوان العذاب... ثم لأمرن السماء فتكون طبقاً من حديد والأرض سبيكة من نحاس، فإن أمطرت لم تنبت الأرض، وإن أنبتت شيئاً في خلال ذلك فبرحمتي للبهائم، ثم أحبسه في زمان الزرع وأرسله في زمان الحصاد، فإن زرعوا في خلال ذلك شيئاً سلطت عليه الآفة، فإن خلص منه شيء نزعت منه البركة، فإن دعوني لم أجبه، وإن سألوني لم أعطهم، وإن بكوا لم أرحمهم، وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم»^(١).

النبى دانيال :

نشأ دانيال النبى في مدينة أورشليم - القدس - وكان معاصراً لأرميا. ولما هجم نبوخذ نصر على مملكة يهوذا وحطّمها سنة ٥٨٧ قبل الميلاد أخذ خلقاً كثيراً من أهلها سبايا. وكان ممن أخذ معه النبى دانيال.

وقد اختار نبوخذ نصر ثلاثة من نبهاء اليهود ليخدموه في قصره وهم: حنانيا وميشائيل وعزريا ومعهم دانيال. وقد أحسنوا خدمة الملك نبوخذ نصر؛ فارتقت منزلتهم عنده، وقد غير الملك أسماءهم اليهودية وأبدلها بأسماء بابلية.

ورأى نبوخذ نصر حلماً مزعجاً ذات ليلة، فطلب من يفسر له الحلم ويؤوله فلم يستطع أحد من رجاله وكهّانه أن يفعل، فعرض الأمر على دانيال ففسر له الحلم؛ وسر الملك بذلك؛ وعيّن دانيال رئيساً لجميع قضاة بابل.

ولما مات نبوخذ نصر تولى بعده بيلشاصر، واستطاع دانيال أن يطور علاقته به، وخاصة بعد أن فسّر له حلماً مزعجاً. وتولى دانيال مناصب هامة في الدولة البابلية، وكان من رجال القصر.

ولكن الغريب حقاً هو أن دانيال ومجموعة اليهود الذين وصلوا إلى البلاط

(١) نقلاً عن «قصص الأنبياء»، للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير، دار القلم، بيروت، ص ٥٢٣ وما بعدها.

الملكي البابلي، سرعان ما بدّلوا ولاءهم لمن أحسن إليهم، وذلك عندما انتصر دارا الفارسي على البابليين.

وقدّم اليهود خدماتهم للسيد الجديد. واستطاع دانيال أن يتقرب إلى الملك الفارسي حتى أصبح الوزير الأول في مملكته.

ولكن أعداء دانيال، وهم كثر، دسّوا للملك أن دانيال يخفي دينه، وأنه لا يحترم الملك ولا دينه، وأنه يتوجّه بصلاته لإله اليهود مستقبلاً أورشليم. فغضب الملك وطرحه في جب الأسود. ولكن الأسود لم تفترسه كما جاء في سفر دانيال، بل لم تمسه.

فلما رأى الملك دارا ذلك أخرجته من الجب وأكرمه.

واستمر دانيال في منصبه إلى عهد قورش.

وقد كتب دانيال — أو أحد تلاميذه — سيرته ونبوءاته في السفر المعروف باسم دانيال، وسجّل قصته مع ملوك بابل: نبوخذ نصر وبيلشاصر، ثم قصته مع الملك الفارسي دارا.

وفي الكتاب رؤى رمزية كثيرة، منها وأولها: رؤيا الملك نبوخذ نصر. . وقد جاء فيها ما يلي: «أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم. . هذا التمثال البهي جداً وقف قبالتك ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيد، صدره وذراعاؤه من فضة. بطنه وفخذه من نحاس. ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. كُنتَ تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما؛ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً، وصارت كعصافاة البيدر في الصيف، فحملتها الرياح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملاً الأرض كلها».

وأخبر دانيال الملك بتفسير ذلك الحلم قائلاً له: أنت أيها الملك ملك الملوك. . . فأنت هذا الرأس من ذهب، وبعذك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتسلط على كل الأرض، وتكون مملكة رابعة صلبة

كالحديد تسحق كل شيء. وبما أن القدمين بعضها من خزف وبعضها من حديد، فإن هذه المملكة تنقسم ويكون بعضها قوياً كالحديد، وبعضها هشاً كالخزف. وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفتنى كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد. (سفر دانيال ٢ : ٢١ - ٤٥). . . وسُرَّ الملك جداً بهذا التأويل وقال لدانيال: «حقاً إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار». . . وولاه على كل ولاية بابل وأعطاه أموالاً كثيرة وجعله رئيساً لحكماء بابل.

ويروي السفر أن الملك نبوخذ نصر صنع تمثالاً ضخماً، وأمر جميع من في مملكته أن يسجدوا له عندما يضرب بالبوق والعود والناي وكل أنواع العزف. فسجد الجميع إلا ثلاثة من اليهود كان قد ولّاهم دانيال مناصب في الدولة، وهم: شدرخ ومشيخ وعبد نقولا. وغضب الملك لعدم سجودهم لتمثاله، وأعلن هؤلاء أنهم لن يسجدوا لأي صنم أو وثن، وأنهم لم ولن يسجدوا لأحد سوى الله؛ فوضعهم الملك في أتون النار. ولكنهم خرجوا من النار سالمين؛ فانبهر الملك من ذلك وقال: «تبارك إله شدرخ وميشخ وعبد نقولا الذي أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه. وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم. . .». (سفر دانيال ٣ : ١ - ٣٠).

ثم يروي السفر حلماً آخر للملك نبوخذ نصر، ويبدأ الحديث فيها نبوخذ نصر بحمد الله وشكره على آياته وعجائبه: «من نبوخذ نصر الملك إلى كل الشعوب والأمم والألسنة الساكنين في الأرض كلها: ليكثر سلامكم، الآيات والعجائب التي صنعها معي الله العليُّ حَسُنَ عندي أن أخبر بها، آياته ما أعظمها، وعجائبه ما أقواها، ملكوته ملكوت أبدي وسلطانه إلى دور فدور - أي دائم -». (سفر دانيال ٤ : ١ - ٣).

وهو أمر غريب غير معروف في التاريخ. فهذا كلام يدل على إيمان نبوخذ نصر بالله إيماناً كاملاً قوياً. . . ثم يقص السفر بعد ذلك هذا الحلم الجديد، حيث رأى شجرة امتدَّ نموها حتى بلغت عنان السماء، ومنظرها إلى أقصى الأرض، وأوراقها جميلة وثمرها كثير، وفيها طعام للجميع، وإذا بساهر وقدوس نزل من السماء، وأمر بقطع

الشجرة، ولكنه ترك ساق أصلها في الأرض، وقيدَها بقيد من حديد ونحاس . . .
وليتغير قلبه عن الإنسانية وليعط قلب حيوان ولتمضِ عليه سبعة أزمنة».

ويوجه الملك الخطاب إلى دانيال ولكنه يسميه بيلشاصر . . . وأجاب بيلشاصر
قائلاً: «الشجرة التي رأيتها كبرت وقويت وبلغ علوها إلى السماء ومنظرها إلى كل
الأرض . . . إنما هي أنت يا أيها الملك الذي كبرت وتقويت. وعظمتك قد زادت
وبلغت إلى السماء وسلطانك إلى أقصى الأرض . . .». ثم عبّر للملك نزول الملك
وقطع الشجرة بأن الملك سيطرده من مملكته، وتكون سكناه مع الحيوانات، ويبقى
كذلك سبعة أزمنة حتى يعلم أن الملك لله وحده، فإذا علم ذلك تثبت مملكته وتعود
إليه. ويوجه النصيحة للملك قائلاً: «أيها الملك فلتكن مشورتى مقبولة لديك وفارق
خطاياك بالبر وأثامك بالرحمة للمساكين لعله يطال اطمئنانك». (سفر دانيال ٤ :
١ - ٢٨).

ويزعم السفر أن هذا الأمر تم فوراً وأن نبوخذ نصر طرد من مملكته، وأكل
العشب كالثيران وابتل جسمه بندى السماء حتى طال شعره مثل النور وأظفاره مثل
الطيور، ولا شك أن هذه قصة خرافية من تأليف كاتب السفر.

وتستمر الحكايات والأحلام وتفسيرها، ويتولى بعد نبوخذ نصر ملك آخر يدعى
بيلشاصر . . . ويدّعي كاتب السفر أن الملك كان يشرب الخمر مع غلمانة وجواريه،
فرأى يداً خفية تكتب على حائط القصر كتابة، وارتعب الملك، وطلب السحرة
والمنجمين، وطلب منهم أن يقرأوا ما هو مكتوب على الحائط. ولم يعرف السحرة
والكهّان والمنجمين ما هو مكتوب - لأنه لم يكن هناك شيء مكتوب - . . . ثم طلب
دانيال، فقام دانيال بذكر قصة نبوخذ نصر - والد بيلشاصر - السابقة، وأن الله أخذ منه
ملكه وجعله يأكل العشب كالثور لأنه تجبر وطغى - كان خطاب نبوخذ نصر إيماناً كاملاً
كما رأينا من قبل - وأنت الآن أيها الملك تشرب في آنية بيت الله - آنية من الهيكل -
لهذا أرسل الله يداً خفية تكتب: منامنا ثقيل وفرسين؛ وتفسيرها: منا: أحصى الله
ملكوته وأنهاه، ثقيلٌ وُزنت بالموازين فوجدت ناقصاً. فرس: قُسمت مملكتك وأعطيت
لمادي وفارس!!

والغريب حقاً أن الملك لم يغضب لهذا الكلام المزعج جداً، بل أمر بإلباس دانيال الأرجوان وقلادة من ذهب في عنقه وينادوا عليه أن يكون متسلطاً ثالثاً في المملكة!! «في تلك الليلة قتل بيلشاصر ملك الكلدانيين، فأخذ المملكة داريوس المادي وهو ابن اثنتين وستين سنة». (سفر دانيال، الإصحاح الخامس).

وتستمر الخرافات والأساطير والأحلام والرؤى والألغاز وتفسيراتها من دانيال وينقذ الله دانيال من الأسود فيؤمن الملك دارا بالله.

ويصدر الملك أمره «إلى كل الشعوب والأمم والألسنة الساكنين في الأرض كلها ليكثر سلامكم. من قبلي صدر أمر بأنه في كل سلطان مملكتي يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال، لأنه هو الإله الحي القيوم إلى الأبد، وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهى. هو ينجي وينقذ ويعمل الآيات والعجائب في السموات والأرض. هو الذي نجى دانيال من الأسود». (سفر دانيال ٦ : ١٠ - ٢٧).

وتستمر الأحلام والرؤى فيرى دانيال هذه المرة: أربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير، وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة. . الأول كالأسد وله جناحا نسر وكنت أنظر حتى انتفج جناحاه، وانتصب على الأرض وأوقف على رجلين كإنسان وأعطى قلب إنسان. وإذا بحيوان آخر شبيه بالدب. . وفي فمه ثلاثة أضلع بين أسنانه، فقالوا له: قم كُلّ لحماً كثيراً. . وإذا بحيوان آخر مثل النمر وله أربعة أجنحة، وأربعة رؤوس وأعطى سلطاناً. . وإذا بحيوان رابع هائل وقوي وشديد جداً وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق وداس الباقي برجليه. . وله عشرة قرون. . وإذا بقرون آخر صغير يطلع من بين القرون العشرة، وقلعت ثلاثة من القرون الأولى قدامه. وإذا بعيون كعيون الإنسان في هذا القرن وفم يتكلم بالعظائم. . وصنع له عرش. . لباسه أبيض كالثلج ورأسه كالصوف وعرشه لهيب نار. . نهر نار جرى وخرج من قدامه. . ألوف ألوف تخدمه. . كنت أرى إلى أن قُتل الحيوان وهلك جسمه ودُفع لوقيد النار. . أما باقي الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة. . ثم رأى دانيال ابن إنسان أتى وأعطى سلطاناً ومجداً وملكوته لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه أبدي، لن يزول، وملكوته لا ينقرض.

ثم فسّر دانيال الحلم: الحيوانات العظيمة هي أربعة ملوك يقوون على الأرض، أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكونها إلى الأبد. أما الحيوان الرابع فمملكة رابعة تأكل الأرض وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك. ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين ويذل ثلاثة ملوك ويتكلم بكلام ضد العلي ويستمر جبروته وبطشه إلى زمان ونصف زمان!! فينزعون عنه سلطانه وتُعطى المملكة والسلطان لشعب قديسي العلي. ملكوته ملك أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون». (سفر دانيال، الإصحاح السابع).

وهي نفس قصة المسيح المنتظر التي تتكرر كثيراً في أسفار العهد القديم والذي سيخرج حسب قولهم من نسل داوود ويحكم العالم حكماً أبدياً، ويبيد جميع الشعوب والأمم المعارضة، وتخضع له كل الكائنات في السماء والأرض. ويتمجد فيه شعب إسرائيل شعب الله ويعطي الملك والخلود لهذا الشعب المقدس!! ويكون هو معبوداً من دون الله!!

وتستمر الأحلام على هذا المنوال دون نهاية.

النبي حزقيال :

ظهر حزقيال في زمن نبوخذ نصر أيضاً. وكان من بين الذين سباهم من أورشليم وأرسلهم إلى بابل. وعاش حزقيال مع المسيبين من اليهود على نهر خابور في بابل.

واضطلع بالرسالة قبل خراب أورشليم بسبع سنين — خربت أورشليم سنة ٥٨٧ قبل الميلاد — وكان عمره آنذاك ثلاثين سنة. وظل مضطرباً بهذه الرسالة نحو اثنتين وعشرين سنة. وقد كتب حزقيال — أوتلاميذه — نبوءاته في سفر يحمل اسمه. ومن هذه النبوءات قسم نطق به حزقيال قبل أن تسقط أورشليم، تنبأ فيه بسقوطها وخرابها بسبب فجورها وعصيانها.

وأما القسم الثاني من النبوءات فكانت في المنفى، وهي تنبأ بأن الله سيعيد

اليهود من السبي والنفي إلى اورشليم . . وقد تحقّق هذا فعلاً في أيامه حين سمح الملك قورش ملك الفرس بعودة اليهود وبإعادة بناء الهيكل .

وأما القسم الثالث من النبوءات فيتعلق بممالك أدوم وصور وصيدا ومصر .
وكالمعتاد دعا عليها بالخراب والهلاك لأن المنقذ المسيح المنتظر سيأتي ويهلك الجميع ، ويقم مملكة الرب الأبدية في الشعب المقدس الأبدي . . ويعطي لهم الخلود على الأرض . . وتعبد الشعوب كلها مسيح الرب ، وشعب الرب والشعب المقدس !!

ويرجع الباحثون النص الكهنوتي من التوراة – الموجود في الأسفار الخمسة ، وخاصة في سفر اللاويين – إلى حزقيال وعزرا وهما من أنبياء النفي إلى بابل وما بعد النفي .

ويشدّد حزقيال الدعوة لبني إسرائيل أن لا يتزوّجوا من الأجنبية وأن لا يعطوا بناتهم للأجانب . . وهي نفس دعوة عزرا – عزير – والأنبياء المتأخرين الذين عاشوا فترة السبي .

النبي حجي :

عاش النبي حجي بعد فترة السبي ، والعودة من بابل إلى اورشليم . وكان العمل في هيكل اورشليم قد توقّف نحو خمسة عشر عاماً ، فقام حجي يستنهض همم اليهود لمتابعة البناء . وكان له في ذلك أثر عظيم .

وقد كتب حجي – أو تلاميذه – سفرأ يحمل اسمه يتضمّن النبوءات التي نطق بها حجي نحو عام ٥٢٠ قبل الميلاد ، وهي تشتمل على توبيخ لليهود الذين تقاعسوا عن بناء الهيكل بعد خرابه ، في حين أنهم يبنون لأنفسهم بيوتاً يقيمون فيها .

ويتحدث إلى أولئك الذين يكون على تواضع بناء الهيكل الجديد بالمقارنة مع البناء السابق الذي بناه سليمان . ويبشّرهم بأن مجد البناء الجديد سيكون أعظم من البناء القديم لأن المسيح المنتظر سيأتي إليه ، وستنحني كل الجباه المتعالية أمام ملكوته . . وسيحطّم كل الملوك والممالك ويذل كل الشعوب ، وتأتي الأمم كلها

ساجدة خاضعة لملكوته، وتتوجّه إليه بالعبادة، وتتمجّد الشعوب بخدمة شعب الله المختار. . الشعب المقدس الذي جعله الله أخصّ من كل الشعوب. . ويكون شعب إسرائيل سيداً على كل شعوب الأرض. . وأورشليم عاصمة للدنيا كلها. . ويحكم المسيح المنتظر العالم كله من عاصمته أورشليم حكماً أبدياً خالداً. . ويكون فيه الخلود لابن داوود - المسيح المنتظر من نسل داوود - ولشعب الله المختار، وتسعد جميع الأمم بالسجود له وعبادته. . ويكون عزها وفخارها خدمة شعب الله المقدس!!

زكريا بن عدو:

زكريا بن عدو من سبط لاوي. . وهو من سبي إسرائيل في مملكة بابل. . والغريب حقاً أنه كان كاهناً لمعبد وثني. . وظهر في زمن الملك داريوس - دارا - الفارسي وتنبأ له.

وكان زكريا معاصراً لحجي. . وكان أحدهما في بلاد الكلدانيين - وهو زكريا - من اليهود الذين فضلوا البقاء في بابل على العودة إلى أورشليم. وكان الآخر - حجي - من الذين عادوا وشاركوا في بناء الهيكل الثاني مشاركة فعالة.

وقد كتب زكريا بن عدو سفرأ يحمل اسمه ويدعو فيه اليهود إلى العودة إلى فلسطين وأن يعمروها من جديد، مبشراً إياهم بمجيء مملكة الرب التي سيقمها المسيح المنتظر، والذي سيهلك جميع الشعوب والأمم، ويخضعها للشعب المقدس، شعب الله، ويجعلها تعلن عبادتها للمسيح ولهذا الشعب المبارك المقدس الذي جعلت فيه روح الله. . الشعب الذي ينتسب إلى الله كما ينتسب الابن إلى أبيه. . إلخ.

عوبديا:

ظهر عوبديا من سبط يهوذا وعاش بعد عودة اليهود من المنفى. . وكان الأدوميون يتشفون بما حدث لليهود في المنفى. . ولهذا كتب عوبديا سفره يتنبأ فيه بخراب أدوم وبهلاك الأدوميين، وظهور مسيح الرب الذي سيحكم العالم من عاصمته أورشليم،

وتخضع له جميع الشعوب وتقبل أقدام إسرائيل الشعب المقدس الذي حلت فيه روح الله!!... إلخ.

يوئيل:

يُعتبر يوثيل بن فنوئيل أيضاً من أنبياء اليهود بعد عصر السبي إلى بابل. وقد حدث في أيامه قحط شديد وأسراب من الجراد أَكَلَتْ كل شيء. فأنبأ اليهود بأن هذا عقاب من الله على عصيانهم وتمردهم، ودعاهم إلى الندم والتوبة والرجوع إلى الله والكف عن الشرور والعصيان.

ثم أخبرهم بقرب مجيء مسيح الرب الذي ستخضع له كل الشعوب، وتتمجد فيه إسرائيل، وتبلغ أورشليم عنان مجدها. . مجداً أبدياً خالداً، ويحكم شعب الرب، الشعب المقدس كل الشعوب. . وتتمجد شعوب الأرض بلعق حذاء إسرائيل!!

صفنيا:

ظهر صفنيا بن كوش في عهد الملك يوشيا ملك يهوذا صاحب الإصلاح الديني سنة ٦٢٠ قبل الميلاد.

وقد تركّز سفر صفنيا على التبشير بمجيء مسيح الرب وخلاص البشرية على يده. . وأنه سيقم مملكة الرب على جبل صهيون في أورشليم، وتخضع له كل شعوب الأرض. . ويتمجد الشعب المقدس، شعب الله المختار ويحكم العالم، وتسعد كل الشعوب بخدمة شعب الله ولعق حذاء شعب الله!!

ناحوم:

ظهر ناحوم أثناء السبي إلى بابل بعد خراب أورشليم. . وقد عاش فترة قبل النفي في أورشليم وتنبا فيها بخرابها وتحطيم الهيكل، بسبب فجور إسرائيل. . وأعلن أنها ستقع في يد البابليين، كما أعلن أن مصر ستسقط في يد الآشوريين. . وأخيراً ستسقط بابل ونيوى في يد الفرس.

وقد وصف ناحوم في السفر الذي ظهر باسمه هذه النبوءات ورُكِّز فيه على أن الذنوب والمعاصي تؤدي إلى غضب الله وعقابه.

حبقوق:

كان حبقوق أحد المرنمين في هيكل أورشليم في القرن السابع قبل الميلاد، وقد عاش في أيام ملك يهوذا الفاسق يهوياقيم.

وقد كتب حبقوق سفره الذي أكد فيه أن الأشرار مهما نجحوا في حياتهم على الأرض فإنهم سيلاقون جزاءهم.. ووصف حبقوق مجيء الله في رعب عظيم ليدين البشر.

ملاخي:

عاش ملاخي في القرن الخامس قبل الميلاد. وهو من يهود فترة ما بعد العودة من نفي بابل. وقد ظهر بعد زكريا بن عدو وعوبديا. وقد نبَّه ملاخي في سفره إلى فساد الكهنة بصورة خاصة واليهود بصورة عامة. ورُكِّز اهتمامه على منع الزواج بالأجنبيات أو زواج الأجانب باليهوديات منذراً إياهم بغضب الله عليهم وعقابه الأليم لهم.

ثم بشرهم بقرب مجيء المسيح المنتظر الذي سيحكم العالم من عاصمته أورشليم.. وتُسْتَعْبَد له كل الشعوب.. وتكون إسرائيل سيدة الدنيا.

النبي زكريا بن يهوياذاع:

زكريا هو ابن الكاهن يهوياذاع الذي عاش في عهد الملك أخزيا ملك يهوذا في القرن التاسع قبل الميلاد. وقامت الملكة عثليا أم الملك الجديد ياهو بقتل كل من بقي من بيت أخزيا ما عدا طفل صغير استطاع الكاهن يهوياذاع أن يخبئه سراً.. وكبر هذا الطفل في بيت الكاهن وكان اسمه يهواش، واستطاع عندما اشتد عوده أن ينتقم لوالده ولأسرته كلها؛ فقتل الملكة عثليا واعتلى العرش.. وذلك كله بفضل رعاية يهوياذاع ومساعدته القوية في السر والعلن.

وكان يهواش طوال حياة راعيه الكاهن يهوياداع متمسكاً بالدين نابذاً لعبادة الأوثان التي كانت متفشية جداً في أيام الملكة عثليا وابنها. . ولكن ما إن مات يهوياداع حتى ارتكب الملك يهواش نفس الخطأ والجريمة التي ارتكبها ملوك إسرائيل وملوك يهوذا - الأماندر - وهي عبادة الأوثان، وخاصة عبادة البعل التي كانت منتشرة في بعلبك - لبنان - وفلسطين .

وأوحى الله إلى زكريا بن يهوياداع أن يقوم بالدعوة إلى العبادة الحقّة وترك عبادة الأوثان، وأخذ يوبّخ بني إسرائيل على تكرار سقوطهم في هوة الكفر والردة وعبادة الأوثان. وأخذ ينذرهم بعذاب الله وبالويلات التي تنتظر أورشليم الزانية. . فأمر الملك بقتله فرجمه اليهود بالحجارة داخل الهيكل نفسه.

عاموس :

ظهر النبي عاموس في مملكة الشمال - إسرائيل - في عصر الملك يربعام الثاني ملك إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد. . وشدّد حملته على الفساد الأخلاقي والديني وعلى عبادة الأوثان التي انتشرت في مملكة الشمال - إسرائيل - كما انتشرت في أختها مملكة الجنوب يهوذا. .

ولمّا شدّد عاموس حملته على فساد الملك وحاشيته والكهنة؛ طرده الملك من مملكته، ونفاه إلى مسقط رأسه قرية «تقوع» الواقعة في مملكة يهوذا.

وكتب عاموس السفر المعروف باسمه - وهو من أسفار الأنبياء - . وسجّل فيه الحوادث التي وقعت في أيام الملك يربعام الثاني بن يواش ملك إسرائيل ونظيره ومعاصره الملك عزيا ملك مملكة يهوذا. كما سجّل في هذا السفر انتقاداته لفساد الشعب الإسرائيلي والكهنة والملوك. وأعلن نبوءاته عن تخريب هذه البلاد وتخريب البلاد المجاورة دمشق وغزة وصور وأدوم وبني عمون وموآب بسبب معاصيهم. وقد تنبأ بحدوث خراب أورشليم والسبي إلى بابل ثم العودة من السبي، مما جعل بعض الباحثين يعتقد أن أجزاء من هذا السفر على الأقل كتبت بعد العودة من المنفى على يد كتاب مجهولين. . وألحقوا ذلك بسفر عاموس. .

وقد اتهم الكهنة النبي عاموس بأنه تزوج عاهرة.

النبي هوشع :

كان هوشع معاصراً للنبي عاموس ، وظهر أيضاً في مملكة الشمال — في القرن الثامن قبل الميلاد — وقد اشتهر أيضاً بإداناته للفساد الديني ونفاق رجال الكهنوت ، ووصفهم بأقبح الأوصاف ، ونعتهم بأرذل النعوت ، فأدى ذلك إلى معاداتهم له واتهامه بأنه تزوج عاهرة تابعة لأحد المعابد الوثنية المنتشرة في إسرائيل ، وأنه مارس معها الطقوس الوثنية.

وقد استمر هوشع في عمله النبوي لمدة ٤٠ عاماً. عاصر فيها عدداً من ملوك إسرائيل: يربعام الثاني، وملوك يهوذا: عزريا ويوثام وآحاز وحزقيا. وبينما كان هوشع وعاموس يدعوان في مملكة الشمال كان أشعيا وميخا يضطلعان بنفس العمل في مملكة الجنوب يهوذا.

وقد شهد هوشع سقوط السامرة — شكيم — عاصمة مملكة إسرائيل على يد الملك تجلت فلاسر الآشوري وتحطيم هذه المملكة تحطيماً تاماً سنة ٧٢٢ قبل الميلاد..

وكان قد تنبأ لهم بهذا الخراب بسبب عصيانهم وكفرهم وتمردهم.

* * *

عزير - عزرا - (القرن الخامس قبل الميلاد)

تختلف قصة عزير الذي أشارت إليه الآية الكريمة في سورة البقرة (٢٥٩) عن قصته كما يوردها سفر عزير من العهد القديم . .

ويختلف أهل العلم في عزير أيضاً هل هو نبي أم رجل صالح فقط . وسنورد هنا ما ورد عن عزير في القرآن الكريم مع ما ذكره أهل التفسير وابن كثير في «قصص الأنبياء»، ثم نعرض لما جاء في العهد القديم في سفر عزير - عزرا - .

عزير في القرآن الكريم :

ورد ذكر عزير في آية صريحاً، وفي الآية الأخرى إشارة دون ذكر اسمه .

قال تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (التوبة : ٣٠) .

وقال تعالى :

﴿ أَوَكَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : ٢٥٩) .

وقد ذكر أهل التفسير أن بطل هذه القصة هو عزيز، ثم اختلفوا في ذكر تفاصيل القصة كما اختلفوا في عزيز نفسه، هل هو نبي أو رجل صالح من بني إسرائيل؟

وقد ذكر ابن كثير في «قصص الأنبياء» عن ابن عباس ووهب بن منبه: أن عزيزاً كان عبداً صالحاً خرج إلى ضيعة له يتعاهدها، فلما انصرف أتى إلى خربة حين قامت الظهيرة وأصابه الحر، ودخل الخربة وهو على حماره، فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب، فنزل في ظل تلك الخربة وأخرج قصعة معه، فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة، ثم أخرج خبزاً يابساً معه فألقاه في تلك القصعة ليتل ليأكله، ثم استلقى على قفاه وأسند رجله إلى الحائط، فنظر سقوف تلك البيوت ورأى ما فيها، وهي قائمة على عروشها وقد باد أهلها. ورأى عظاماً بالية، فقال: ﴿أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾!! قالها تعجباً لا شكاً. ﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه﴾.

أحسَّ بالنوم الثقيل يداعب جفنيه فاستسلم له قبل أن يأكل طعامه ويشرب شرابه قائلاً لنفسه: سأرتاح قليلاً ثم أقوم..

ومضت سنون وسنون وتبدل سكان القرية، ومات بعض أولاده، وشاخ أبناؤهم وهو لا يزال نائماً.

وحدثت أحداث هجم نبوخذ نصر على أورشليم القدس وحطّمتها وسبى أهلها.. ولم يبق أحد ممن يحفظ التوراة.

تشاءب بعد مائة عام واستيقظ وهو يفرك عينيه.. آه لقد نام نوماً طويلاً كانت الشمس في الظهيرة وما هي تقترب من المغيب.. لا شك أنه نام عدة ساعات، وبعث الله له ملكاً يسأله: ﴿كم لبثت؟﴾ فأجاب عزيز على البديهة ﴿قال: لبثت يوماً أو بعض يوم.. قال - الملك - بل لبثت مائة عام. وفخر عزيز فاه دهشاً، أيعقل هذا؟! مائة عام كاملة؟! وأتمَّ الملك قائلاً: ﴿فانظر إلى طعاك وشرابك لم يتسنَّه.. - أي لم يأسن ويتعفن - وانظر إلى حمارك﴾، فوجد الحمار قد أصبح كومة من العظام ﴿وانظر إلى العظام كيف نشرها - أي نرفعها.. وفي قراءة: نشرها، أي نبعثها من الموت - ثم نكسوها لحماً﴾.

اندهش عزيز ولكنه أيقن إيقاناً تاماً بأن الله على كل شيء قدير. ﴿فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾. وهو علم عين اليقين الذي سأله إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾. قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

وَقُرِئَ اعْلَمْ بالتسكين، فالكلام على هذه القراءة من الله سبحانه وتعالى يخبره بقدرته.

ركب عزيز حماره ومشى وهو يتكفّر فيما مرّ به، ويكرر قول: سبحان الله، سبحان ربي، سبحان ربي الأعلى. . سبحان ربي العظيم. . لما رآه من دلائل القدرة الإلهية التي تقول للشيء كن فيكون.

ويبحث عزيز عن طريقه المعتاد فلا يجده. . ويبحث عن بيته فلا يجده. . والناس ينظرون إليه باستغراب. . ويسأل: ألا أحد يعرف بيت عزيز؟ فيضحكون ويستغربون. . من عزيز هذا؟ حتى أوصلوه إلى عجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمة لهم. كانت ابنة عشرين سنة عندما خرج عزيز. وفقر عزيز فاه من الدهشة. . يا لله قد مضت هذه السنون وذهب ذلك الجمال والرونق والبهاء، وها هي عجوز عمياء مقعدة نصف صماء. .

وصرخ عزيز: أهذا منزل عزيز؟ قالت العجوز: نعم هذا منزل عزيز. وبكت العجوز وهي تقول: ما سمعت أحداً منذ كذا وكذا سنة يذكر عزيزاً. لقد نسيه الناس منذ أن ذهب من ههنا منذ مائة سنة ولم يعد. . لا شك أنه قد مات فليرحمه الله.

وفوجئت العجوز بالرجل يقول لها: أنا عزيز، وضحكت قائلة: أين عزيز يا بني. . لعله قد مات منذ مائة سنة. قال لها: أنا عزيز وأنت فلانة أمتنا وجاريتنا. قالت: فإن عزيزاً كان مجاب الدعوة فادع الله أن يرد بصري حتى أراك فأعرفك.

فدعا عزيز ربه وأجاب الله دعاءه ورد بصرها؛ فصرخت فرحة: إنك أنت عزيز. . وكانت مقعدة فقامت تمشي من شدة الفرحة والمفاجأة، وانطلقت به إلى محلة بني إسرائيل وهم مجتمعون وفيهم أصغر أبنائه. وقالت لهم: هذا عزيز. فسخروا

منها، فقالت لهم: أنا فلانة وقد كنت عمياء مقعدة ورد الله عليّ بصري وأطلق ساقى ببركة دعاء عزيز.

وكان ابن عزيز موجوداً، فقال: كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه، فكشف عن كتفيه فإذا الشامة السوداء.. فأكبّ عليه ابنه يقبله ويحتضنه..

وقال شيوخ بني إسرائيل: لم يكن فينا أحد يحفظ التوراة مثل عزيز، ثم جاء نبوخذ نصر – بختنصر – وأحرق جميع نسخ التوراة، وما بقي من بني إسرائيل من يحفظها فآكبتها لنا. فكتبها لهم عزيز واشتهرت التوراة بأنها توراة عزيز، أي الذي جدد كتابتها عزيز.

وغلّت طائفة من بني إسرائيل في عزيز، فقالت: ﴿عزيز ابن الله﴾، حيث قالوا: لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب. وقد جاء بها عزيز من غير كتاب.. وكان عزيز يجلس مع بنيه وبني بنيه وهم شيوخ قد ابيضّت لحاهم وهو شاب في الأربعين أسود اللمة.

وقد أنشد أبو حاتم السجستاني في ذلك:

أسود رأس شاب من قبله ابنه	ومن قبله ابن ابنه فهو أكبر
يرى ابنه شيخاً يدبّ على العصا	ولحيته سوداء والرأس أشقر
وما لابنه حيل ولا فضل قوة	يقوم كما يمشي الصبي فيعثر
يعد ابنه الناس في الناس تسعين حجة	وعشرين لا يجرى ولا يتبختر
وعمر أبيه أربعون أمرها	ولابن ابنه تسعون في الناس غبر
فما هو في المعقول إن كنت دارياً	وإن كنت لا تدري فالجهل تعذر

عزيز هو عزرا بن سرايا بن عزريا.. بن هارون – الكاهن – وعاش في فترة النفي إلى بابل في القرن الخامس قبل الميلاد.. وكتب النص الكهنوتي من التوراة بالإضافة إلى السفر المنسوب إليه.

عزيز – عزرا – كما يذكره سفر عزرا من العهد القديم:

يقال: إن مؤلف سفر عزرا أو سفر نحميا وسفر أخبار الأيام هو شخص واحد

أو مجموعة واحدة. وقد كان سفر عزرا وسفر نحميا سفرًا واحدًا، ولكنهما فصلا إلى سفرين في الترجمة اليونانية السبعينية التي تمت في الإسكندرية على عهد بطليموس الثاني - القرن الثالث قبل الميلاد -.

ويسرد هذا السفران قصة عودة الشعب اليهودي من السبي ببيانات تفصيلية توضح كيفية إقامة الحياة السياسية والدينية من جديد في أورشليم وما جاورها.

ويتكون سفر عزرا من قسمين: الأول يتحدث عن أخبار عودة اليهود وإعادة بناء الهيكل، وذلك في عصر قورش ثم التوقف عن البناء بسبب وشاية من سكان السامرة الذين أرادوا أن يشتركوا مع اليهود في بناء الهيكل فمنعواهم؛ فكتبوا إلى الملك أحشوروش رسالة يخبرونه فيها بأنه إذا بنيت هذه المدينة العاصية وهيكلها فإنها ستمتنع عن دفع الجزية، وستثور على الملك، وطلبوا منه أن يقرأ تاريخ أورشليم ليعرف صدق ما يقولون. وبالفعل توقف البناء حتى مات أحشوروش وتولى بعده الملك دارا، فكتب إليه رؤساء اليهود يستأذنونهم في إكمال البناء ويخبرونه بأن قورش الملك العظيم قد سمح لهم بالبناء، فوافق دارا على ذلك واستطاعوا أن يكملوا البناء في مدة وجيزة.

وكان زعيم اليهود في أورشليم يسمى زربابل قد لعب دوراً كبيراً في بناء الهيكل من جديد. ويبدو أن عزرا في هذه الفترة كان في بابل، وكانت له حظوة عند الملك أرتخششتا. وكتب له الملك خطاباً لكي يأخذ فضة وذهباً وخمراً وحنطة وثيراناً... إلخ، لكي تقدم إلى الهيكل. وعاد عزرا ومعه فوج آخر من يهود بابل إلى أورشليم... ويشكل هذا الخبر وتفاصيله الجزء الثاني من سفر عزرا.

وعندما عاد عزرا قام بإصلاحه الديني وتنفيذ تعاليم الشريعة وتقديم المحارق والذبائح اليومية والأسبوعية والتي في الأعياد... وأصدر أمراً قوياً بمنع الزواج من الأجنيات وعدم زواج اليهوديات من الأجانب... واعتبر ذلك الزواج لاغياً وفي مقام الزنى... ويطرد الشخص الذي يتزوج من أجنبية من دائرة شعب الله.

يبدأ سفر عزرا بقصة العودة من السبي بناء على أمر قورش.

«وفي السنة الأولى لكورش ملك فارس... نبّه الرب روح كورش ملك فارس

فأطلق نداء في كل مملكته وبالكتابه أيضاً قائلاً: هكذا قال كورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في اورشليم التي في يهوذا. من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه، ويصعد إلى اورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله إسرائيل. هو الإله الذي في اورشليم. وكل من بقي في أحد الأماكن حيث هو متغرب فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهاثم مع التبرع لبيت الرب الذي في اورشليم». (سفر عزرا ١ : ١ - ٤).

ولا نعرف ما هو الدافع لقورش ملك الفرس لاتخاذ هذا الإجراء وإعلان إيمانه بإله إسرائيل واهتمامه ببناء الهيكل من جديد، وحث اليهود على العودة، وحث غير اليهود على دفع التبرعات السخية لبناء الهيكل!! هل كانت هناك استير أخرى خفية لم نتحدث عنها الأسفار؟ أمر مستبعد أيضاً، إذ أن اليهود يفتخرون بأي فتاة إسرائيلية تستطيع أن تغوي أي ملك أورئيس وتستطيع بواسطته أن تحقق أحلام إسرائيل.. على أية حال لم أجد في ما لدي من المراجع ما يوضح السبب الذي من أجله أقدم قورش على هذا الإجراء.

واجتمع زعماء اليهود: يشوع بن يوصادات وإخوته الكهنة وزربابل وغيرهم وأخرجوا المذابح والمحارق بصورة مكثفة جداً حتى يتنسم الرب رائحة الشواء ويسعد بها جداً وينجح غرضهم فب إعادة بناء الهيكل..

وبالفعل بدؤوا البناء وجاء أهل السامرة وهم خليط من اليهود والأمم الأخرى الذين أسكنهم تجلت فلاسر الآشوري - سرجون - وطلبوا أن يشتركوا مع اليهود في البناء ولكن اليهود رفضوا.

ومات قورش وخلفه أحشويروش الثاني.. ويذكر سفر عزرا أن أهل السامرة كتبوا للملك أحشويروش يذكرون له عصيان اورشليم، وأنهم ينصحونه ألا يسمح لليهود بإتمام البناء، والغريب أن أحشويروش رغم أنه لا يرفض لأستير أي طلب، منع اليهود من بناء الهيكل واستمروا على ذلك حتى مات. وتولى بعده دارا، فكتب له رؤساء اليهود يطلبون منه أن يسمح لهم بإتمام البناء الذي سمح به قورش ففعل، وأعطاهم ذهباً وفضة وخرافاً وثيراناً.. إلخ هدية للهيكل. مع دعوات وتبريكات «والله

الذي أسكن اسمه هناك يهلك كل ملك وشعب يمد يده لتغيير أولهدهم بيت الله هذا الذي في أورشليم. أنا داريوس قد أمرتُ فليفعَل عاجلاً». (سفر عزرا ٦ : ١٢).

وهو أمر أيضاً مستغرب من ملك فارسي وليس يهودياً. . ولا يوجد ما يبرر هذا التصرف أيضاً من الملك داريوس الفارسي .

ومات الملك داريوس، وتولى بعده أرتخششتا. ويبدو أن عزرا - عزيز - كانت له حظوة لدى هذا الملك. وقام عزرا وهو من نسل هارون عليه السلام، وصعد من بابل ومعه فوج آخر من اليهود القاطنين هناك. ويذكر السفر أن عزرا بن سرايا كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب لإسرائيل. وأعطاه الملك أرتخششتا كل سؤله. ووصل إلى أورشليم في الشهر الخامس من السنة السابعة من حكم الملك أرتخششتا.

وكانت رسالة الملك الفارسي إلى عزرا الكاهن كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل أيضاً غريبة، إذ يتحدث الملك الفارسي وكأنه يهودي يؤمن بآله إسرائيل. وقد تبرع الملك بفضة وذهب لإله إسرائيل في أورشليم مسكنه. بالإضافة إلى كل الفضة والذهب التي تجد في كل بلاد بابل مع تبرعات الشعب والكهنة المتبرعين لبيت إلههم الذي في أورشليم. لكي تشتري عاجلاً بهذه الفضة ثيراناً وكباشاً وخرافاً وتقدماتها وسكائبها، وتقربها على المذبح الذي في بيت إلهكم الذي في أورشليم» (عزرا ٧ : ١٢ - ٢٠). ثم أصدر الملك أمراً إلى كل الخزنة - بيت المال - أن يدفعوا فوراً كل ما يطلبه عزرا الكاهن كاتب شريعة السماء إلى مئة وزنة من الفضة ومئة كُرٍّ من الحنطة ومئة بثٍّ من الخمر، ومئة بثٍّ من الزيت والملح من دون تقييد. . إلخ كل ما أمر به إله السماء فليعمل باجتهاد لبيت إله السماء، لأنه لماذا يكون غضب على مُلك المليك وبنيه». (سفر عزرا ٧ : ٢١ - ٢٥)، مع أمر مشدد بالعمل بالشريعة وكل من لا يعمل بالشريعة فليقضى عليه عاجلاً إما بالموت أو بالنفي أو بغرامة المال أو بالحبس. وتعطى صلاحيات واسعة لتنفيذ قوانين الشريعة لعزرا الكاهن كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل!!

وينفذ عزرا هذا الأمر ويجمع شتات من بقي من اليهود، ويذهب بفوج جديد

إلى أورشليم محملاً بالذهب والفضة ومئات الثيران والكباش والخرفان، ويقدمها محرقة دائمة للرب فيتنسم الرب نسيم الرضا بعد أن شم رائحة اللحم المشوي بصورة تسبب الربو.

وأصدر عزرا تشريعاً جديداً لم تذكره التوراة ولم يعمل به موسى عليه السلام وداوود وسليمان الذين تزوجوا من أجنبيات. . أصدر عزرا هذا قراراً يعتبر بموجبه الزواج من غير يهودي أو يهودية كفراً بواحاً وخروجاً عن الملة.

والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهن ولا تأخذوا بناتهن لبنيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكي تتشددوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد». (سفر عزرا ٩: ١٢).

وهكذا يدعي اليهود أن عزرا كان عنصرياً شديداً عنصرية حاقدت على الشعوب الأخرى ومنذراً بالاختلاط بها، أو حتى السماح لها بأن تأكل من خير الأرض، لأن خير الأرض قد جعله الرب فقط لإسرائيل!!

وأمر عزرا كل أولئك المتزوجين من غير اليهوديات أن يطردها نساءهم «وانفصلوا عن شعوب الأرض والنساء الغريبة». وقام عزرا والكهنة بالتفتيش على اليهود بحثاً عن زوجات أجنبيات ليتم طردهن، فوجد بين بني الكهنة من اتخذ نساء غريبة فأخرجوا نساءهم حسب أوامر عزرا مع كباش ذبائح خطيئة. . وينتهي السفر بتعداد أسماء الذين اتخذوا نساء غريبات، وكيف قام عزرا بطردهن كلهن والتفريق بينهن وبين أزواجهن.

تعليق :

تختلف قصة عزرا الواردة في القرآن والتفاسير اختلافاً كبيراً جداً عن قصة عزرا الواردة في سفر عزرا وسفر نحemia. . فلا ترد في هذين السفرين ولا في أخبار اليوم قصة موت عزرا مائة عام وكيف بعثه الله. .

وما ورد في السفرين - عزرا ونحميا - لا يرد في التفاسير ولا كتب قصص الأنبياء. .

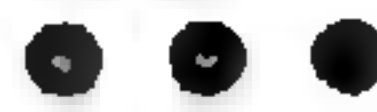
ويذكر سفر نحμία أن عزرا أتى بسفر شريعة موسى وقرأه على جماعة إسرائيل رجالاً ونساءً وكل من يدرك ويفهم، في اليوم الأول من الشهر السابع من السنة العبرية، وقرأ أمام الساحة التي أمام باب الماء من الصباح إلى نصف النهار (نحميا ٨: ١ - ٣).

وقرأ عليهم في اليوم التالي أيضاً وأفهمهم أن هذا هو عيد المظال الذي يستمر سبعة أيام. فخرجوا من بيوتهم وسكنوا في المظال حسب أوامر عزرا. . ومنذ زمن بعيد جداً لم يحتفل اليهود بعيد المظال إلى أن جاء عزرا. . حتى في زمن الملكية منذ عهد داوود لم يحتفلوا بعيد المظال إلا في عهد يوشيا الملك - ٦٢٢ قبل الميلاد - عندما وجد الكاهن حلقيا التوراة الضائعة، فقرأها على الشعب واحتفلوا بعيد المظال.

ولا نجد في هذه الأسفار أي ذكر لنبوة عزرا، بل تصفه الأسفار بعزرا الكاتب والكاهن مع احترام بالغ لأنه أعاد قراءة سفر الشريعة بعد أن نسيها الشعب في المنفى. .

ويعتبر الباحثون عزرا والكهنة الذين معه هم الذين قاموا بكتابة النص الكهنوتي الموجود في أسفار التوراة، وبالذات في سفر اللاويين. . ويذكرون صراحة أن موسى لم يكتب هذه الأسفار، وإنما كتبها عزرا والكهنة. أما النص الألهمي والنص اليهودي فقد كُتبا في فترة سابقة - القرن التاسع والثامن قبل الميلاد - وأما نص تثنية الاشتراع فقد كُتب في زمن الملك يوشيا - ٦٢٢ قبل الميلاد - .

ويتميز عزرا بالتعصب الشديد ومنع الاختلاط والزواج من الأجانب، حسب ما تصوّره أسفار العهد القديم.



المراجع

القرآن الكريم والتفاسير:

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن. تصوير عن الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية.
- (٣) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي): تفسير القرآن العظيم. طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- (٤) ابن جرير (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري): جامع البيان في تفسير القرآن. دار المعرفة، بيروت.
- (٥) الزمخشري (جار الله محمود بن عمر): الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل. دار المعرفة، بيروت.
- (٦) الجلالين: (جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي): تفسير القرآن العظيم. المكتبة الشعبية، القاهرة.
- (٧) سيد قطب: (في ظلال القرآن. الطبعة السادسة (غير مذكور الناشر ولا سنة الطبع).
- (٨) عبد الباقي (محمد فؤاد عبد الباقي): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. كتاب الشعب، القاهرة.

تاريخ وقصص الأنبياء وبني إسرائيل (مصادر إسلامية):

- (١) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي): قصص الأنبياء. دار القلم، بيروت لبنان، (بدون تاريخ).
- (٢) أحمد بهجت: أنبياء الله. دار الشروق، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٨٣ م.
- (٣) محمد الطيب النجار: تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة. دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨١ م.

- (٤) محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء. الناشر السيد حسن عباس الشربتلي، الطبعة الثانية، مكة المكرمة.
- (٥) عفيف عبد الفتاح طيارة: مع الأنبياء في القرآن الكريم. دار العلم للملايين، الطبعة (١٣)، ١٩٨٣م.
- (٦) السيد حسن اللواساني: تواريخ الأنبياء. منشورات لواسان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.
- (٧) الفخر الرازي (محمد بن عمر التيمي البكري): عصمة الأنبياء. دار المطبوعات الحديثة، جدة، ١٩٨٦م.
- (٨) د. محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة. الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

كتب عن العهد القديم واليهود:

- (١) الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس (جمعية الكتاب المقدس سابقاً)، القاهرة.
- (٢) الرهبانية اليسوعية: الكتاب المقدس: كتب الشريعة الخمسة (المدخل من الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس والحواشي من ترجمة أورشليم الفرنسية للكتاب المقدس)، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٤م.
- (٣) الرهبانية اليسوعية: الكتاب المقدس: كتب التاريخ (المدخل والهوامش مثل سابقه)، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
- (٤) الرهبانية اليسوعية: الكتاب المقدس: كتاب المزامير (المدخل والهوامش مثل سابقه)، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٤م.
- (٥) أحمد شلبي شتيوي: التوراة دراسة وتحليل، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٤م.
- (٦) ترجمة سهيل ديب (إسم المؤلف غير مذكور): التوراة تاريخها وغاياتها. دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.
- (٧) د. محمد بدران محمد بدران: التوراة: العقل - العلم - التاريخ. دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٩م.
- (٨) الباجي (علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب): على التوراة، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٨٠م.
- (٩) د. مصطفى محمود: التوراة. دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م.
- (١٠) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥ (ج ٢: ٨٧٩) وما بعدها، مادة الكتاب المقدس، ١٩٨٢م.

- (١١) د. بطرس عبد الملك وزملاؤه: قاموس الكتاب المقدس. مكتبة المشعل، بيروت، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، الطبعة السادسة، ١٩٨١م.
- (١٢) د. حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه. دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- (١٣) د. حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية: دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م.
- (١٤) محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩م.
- (١٥) زكي شنوده: المجتمع اليهودي. مكتبة الخانجي، القاهرة.
- (١٦) د. موريس بوكاي: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. دار المعارف، القاهرة.
- (١٧) روجيه جارودي: إسرائيل الصهيونية السياسية، دار الشروق، القاهرة - بيروت، ١٩٨١م.
- (١٨) د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان: اليهودية. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٧٨م.
- (١٩) وفاء صادق: أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة. دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧م.
- (٢٠) السيد محمد الشيرازي: هؤلاء اليهود. مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، ١٩٨٤م.
- (٢١) ابن القيم (محمد بن أبي بكر): هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- (٢٢) ابن القيم (محمد بن إبي بكر): إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان. مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة.
- (٢٣) ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم): الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المجد التجارية.
- (٢٤) ابن حزم (علي بن أحمد): الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة.
- (٢٥) الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم): الملل والنحل. مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة.
- (مطبوعان في كتاب واحد)
- (٢٦) رحمة الله بن خليل الهندي: إظهار الحق. تحقيق عمر الدسوقي، بإشراف عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الشؤون الدينية، دولة قطر.

- (٢٧) د. إسماعيل الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي. معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية.
- (٢٨) د. إسماعيل الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي. معهد الدراسات العربية العالية - جامعة الدول العربية، ١٩٦٤م.
- (٢٩) داوود عبد العفو سنقراط: جذور الفكر اليهودي. دار الفرقان، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- (٣٠) د. محمد بن الشريف: الشعب الملعون في القرآن. دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- (٣١) عفيف عبد الفتاح طيارة: اليهود في القرآن. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٠م.
- (٣٢) عبد الكريم الخطيب: اليهود في القرآن. دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٤م.
- (٣٣) ليني برينر: الصهيونية في زمن الدكتاتورية. ترجمة وتقديم د. محجوب عمر، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٥م.
- (٣٤) صابر طعيمة: لتاريخ اليهودي العام. دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- (٣٥) محمد خليفة التونسي: بروتوكولات حكماء صهيون. تقديم الأستاذ عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٤م.
- (٣٦) عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.
- (٣٧) جودت السعد: الشخصية اليهودية عبر التاريخ. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.
- (٣٨) هنري فورد ترجمة خيرى حماد: اليهودي العالمي. دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- (٣٩) د. هادي حسين محمود: منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية. دار القادسية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م.
- (٤٠) د. يوسف نصر الله: تقديم مصطفى الزرقاء وحسن ظاظا: الكنز المرصود في قواعد التلمود. دار القلم، دمشق - دار العلوم، بيروت، ١٩٨٧م.
- (٤١) إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل والتلمود. مكتبة الوعي العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- (٤٢) ظفر الإسلام خان: التلمود، تاريخه وتعاليمه. دار النفائس، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٠م.

- (٤٣) د. محمد علي البار: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. الدار السعودية، جدة، ١٩٨٧م.
- (٤٤) د. نجيب الكيلاني: دم لفطير صهيون. دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.
- (٤٥) الحكيم السموءل بن يحيى المغربي: بذل المجهود في إفحام اليهود. تقديم وتعليق عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار القلم، دمشق، ١٩٨٩م.
- (٤٦) إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي: الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، تقديم وتعليق عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار القلم، دمشق، ١٩٨٩م.
- (٤٧) د. مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم. معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية، ١٩٦٨م.
- (٤٨) د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠م.
- (٤٩) جورج فيدا: ترجمة وتعليق علي سامي النشار وعباس أحمد الشربيني: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية. منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٢م.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الله جلّ جلاله كما تصوّره التوراة والتلمود	١١
الله يتعب ويرتاح حسب زعمهم	٢١
الرب يستيقظ وينام ويلعب كما تزعم التوراة والتلمود	٢١
الله يسير أمام بني إسرائيل ليلاً ونهاراً	٢٣
موسى إله فرعون، وهارون نبي موسى	٢٣
الرب يكتب اللوحين بأصبعه حسب زعمهم	٢٤
نزول الرب وكلامه	٢٤
النبي أرميا يصف الله بالخداغ - تعالى الله عن ذلك -	٢٥
الرب يأمر أشعياء بأن يتعري ويدعو بني إسرائيل وهو عارٍ لمدة ثلاث سنوات	٢٥
قصة جدعون مع الرب وامتحانه له	٢٥
الرب يبكي ويلطم وجهه - كما يزعمون -	٢٧
قصة الملك آخاب مع الرب	٢٧
الرب يصارع يعقوب حسب زعمهم	٣٠
الرب يعترف بخطئه أمام كبير الأخبار كما يفترون	٣٠
مسكن الرب	٣٠
الرب يندم ويحزن وينسى حسب زعمهم	٣١
الرب يجلس في التابوت ويسكن وسط بني إسرائيل	٣٤
اختلاط مفهوم ملاك الرب والرب	٣٥
الرب يطلب من بني إسرائيل أن يضعوا علامة الدم على بيوتهم حتى يعرفهم	٣٥
الرب يطلب من بني إسرائيل سرقة المصريين حسب زعمهم	٣٦
زوجة موسى تخدع الرب كما يزعم سفر الخروج	٣٦
موسى يخاصم الرب حسب زعمهم	٣٧

الموضوع	الصفحة
الرب يخشى من تجمع البشر ووحدتهم حسب افترائهم	٣٧
الرب يعشق المحارق واللحم المشوي حسب زعمهم	٣٨
دم الختان	٤٠
الأنبياء عليهم السلام في التوراة المحرّفة	
آدم عليه السلام	٤٣
قصة خلق آدم في التوراة	٤٤
الصراع بين الله والإنسان من أجل العلم	٤٥
الصورة المغايرة التي يعرضها القرآن الكريم	٤٨
النقاط التي تختلف فيها قصة خلق آدم عليه السلام في القرآن عما هو في التوراة	
المحرّفة	٥١
قصة ابني آدم	٥٥
مولد شيث	٥٨
أخنوخ أو إدريس عليه السلام	٦٠
نوح عليه السلام	٦١
قصة نوح في القرآن الكريم	٦٤
قصة نوح في التوراة المحرّفة	٦٥
نوح يسكرا!	٦٧
مقارنة بين قصة نوح في القرآن الكريم وقصته في التوراة المحرّفة	٦٨
إبراهيم عليه السلام	٧٣
قصة إبراهيم عليه السلام في التوراة المحرّفة	٧٣
أبرام ولوط بفتريّان بعد العودة من مصر	٧٦
الرب يعطي أرض كنعان لأبرام ونسله إلى الأبد، حسب زعم التوراة المحرّفة	٧٧
قصة سارة وإذلالها لهاجر	٧٨
العهد مع إبراهيم بالختان	٧٩
سارة تحمل وتلد إسحاق حسب الوعد والعهد	٨٣
ذبح إسحاق	٨٣
موت سارة	٨٤
زوج إبراهيم من قطورة	٨٥
إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم	٨٦
دعوة أبيه	٨٧
دعوة قومه لترك عبادة الأوثان	٨٦

الموضوع	الصفحة
محاكاة إبراهيم عليه السلام لعبدة الكواكب والنجوم والشمس والقمر	٩٠
محاكاة إبراهيم عليه السلام للنمرود	٩١
هجرة إبراهيم عليه السلام	٩٣
مولد إسماعيل والأمر بذبحه	٩٤
الأمر ببناء البيت العتيق	٩٥
مولد إسحاق	٩٦
العهد . . لمن؟	٩٦
قصة الطيور الأربعة	٩٧
بعض الفروق بين قصة التوراة المحرفة وقصة القرآن الكريم	٩٨
إسماعيل عليه السلام	١٠١
قصة إسماعيل في التوراة المحرفة	١٠١
طرد إسماعيل وهاجر كما تزعم التوراة المحرفة	١٠٣
قصة إسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم	١٠٥
ثلاثة مشاهد من حياة إسماعيل عليه السلام:	
● (إسكان إبراهيم أهله في وادٍ غير ذي زرع عند البيت المحرم)	١٠٥
● (الابتلاء المبكر)	١٠٧
● (بناء البيت)	١٠٨
إسحاق عليه السلام	١١٣
قصة إسحاق عليه السلام في التوراة المحرفة	١١٣
مولد إسحاق	١١٣
تزويج إسحاق من رفقة	١١٤
إسحاق يقول أن رفقة أخته	١١٦
بشر سبع	١١٧
قصة إسحاق عليه السلام في القرآن الكريم	١١٧
لوط عليه السلام	
قصة لوط في التوراة المحرفة	١٢٣
ذهاب الملائكة إلى لوط عبر إبراهيم	١٢٤
الطامة الكبرى	١٢٦
قصة لوط عليه السلام في القرآن الكريم	١٢٨

الموضوع	الصفحة
يعقوب عليه السلام وبنوه	١٣٥
قصة يعقوب عليه السلام في التوراة المحرّفة	١٣٥
مولد يعقوب	١٣٥
زواج عيسو من الفلسطينيين	١٣٧
قصة إعطاء العهد ليعقوب بالمكر والخداع	١٣٧
فضيحة يعقوب كما ترويها التوراة المحرّفة	١٣٨
عيسو يسأل أباه: أما بقيت لك بركة؟	١٣٩
سفر يعقوب وأخذه البركة مرة أخرى	١٤٠
زواج يعقوب	١٤١
تنافس لينة وراحيل	١٤٢
انصراف يعقوب وعودته إلى أرض كنعان	١٤٢
يعقوب يصارع الله ويأخذ منه العهد مرة أخرى عنوة حسب زعم التوراة	١٤٤
يعقوب يخدع أخاه عيسو مرة أخرى حسب زعمهم	١٤٥
سكنى يعقوب في أرض شكيم (نابلس) واقتراه جريمة القتل	
حسب زعم التوراة المحرّفة	١٤٥
يعقوب يسترضي الرب بمحرقة حسب زعمهم	١٤٧
مصائب أبناء يعقوب	١٤٧
رأوبين يزني بامرأة أبيه	١٤٨
يهوذا يزني بكنته ثماراً زوجة ابنه غير	١٤٨
يوسف عليه السلام	١٥١
موقف بعض الكتاب من الأنبياء عليهم السلام	١٥٤
شتم الأنبياء كفر صريح	١٥٥
إنكار وجود إبراهيم وبنيه	١٥٦
يعقوب يصف أبناءه الاثني عشر	١٥٦
يعقوب وبنوه في القرآن الكريم	١٥٧
من هم الأسباط؟ وهل هم أنبياء؟	١٨١
موسى وهارون عليهما السلام	١٨٥
ولادة موسى	١٨٦
مزاعم فرويد حول موسى عليه السلام	١٨٧
الوجود التاريخي لموسى عليه السلام	١٨٩
موسى عليه السلام في القرآن والتوراة	١٩٠

الموضوع	الصفحة
موسى يجادل الرب والرب يغضب على موسى حسب زعمهم	١٩٧
إسرائيل الابن البكر للرب	١٩٧
زوجة موسى تخدع الرب وتحمي ابنها من غضبه	١٩٧
موسى يعاتب الرب ويقرّعه، حسب زعمهم	١٩٩
الرب ينسى حسب زعم التوراة	١٩٩
موسى إله لهارون وهارون فم لموسى	١٩٩
موسى إله فرعون وهارون نبي لموسى	١٩٩
العصا لهارون وليست لموسى !!	١٩٩
لا ذكر لإيمان السحرة في التوراة	٢٠٠
فرعون يقول لموسى وهارون: صليا من أجلي	٢٠٠
فرعون يعترف بخطئه ويكرر طلبه بأن يصلي موسى وهارون من أجله	٢٠٠
الرب يأمر بني إسرائيل بأن يحتالوا على المصريين ويأخذوا حليّهم	٢٠١
الاختلاف في عدد الآيات لفرعون وقومه	٢٠١
حوادث وشخصيات في حياة موسى وردت في القرآن ولم ترد في التوراة	٢٠٣
(١) امرأة فرعون	٢٠٣
(٢) مؤمن آل فرعون	٢٠٤
(٣) قصة قارون	٢٠٥
(٤) هامان	٢٠٧
(٥) إيمان السحرة	٢١٠
(٦) قصة موسى والعبد الصالح (الخضض)	٢١٤
بعض حوادث بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام	٢٢٥
عدد بني إسرائيل عند الخروج الخرافي في التوراة	٢٢٥
الأعداد الخرافية لبني إسرائيل في التيه	٢٢٩
بنو إسرائيل يتمردون على موسى ويعبدون العجل	٢٣١
قصة العجل	٢٣٢
هارون يصنع العجل ويعبده حسب زعمهم	٢٣٥
موسى يقرّع هارون، وهارون يعرّي موسى ليهزأ به الشعب	٢٣٦
الأمر بقتل عبدة العجل	٢٣٦
تحريف الأحبار للتوراة	٢٣٧
﴿اقتلوا أنفسكم﴾	٢٣٨
ذنب الآباء، في الأبناء	٢٣٩

ماذا حدث بعد عبادة العجل؟

٢٤١	أمثلة من جرائم بني إسرائيل بعد العجل
٢٤١	اختيار السبعين وطلبهم رؤية الله
٢٤٣	تحريف التوراة لقصة السبعين
٢٤٣	آلاء الله على بني إسرائيل
٢٤٤	الماء من الحجر
٢٤٤	المن والسلوى في التوراة
٢٤٥	بنو إسرائيل يطلبون الذي هو أدنى ويتركون الذي هو خير
٢٤٦	الميثاق ورفع الطور فوقهم
٢٤٨	الميثاق والعهد في التوراة
٢٥٢	الأمر بدخول الأرض المقدسة ونكوص بني إسرائيل
٢٥٢	مختصر تفسير آيات سورة المائدة
٢٥٣	مقارنة مع موقف الصحابة يوم بدر
٢٥٤	قتال العماليق في التوراة
٢٥٦	غضب الرب على موسى وهارون كما يزعمون
٢٥٩	مرحلة التيه - الدياسبورا - الأولى
٢٦١	تفسير ابن كثير يشرح مرحلة التيه
٢٦١	التوراة والتهيه
٢٦٢	الأمر التي حدثت في التيه
٢٦٤	نزول التكاليف والتوراة والميثاق
٢٦٥	الأحداث التي وقعت في التيه ولم يذكرها القرآن
٢٦٧	بلعام بن باعور
٢٦٨	مصير بلعام الذي تزعم التوراة أنه دعا لإسرائيل وباركها
٢٦٨	قصة بلعام بن باعور في القرآن تخالف ما ذكرته التوراة مخالفة تامة
٢٧٠	زنى بني إسرائيل مع بنات مؤاب
٢٧١	الحرب مع مديان وموسى يأمر بقتل النساء والأطفال حسب زعمهم
٢٧٢	الوعد بدخول أرض كنعان بعد وفاة موسى
٢٧٢	النهاية المحزنة لموسى حسب ما تزعم التوراة
٢٧٥	بعض أحكام التوراة الحقّة والمحرّفة
٢٧٥	الوصايا والألواح
٢٧٥	أمر من الرب بإيادة الأمم

الموضوع	الصفحة
الرب يحرق ابني هارون لأنهما قدما ناراً غريبة على المذبح!!	٢٧٦
بعض أحكام التوراة الحقة	٢٧٧
قصة اليهوديين الزانيين في المدينة	٢٧٨
وجوب تطبيق أحكام الشريعة	٢٧٩
مواصلة لذكر بعض أحكام التوراة	٢٨١
يوشع بن نون، المفترى عليه	٢٧٨
تحقيق الوعد على يد يوشع بن نون واستيلاء بني إسرائيل على الأرض	٢٨٨
يشوع يقوم بحرب إبادة	٢٨٨
سفر المجازر (سفر يشوع)	٢٩٠
حجز الشمس عن المغيب من أجل يشوع	٢٩١
وقوف الشمس ليوشع في الأحاديث النبوية	٢٩٢
حبس الشمس للنبي محمد ﷺ	٢٩٣
حبس الشمس للإمام علي كرم الله وجهه	٢٩٤
حروب يشوع	٢٩٦
متى عاش يشوع	٢٩٨
يشوع - يوشع - بن نون وموقف الكتاب العرب منه	٣٠١
عصر القضاة (١١٥٧ - ١٠٢٠ قبل الميلاد)	٣٠٥
المعارك التي تمت بعد عهد يشوع	٣٠٧
تأثر بني إسرائيل بالكنعانيين وعبادتهم الأوثان	٣٠٩
بنو إسرائيل يعودون لعبادة الأوثان بعد موت جدعون	٣١٤
الرب يختار يفتاح الجلعادي ابن الزانية لينقذ بني إسرائيل	٣١٥
شمسون الرجل المبارك يزني ويفجر ويظلم	٣١٦
انتشار عبادة الأوثان والزنى في إسرائيل حسبما تذكره التوراة المحرّفة	٣١٨
النبي صموئيل عليه السلام، شموئيل - السموءل	٣٢١
صموئيل النبي - شموئيل: أي سمع الله لي. وقد عُرب إلى سموءل	٣٢٢
تعيين شاول بن قيس البنياميني - طالوت - ملكاً	٣٢٢
على بني إسرائيل	٣٢٥
ظهور داوود وقاتل جليات - جالوت -	٣٢٨
شاول يحقق على داوود	٣٢٩
داوود يعفو عن شاول بعد أن وقع تحت يده	٣٣١
داوود يعبر إلى أرض الفلسطينيين فراراً من شاول	

٣٣٢	والفلسطينيون يكرمون داوود رغم جرائمه ضدهم
٣٣٣	شاول يواجه موقفاً عصيباً ويستعين بالجان وروح صموئيل توبخه وتقرّعه
٣٣٣	نهاية شاول منتحراً
٣٣٤	قصة شاول — طالوت — في القرآن الكريم
٣٣٦	من هو النبي الذي تحدثت عنه هذه الآيات
٣٣٩	مقارنة لصفات شاول في القرآن والتوراة
٣٤٥	داوود عليه السلام (١٠١٠ - ٩٦١ قبل الميلاد)
٣٤٥	النبي داوود عليه السلام في التوراة المحرقة
٣٤٦	داوود يغني لشاول ليذهب عنه الروح الرديء
٣٤٧	داوود يقتل جالوت — جليات — ملك الفلسطينيين وفارسهم
٣٤٧	شاول يحاول اغتيال داوود عدة مرات ولكنه يفشل
٣٤٧	شاول يستخدم الحيلة ويزوج داوود ابنته ميكال
٣٤٨	داوود يذهب إلى الملك أخيش ملك جت ويتظاهر أمامه بالجنون
٣٤٨	داوود يكون عصاة لقطع الطريق والفساد في الأرض
	داوود يذهب لتخليص سكان مدينة قعيلة من الفلسطينيين
٣٤٩	وأهل قعيلة يغدرون به
٣٤٩	داوود يطلب من نابالم أن يعطيه خرافاً لجنوده ونابالم يرفض فيغضب داوود
٣٥٠	داوود يلتجئ إلى الفلسطينيين مرة أخرى
	داوود يقوم بغارات ضد الفلسطينيين ويكذب على ملك جت
٣٥٠	ويخدعه ويفجر ويسفك الدماء
٣٥١	داوود يتظاهر بأنه سيقا تل اليهود مع الملك أخيش
٣٥٣	داوود يتظاهر بالبكاء والمناحة على شاول
٣٥٣	داوود يصعد إلى يهوذا حيث يمسح ملكاً
٣٥٣	إشبوشث بن شاول يُعين ملكاً على إسرائيل
٣٥٣	الحرب بين شاول وداوود
٣٥٤	أبنير قائد الجيش يتحالف مع داوود ويترك إشبوشث
٣٥٥	داوود ملكاً على إسرائيل ويهوذا
٣٥٥	داوود يجازي الفلسطينيين على حسن صنيعهم شر الجزاء
٣٥٥	داوود يرقص ويغني والرب جالس في التابوت، ويقتل الرب رجلاً لأنه ساعده
	التوراة المحرقة تزعم أن الرب عقد حلفاً أبدياً مع داوود وإسرائيل
٣٥٧	في مقابل أن يصنعوا له بيتاً من الأرز

٣٥٨	داوود يقوم مرة أخرى بضرب الفلسطينيين والمؤابيين الذين أحسنوا إليه
٣٥٩	داوود يزني بحليلة جاره وقائد جنده أوريا الحثي حسب زعمهم
٣٦١	المستشرقون يهاجمون الإسلام ويتهمون الرسول ﷺ بالشق
٣٦٤	الرب يغضب على داوود لفعلته الشنعاء بأوريا الحثي
٣٦٥	داوود يضع بني عمّون تحت المناشير ويحرقهم في الأتون
٣٦٥	أمنون بن داوود البكر يزني بأخته ثمارا حسب نصيحة حكيم بني إسرائيل
٣٦٧	أبشالوم يدبر لاغتيال أخيه أمنون لأنه أذل أخته
٣٦٧	أبشالوم يستلب قلوب بني إسرائيل بالمكر ويحارب أباه، وأبوه يمكر به
٣٦٨	أبشالوم ينكح سراري أبيه
	أخيئوفل يشير على أبشالوم بملاحقة داوود وحوشاي يبطل مشورته
٣٦٨	ويخبر داوود بذلك
٣٦٨	نهاية أبشالوم وخداع داوود حتى في حزنه حسب زعم التوراة المحرّفة
	داوود يتخلى عن وعده بحماية من بقي من أولاد شاول ويسلمهم
٣٦٩	للجبعونيين ليقتلوهم
٣٧٠	نشيد داوود للرب
٣٧٠	غضب الرب الفجائي على بني إسرائيل
٣٧١	شيخوخة داوود ووصاياه الإجرامية الحاكمة حسب زعم التوراة المحرّفة
٣٧٢	داوود عليه السلام في القرآن الكريم
٣٨٥	مزامير داوود عليه السلام
٣٨٨	تقسيم المزامير إلى ثلاث مجموعات
٣٨٨	(١) مجموعة التسابيح
٣٩١	(٢) مجموعة صلوات الاستغاثة
٣٩٢	(٣) مجموعة التعليم
٣٩٣	أمثلة من مزامير داوود عليه السلام
٤٠٩	سليمان عليه السلام (٩٦١ - ٩٢٢ قبل الميلاد)
٤٠٩	زمن سليمان عليه السلام
٤١٠	سليمان في التوراة المحرّفة
٤١٠	جلوس سليمان على العرش
٤١١	وصية داوود لسليمان عند احتضاره
٤١٢	أدونيا يذهب إلى والدته سليمان ويتشفع بها لكي يزوجه أبيشح امرأة أبيه داوود
٤١٢	سليمان يغتال أخاه أدونيا

الموضوع	الصفحة
سليمان يقوم بمجموعة من التصفيات الجسدية	٤١٣
سليمان يقوم بسياسة جديدة ويتزوج من كل الجنسيات	٤١٤
بناء الهيكل	٤١٥
هيكل سليمان	٤١٧
سليمان يفرض أعمال السخرة	٤٢١
ملكة سبأ وسليمان	٤٢٢
سليمان يعبد الأوثان ويصنع لها المعابد	٤٢٣
سليمان عليه السلام في القرآن الكريم	٤٢٦
قصة سليمان عليه السلام في سورة البقرة	٤٢٧
موضوع السحر	٤٣٠
القول في الملكين	٤٣٢
ذكر سليمان عليه السلام من جملة الرسل ووحدة الرسالة	٤٣٣
سليمان عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام	٤٣٤
سليمان في سورة الأنبياء عليهم السلام	٤٣٥
سليمان ولغة الطير والنمل	٤٣٨
سليمان عليه السلام في سورة ص	٤٤٧
ذكر سليمان عليه السلام في سورة سبأ	٤٥١
أسفار الحكمة والشعر، حكمة سليمان عليه السلام في أسفار العهد القديم	٤٥٥
سفر الأمثال، وهل هو منقول من حكم أمنموبي المصري؟	٤٥٦
نماذج من سفر الأمثال	٤٥٩
سفر الجامعة	٤٦٦
سفر نشيد الإنشاد	٤٧٤
أيوب عليه السلام	٤٧٩
من هو أيوب عليه السلام؟	٤٧٩
قصة أيوب في العهد القديم	٤٨٢
النبي يونس - يونس - عليه السلام في القرآن الكريم	٥٠٣
يونس - يونس بن متى - في العهد القديم	٥٠٨
الأنبياء المتأخرون	٥١٣
إيليا - إلياس - عليه السلام في القرآن الكريم	٥١٤
إيليا كما يصوره العهد القديم	٥١٦
النبي اليسع - اليسع - عليه السلام في القرآن الكريم	٥١٩

الموضوع	الصفحة
النبي اليشع - اليسع - في العهد القديم	٥٢٠
النبي ميخا بن يملة	٥٢١
النبي ميخا المورثتي	٥٢١
النبي أشعيا بن آموص	٥٢٣
النبي أرميا	٥٢٦
النبي دانيال	٥٢٩
النبي حزقيال	٥٣٤
النبي حجي	٥٣٥
زكريا بن عدو	٥٣٦
عوبديا	٥٣٦
يوئيل	٥٣٧
صفنيا	٥٣٧
ناحوم	٥٣٧
حبقوق	٥٣٨
ملاخي	٥٣٨
النبي زكريا بن يهوياح	٥٣٨
عاموس	٥٣٩
النبي هوشع	٥٤٠
عزير - عزرا - (القرن الخامس قبل الميلاد)	٥٤١
عزير في القرآن الكريم	٥٤١
عزير - عزرا - كما يذكره سفر عزرا من العهد القديم	٥٤٤
المراجع	٥٥١
الفهرس	٥٥٧



تطلب جميع كتبنا من :

دار القلم : دمشق : صرب : ١٥٢٣ ت : ٢٢٩١٧٧

الدار الشامية : بيروت : صرب : ١٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا لدى السعودية عن طريق

دار البشير

جدة : ٢١١٦١ صرب : ٢٨٩٥